

الإعجاز في الخطبة الموقرة للإمام علي
بين الدلالة المعجمية والاستعمال الوظيفي



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

١٣٥٤ لسنة ٢٠١٦م

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda .

رقم تصنيف LC: BP38.08 .A25 2016

المؤلف الشخصي: شغيدل، مصطفى كاظم.

العنوان: الأفعال في الخطبة المونقة للإمام علي (عليه السلام) بين الدلالة المعجمية والاستعمال الوظيفي/

بيان المسؤولية: مصطفى كاظم شغيدل.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة – مؤسسة علوم نهج البلاغة.

١٤٣٨ هـ = ٢٠١٧م.

الوصف المادي: ٣٩٢ صفحة .

سلسلة النشر: سلسلة الكتب العلمية – وحدة علوم اللغة العربية – مؤسسة علوم نهج البلاغة

تبصرة عامة:

تبصرة ببليوغرافية: الكتاب يتضمن هوامش – لائحة المصادر . (الصفحات ٣٦٧ – ٣٨٤)

تبصرة محتويات:

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ – ٤٠٦ هجرياً نهج البلاغة - شرح.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة – ٤٠ هجرياً – الخطبة

المونقة – الأفعال.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة – ٤٠ هجرياً – خطبه –

حوار.

مصطلح موضوعي: البلاغة العربية.

مصطلح موضوعي: الخطابة العربية.

مصطلح موضوعي: اللغة العربية - الأفعال.

مؤلف إضافي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ – ٤٠٦ هجرياً نهج البلاغة - شرح

مؤلف إضافي: الحسني، نبيل قدوري، ١٩٦٥، مقدم.

عنوان إضافي: نهج البلاغة – شرح. سلطان

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الإعجاز في الخطبة الموقرة للإمام علي عليه السلام
بين الدلالة المعجمية والاستعمال الوظيفي

تأليف
د. مصطفى كاظم شعيبدان

اصدار
مؤسسة عالم بيت النبوة
في العتبة الحسينية المقدسة



جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة

مجاور مقام علي الاكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الالكتروني : www.inahj.org

الايمل : Inahj.org@gmail.com

الإهداء

إلى نفسِ رسولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)..
مع الاعتذار

عبدك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما اهتم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء اسداها والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار.

أما بعد:

لم يزل كلام مولى من كان النبي مولاه، وأمير من كان المصطفى نبيه (صلوات الله عليهما وآلهما) منهلاً عذباً رويًا لطلاب العلم والمعرفة منذ أن شرف الله الدنيا بوجوده.

ومن ثم فإن الثناء عليه ومدحه وبيان خصائص شخصيته في هذه المقدمة التي تصدر بها البحث الموسوم بـ (الأفعال في الخطبة المونقة للإمام علي (عليه السلام) بين الدلالة المعجمية والاستعمال الوظيفي) وما حظي به كلامه من التوصيف لدى أهل اللغة والفصاحة والدلالة والبيان كناقل التمر إلى هجر؛ لا سيما وأن الباحث الدكتور مصطفى كاظم شغيدل قد عطر بحثه هذا بشرط من ذلك البيان المخصوص بوصف كلام أمير المؤمنين (عليه السلام).



ولذا:

ما نود أن نقوله هنا إن هذا البحث القيم الذي نال من الباحث جهد ثلاث سنوات ما هو إلا رافد مهم من روافد اللغة العربية، كي ينهل منه الدارسون والباحثون في الدلالة المعجمية لمجموعة من الأفعال بلغت (١٧٠) فعلاً، واستعمالاتها الوظيفية مما اكتسبت التميز والابداع، والدقة في البيان وجودة التأصيل والارجاع القرآني للفعل واعرابه، مقدماً بذلك جملة من المنافع للباحث والدارس؛ وهو بذاك قد بذل جهده وعلى الله اجره.

وأخر دعوانا ﴿أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة
السنة الثامنة قرأه وحسنه الحسيني

المُقدِّمةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ هِيَ مَقَالَةُ الْمُتَّقِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

يَأْتِي كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِالْمَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْإِعْجَازِ بَعْدَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ فِيهِ مَسْحَةٌ وَطَلَاوَةٌ مِنَ الْكَلَامِ الْإِلَهِيِّ، وَفِيهِ عِبْقَةٌ وَنَفْحَةٌ مِنَ الْكَلَامِ النَّبَوِيِّ. كَمَا يَقُولُ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ (رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ) ^(١)، فَأَسْلُوبُهُ عَذْبُ الْمُرْدِ؛ «لَأَنَّهَ تَهَلَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ أُسْتَاذُهُ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، وَهُوَ غَصْنٌ مِنْ شَجَرَةِ النُّبُوَّةِ تَرَبَّى فِي وَارِفِ ظِلِّهَا، فَجَاءَ أَسْلُوبُهُ مَطْبُوعاً، صَافِي الدِّيَابِجَةِ، شَدِيدِ الرَّوْعَةِ، مَتَخَيَّرَ الْأَلْفَاظَ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ؛ لِهَذَا سَبَى الْمَشَاعِرَ، وَأَخَذَ بِالْأَلْبَابِ، وَعُدَّ بَيَانَهُ بَعْدَ بَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ^(٢). فَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنَ الْفَصَاحَةِ بِمَكَانٍ؛

١. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (للخوئي): ٢١٧/١.

٢. روائع البيان في خطاب الإمام (الجوانب البلاغية واللغوية في بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)): ٩٣.



فهو إمام الفصحاء، وسيّد البلغاء، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة^(١).
وتعدُّ «الخطبة المونقة»، أو «الخطبة الخالية من الألف»، أو «الخطبة الدرّة اليتيمة» - كما سيأتي بيانه في سبب تسميتها إن شاء الله تعالى - أعجوبة من أعاجيبه، وكلُّ كلامه معجب، قالها في موضع التندر - كما سيأتي بيانه في توثيق نسبتها إليه (عليه السلام) - وهذه الخطبة مع أنّها قيلت في موضع التندر؛ خلّوها من الألف، غير أنّها لم تكن خالية من الفكر بمختلف أبعاده؛ فتراه (عليه السلام) يبدأ بالحمد والثناء على الله - تبارك وتعالى -، وبيان صفاته وأفعاله، ثمّ الإقرار بالنبوة، ووصفها، وصفات النبيّ الخاتم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، وينتقل إلى الموعظة، وبيان حال الإنسان المحتضّر، وحال ألصق الأشياء به، وما يحصل على الميت في المغتسل بعد موته، وتشيعه، وتسليمه لمن يحمله، والصلاة عليه، وحاله في القبر وما يجري عليه، وحاله في النشر، وحاله إن كان صالحاً في النعيم، وإن كان طالحاً في الجحيم، ثمّ يسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - العفو والمغفرة، ويصف القرآن، ويختتم الخطبة بالصلاة على النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، والاستعاذة بالله، والتضرّع إليه، والابتهاال، والاستغفار، وكلُّ هذه الأمور التي ذكرها (عليه السلام) بتفصيل دقيق - كما سيأتي بيانه في تصوّر أوّلٍ عام لدلالة أفعال الخطبة، وفي تناول الأفعال بشكل مفصّل، وتفصيل دقيق - فلم تكن الخطبة مجرد نزوة يظهر فيها قدرته الأدبيّة، وقوّته في الفصاحة والبيان، ولا شكّ في أنّ كتابة خطبة تخلو من حرف من الحروف، فضلاً عن حرف الألف، يُلقى بظلاله على الخطبة بشيء من التكلّف، غير أنّنا نجد أنّ الخطبة المونقة مع خلّوها من حرف مهمّ، وهو الألف، بعيدة عن التكلّف، فتجد صفاء اللفظ، ونقاءه، وسهولته، ونجد

١. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٤٩/١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي رؤية اعترالية عن الإمام علي (عليه السلام): ٧.

في عبارات السَّماحة، والجزالة، والقوَّة، والوضوح، فعبارات أمير المؤمنين (عليه السلام) طبيعِيَّة بعيدة التَّكَلُّف على الرَّغم من قصر العبارات، ووجود السَّجع، وهذا هو أسلوب القرآن الكريم الَّذي اتَّخذه الإمام منحىً له ومنهجاً، والطَّبِيعِيَّة أبعده عن الأدب المتكَلِّف، وليس السَّجع الَّذي جاء على لسانه إلاَّ السَّجع عينه الَّذي جرى على لسان الأعراب وأهل البوادي، الَّذي ينساب بلا تكَلُّف^(١).

أمَّا في الموضوع والمعنى، فتجد الوضوح، والجلال، والدقَّة، والسَّلامة، والقرب، والقوَّة، وتجد - أيضاً - الابتكار، والجدَّة، والاتِّساع، والعمق والشُّمولية، والترتيب، مستمداً معينه من القرآن الكريم، وكلام رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ويصف محمَّد طاهر درويش خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «سماحة في لفظه تشبه سماحة نفسه، وسهولة في عباراته تناسب سهولة طبيعته، وسمو في غرضه يشاكل سمو خلقه، وأسلوب زاده حسناً ووقعاً، فالسَّجع والازدواج والطَّباق واستواء الفواصل وتوازن الجمل والإيقاع الموسيقي ومحكاة القرآن الكريم»^(٢).

وهذا الكتاب يُعنى بدراسة دلالة أبنية الأفعال في الخطبة المؤنَّقة المنسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ إذ امتازت هذه الخطبة بكثرة الأفعال فيها؛ إذ وصلت إلى (١٧٠) فعل، فضلاً عمَّا جاء مكرراً، وبصيغة مختلفة، نحو: (شَرِبَ، يَشْرَبُ)، و(سَكَنَ، تُسَكِّنُ، يَسْكُنُ)، وغيرها؛ ولذا شرعتُ في بيان دلالتها، مستفيداً من أصوات الكلمة، وبنيتها، وتركيبها مع الكلمات الأخرى في ضمن السِّياق الَّذي وردت فيه، في بيان معنى الفعل في الخطبة، فوسمتُ الكتاب بـ: «الأفعال في الخطبة المؤنَّقة لأمير المؤمنين (عليه السلام) بين الدلالة المعجمية

١. ينظر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة: ٣٢ و ٣٣.

٢. ينظر: الخطابة في صدر الإسلام: ١ / ٣٤.

والاستعمال الوظيفي»، وجعلت الكتاب على قسمين، كان الأوّل منها تمهيداً، بيّنت فيه تسمية الخطبة «المونقة»، مع توثيق نسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأعطيت تصوّراً أولياً عاماً لدلالة الأفعال فيها، ثمّ ذكرت نصّ الخطبة.

أمّا القسم الثّاني، فكان من نصيب الأفعال، فكان «دراسة في دلالة الأفعال في الخطبة المونقة»، وتلا ذلك كلّه قائمة المصادر والمراجع.

وكان منهجي في الكتاب أنّي تناولت الأفعال تبعاً، بحسب ورودها في الخطبة، فأضع للفعل عنواناً، وهو الفعل نفسه، وأبدأ ببيان دلالاته في اللّغة، معتمداً في ذلك على المعجمات اللّغويّة، كالعين، ومعجم المقاييس، والصّحاح، ولسان العرب، ثمّ أذكر دلالة الفعل في الخطبة بحسب استعمال أمير المؤمنين (عليه السلام)، شافعاً ذلك بإعراب الفعل، وما يتصل به من كلمات.

وقد انفرط من هذا المنهج - أي: تناول الأفعال تبعاً بحسب وروده في الخطبة - بعض الأفعال التي تكرّر ورودها في الخطبة بأكثر من اشتقاق (صيغة)، وأكثر من موضع، فأذكره في موضع واحد، وأشير إلى المواضع التي وردت فيه، وأبيّن معانيها بحسب ذلك، نحو: «تُسَكَّنُ قُلُوبَكُمْ، وَسَكَنَ حَنِينُهُ، وَسَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَسَكَنَ فِي حَظِيرَةِ فَرْدُوسٍ»، ونحو: «وُنَشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ، وَيُنَشَّرُ مِنْ قَبْرِهِ» - في سبيل التمثيل لا الحصر - .

ومما تجدر الإشارة إليه ثلاثة أمور، الأوّل: أنّ الكتاب، وإن كان معنياً بدلالة الأفعال الواردة في الخطبة المباركة، بيد أنّي - في بعض الأحيان - أشرع في بيان دلالة الكلمات المتصلة بها - أي: الأفعال - من خلال المعجمات والتفاسير؛ لكي تتضح دلالتها - أي: الأفعال -، فلم يقتصر البحث على دلالة أفعال الخطبة المباركة، كقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «تَضْرِبُهُ رَبِيبَتُهُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ؛ فَإِنِّي بَعْدَ

أَنْ بَيَّنَّتْ دلالة الفعل «تضربه» كان لا بدَّ لي من بيان «زبيئته»، و«بمقمع»؛ لتتضح دلالة الفعل بشكل جليٍّ - في سبيل التمثيل لا الحصر - .

الثاني: أنني في منهجية البحث مع كلِّ فعل أذكر ما قاله أصحاب المعجمات في بيان معنى الفعل، ثمَّ أذكر معنى الفعل عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، وظاهر هذا الأمر أنَّ كلام أصحاب المعجمات متقدِّم على كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وليس كذلك؛ بل إنَّ طبيعة المنهج اقتضت ذلك؛ إذ لا يخفى على القارئ اللَّيِّب أنَّ قول أمير المؤمنين (عليه السلام) متقدِّم على قول أصحاب المعجمات من النَّاحية الزَّمَنِيَّة.

الثالث: أنَّ الباحث واجه صعوبات في البحث، كان أهمُّها عدم وجود شارح للخطبة، وإنَّ ما أورده بعض مَنْ نقل الخطبة لا يعدو نفعاً قليلة جداً لتوضيح نزر يسير من كلمات الخطبة؛ ممَّا دعا الباحث إلى أن يستنطق أفعال الخطبة؛ ليسبر غورها؛ وليصل إلى المعنى المراد للفعل، ويرسم لها لوحة متكاملة، كما كانت هي كذلك.

ومهما يكن من أمر، فإنَّ هذا الكتاب استغرقت مني كتابته قرابة ثلاث سنوات؛ لمشاغل الحياة، وأرجو أن تكون به فائدة للباحثين؛ كونه معجماً لـ (١٧٠) فعل، سوى ما جاء مكرراً، وبصيغة مختلفة، نحو: (شَرِبَ، يَشْرَبُ)، و(سَكَّنَ، تُسَكِّنُ، يَسْكُنُ)، وغيرها؛ فهو رافد مهمٌّ من روافد اللُّغة العربيَّة ينهل منه الدَّارسون، وقد استندت فيه إلى أفصح نصِّ بعد القرآن الكريم، وهو كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فضلاً عن فائدته التعليميَّة؛ ولاسيما فيما يتعلَّق بإعراب الأفعال فيه، وما اتَّصل بها.

أسأل الله - تبارك وتعالى - أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأنَّ

يُعرّف به بيننا وبين محمّد وآله الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
والسّلام عليك يا سيّدي يا أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

١. تسمية الخطبة

اشتهرت بعض الخطب بمضامينها المهمّة، أو المناسبات التي قيلت فيها، وأخذ
المصنّفون والأدباء يضعون لها تسميات يميّزونها من الخطب الأخرى، كخطبة
الأشباح، والخفّاش، والديّاج، والغراء، وغيرها.

واشتهرت الخطبة المونقة بتسميات ثلاث، وهي:

الأولى: المونقة، ووجه التسمية فيها أمران، أحدهما: ورود كلمة «مونقة» في
طيّات الخطبة في وصف الجنّة، إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رَحْمَتُهُ جَنَّةٌ
عَرِيضَةٌ مُونِقَةٌ، وَعُقُوبَتُهُ جَحِيمٌ مَمْدُودَةٌ».

والآخر: أنّها تُعجب مَنْ يسمعها، فمعنى المونقة: الحسنة المعجبة. ومن قمين
القول إنّ العلامة الخوئي نصّ على أنّ أمير المؤمنين سمّاها المونقة^(١).

الثانية: الدرّة اليتيمة، ولا نعلم أحداً علّل تسميتها بهذا الاسم، ولعلّ سبب
تسميتها عدم وجود ما يشابهها خلّوها من حرف الألف، فهي يتيمة في بابها؛
ولذا فهي درّة يتيمة ثمينة.

الثالثة: الخطبة الخالية من الألف، وواضح أنّها تفصح عمّا في داخلها بشكل
مباشر، وهو خلّوها من حرف الألف.

١. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ١٧٥.

٢. سند الخطبة ونسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)

الخطبة المونقة من مشاهير خطب أمير المؤمنين (عليه السلام)، رواها جمع غفير من علماء الفريقين، وذكرها أغلب من استدرِك على الرَضِيِّ مَنْ جمع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فضلاً عمَّن أَلَّف دراسة في نهج البلاغة، ولم أرَ - فيما أَطَّلَعْتُ عليه من مصادر قديمة وحديثة - مَنْ شكَّك بصحَّة نسبة هذه الخطبة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، بل اتَّفقت كلمة كلِّ مَنْ يتندَّر بأنواع الخطب على هذه الخطبة، وكونها خالية من الألف، وبطريقة المسلم ينسبونها إليه (عليه السلام)، ولعلَّ ممَّا يقوِّي نسبتها إليه أمرين:

الأوَّل: اتَّفاق جميع مَنْ ذكرها على نسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يُشكَّك أحد في نسبتها إليه (عليه السلام) مع ندرتها في بابها.

الثَّاني: اتِّصال السَّنَد إلى الإمام الرِّضا (عليه السلام)، إذ نصَّ كلُّ مَنْ ذكرها على ذلك: «روى هشام بن محمَّد السَّائب الكلبي عن أبي صالح، وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرِّضا عن آبائه (عليهم السلام) أنَّه اجتمع أصحاب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فتذاكروا أيَّ الحروف أدخل في الكلام، فأجمعوا على أنَّ الألف أكثر دخولاً، فخطب (عليه السلام) بهذه الخطبة ارتجالاً».

ولكن ممَّا يؤسف عليه - كما يقول السيِّد عبد الزَّهراء الحسيني الخطيب - : «أنَّ الأُسْتاذ محمَّد أبو الفضل إبراهيم لما أشرف على طبع شرح ابن أبي الحديد وضع عنواناً لهذه الخطبة بهذا اللَّفظ (خطبة منسوبة للإمام علي خالية من حرف الألف) ج ١٩: ١٤٠ وهو وإن ذكر في مقدِّمة تلك الطَّبعة أنَّه وضع العناوين للفصل بين موضوعات الكتاب لتتضح معالمه وتسهل الإحاطة به، ولكنَّ العنوان بهذه الصُّورة يوجب الرِّيب بالنِّسبة، ويوهم أنَّها من وَضَع الشَّارح؛ إذ ليس أكثر

القراء يتصفّحون المقدمات، مع أنّ ما يظهر من رواية ابن أبي الحديد لها أنّه واثق بصحّتها، ولم يتصنّع (عليه السلام) إنشاءها، ولكنّ القضيّة في الواقع - على ما ذكره الرّواة - وهو أنّ جماعة من الصّحابة تذاكروا أيّ حروف الهجاء أدخل في الكلام؟ فأجمعوا على الألف، فارتجل (عليه السلام) تلك الخطبة، ولا يُستكثر على سيّد الفصحاء وإمام البلغاء أنّ يأتي بمثلها. فهذا واصل بن عطاء أسقط الرّاء من كلامه، وأخرجها من حروف منطقته، ولا يظهر على كلامه شيء من التّكلف حتّى قال فيه بشار بن بُرد^(١):

تكلّف القول والأقوام قد هجروا	وحبّروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تغلي بداهته	كمرجل القين لَمّا حفّ بالهيب
وجانب الرّاء لم يشعربه أحد	قبل التّصحّف والإغراق في الطّلب ^(٢)

ومّا تجدر الإشارة إليه أنّ عدم ذكر الرّضيّ الخطبة لا يعني عدم صحّة نسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فالرّضيّ نفسه قال في خطبة كتاب نهج البلاغة: «وما أدعي مع ذلك أنّي أحيط بأقطار جميع كلامه رضي الله عنه حتّى لا يشدّ عنّي منه شاذٌّ، ولا يندّد نادٌّ، بل لا أبعُد أنّ يكون القاصرُ عنّي فوق الواقع إليّ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يديّ»^(٣). وهو ما شجّع جماعة من العلماء، وشحذ همهم، ودعاهم إلى أن يستدرّكوا على الرّضيّ ما فاته ذكره في نهج البلاغة، وسلّكوا على نهجه، ونسجوا على منواله، وألّفوا على غراره.

وإليك بعض المصادر التي ذكرت الخطبة، وأسندتها إلى أمير المؤمنين (عليه

١. ديوانه: ١٥٧.

٢. مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١/ ٢٦٨.

٣. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (للخوئي): ١/ ٢٢٧.

السلام):

شرح ابن أبي الحديد^(١)، والمناقب لابن شهر آشوب^(٢)، وبحار الأنوار^(٣)، وكفاية الطالب^(٤)، وكنز العمال^(٥)، والمصباح للكفعمي^(٦)، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة^(٧)، والكوكب الدرّي للمازندراني^(٨)، والذريعة إلى تصانيف الشيعة^(٩)، والخرائج والجرائح^(١٠)، وفصائل الخمسة^(١١)، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة^(١٢)، وبهج الصباغة في شرح نهج البلاغة^(١٣)، وقضاء أمير

١. ينظر: ١٩/١٤٠.

٢. ينظر: ١/٢٨٠.

٣. ينظر: ٤٠/٦٣.

٤. ينظر: ٢٤٨.

٥. ينظر: ٨/٢٢١.

٦. ينظر: ٧٤٤.

٧. ينظر: ٢/٨٢.

٨. ينظر: ٢/٢١١.

٩. ينظر: ١٩/١٦٢.

١٠. ينظر: ٢/٢٥٠.

١١. ينظر: ٢/٢٥٦.

١٢. ينظر: ١/١٧٥ و١٧٦.

١٣. ينظر: ١٠/٢١٨.

المؤمنين (عليه السلام)^(١)، وإثبات الهداة^(٢)، ونور الإفهام^(٣)، ومستدرک نهج البلاغة (لكاشف الغطاء)^(٤)، وتصنيف نهج البلاغة^(٥)، والمدخل إلى علوم نهج البلاغة^(٦).

٣. تصوّر أولي عامٌ لدلالة أفعال الخطبة

قبل أن أشرع في بيان دلالة كل فعل من أفعال الخطبة، وجدت من المناسب أن أقدم تحت هذا العنوان تصوّراً أولياً لدلالة أفعال الخطبة؛ إذ إن هناك أفعالاً تأتي مجتمعةً لبيان دلالة واحدة، فلا يتم المعنى المراد بفعل واحد أحياناً، بل يتم بفعلين، أو ثلاثة، أو أكثر لإتمامه، فيكون هذا العنوان خارطة طريق للقارئ الكريم؛ ولذا سأذكر المطالب الجليلة التي ضمّنها أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته، وأذكر قبالتها أفعال تلك المطالب، وهو الآتي:

١. افتتاح الخطبة بالحمد والثناء على الله - تبارك وتعالى -، وبيان صفاته وأفعاله، بالأفعال: «حمدتُ، عظمت، سبغت، سبقت، تمت، نفذت، بلغت، عدلت، حمدته، تنجيّه، يشغلُّ، نستعينه، نسترشده، نستهديه، نؤمن، نتوكلُّ، شهدت، فردّته، وحدّته، ليس، يكن، جلّ، تنزّه، علم، فسّتر، بطن، فخير، ملك، فقهر، عصي، فغفر، عبّد، فشكر، حكم، فعدّل، تکرّم، تفضّل، يزول، يزل،

١. ينظر: ٦١.

٢. ينظر: ٥/ ٧٢.

٣. ينظر: ١/ ١٦٢.

٤. ينظر: ٤٤.

٥. ينظر: ١/ ١٧٥.

٦. ينظر: ٤١٧ و ٤١٨.

ليس، ليس، يدركه، يُحِط، عجز، يصفه، ضَلَّ، يُعْرِفُهُ، قَرُبَ، فَبَعُدَ، وَبَعُدَ، فَقَرُبَ، يَجِيبُ، يَدْعُوهُ، يَرْزُقُ، يَجْبُوهُ».

٢. في الإقرار بنبوة النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَوَصَفِيهَا، وصفات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأفعال: «شهدتُ، بعثه، ختم، قوَّى، فوعظ، نصح، بَلَّغَ، كدح».

٣. الانتقال إلى موعظة الناس، بالأفعال: «وصيتكم، حضرني، ذكرتكم، تُسَكِّنُ، تذرئ، تنجيككم، يذهلكم، يليلكم، يفوز، ثقل، خَفَّ، لتكن، ليغتنم».

٤. في بيان سبب توجيه أمير المؤمنين (عليه السلام) مَنْ كَانَ حَاضِرًا عِنْدَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِلَى اغْتِنَامِ الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَالشَّيْبَةِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَالسَّعَةِ قَبْلَ الْفَقْرِ، وَالخُلُوةِ قَبْلَ الشُّغْلِ، وَالْحَضَرَ قَبْلَ السَّفَرِ، بالأفعال: «يكبر، يهرم، يمرض، يسقم، يملئه، يُعْرَضُ، يَتَغَيَّرُ، يَنْقَطِعُ».

٥. في بيان حال الإنسان المحتضر، بالأفعال: «قيل، جَدَّ، حضره، شَخَصَ، طمَحَ، رَشَحَ، سَكَنَ، جَذِبَتْ».

٦. بيان حال أَلْصَقِ الْأَشْيَاءِ بِالْإِنْسَانِ الْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهِيَ: «الزَّوْجَةُ، وَالْقَبْرُ، وَالوَلَدُ، وَالْجَاهُ - الْعَدَدُ، وَالْجَمْعُ - التَّرَكَةُ، وَالْبَصَرُ، وَالسَّمْعُ»، بالأفعال: «بكته، حفر، يتم، تَفَرَّقَ، فُسِّمَ، ذَهَبَ».

٧. ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، بالأفعال: «عَمَّضَ، مُدِّدَ، وَجَّهَ، جُرِّدَ، غُسِّلَ، نُشِفَ، سُجِّيَ، بُسِطَ، هُيِّئَ، نُشِرَ، شُدَّ، قَمِّصَ، عَمِّمَ، لُفَّ».

٨. تشييع الميت، وتسليمه لِمَنْ يَحْمِلُهُ، وَحَمَلُهُ، بالأفعال: «وُدِّعَ، سُلِّمَ، حُمِلَ».

٩. الصَّلَاة على المَيِّت، بالفعل: «صَلَّى».
١٠. وصف حال المَيِّت بعد الصَّلَاة عليه، بالفعل: «نُقِلَ».
١١. بيان حال المَيِّت في القبر، بالفعل: «جُعِلَ».
١٢. فيما يجري على المَيِّت بعد جعله في القبر، بالفعلين: «هَيْل، حُثِّي».
١٣. بيان حال الإنسان بعد وضعه في قبره، بالفعلين: «تَحَقَّق، نُسِي».
١٤. حال مَنْ كَانَ مع ذلك المَيِّت بعد أَنْ يجعل في ضريح ملحود، بالفعل: «رجع».
١٥. حال زوج ذلك المَيِّت بعد أَنْ يوضع في قبره، بالفعل: «تبدَّل».
١٦. بيان ما يجري على جسم الإنسان في داخل القبر، بالأفعال: «يسعى، يسيل، يُسْحَقُ، ينشف، يَرْمُ».
١٧. بقاء المَيِّت في قبره، بالفعل: «يقيم».
١٨. حال الإنسان في النَّشْر وما بعد الموت، بالأفعال: «فِيُنَشَّرُ، يُنْفَخُ، يُدْعَى».
١٩. بيان موقف من مواقف البعث والنُّشور في اليوم الآخر، بالأفعال: «بعثت، حُصِّلت، جيء، تولى».
٢٠. ما يحصل لذلك الإنسان، الَّذِي انصرف لِفَضْلِ عند ربِّ قدير، بعبده خبير بصير، بالفعلين: «تضنيه، تنضيه».
٢١. حال الإنسان المائل بين يدي الملك الجبَّار العليم، بالأفعال: «يلجمه، يخفره، قوبل، تبين، نطق، فشهدت».

٢٢. في تهديد الملكين الموكَّلين بالميِّت حين الدَّفْن، بالفعل: «يهدِّده».
٢٣. في كشف الخالق البصير عن ذلك الإنسان كلَّ ما عُطِّي ووُوري، بالفعل: «كشف».
٢٤. بيان الكيفيَّة الَّتِي يؤخذ بها الإنسان المذنب إلى النَّار، ودخوله فيها، بالأفعال: «فَسُلِّسَلْ، غُلَّتْ، سَيِقْ، فورد».
٢٥. حال الإنسان الَّذِي ورد جهنَّم، بالأفعال: «فَطَّلْ، يُعَذَّبْ، يُسْقَى، تشوي، تسلخ، يضربه، يعود، يستغيث، فتعرض، يستصرخ، فيلبث».
٢٦. وصف شربة الحميم، بالفعلين: «تشوي، تَسْلَخُ».
٢٧. في الاستعاذة بالله بعد بيان حال الإنسان الَّذِي ورد جهنَّم، بالأفعال: «نعوذ، نسألُه، رضي، قبل».
٢٨. في وصف مَنْ زُحِزِحَ عن النَّار، وحاله، بالأفعال: «زُحِزِحَ، سَكَنَ، خُلِدَ، مَلَكْ، طيف، سَكَنَ، تَقَلَّبَ، سُقِيَ، شَرِبَ، يشرب، ليس، يَصَّدَعُ، ليس، ينزف».
٢٩. في بيان سؤال متقدِّم من الله - عَزَّ وَجَلَّ - العفو والمغفرة والرِّضا، بالفعلين: «خشي، حَذَّر».
٣٠. بيان سبب العقوبة المذكورة في الخطبة، بالفعلين: «جحِد، سَوَّلت».
٣١. في وصف القرآن الكريم، بالأفعال: «قُصَّ، نُصَّ، نزل».
٣٢. ختام الخطبة بالصَّلَاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والاستعاذة بالله، والتَّضَرُّع إليه، والابتهاال والاستغفار، بالأفعال: «صَلَّتْ، عُدْتُ، فليتَضَرَّعْ،

ليبتهل، فنستغفر».

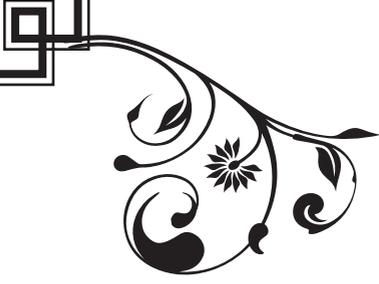
٤. نص الخطبة المونقة :

تذاكر قوم من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أي حروف الهجاء أدخل في الكلام؟ فأجمعوا على الألف، فارتجل الإمام علي (عليه السلام) من غير تريث ولا تفكير، فقال:

(حَمِدْتُ مَنْ عَظُمَتْ مَنَّتُهُ، وَسَبَعْتُ نِعْمَتَهُ، وَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ وَنَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ، وَبَلَغَتْ حُجَّتُهُ، حَمِدْتَهُ حَمْدَ مُقَرَّبِ بُرْبُوبِيَّتِهِ، مَتَخَضِعٍ لِعِبَادِيَّتِهِ، مُتَّصِلٍ مِنْ خَطِيئَتِهِ، مُعْتَرِفٍ بِتَوْحِيدِهِ، مُؤَمِّلٍ مِنْ رَبِّهِ رَحْمَةً تُنَجِّيهِ، يَوْمَ يُشْغَلُ كُلٌّ عَنْ فَصِيلَتِهِ وَبَنِيهِ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَرْشُدُهُ، وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَشَهِدْتُ لَهُ شُهُودَ مُخْلِصٍ مُوقِنٍ، وَفَرَّدْتُهُ تَفْرِيدَ مُؤْمِنٍ مُتَيَقِّنٍ، وَوَحَّدْتُهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ مُذْعِنٍ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فِي صُنْعِهِ، جَلَّ عَنْ مُشِيرٍ وَوَزِيرٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مِثْلِ وَنَظِيرٍ، عَلِمَ فَسْتَرَ، وَبَطَنَ فَخَبَرَ، وَمَلَكَ فَقَهَرَ، وَعَصِي فَغَفَرَ، وَعَبَدَ فَشَكَرَ، وَحَكَمَ فَعَدَلَ، وَتَكْرَمَ وَتَفَضَّلَ، لَمْ يَزَلْ وَلَنْ يَزُولَ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، رَبٌّ مُتَفَرِّدٌ بِعِزَّتِهِ، مُتَمَلِّكٌ بِقُوَّتِهِ، مُتَقَدِّسٌ بِعُلُوِّهِ، مُتَكَبِّرٌ بِسُمُوِّهِ، لَيْسَ يَدْرِكُهُ بَصَرٌ، وَلَمْ يُحِطْ بِهِ نَظْرٌ، قَوِيٌّ مَنِيعٌ، بَصِيرٌ سَمِيعٌ، حَلِيمٌ حَكِيمٌ، رُؤُوفٌ رَحِيمٌ، عَجَزَ فِي وَصْفِهِ مَنْ يَصِفُهُ، وَضَلَّ عَنْ نَعْتِهِ مَنْ يُعْرِفُهُ، قَرَبَ فَبَعَدَ، وَبَعَدَ فَفَرَبَ، يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ، وَيَرْزُقُ عَبْدَهُ وَيَحْبُوهُ، ذُو لُطْفٍ خَفِيٍّ، وَبَطْشٍ قَوِيٍّ، وَرَحْمَةٍ مُوسِعَةٍ، وَعُقُوبَةٍ مُوجِعَةٍ، رَحْمَتُهُ جَنَّةٌ عَرِيضَةٌ مُوَبِقَةٌ، وَعُقُوبَتُهُ جَحِيمٌ مُؤَصَّدَةٌ مُوَبِقَةٌ، وَشَهِدْتُ بِبِعْثِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَصَفِيَّهِ، وَحَبِيبِهِ، وَخَلِيلِهِ، بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ، وَفِي حِينِ فِتْرَةٍ وَكَفْرٍ؛ رَحْمَةً لِعَبِيدِهِ، وَمِنَّةً لِمَزِيدِهِ، حَتَمَ بِهِ بُيُوتَهُ، وَقَوَى بِهِ حُجَّتَهُ، فَوَعظُ وَنَصَحَ، وَبَلَّغَ وَكَدَحَ، رُؤُوفٌ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ، وَلِيٌّ سَخِيٌّ، زَكِيٌّ رَضِيٌّ، عَلَيْهِ رَحْمَةٌ وَتَسْلِيمٌ، وَبَرَكَاتٌ وَتَكْرِيمٌ، مِنْ رَبِّ

غَفُورٍ رَحِيمٍ، قَرِيبٌ مُجِيبٌ، وَصَيِّتُكُمْ مَعَشَرَ مَنْ حَضَرَ نِي بَتَقْوَى رَبِّكُمْ، وَذَكَرْتُكُمْ بِسَنَةِ نَبِيِّكُمْ، فَاعْلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تُسَكِّنُ قُلُوبَكُمْ، وَخَشْيَةٍ تُذَرِي دُمُوعَكُمْ، وَتَقِيَّةٍ تُنَجِّيكُمْ قَبْلَ يَوْمٍ يُذْهِلُكُمْ وَيُيَلِّيكُمْ، يَوْمَ يُفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقَلَ وَزَنَ حَسَنَتِهِ، وَخَفَ وَزَنَ سَيِّئَتِهِ، وَلَتَكُنْ مَسْئَلَتُكُمْ مَسْأَلَةَ ذَلٍّ وَخُضُوعٍ، وَشُكْرِ وَخُشُوعٍ، وَتَوْبَةٍ وَنُزُوعٍ، وَنَدَمٍ وَرُجُوعٍ، وَلِيَعْتَنِمَ كُلُّ مُعْتَنِمٍ مِنْكُمْ صِحَّتَهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَيْبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلْوَتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرَمُ، وَيَمْرُضُ وَيَسْقُمُ، وَيَمْلَأُ طَبِيبُهُ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ، وَيَنْتَقِطُ عُمُرُهُ، ثُمَّ قَيْلٌ هُوَ مَوْعُوكُ وَجِسْمُهُ مَنهُوَكُ، ثُمَّ جَدٌّ فِي نَزَعٍ شَدِيدٍ، وَحَضْرَهُ كُلِّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، فَشَخْصٌ بِبَصَرِهِ، وَطَمَحٌ بِنَظَرِهِ، وَرَشْحٌ جَبِينُهُ، وَسَكَنٌ حَنِينُهُ، وَجَذْبَتٌ نَفْسُهُ، وَبَكْتَةٌ عَرْسُهُ، وَحَفْرٌ رَمْسُهُ، وَيَتِمُّ وُلْدُهُ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَدَدُهُ، وَقَسِمَ جَمْعُهُ، وَذَهَبَ بَصْرُهُ وَسَمْعُهُ، وَغَمِضَ وَمَدَّدَ، وَوَجَّهَ وَجْرَدَ، وَغَسَلَ وَنَشَفَ، وَسَجَّجَى، وَبَسَطَ لَهُ وَهَيَّأَ، وَنَشَرَ عَلَيْهِ كَفَنَهُ، وَشَدَّ مِنْهُ ذَقَنَهُ، وَقَمَصَ وَعَمَمَ، وَلَفَّ وَوَدَّعَ وَسَلَّمَ، وَحَمَلَ فَوْقَ سَرِيرٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بِتَكْبِيرٍ، وَنَقَلَ مِنْ دُورٍ مُزْخَرَفَةٍ، وَقُصُورٍ مُشِيدَةٍ، وَحُجْرٍ مُنْضَدَةٍ، فَجَعَلَ فِي ضَرِيحٍ مَلْحُودٍ، وَلَحْدٍ ضَيِّقٍ مَرْصُوعٍ، بِلَبَنِ مَنْضُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجَلْمُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ عَفْرُهُ، وَحَثِيٍّ عَلَيْهِ مَدْرُهُ، فَتَحَقَّقَ حَذْرُهُ، وَنَسِيَ خَبْرَهُ، وَرَجَعَ عَنْهُ وَلِيَّهُ وَنَسِيْبُهُ، وَتَبَدَّلَ بِهِ قَرِيْبُهُ وَحَبِيبُهُ؛ وَصَفِيْهُ وَنَدِيْمُهُ؛ فَهُوَ حَشُو قَبْرِ، وَرَهِيْنُ قَفْرِ، يَسْعَى فِي جِسْمِهِ دُودُ قَبْرِهِ، وَيَسِيلُ صَدِيدُهُ مِنْ مَنْخَرِهِ، يُسْحَقُ بَدَنُهُ وَحُمُهُ، وَيَنْشَفُ دَمُهُ، وَيَرْمُ عَظْمُهُ، وَيَقِيْمُ فِي قَبْرِهِ لِيَوْمِ حَشْرِهِ، فَيَنْشُرُ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يَنْفَخُ فِي صُورٍ، وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَنُشُورٍ، فَتَمَّ بَعَثَتْ قُبُورُ، وَحَصَلَتْ سَرِيْرَةٌ صُدُورٍ، وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصَدِيْقٍ، وَشَهِيدٍ وَنَطِيْقٍ، وَتَوَلَّى لِفَضْلِ عِنْدَ رَبِّ قَدِيْرٍ، بَعْبَدِهِ خَبِيْرٍ بَصِيْرٍ، فَكَمْ مِنْ زَفْرَةٍ تُضْنِيهِ، وَحَسْرَةٍ تُضْنِيهِ، فِي مَوْقِفٍ مَهْوُلٍ عَظِيْمٍ، وَمَشْهَدٍ جَلِيْلٍ جَسِيْمٍ، بَيْنَ يَدَيِّ مَلِكٍ كَرِيْمٍ، بِكُلِّ صَغِيْرَةٍ وَكَبِيْرَةٍ عَلِيْمٍ، فَحَيْثُذُ يُلْجِمُهُ عَرْقُهُ، وَيُخْفِرُهُ قَلْقُهُ، عَبْرَتُهُ غَيْرُ مَرْحُومَةٍ، وَصَرَخَتُهُ غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ، وَحُجَّتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، وَقَوْلِيلُ صَحِيْفَتِهِ، وَتَبَيَّنَ جَرِيْرَتُهُ، وَنَطَقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْهُ بِسُوءِ عَمَلِهِ، فَشَهِدَتْ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ، وَيَدُهُ بِبَطْشِهِ، وَرِجْلُهُ

بِخَطْوِهِ، وَجَلْدُهُ بِمَسِّهِ، وَفَرَجُهُ بِلَمْسِهِ، وَيَهْدِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَكَشَفَ عَنْهُ بَصِيرٌ، فَسَلِسِلَ
جِيْدُهُ، وَغَلَّتْ يَدُهُ، وَسَيَقُ بِسَحْبِ وَحِدَةٍ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ، فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي
جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ، يَضْرِبُهُ زَيْنَتُهُ بِمَقْمَعٍ
مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ، يَسْتَعِيثُ، فَتُعْرَضُ عَنْهُ خَزَنَةٌ جَهَنَّمَ،
وَيَسْتَصْرِخُ، فَيَلْبَثُ حَقَبَةً بِنَدَمٍ، نَعُوذُ بِرَبِّ قَدِيرٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مَصِيرٍ، وَنَسْأَلُهُ عَفْوً مِنْ
رَضِي عَنْهُ، وَمَغْفِرَةً مِنْ قَبْلِ مَنْهُ، فَهُوَ وَلِيُّ مَسْأَلَتِي، وَمُنْجِحُ طَلْبَتِي، فَمَنْ زَحَرَ عَنْ
تَعْدِيْبِ رَبِّهِ، سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخَلَدَ فِي قُصُورٍ مُشَيَّدَةٍ، وَمَلَكَ حُورَ عَيْنٍ وَحَفَدَةً،
وَطَيْفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، وَسَكَنَ حَظِيْرَةَ فِرْدَوْسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيْمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيْمٍ،
وَشَرِبَ مِنْ عَيْنِ سَلْسَبِيْلٍ، مَمْزُوجَةٍ بِزَنْجَبِيْلٍ، مَخْتُوْمَةٍ بِمِسْكِ وَعَبِيْرٍ. مُسْتَدِيْمٌ لِلْحَبُوْرِ،
مُسْتَشْعِرٌ لِلشُّرُوْرِ، يَشْرَبُ مِنْ خُمُوْرٍ، فِي رَوْضٍ مُعْدِفٍ، لَيْسَ يُصَدِّعُ مِنْ شُرْبِهِ، وَلَيْسَ
يَنْزِفُ، هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنْ خَشْيِ رَبِّهِ، وَحَذْرٌ نَفْسُهُ، وَتِلْكَ عُقُوْبَةٌ مِنْ جَحْدِ مُنْشِئِهِ، وَسَوَّلَتْ
لَهُ نَفْسُهُ مَعْصِيَةَ مُبْدِئِهِ، ذَلِكَ قَوْلُ فَضْلِ، وَحُكْمُ عَدْلِ، خَيْرٌ قَصَصٍ قُصِّ وَوَعْظٍ نُصِّ،
تَنْزِيْلٌ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ، نَزَلَ بِهِ رُوْحٌ قُدُسٌ مُبِيْنٌ، عَلَى قَلْبِ نَبِيٍّ مُهْتَدٍ مَكِيْنٍ، صَلَّتْ
عَلَيْهِ رُسُلٌ سَفَرَةٌ، مُكْرَمُوْنَ بَرَرَةٌ، عُدْتُ بِرَبِّ رَحِيْمٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ رَجِيْمٍ، فَلْيَتَضَرَّعْ
مُتَضَرِّعُكُمْ، وَليَبْتَهِلْ مُبْتَهِلُكُمْ، فَنَسْتَغْفِرُ رَبَّ كُلِّ مَرْبُوْبٍ لِي وَلكُمْ).



دلالة الأفعال
في
الخطبة المؤنقة



حَمَدْتُ، حَمَدْتُهُ

الحَمْدُ: خلاف الذَّمِّ، تقول: حمدتُ الرَّجُلَ أَحْمَدُهُ حَمْدًا إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُ فِعْلًا مَحْمُودًا، واصطنع إِلَيْكَ يَدًا تَحْمَدُهُ عَلَيْهَا^(١). وقال ابن فارس: «الحاء والميم والدال كلمة واحدة، وأصل واحد، يدلُّ على خلاف الذَّمِّ. يقال حَمَدْتُ فلانًا أَحْمَدُهُ...»^(٢). والحمدُ «الشُّكْرُ، والرِّضَى، والجَزَاءُ، وقَضَاءُ الحَقِّ، حَمْدُهُ، كَسَمِعَهُ، حَمْدًا ومُحَمَّدًا ومُحَمَّدًا ومُحَمَّدَةً ومُحَمَّدَةً، فهو حَمُودٌ وحَمِيدٌ»^(٣).

ورد الفعل «حَمَدَ» في الخطبة مرَّتين مطابقاً لدالته اللُّغوية، صدر في المرَّة الأولى أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته بهذا الفعل، فقال (عليه السلام): «حَمَدْتُ مَنْ عَظُمَتْ مِنتُهُ»، و«حَمَدْتُ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على السُّكُونِ؛ لاتِّصَالِهِ بضمير رفع متحرِّك، وهو التَّاءُ العائِدةُ إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فهو يحمَدُ اللهَ - تبارك وتعالى - لعَظِيمِ مِنتِهِ عليه، وإِحْسَانِهِ لَدَيْهِ^(٤)، والله - عَزَّ وَجَلَّ - يقول: (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٥).

واستعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) صيغة (حَمَدَ) الفعل الماضي؛ لما في فعل الماضي من دلالة النَّفَازِ في الأمر، والفراغ منه^(٦)، فكأنَّ (حَمَدَ) أمير المؤمنين (عليه السلام) اللهَ - تبارك وتعالى - أمرٌ نافِذٌ، مفروغٌ منه، قديمٌ؛ لعَظِيمِ مِنتِهِ - عَزَّ وَجَلَّ

١. ينظر: جمهرة اللغة ١/ ٢٥٤.

٢. معجم مقاييس اللغة ٢/ ٧٩.

٣. القاموس المحيط ١/ ٢٧٣.

٤. ينظر: نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٢/ ٨٢.

٥. النحل: ١٨.

٦. ينظر: شرح المفصل ٧/ ٤٠٢، وشرح شذور الذهب ٣٨ و٣٩، وأبنية الأفعال في دعاء الصباح (دراسة ومعجم): ٢٥ و٢٦.

— ونفذ إحسانه لديه، فهو (عليه السلام) يتحدث عن حدث، أو أمر حاصل قبل زمن التكلّم.

والحمد لله تعالى هو «الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر؛ فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببدل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكراً، وكل حمد مدح، وليس كل مدح حمداً...»^(١).

وفرق أبو هلال العسكري بين (الحمد)، و(المدح) بقوله: «إن الحمد لا يكون إلا على إحسان، والله حامد لنفسه على إحسانه إلى خلقه، فالحمد مضمّن بالفعل، والمدح يكون بالفعل والصفة، وذلك مثل أن يمدح الرجل بإحسانه إلى نفسه وإلى غيره، وأن يمدحه بحسن وجهه، وطول قامته، ويمدحه بصفات التعظيم من نحو: قادر، وعالم، وحكيم، ولا يجوز أن يمدحه على ذلك، وإنما يمدحه على إحسان يقع منه فقط»^(٢).

وفرق أبو هلال العسكري — أيضاً — بين (الحمد)، و(الشكر) بقوله: «إن الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعّم، والحمد الذكر بالجميل على جهة التعظيم المذكور به أيضاً، ويصح على النعمة وغير النعمة، والشكر لا يصح إلا على النعمة، ويجوز أن يمد الإنسان نفسه في أمور جميلة يأتيها، ولا يجوز أن يشكرها؛ لأن الشكر يجري مجرى قضاء الدين، ولا يجوز أن يكون للإنسان على

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٢٥٦.

٢. الفروق اللغوية ٣٧.

نفسه دَيْن، فالاعتقاد في الشُّكر على ما توجبه النُّعمة، وفي الحمد على ما توجبه الحكمة . ونقيض الحمد الذَّمُّ إلا على إساءة، ويقال الحمد لله على الإطلاق، ولا يجوز أن يطلق إلا لله؛ لأنَّ كلَّ إحسان فهو منه في الفعل أو التَّسبيب، والشَّاكر هو الذَّاكر بحق المنعم بالنُّعمة على جهة التَّعظيم، ويجوز في صفة الله شاكر مجازاً، والمراد أنَّه يجازي على الطَّاعة جزاء الشَّاكرين على النُّعمة، ونظير ذلك قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللهُ قَرْضاً حَسَناً) ^(١)، وهذا تَلطُّف في الاستدعاء إلى التَّفقُّة في وجوه البرِّ... والحمد لله شكراً أبلغ من قولك: الحمد لله حمداً؛ لأنَّ ذلك للتَّوكيد، والأوَّل لزيادة معنى، وهو - أي: أحمده - في حال إظهار نعمه عليه ^(٢).

وبابتداء أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته بالفعل (حمداً) يكون قد سنَّ سنةً حسنة، بالابتداء بالحمد؛ ليقلِّده مَنْ جاء من بعده، حتى أصبح (الحمد) جزءاً أصيلاً من الخطبة، ف قيل عن الخطبة التي لا تبدأ بالحمد «البراء» ^(٣).

أمَّا المرَّة الثَّانية التي ورد فيها الفعل (حمداً) في الخطبة، فليبيان كيفيَّة هذا الحمد، فقال (عليه السلام): «حمدتُه حمداً مُقرِّباً برُّوبِيَّتِه»، فالفعل (حمداً) ماضٍ مبنيٌّ على السكون؛ لاتِّصاله بضمير رفع متحرِّك (التَّاء)، وهو عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو ضمير متَّصل مبنيٌّ في محلِّ رفع فاعل، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ في محلِّ نصب مفعول به، وهو عائد إلى الذات المقدَّسة.

..... * * *

١. البقرة: ٢٤٥.

٢. الفروق اللغوية ٣٥ و٣٦.

٣. ينظر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٥.

عَظُمَتْ

عَظُمَ الشَّيْءُ عِظْمًا فَهُوَ عَظِيمٌ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ عَظَامَةً^(١). وَعَظُمَ الشَّيْءُ عِظْمًا وَعَظَامَةً... وَعَظُمَ الشَّيْءُ وَمُعْظَمُهُ: سِوَاء... وَمَا يُعْظِمُنِي فِعْلُهُ - وَيُعْظِمُنِي أَيْضًا - أَي: مَا يَهْوُنِي^(٢).

وقال الرَّاعِبُ: «... وَعَظُمَ الشَّيْءُ أَصْلُهُ: كَبُرَ عَظْمُهُ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِكُلِّ كَبِيرٍ، فَأَجْرِي مَجْرَاهُ مَحْسُوسًا كَانَ أَوْ مَعْقُولًا، عَيْنًا كَانَ أَوْ مَعْنَى. قال: (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [الزمر / ١٣]، (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) [ص / ٦٧]، (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ) [عم / ١ - ٢]، (مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزخرف / ٣١]»^(٣).

وورد الفعل (عَظُمَ) في الخطبة مرّة واحدة، مطابقاً دلالاته اللغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «حَمِدْتُ مَنْ عَظُمَتْ مِنْتُهُ»، وصيغة (فَعُلَ) لا يكون مضارعه إلا مضموماً، وأكثر ما يكون في الغرائز والطباع والخصال، واشتروا في هذا الوزن أن يكون لازماً، فإن ضُمِّن معنى التَّعَدِّي كُسِر^(٤). و(عَظُمَ) في الخطبة جاء مبنياً للمجهول، مبنياً على الفتح، والتاء تاء التأنيث الساكنة لا محل لها من الإعراب، و(مَنْتُهُ) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الضمّ في محل جرّ بالإضافة عائد إلى الله - تبارك وتعالى - وجملة (عظمت منته) صلة الموصول (مَنْ) لا محل لها من الإعراب، وأراد أمير المؤمنين (عليه السلام) به - أي: الفعل - أن يبيّن عظيم منته الله

١. ينظر: العين: ١/ ١٠٤ و ١٠٥.

٢. المحيط في اللغة ١/ ٨٣. وينظر: المحكم والمحيط الأعظم ١/ ٢٢٤.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٧٣.

٤. ينظر: المصباح المنير ٢/ ١٠٦٥، وأوزان الفعل ومعانيها ٢٩ و ٣٠.

– تبارك وتعالى –، وإحسانه لديه.

ويسبح العبدُ ربَّه، فيقول: «سبحان ربِّي العظيم الَّذي جاوز قدره، وجلَّ عن حدود العقول حتَّى لا تُتصوَّر الإحاطة بكنهه وحقيقته»^(١). والعظيم من صفات الله – عَزَّ وَجَلَّ – وقيل: (العظيم) بمعنى المعظَّم، والعظيم معناه العظيم الشَّان، وهذا قول الطَّبْرسي^(٢). وذكر الزَّجاجي أَنَّ العظيم ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه – عَزَّ وَجَلَّ –^(٣).

سَبَغَتْ

تدلُّ مادَّة (سَبَغَ) في اللُّغة على الاتِّساع والطُّول. قال ابن فارس: «السَّين والباء والغين أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على تمام الشَّيء وكماله»^(٤).

فالسَّابغة: الدُّرع الواسعة، والسَّابغ: الكامل الوافي، ويطلق على كلِّ شيء طال إلى الأرض.

والثلاثي المجرَّد يأتي لازماً من باب (نَصَرَ)، يُقال: سبغَ يسبُغُ: تَمَّ، واتَّسع، وطال. وسبغ المطر: دنا إلى الأرض وامتدَّ^(٥). وهذه الدَّلالة جاء هذا الفعل في

١. ينظر: لسان العرب ١٢/٤٠٩.

٢. ينظر: مجمع البيان ٣/٣٠١.

٣. ينظر: اشتقاق أسماء الله (للزجاجي) ١١١، وألفاظ العقيدة والشريعة في نهج البلاغة دراسة ومعجم - (رسالة ماجستير) ٦٨.

٤. مقاييس اللغة ٣/١٢٩.

٥. ينظر: العين ١/٣٤٨، وتهذيب اللغة ٥/٥٥، والعياب الزاخر ١/٣٤٦، والمصباح المنير ٤/١٤٧.

الخطبة مرّة واحدةً مطابقاً لدلالته اللغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَسَبَعْتَ نِعْمَتَهُ»، أي: امتدّت، واتّسعت، وطالت، وكملت، وتمّت، وفيه تضمين لقوله تبارك وتعالى: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)^(١).

و(سبعت) (سبغت) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والتاء تاء التانيث الساكنة لا محلّ لها من الإعراب، و(نعتمته) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ على الضمّ في محلّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى الله عزَّ وجلَّ، وجملة (وسبغت نعمته) معطوفة على جملة (عظمت منته).

* * *

سَبَقْتُ

تدلُّ مادّة (سبق) في اللّغة على التّقدّم إلى الأشياء، كأنّ يتقدّم شيء إلى شيء، أو يتقدّم شيء على شيء^(٢)، يُقال: سَبَقَ يَسْبِقُ سَبْقاً^(٣)، والاستباق: التّسابق^(٤).

وقد ورد هذا الفعل (سبق) في الخطبة مرّة واحدةً للدلالة على المعنى نفسه؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَسَبَقْتُ رَحْمَتَهُ»، ف(سبقت) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والتاء تاء التانيث الساكنة لا محلّ لها من الإعراب، ومضارعه (يسبِقُ)، أي: سبقتُ رحمتَهُ غضبَهُ^(٥). و(رحمته) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه

١. لقمان: ٢٠.

٢. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣/ ١٢٩، وجمهرة اللغة ٢/ ٢٣٣، وتهذيب اللغة ٢/ ٩١، والمصباح المنير ٥/ ٤٨١، والقاموس المحيط ٣/ ٧٩.

٣. ينظر: جمهرة اللغة ٢/ ٢٣٣.

٤. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣/ ١٢٩.

٥. ينظر: مصباح التهجد ٣٣، ومنهاج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ٢/ ٨٢.

الصِّمَّة الظَّاهِرَة على آخره، وهو مضاف، والهَاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائِدٌ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وجملة (وسبقت رحمته) معطوفة على جملة (وسبغت نعمته).

* * *

تَمَّتْ

تدلُّ مادَّة (تَمَّ) في اللُّغة على الانتهاء، والكمال، والتَّحَقُّق. قال الرَّاغِب: «تَمَّامُ الشَّيْء: انتهاءه إلى حدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، والنَّاقِص: ما يحتاج إلى شيء خارج عنه. ويقال ذلك للمعدود والمسوح، تقول: عدد تَأْمٌ وليل تَأْمٌ»^(١)، ويُقال: رجل تَمِيمٌ وامرأة تَمِيمَة: تَأْمًا الخلق، ومن الحَسِيِّ: التَّمِيمَة، كأنَّهم يريدون أنَّها تَمَّام الدَّوَاءِ والشِّفَاءِ المَطْلُوب^(٢)، وليل التَّمَّام: أطول ليلة في السَّنَة تطلع فيه النُّجُوم كُلُّها. وقيل: ليلة التَّمَّام هي اللَّيْلَة الَّتِي يَتَمُّ فيها القَمَر^(٣).

والفعل المجرَّد يأتي من باب (ضَرَبَ)، يُقال: تَمَّ الأمرُ، تحَقَّق، وتَمَّ الشَّيْء: كملت أجزاؤه^(٤).

وورد هذا الفعل (تَمَّ) في الخطبة مرَّةً واحدةً مطابقاً لدلالته اللُّغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وتَمَّتْ كلمته»، أي: تحَقَّقت، وكملت، ف«تَمَّتْ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والتَّاء تاء التَّأْنِيثِ السَّاكِنَة لا محلَّ لها من الإعراب، و(كلمته)

١. مفردات ألفاظ القرآن: ١٦٨.

٢. ينظر: معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٣٩.

٣. ينظر: الصحاح في اللغة ١/ ٦٥.

٤. ينظر: أبنية الأفعال (دراسة لغوية قرآنية) ١٠٠ و١٠١.

فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة، عائِد إلى الله تبارك وتعالى، وجملة (ومتت كلمته) معطوفة على جملة (وسبقت رحمته).

(١) وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «ومتت كلمته» فيه تضمين لقوله تبارك وتعالى: (وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ) .

نَفَذْتُ

تدلُّ مادَّة (نَفَذَ) في اللُّغة على الجواز، والخلوص في الشَّيء، والمضيِّ فيه. جاء في (العين): «ونَفَذْتُ أي جُرْتُ، وطريقٌ نافِذٌ: يُجوزُه كلُّ أَحَدٍ ليس بين قومٍ خاصٍّ دون العامَّة، ويُقال: هذا الطَّرِيقُ ينفُذُ إلى مكان كذا وكذا، وفيه منَفَذٌ أي: مجاز» (٢). ونفذ السَّهْمُ من الرَّمِيَةِ ينفُذُ نفاذاً، وَرَمَيْتُهُ فَأَنْفَذْتُهُ، ورجلٌ نافذٌ في أمره، وهو الماضي فيه، وقد نَفَذَ يَنْفُذُ نفاذاً (٣)، ونَفَذَ السَّهْمُ نفوذاً من باب (قَعَدَ) ونفاذاً، خرق الرَّمِيَةِ وخرج منها، ويتعدَّى بالهمزة والتَّضعيف، ونَفَذَ الأَمْرُ والقولُ نفوذاً ونفاذاً مضي، وأمره نافِذٌ، أي: مطاع (٤).

وورد هذا الفعل (نَفَذَ) في الخطبة مرَّةً واحدةً مطابقاً لدلالته اللُّغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ونَفَذْتُ مَشِيَّتَهُ»، ف«نفذت» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والتَّاء تاء التَّأنيث الساكنة لا محلَّ لها من الإعراب، أي: إرادته ماضية نافذة كنفاد

١. الأنعام: ١١٥.

٢. العين ٢/١٥٣.

٣. ينظر: جمهرة اللغة ١/٣٧٨، وتهذيب اللغة ٥/٦٣، والصحاح في اللغة ٢/٢٢٢، والمحيط في اللغة ٢/٢٢٢.

٤. ينظر: المصباح المنير ٩/٤٠٤.

السَّهْم من الرَّمِيَةِ. و(مَشِيَّتُهُ) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهِرَةُ على آخره، وهو مضاف، والهَاء ضمير متَّصل مبنيُّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائِدٌ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وجملة (ونفذت مشيَّته) معطوفة على جملة (وتمت كلمته).

بَلَّغْتُ، بَلَّغٌ

تدُلُّ مادَّة (بَلَّغَ) في اللُّغَةِ على الكفاية، والوصول، والانتهاء، والجودة، والغاية، والإدراك. فيُقَال: «بَلَّغَ الشَّيْءُ يُبَلِّغُ بُلُوغًا، وَأَبْلَغْتُهُ إِبْلَاغًا. وَبَلَّغْتُهُ تَبْلِيغًا فِي الرَّسَالَةِ وَنَحْوِهَا. وَفِي كَذَا بِلَاغٌ وَتَبْلِيغٌ، أَي: كفاية. وشيءٌ بَالِغٌ، أَي: جيد»^(١).

وقال ابن فارس: «الباء واللام والغين أصلٌ واحد، وهو الوصول إلى الشَّيْءِ. تقول بَلَّغْتُ المَكَانَ، إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ. وَقَدْ تُسَمَّى المُشَارَفَةُ بُلُوغًا بِحَقِّ المُقَابَرَةِ. قال الله تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)^(٢). ومن هذا الباب قولهم هو أَحْمَقُ بَلِغٌ وَبَلَّغٌ، أَي: إنَّه مع حماقته يبلغ ما يريد»^(٣).

وقال الرَّاعِب: «البُلُوغُ والبَلَاغُ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكانا كان أو زمانا، أو أمرًا من الأمور المقدَّرة... والبَلَاغُ: الكفاية»^(٤).

وقال ابن سيده: «بلغ الشَّيْءُ يبلِّغُ بُلُوغًا: وصل وانتهى. وأبْلَغُهُ هُوَ، وَبَلَّغَهُ... وَتَبْلَّغَ بِالشَّيْءِ: وصل بِهِ إلى مُرَادِهِ... وَبَلَّغَ النَّبْتَ: أنتهى. وتبالغ الدُّبَاغُ فِي الجُلْدِ:

١. العين ١/٣٥٧.

٢. الطلاق: ٢.

٣. معجم مقاييس اللغة ١/٣٠٢.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ١٤٤.

انتهى فيه... وبلغت النخلة، وغيرها من الشجر: حان إدراك ثمرها... والمبالغة: أن تبلغ من الأمر جهدك. وأمرٌ بالِغٌ: جيّدٌ. ورجل بليغ، وبلغ، وبلغ: حسن الكلام فصيح، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه...»^(١).

وقال ابن منظور: «بلغ الشيء يُبلغُ بُلُوغاً وبلاغاً: وصلَ وانتهى، وأبلغه هو إبلاغاً وبلغه تبليغاً... وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده... البلاغ: ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. والبلاغ: ما بلغك. والبلاغ: الكفاية... وبلغت الرسالة. والبلاغ: الإبلاغ... والإبلاغ: الإيصال، وكذلك التبليغ»^(٢).

وبهذا المعنى ورد الفعل (بلغ) مرتين في الخطبة، مرّةً أسند الفعل فيها إلى الحجّة؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وبلغتُ حجّته»، أي: وصلت حجّته، وكفت، وانتهت إلى الناس كافّة، وأدركتهم، هدايتهم^(٣)، والفعل (بلغت) ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والتاء تاء التانيث الساكنة لا محلّ لها من الإعراب، و(حجّته) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الضمّ في محلّ جرٍّ بالإضافة، عائِد إلى الله عزَّ وجلَّ، و(بلغ) من باب (قعد)^(٤). وجملة (وبلغتُ حجّته) معطوفة على جملة (ونفذت مشيئته).

أمّا في المرّة الثّانية، فقد أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان صفة من

١. المحكم والمحيط الأعظم ٢/ ٤٣٤.

٢. لسان العرب ٨/ ٤١٩. وينظر تهذيب اللغة ٣/ ٨٤، والصحاح في اللغة ١/ ٥٣، وأساس البلاغة ١/ ٣١، والقاموس المحيط ٢/ ٣٤٥، والعباب الزاخر ١/ ٣٣٧، والمصباح المنير ١/ ٣٦٨، وتاج العروس ١/ ٥٦٤٧.

٣. ينظر: مناقب آل أبي طالب ٢/ ٤٨، وقضاء أمير المؤمنين (عليه السلام) ٦٧، وكنز العمال ٨/ ٢٢١، ونهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ٢/ ٨٢.

٤. ينظر: تاج العروس ١/ ٥٦٤٧.

صفات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أداء وظيفة النبوة؛ إذ قال (عليه السلام): «... وَشَهِدْتُ بِبَعْثِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ... بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ... خَتَمَ بِهِ نُبُوَّتَهُ، وَقَوَّى بِهِ حُجَّتَهُ، فَوَعَظَ وَنَصَحَ، وَبَلَّغَ وَكَدَحَ...».

وَوُرُودُ الْفِعْلِ (بَلَّغَ) بهذه الصيغة (فَعَّلَ) إنما جاء موافقاً المعنى المراد في الخطبة؛ فزِنَةُ (فَعَّلَ) لها معانٍ متعددة ذكرها العلماء^(١)، منها المبالغة والتكثير^(٢) - وهو أشهرها -، ويدلُّ على تكرير الفعل وكثرة القيام به. قال ابن جنِّي: «إِنَّمَا نُخْرِجُ أَنَّ هَذَا فِعْلٌ وَقَعَ مِنْكَ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ عَلَى تَطَاوُلِ الزَّمَانِ»^(٣)، وتدلُّ زنة (فَعَّلَ) على الْجَعْلِ أَيْضاً^(٤)، وهو جَعْلٌ مفعوله على ما هو عليه، نحو: سُبْحَانَ الَّذِي ضَوَّءَ الْأَضْوَاءَ، وَكَوَّفَ الْكُوفَةَ، وَبَصَّرَ الْبَصْرَةَ، أَي: جعلها أضواءً، وكوفةً، وبصرةً.

فيكون المعنى: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَلَّغَ رِسَالَةَ خَالِقِهِ، فَأَوْصَلَهَا، وَكَفَّتْ، وَانْتَهَى بِهَا إِلَى النَّاسِ، فَأَدْرَكَتْهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتكرير الفعل، وكثرة القيام به.

و(بَلَّغَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره (هو) عائدٌ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وجملة (وبلَّغَ) معطوفة على جملة (ونصح).

* * *

١. ينظر: ديوان الأدب ٢/ ٣٨٠-٣٨١، والمفصل ٣٧٢-٣٧٣، وشرح الشافية.

٢. ينظر: أدب الكاتب ٣٥٤، وشرح الشافية ١/ ٩٢، وشذا العرف في فن الصرف ٢١، وأوزان الفعل ومعانيها ٨٢.

٣. المنصف ١/ ٩١.

٤. ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٧٥، وشرح الشافية ١/ ٩٥، وأوزان الفعل ومعانيها ٨٢.

عَدَلْتُ، عَدَلٌ

تَدُلُّ مَادَّةُ (عَدَلٌ) فِي اللُّغَةِ عَلَى الْإِنصَافِ، وَالْحَقِّ، وَالْمَسَاوَاةِ، وَالْإِعْوَجَاجِ.

يُقَالُ: عَدَلَّ يَعْدِلُ، أَي: يَحْكُمُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ^(١)، وَالْعَادِلُ الْمَقْسُطُ، وَعَدَلَتْ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ عَدَلًا، إِذَا جَعَلْتَهُ بوزنه^(٢)، وَالشَّيْءُ إِذَا سَاوَى الشَّيْءَ، فَهُوَ عَدْلُهُ، وَعَدَلَتْ بفلان فلانًا، وَهُوَ يُعَادِلُهُ، إِذَا سَاوَيْتَهُ بِهِ، وَتَعْنِي: الْحُكْمَ. فَالْعَدْلُ: الْحُكْمُ بِالْإِسْتِوَاءِ^(٣)، وَعَدَلٌ فِي الْقَضِيَّةِ، فَهُوَ عَادِلٌ، وَالْعَدِيلُ الَّذِي يَعَادِلُكَ فِي الْوِزْنِ وَالْقَدْرِ^(٤).

وَقَالَ الرَّاعِبُ: «الْعَدَالَةُ وَالْمُعَادَلَةُ: لَفْظٌ يَقْتَضِي مَعْنَى الْمَسَاوَاةِ، وَيَسْتَعْمَلُ بِإِعْتِبَارِ الْمِضَافِيَّةِ، وَالْعَدْلُ وَالْعَدْلُ يُتَقَارَبَانِ، لَكِنَّ الْعَدْلَ يَسْتَعْمَلُ فِيمَا يَدْرِكُ بِالْبَصِيرَةِ كَالْأَحْكَامِ... وَالْعَدْلُ وَالْعَدِيلُ فِيمَا يَدْرِكُ بِالْحَاسَّةِ، كَالْمُوزُونَاتِ وَالْمَعْدُودَاتِ وَالْمَكْيَلَاتِ، فَالْعَدْلُ هُوَ التَّقْسِيطُ عَلَى سِوَاءٍ»^(٥).

وَالْعَدْلُ هُوَ «مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ، وَهُوَ ضِدُّ الْجَوْرِ. عَدَلُ الْحَاكِمِ فِي الْحُكْمِ يَعْدِلُ عَدَلًا وَهُوَ عَادِلٌ مِنْ قَوْمٍ عُدُولٍ وَعَدَلٍ؛ الْأَخِيرَةُ اسْمٌ لِلْجَمْعِ»^(٦).

وَالْعَدْلُ الْحُكْمُ الْحَقُّ يُقَالُ: هُوَ يَقْضِي بِالْحَقِّ، وَيَعْدِلُ، وَهُوَ حَكْمٌ عَدْلٌ فِي حِكْمِهِ»^(٧).

١. ينظر: العين ١/ ٩٣.

٢. ينظر: جمهرة اللغة ١/ ٣٥٥.

٣. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٤٦.

٤. ينظر: الصحاح في اللغة ١/ ٤٥١.

٥. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٥١.

٦. لسان العرب ١٤/ ٤٥٦.

٧. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ١٨٦.

وفَرَّقَ أبو هلال العسكري بين (العدل) و(الإنصاف) بقوله: «إنَّ الإنصافَ إعطاءَ النَّصفِ، وَالْعَدْلُ يَكُونُ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّ السَّارِقَ إِذَا قَطَعَ قَيْلَ إِنَّهُ عَدْلٌ عَلَيْهِ، وَلَا يُقَالُ إِنَّهُ أَنْصَفَ»^(١).

وفَرَّقَ أبو هلال العسكري بين (العدل) و(القسط) بقوله: «إِنَّ الْقُسْطَ هُوَ الْعَدْلُ الْبَيِّنُ الظَّاهِرُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَكْيَالُ قِسْطًا، وَالْمِيزَانُ قِسْطًا؛ لِأَنَّهُ يَصُورُ لَكَ الْعَدْلُ فِي الْوِزْنِ حَتَّى تَرَاهُ ظَاهِرًا، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْعَدْلِ مَا يَخْفَى...»^(٢).

وفَرَّقَ أبو هلال العسكري - أيضاً - بين (العدل) و(الحسن) بقوله: «الحسن مَا كَانَ الْقَادِرَ عَلَيْهِ فَعَلَهُ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِنَفْعٍ وَاحِدٍ أَوْ ضَرِّهِ، وَالْعَدْلُ حَسَنٌ يَتَعَلَّقُ بِنَفْعٍ زَيْدٍ أَوْ ضَرِّ غَيْرِهِ؟، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُقَالُ إِنَّ كُلَّ الْحَالِلِ حَسَنٌ، وَشَرِبَ الْمُبَاحَ حَسَنًا، وَكَيْسَ ذَلِكَ بِعَدْلٍ»^(٣).

وبهذا المعنى ورد الفعل (عدل) مرّتين في الخطبة، مرّةً أُسند الفعل فيها إلى (القضيّة)، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَعَدَلْتُ قَضِيَّتَهُ»، و(عَدَلْتُ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والتّاء تاء التّأنيث الساكنة لا محلّ لها من الإعراب، و(قَضِيَّتَهُ) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ على الضّمّ في محلّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى الله تبارك وتعالى، أي: أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - عَادِلٌ فِي قَضِيَّتِهِ، فهو كناية عن عدل الله في حكمه وقضائه، وجملة (وَعَدَلْتُ قَضِيَّتَهُ) معطوفة على جملة (وَبَلَّغْتُ حُجَّتَهُ).

أمّا في المرّة الثّانية، فقد قابل أمير المؤمنين (عليه السلام) بين هذا الفعل

١. الفروق اللغوية: ١٩٤.

٢. المصدر نفسه: ١٩٤.

٣. الفروق اللغوية: ١٩٤.

(عدل) وفعل آخر، وهو (حَكَمَ)، فقال (عليه السلام): «وَحَكَمَ فَعَدَلَ»، وسيأتي الكلام - إن شاء الله تعالى - على دلالة الفعل (حَكَمَ)، بيد أنه مما تجدر الإشارة إليه أن العطف بالفاء يُفيد الترتيب بالتّصال، أي: بلا مهلة، وهو المعبر عنه بالتّعقيب، نحو قوله تعالى: (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) ^(١)، وكثيراً ما تقتضي أيضاً السّبب إن كان المعطوف جملةً، نحو قوله تعالى: (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) ^(٢). وكذا هي الحال في الخطبة، إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَحَكَمَ فَعَدَلَ»، ف(حَكَمَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله تبارك وتعالى، والفاء عاطفة، و(عَدَلَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله عزَّ وجلَّ، والجملة الفعلية (عَدَلَ) معطوفة على الجملة الفعلية (حَكَمَ).

تُنَجِيهِ، تُنَجِّمُ

تدلُّ مادَّة (نَجَوَ) في اللُّغة على التَّخْلُصِ من كلِّ خطرٍ وأذى. فيُقال: نجا فلانٌ من السَّرِّ ينجو نجاةً، ونجا ينجو في السُّرعة نجاءً، فهو ناجٍ ^(٣). وَنَجَا المَرْءُ يَنْجُو نَجَاً وَنَجَاءً، أي: ذهب، وانكشف من خطر يدهمه ^(٤). وَأَنْجَاهُ من خطرٍ، وَأَنْجَيْتُ غَيْرِي وَنَجَيْتُهُ، إذا ساعدته في النِّجَاةِ من أمرٍ ليس بمقدوره النِّجَاةُ منه ^(٥). وَنَاجَيْتُهُ.

١. عيس: ٢١.

٢. القصص: ١٥. وينظر: حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٣/ ٩٢.

٣. ينظر: العين ١/ ٤٩٢.

٤. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٩٧، والصحاح ٦/ ٢٥٠١.

٥. ينظر: الصحاح ٦/ ٢٥٠١.

أي: سارزته، وأصله أن تخلوبه في نجوة من الأرض. وقيل: أصله من النجاة، وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه. أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليك^(١).

وبهذا المعنى ورد الفعل (نجى) مرتين في الخطبة، قرنه أمير المؤمنين (عليه السلام) في المرة الأولى بـ(الرحمة)؛ إذ قال: «مُؤْمَلٍ مِنْ رَبِّهِ، رَحْمَةً تُنْجِيهِ»، فبعد أن أقر أمير المؤمنين (عليه السلام) بربوبية الله عز وجل، والخضوع لعبوديته، وبعد أن تبرأ من خطيئته، واعترف بتوحيده، أمل رحمة من ربه تُخلصه من خطر يوم القيامة وشره وأذاه؛ وهو يوم يشغل كل عن فصيلته، وفصيلة الرجل: رهطه الأذنون وبنوه^(٢).

و(تنجيه) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء؛ منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره (هي)، عائد إلى (رحمة)، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة، عائد إلى (مؤمل)، وجملة (تنجيه) صفة لـ(رحمة).

أمّا في المرة الثانية، فقرنه (عليه السلام) بـ(التقوى) في مقام وصيته معشر من كان حاضراً عنده في مجلسه - وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى -؛ إذ قال (عليه السلام): «فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تُسَكِّنُ قُلُوبَكُمْ، وَخَشْيَةٍ تُدْرِيءُ دُمُوعَكُمْ، وَتَقِيَّةٍ تُنْجِيكُمْ».

وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين قرن الفعل (تُنْجِيكُمْ) بـ(التقوى)؛ إذ إن التقوى في اللغة تدل على الاجتناب، يُقال: وقاه الله وقياً ووقاية وواقية:

١. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٧٩٢ و٧٩٣. وينظر: جهرة اللغة ٢/ ٨٧، والمحيط في اللغة ٢/ ١٣٩، وتاج العروس ١/ ٨٦١٥.

٢. ينظر: مطالب السؤول ١٧٥، ومصباح التهجد ٣٣، وكفاية الطالب ٥٥، ونهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ٢/ ٨٢.

صانه^(١). فالتَّقوى مشتقة من الوقاية، وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يُقال: وقيت الشيء أقيه وقايةً ووقاءً^(٢). قال الله تبارك وتعالى: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)^(٣).

وقد قرن أمير المؤمنين (عليه السلام) في موضع آخر، في غير الخطبة المونقة - محل البحث - (النجاة) بـ(التقوى)؛ إذ قال (عليه السلام): «إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةٌ مَعَادٍ، وَعَتَقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ»^(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه - هنا - أَنَّ (التَّقوى) في كلام أمير المؤمنين جاءت مقترنة بـ(الخشية) في سياق واحد، إذ قال (عليه السلام): «فَعَلَيْكُمْ ... وَخَشِيَّةٌ تُذَرِيءُ دُمُوعَكُمْ، وَتَقِيَّةٌ تُنَجِّيْكُمْ»، وهو بذلك يحاكي القرآن الكريم حين قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)^(٥).

و(تنجيكم) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء؛ منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره (هي)، عائد إلى (تقية)، و(كم) ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، وجملة (تنجيكم) صفة لـ(تقية).

١. ينظر: لسان العرب ٢٠ / ٢٨١.

٢. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٣٣.

٣. غافر: ٤٥.

٤. منهاج البراعة (للخوئي): ٤ / ٢٠٠.

٥. النساء: ٩.

يَشْغُلُ

جاء في معجم مقاييس اللغة: «الشَّيْنُ والغَيْنُ واللَّامُ أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على خلاف الفَراغِ..»^(١). وقد شَغَلَهُ كمنعه، يَشْغَلُهُ شَغْلًا، وَيُضَمُّ^(٢).

وقال الرَّاعِبُ: «الشَّغْلُ والشُّغْلُ: العارض الَّذي يذهل الإنسان... وقد شُغِلَ فهو مَشْغُولٌ، ولا يُقال: أَشْغَلَ، وشُغِلَ شَاغِلٌ»^(٣).

واستعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «شَغَلَ» مرّةً واحدةً في الخطبة: للدلالة على العارض الَّذي يذهل كُلَّ إنسان، وهو يوم القيامة، الَّذي يُذهلُ فيه كُلَّ إنسان عن بنيه ورهطه الأذنين^(٤)، إذ قال (عليه السلام): «يَوْمَ يَشْغُلُ كُلُّ عَنِّ فَصِيَّتِهِ وَبَنِيهِ». و«يَشْغُلُ» من باب (منع)، وهو فعل مضارع مرفوع؛ لتجرّده عن النَّاصِبِ والجازم، وعلامة رفعه الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ على آخره، و«كُلُّ» فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ على آخره، والتَّوْنينِ عوضٌ عن اسم، أي: كُلَّ إنسان. وجملة (يَشْغُلُ كُلُّ...) في محلِّ جرٍّ بالإضافة إلى (يوم).

* * *

نَسْتَعِينُهُ

العَوْنُ الظَّهْرُ والظَّهْرُ، والاستعانةُ طلبُ العون، وكلُّ شيءٍ استعنت به. أو

١. معجم مقاييس اللغة ٣ / ١٥١. وينظر: جهمرة اللغة: ١ / ٤٨٨، والصحاح في اللغة: ١ / ٣٦٠، والمحيط في اللغة، ١ / ٣٩٣، ولسان العرب: ١١ / ٣٥٥، وتاج العروس: ١ / ٧٢٠٩.

٢. ينظر: القاموس المحيط: ٣ / ١١٦.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٥٧..

٤. ينظر: مطالب السؤل: ١٧٥، ومصباح المتهجّدين: ٤٤، وكفاية الطالب: ٥٥، ونهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٢ / ٨٢.

أعانك فهو عونك. والصَّوم عونٌ على العبادة، وتعاونوا أي: أعان بعضهم بعضاً^(١). وقد استعنته، واستعنتُ به فأعاني «وإنَّما أَعَلَّ اسْتَعَانَ وَإِنْ لم يكن تُحْتَهُ ثلاثيُّ معتلُّ، أعني: أَنَّهُ لا يُقال عان يعون كقام يقوم لأنَّهُ وَإِنْ لم يُنطق بثلاثيِّه فَإِنَّهُ فِي حكم المُنطوق. وَعَلَيْهِ جَاءَ أَعَانَ يعين، وَقَدْ شاع الإِعلال فِي هَذَا الأَصْل، فَلَمَّا اطَّرَد الإِعلال فِي جَمِيع ذَلِكَ دَلَّ أَنَّ ثلاثيِّه وَإِنْ لم يكن مُسْتَعْمَلاً فَإِنَّهُ فِي حكم ذَلِكَ...»^(٢). والمستعان اسمُ لله - تبارك وتعالى - «باعتبار أَنَّهُ لا يستعين أحدٌ غيره إلاَّ خاب عن مراده؛ فهو تعالى محلُّ الاستعانة لا غيره»^(٣).

ومَّا تجدر الإشارة إليه - هنا - أمران: الأوَّل: أَنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل في كلامه السَّابق كلَّه في الأفعال صيغة (الماضي)، وكنتُ قد أشرتُ إلى أَنَّهُ (عليه السلام) استعمل صيغة (حَمَدْتُ) بصيغة الماضي؛ لما في فعل المضيِّ من دلالة النَّفاز في الأمر، والفراغ منه، فهو أمر نافذ، مفروغ منه، تَمَّ وحصل قبل زمن التَّكَلُّم^(٤). أمَّا في هذا الفعل وما بعده، وهو قوله (عليه السلام): «ونستعينه، ونسترشده، ونستهديه، ونؤمن به، ونتوكَّل عليه» نجده (عليه السلام) قد استعمل صيغة المضارع؛ لما فيه من الدَّلالة على الحال والاستقبال^(٥)، والتَّجَدُّد

١. ينظر: العين: ١/١٣٩، وتهذيب اللغة: ١/٣٧٨، ومعجم مقاييس اللغة: ٤/١٦ و١٢٠، والمحيط في اللغة: ١/١٢٤، والقاموس المحيط: ٣/٤٥٥، ولسان العرب: ١٣/٢٩٨، وتاج العروس: ١/٨١١٦.

٢. المحكم والمحيط الأعظم: ١/٣٣٣. وينظر: لسان العرب: ١٣/٢٩٨، وتاج العروس: ١/٨١١٦.

٣. شرح الأسماء الحسنى: ٨١.

٤. ينظر: الفعل (حَمَدْتُ) من الكتاب.

٥. ينظر: الكتاب: ١/١٢، والمقتضب: ١/٢، والإيضاح في علل النحو: ٨٧ و٨٨، والجمل: ٨، وإصلاح الخلل الواقع في الجمل: ٢١، والمفصل: ٢٤، وشرح المفصل: ٦/٧، والإيضاح في شرح المفصل: ٢/٥ و٦، وهمع الهوامع: ١/٧، والفعل المضارع دلالته وعلَّة إعرابه وبنائه (رسالة ماجستير): ٥٠-٥٢.

والحدوث^(١)، فيكون الفعل المضارع مناسباً لهذه الأفعال؛ فالعبد يحتاج في كل وقت ومكان إلى أن يستعين بالله - تبارك وتعالى -، ويسترشده، ويستهديه ويؤمن به، ويتوكل عليه.

واللأفت للنظر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) يعود بعد هذه الأفعال المضارعة إلى صيغة الماضي، فيقول (عليه السلام): «وَشَهِدْتُ لَهُ شُهُودَ مُخْلِصٍ مُوقِنٍ.... وَوَحَّدْتُهُ وَشَهِدْتُ بِبِعْتَةِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ...»؛ لدلالة الفعل على المعنى المراد، فهو (عليه السلام) يستعمل كل لفظ لما يوافق معناه، وبدقة متناهية.

والأمر الثاني: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) عدل عن صيغة المفرد في الأفعال «حمدت... حمدته» إلى صيغة الجمع «ونستعينه، ونسترشده، ونستهديه، ونؤمن به، ونتوكل عليه»، والأصل في حقوق النون في أول المضارع المسند إلى جماعة المتكلمين للدلالة على أن الفعل صدر عن جماعة، ذكوراً كانوا أم إناثاً، وقد وردت في استعمال آخر، وذلك إذا أسند الفعل المضارع إلى المتكلم المفرد المعظم نفسه^(٢)، وأرى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) عدل - هنا - من صيغة المفرد «حمدت... حمدته إلخ» إلى صيغة الجمع «نستعينه، ونسترشده إلخ»؛ لأن هذه الأفعال بصيغة الجمع تتناسب مع معانيها أنفسها؛ تعظيماً لها، من طلب الاستعانة، والرّشاد، والهداية، والإيمان، والتوكل، ولا يريد أمير المؤمنين (عليه السلام) بصيغة الجمع تعظيم نفسه.

١. ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٢٤، والتعبير القرآني: ٢٤، والالتفات في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه): ١٣٤.

٢. ينظر: ارتشاف الضرب: ١/ ٩٩.

نَسْتَرِشُدُهُ

تدلُّ مادَّة «رَشَدَ» في اللُّغة على الاستقامة، والهداية، والدلالة والصَّلاح، وإصابة الصَّواب، وهي نقيض الغيِّ والضَّلال، جاء في الصَّحاح: «الرَّشاد خلاف الغيِّ، وقد رَشَدَ يَرشُدُ رُشداً، ورَشَدَ بالكسر يَرشُدُ رَشداً لُغةً فيه... والطَّرِيق الأَرشُدُ: نحو الأَقْصَد»^(١).

وقال صاحب القاموس المحيط: «رَشَدَ، كَنَصَرَ وفَرِحَ، رُشداً ورَشداً ورشاداً: اهتدى، كاسترشد. واسترشد: طَلَبَهُ... والرُّشد: الاستقامة على طريق الحقِّ مع تصوُّب فيه. والرَّشيد في صفات الله تعالى: الهادي إلى سواء الصُّراط، والذي حَسُنَ تقديره فيما قَدَّر»^(٢)، والرَّشيد في أسماء الله تعالى هو الَّذي أَرشَدَ الخلق إلى مصالحهم، أي: هداهم، ودلَّهم عليها، وقيل: هو الَّذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السَّداد من غير إشارة مستشير ولا تسديد مسدِّد، واسترشده: طلب منه الرُّشد^(٣).

وفَرَّقَ أبو هلال العسكري بين (الهداية) و(الإرشاد) بقوله: «إِنَّ الإِرْشَادَ إِلَى الشَّيْءِ هُوَ التَّطْرِيقُ إِلَيْهِ، وَالتَّبِينُ لَهُ. وَالهِدَايَةُ هِيَ التَّمَكُّنُ مِنَ الوُصُولِ إِلَيْهِ، وَقَدْ جَاءَتِ الهِدَايَةُ للمَهْتَدِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (اهْدِنَا الصُّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)^(٤)، فَذَكَرَ أَنَّهُمْ دَعَا بِالهدَايَةِ، وَهَمَّ مَهْتَدُونَ لَا مُحَالَةَ، وَلَمْ يَجِئْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الإِرْشَادِ، وَيُقَالُ أَيضاً:

١. الصحاح في اللغة: ١/ ٢٥٤. وينظر: العين ٢/ ٢، وجمهرة اللغة: ١/ ٣٣١.

٢. ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٢٧٧. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٣٢٧، وتاج العروس: ١/ ١٩٨٥.

٣. ينظر: لسان العرب: ٣/ ١٧٥. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٣٢٧، والقاموس المحيط: ١/ ٢٧٧، وتاج العروس: ١/ ١٩٨٥.

٤. الفاتحة: ٦.

هداه إلى المكروه، كما قال الله تعالى: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ)^(٢)، وَالْهُدَى الدَّلَالَةُ، فَإِذَا كَانَ مُسْتَقِيمًا فَهُوَ دَلَالَةٌ إِلَى الصَّوَابِ، وَالْإِيمَانُ هُدًى؛ لِأَنَّهُ دَلَالَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَقَدْ يُقَالُ: الطَّرِيقُ هُدًى، وَلَا يُقَالُ: أَرشده إِلَّا إِلَى الْمَحْبُوبِ...»^(٣).

وورد هذا الفعل «رَشَدَ» في الخطبة مرّةً واحدةً موافقاً لدلالته اللغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ونسترشده»، فهو على صيغة «استفعل»، التي تدلُّ على الطَّلَبِ - وهو أشهر معانيها -، والاتِّخَاذِ^(٤)؛ فأمر المؤمنين (عليه السلام) يطلب من الله تبارك وتعالى - الرَّشَادَ، ويتَّخِذه مُرْشِداً، فهو - عَزَّ وَجَلَّ - الرَّشِيدُ الهَادِي إِلَى سِوَاءِ الصَّراطِ، وَالَّذِي حَسُنَ تَقْدِيرُهُ فِيمَا قَدَّرَ وَيُقَدَّرُ، وَيُرْشِدُ الْخَلْقَ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ، وَهَدَايَتُهُمْ، وَتَسَاقُ تَدْبِيرَاتُهُ إِلَى غَايَاتِهَا عَلَى سَبِيلِ السَّدَادِ؛ فَهُوَ الْمُدَبِّرُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ.

و«نسترشده» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (نحن) عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، والهاء ضمير متصل مبني في محلِّ نصب مفعول به، عائد إلى الله - تبارك وتعالى - .
وجملة (ونسترشده) معطوفة على جملة (ونستعينه).

١. الصافات: ٢٣.

٢. الحج: ٦٧.

٣. الفروق اللغوية: ١٧٢.

٤. ينظر: الفعل (نستعينه) من الكتاب.

نَسْتَهْدِيهِ

تدلُّ مادَّة «هدي» في اللُّغة على البيان، والدِّلالة، والقصد، والطَّرِيق، والتَّقْدُم، والتَّوْفِيق. جاء في (العين): «الهُدَى نقيض الضَّلالة. هُدِيَ فَاهْتَدَى. والهادي من كلِّ شيءٍ: أَوْلُهُ... وَسُمِّيَت العصا هادياً؛ لأنَّ الرَّجُلَ يُمَسِّكُهَا فَيَهْدِيهِ، تتقدَّمه. والدليلُ يُسَمَّى هادياً، لتقدُّمه القومَ بهدائيه. والهادي: العُنُق والرَّأْس... هَدَيْتُ لَكَ، أَي: بَيَّنْتُ لَكَ»^(١). والهدى: الرَّشاد، والدِّلالة: وهديته الطَّرِيقَ والبيتَ هداية، أَي: عرَّفته، وهي لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول: هديته إلى الطريق، وإلى الدَّار^(٢)، وغرَّة كلِّ شهر: هاديتها، وكلُّ شيءٍ قاد شيئاً فهو هاديه^(٣)، والهادي من أسماء الله تعالى: هو الذي بصَّر عباده وعرَّفهم طريق معرفته حتَّى أمروا بربوبيَّته، وهدى كلَّ مخلوق إلى ما لا بدَّ له منه في بقائه ودوام وجوده^(٤).

وقال الرَّاعِب: «وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه: الأوَّل: الهداية التي عمَّ بجنسها كلَّ مكلف من العقل، والفتنة، والمعارف الصَّروريَّة التي أعمَّ منها كلُّ شيء بقدر فيه حسب احتمال... الثَّاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إيَّاهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن... الثَّالث: التَّوفيق الذي يختصُّ به من اهتدى... الرَّابع: الهداية في الآخرة إلى الجنَّة... وهذه الهدايات الأربع مترتبة، فإنَّ مَنْ لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثَّانية، بل لا يصحُّ تكليفه، ومَنْ لم تحصل له

١. العين: ٢٧٨/١.

٢. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/٢٤٧. وينظر: تهذيب اللغة: ٢/٣٥٧، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢/٢١٧، والمصباح المنير: ١١٥: ١٠، والقاموس المحيط: ٣/٤٨٧.

٣. ينظر: المحيط في اللغة: ١/٣١٧.

٤. ينظر: لسان العرب: ١٥/٣٥٣. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٦/٣١، والقاموس المحيط: ١/١٧٣٣، وتاج العروس: ١/٨٦٦٢.

الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله، ثم ينعكس، فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايا...»^(١).

وتطابقت دلالة الفعل «هدي» في الخطبة مع دلالة اللغوية؛ إذ جاء الفعل «هدي» مرةً واحدةً في الخطبة؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ونستهديه»، أي: نطلب البيان، والدلالة، والقصد، والتقدم، والتوفيق، و«نستهديه» على زنة (استفعل)، التي تدلُّ على الطلب - وهو أشهرها -، والانتخاذ^(٢)، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يطلب من الله - تبارك وتعالى - الهداية، ويتخذ هادياً؛ فهو الذي يُبصر عباده، ويعرفهم طريق معرفته حتى يقرُّوا بربوبيته، ويهدي كل مخلوق إلى ما لا بدَّ له منه في بقائه ودوام وجوده.

و(نستهديه) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء؛ منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره (نحن) عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ في محلِّ نصب مفعول به، عائد إلى الله - تبارك وتعالى - . وجملة (ونستهديه) معطوفة على جملة (ونسترشده).

..... * * *

١. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٣٥ و ٨٣٦.

٢. ينظر: الفعل (نستعينه) من الكتاب.



نُؤْمِنُ

تدلُّ مادة «آمنَ» في اللُّغة على الإخلاص، والتَّصديق، والثوق، والتَّسليم. فالأمانة نقيض الخيانة، والإيمان التَّصديق نفسه^(١)، والإيمان: الإخلاص، يُقال: أعطيته من آمنٍ مالي، أي: من خالصه، وقيل، ناقة أمون، وهي الأمانة الوثيقة، والإيمان مصدر آمنَ يؤمنُ إيماناً، فهو مؤمن، ومعناه: التَّصديق، وهو اعتقاد وتصديق بالقلب، فإن قيل: آمنتُ بالله، فمعناه: صدقتُ، وهو خلاف الكفر والنِّفاق، فهو اعتقاد بالتَّصديق بالقلب، والمؤمن من أسماء الله - تعالى -، وقيل من صفاته، وهو الذي يصدق عباده ما وعدهم^(٢)، ويُقال: آمنتُ بالله إيماناً، أي: أسلمتُ له^(٣). والإيمان ضدَّ الكفر، والإيمان بمعنى التَّصديق ضدَّ الكذب، ويُقال: آمن به قومٌ، وكذب به قومٌ، والإيمان الثِّقة، ورجلٌ أمانةٌ للذي يُصدِّق كلَّ ما يسمع، ولا يكذب بشيء، وإذا كان يطمئنُّ إلى كلِّ أحد، ويثق به، وآمن بالشيء صدَّق، والإيمان إظهار الخضوع والقبول بالشيء^(٤).

والإيمان والمؤمن لفظان كانا يدلَّان في الجاهليَّة على التَّصديق، فكانا مستعملين بدلالتهما اللُّغوية، وأصبحا بعد الإسلام يُطلقان على الإيمان ضدَّ الكفر، والمؤمن الذي هو غير الكافر، فهما من الألفاظ التي تطوَّرت في لغة القرآن، وصارت تُطلق على معانٍ غير المعاني التي كانت تدلُّ عليها^(٥)، فالمؤمن في الإسلام مَنْ

١. ينظر: العين: ٢٠٢/٢. وينظر الصحاح في اللغة: ٢٣/١، والمحيط في اللغة: ٤٧٦/٢.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ٥/٢٢٤.

٣. ينظر: المصباح المنير: ١/١٣٦.

٤. ينظر: لسان العرب: ١٣/٢١. وينظر: أساس البلاغة: ١/٢٠٠، وتاج العروس: ١/٧٩٦٥.

٥. ينظر: تاريخ آداب العربية: ١/١٩٣ و١٩٤. وينظر: التطوُّر اللغوي التاريخي: ٥٠-٥١، وعلم المفردات في إرثنا اللغوي: ١٣٧، وتاريخ آداب العرب: ١/٢٠٨.

آمن بالله ورسوله^(١).

وقال الرَّاعِب: إنَّه يُطلق لفظ الإيمان، ويُراد به «إذعان النَّفس للحقِّ على سبيل التَّصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقراراً باللسان، وحمل بحسب ذلك بالجوارح.... ويقال لكلِّ واحد من الاعتقاد، والقول، والصِّدق، والعمل الصَّالح: إيمان...»^(٢).

و«آمنَ» أصلها أَمَنَ على زنة «أَفْعَلَ»، توالَت همزتان، وسكنت الثانية، فأبدلت ألفاً من جنس حركة الهمزة الأولى، وهي الفتحة، ويُقال: آمَنَ يُؤْمِنُ إيماناً^(٣).

وقد استعمل هذا الفعل «آمنَ» مرَّةً واحدةً في الخطبة، مطابقاً لدلالته اللُّغويَّة والاصطلاحية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَنُؤْمِنُ بِهِ»، أي: نخلص، ونصدِّق، ونثق، ونسلم لله - تبارك وتعالى -، ونؤمن به، وكيف لا وهو أوَّل مؤمن بعد الرسول القائد محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و(نؤمن) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظَّاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره (نحن)، و(به) الباء حرف جرٍّ، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، وهو عائِدٌ إلى الله - تبارك وتعالى - والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل (نؤمن)، وجملة (نؤمن به) معطوفة على جملة (ونستهديه).

١. ينظر: دستور العلماء: ٣/ ٣٨٢.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٩١. وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ١٣٤.

٣. ينظر: الصرف الوافي: ٢٥٨، ومحاضرات في علم الصرف: ٢٠٠.

تَتَوَكَّلُ

تَدُلُّ مَادَّةُ «وَكَلَّ» فِي اللُّغَةِ عَلَى التَّسْلِيمِ، وَالْاِكْتِفَاءِ، وَالثِّقَّةِ، وَاللُّجُوءِ، وَالْاِنْقِيَادِ. جَاءَ فِي مَعْجَمِ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ: «وَكَلَّ الْوَاوُ وَالْكَافُ وَاللَّامُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اعْتِمَادِ غَيْرِكَ فِي أَمْرِكَ... وَالتَّوَكَّلُ مِنْهُ، وَهُوَ إِظْهَارُ الْعَجْزِ فِي الْأَمْرِ، وَالْاعْتِمَادُ عَلَى غَيْرِكَ»^(١).

وَقَالَ الرَّاعِبُ: «التَّوَكَّلُ: أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى غَيْرِكَ، وَتَجْعَلَهُ نَائِبًا عَنْكَ... وَالتَّوَكَّلُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ، يُقَالُ: تَوَكَّلْتُ لِفُلَانٍ بِمَعْنَى: تَوَلَّيْتُ لَهُ، وَيُقَالُ: وَكَلَّتُهُ فَتَوَكَّلَ لِي، وَتَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ بِمَعْنَى: اعْتَمَدْتُهُ...»^(٢).

وَالْمَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ كَافِلُ رِزْقِهِ وَأَمْرُهُ؛ فَيُرْكَنُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، وَلَا يَتَوَكَّلُ عَلَى غَيْرِهِ، وَيُقَالُ: وَكَلَّ عَلَيْهِ، وَاتَّكَلَّ اسْتَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَوَكَلَّ إِلَيْهِ الْأَمْرَ: سَلَّمَهُ، وَوَكَلَّ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا اسْتَكْفَاهُ أَمْرَهُ؛ ثِقَةً بِكِفَايَتِهِ أَوْ عَجْزًا عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ نَفْسِهِ^(٣). وَالتَّوَكَّلُ: هُوَ إِيْكَالُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ رُكُوبِ الْغَمَارِ، بَعْدَ دَرَاةِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ طَلْبِ الشِّفَاءِ مِنَ اللَّهِ بَعْدَ رُجُوعِ الْمَرِيضِ إِلَى الطَّبِيبِ وَاسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحْسِنُهُ الْعَقْلُ^(٤). وَيَعْنِي الثِّقَّةَ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَالِاسْتِغْنَاءَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ^(٥).

وَالْوَكِيلُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْحَافِظُ، وَالنَّاصِرُ، وَالْمَعِينُ، فَهُوَ اسْمٌ لَهُ -

١. معجم مقاييس اللغة: ٦/١٣٦.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٨٨٢.

٣. ينظر: لسان العرب: ١/٧٣٤. وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/٤٩٦.

٤. ينظر: محمد في القرآن: ٥٥٣.

٥. ينظر: محيط المحيط: ٢/٢٢٨٣.

تبارك وتعالى - باعتبار أهليته لإسلام الأمور إليه^(١). وفرّق أبو هلال العسكري بين (الوكيل) في صفات الله - عَزَّ وَجَلَّ - وبينه في صفات العباد؛ إذ قال: «... أنَّ الوَكِيلَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ بِمَعْنَى الْمُتَوَكِّلِ الْقَائِمِ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ مَالِكٌ لَهُمْ، رَحِيمٌ بِهِمْ، وَفِي صِفَاتِ غَيْرِهِ إِنَّمَا يَعْقِدُ بِالتَّوَكُّلِ»^(٢)، فهو - عَزَّ وَجَلَّ - وكيل الخلق من غير عقد، فهو خالقهم ورازقهم.

وورد هذا الفعل «وَكَلَّ» مرّةً واحدةً في الخطبة للدلالة على معناه اللغوي؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ»، أي: نُسَلِّمُ لَهُ، ونكتفي، ونثق به، ونلجأ وننقاد إليه، فهو الحيُّ القيُّوم، وربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، ومن يتوكَّل عليه، فإنَّه مكفول الأمر كلِّه، فلا يخاف من أن يفوته شيء في الدنيا والآخرة، فهو القادر الذي لا يعجزه شيء، والعزيز الذي لا يغلبه أحد، ولا يمتنع عليه شيء تشاؤه مشيئته - تبارك وتعالى - بمقتضى حكمته، وبيده الأمر كلُّه^(٣).

و(نتوكل) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره (نحن)، و(عليه) على: حرف جرّ، والهاء: ضمير متصل مبني على الكسر في محلّ جرّ بحرف الجرّ، وهو عائد إلى الله - تبارك وتعالى - والجارّ والمجرور متعلقان بالفعل (نتوكل)، وجملة (ونتوكل عليه) معطوفة على جملة (ونؤمن به).

١. ينظر: شرح الأسماء الحسنی: ١٠٣.

٢. الفروق اللغوية: ٧٠.

٣. ينظر: مطالب السؤل: ١٧٥، وكنز العمال: ٨ / ٢٢١، ونهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٨٢ / ٢.

شَهِدْتُ، شَهِدْتُ، فَشَهِدْتُ

تدلُّ مادَّة «شَهِدَ» في اللُّغة على الحضور، والعلم بالأمر، والتَّيِّين. قال ابن فارس: «الشَّين والهَاء والِدَالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لَا يُخْرِجُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِهِ عَنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. مِنْ ذَلِكَ الشَّهَادَةُ، يَجْمَعُ الْأُصُولُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْحُضُورِ، وَالْعِلْمِ، وَالْإِعْلَامِ. يُقَالُ شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً. وَالْمَشْهَدُ: مُحَضَّرُ النَّاسِ... وَشَهِدَ فَلَانٌ عِنْدَ الْقَاضِي، إِذَا بَيَّنَّ وَأَعْلَمَ لِمَنْ الْحَقُّ، وَعَلَى مَنْ هُوَ»^(١).

وقال الرَّاعِبُ: «الشُّهُودُ وَالشَّهَادَةُ: الْحُضُورُ مَعَ الْمَشَاهِدَةِ، إِمَّا بِالْبَصْرِ، أَوْ بِالْبَصِيرَةِ... وَالشَّهَادَةُ: قَوْلٌ صَادِرٌ عَنِ عِلْمٍ حَصَلَ بِمَشَاهِدَةِ بَصِيرَةٍ أَوْ بَصْرٍ...»^(٢).

والشَّهيد من أسماء الله - تبارك وتعالى - الأمين في شهادته، وقيل: الشَّهيد الَّذي لَا يَغيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، والشَّهيد الحاضر^(٣)، والشَّهيد على زنة (فعل)، وهو من أبنية المبالغة من (فاعل)^(٤)، والشَّهيد بمعنى الشَّاهد، كما أَنَّ الْعَلِيمَ بِمَعْنَى الْعَالِمِ، وَالرَّحِيمَ بِمَعْنَى الرَّاحِمِ، وَالشَّاهِدَ خِلَافَ الْغَائِبِ، فَالشَّهيدُ هُوَ الشَّاهِدُ الَّذِي يَشْهَدُ بِمَا عَيْنٌ وَحَضَرَ^(٥)، والشَّاهد: اسمُ اللهِ - جَلَّ وَعَلَا - بِاعْتِبَارِ فَعْلِيَّةِ تِلْكَ الصِّفَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ مَوْجُودٍ^(٦).

١. معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٢١.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٦٥.

٣. ينظر: لسان العرب: ٣/ ٢٣٨ و ٢٣٩، وتاج العروس: ٨/ ٢٣٨ و ٢٣٩.

٤. ينظر: تاج العروس: ٨/ ٢٣٩.

٥. ينظر: اشتقاق أسماء الله: ١٣٢.

٦. ينظر: شرح الأسماء الحسنى: ٧٠.

وقيل: ما «كان حاضرًا في قلب الإنسان، وغلب عليه ذكره؛ فإن كان الغالب عليه العلم، فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الحق، فهو شاهد الحق»^(١).

وورد هذا الفعل «شَهِدَ» في الخطبة ثلاث مرّات، ورد في المرّة الأولى ماضياً مبنياً على السُّكون؛ لاتّصاله بضمير رفع متحرّك، أُسندَ إليه، عائداً إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، إذ قال: «وَشَهِدْتُ لَهُ شُهُودَ مُخْلِصٍ مُوقِنٍ»، فشهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر وبصيرة، شهادة برؤية الله - تبارك وتعالى -، شهادة مخلص موقن بهذا القول.

وورد في المرّة الثانية - أيضاً - مبنياً على السُّكون؛ لاتّصاله بضمير رفع متحرّك، أُسندَ إليه عائداً إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، مُقَرَّراً فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) ببعثة النبي الأكرم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، إذ قال (عليه السلام): «وَشَهِدْتُ بَعَثَةَ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ، وَرَسُولِهِ، وَصَفِيِّهِ، وَحَبِيبِهِ، وَخَلِيلِهِ، بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ، وَفِي حِينِ فَتْرَةٍ وَكُفْرٍ؛ رَحْمَةً لِعَبِيدِهِ، وَمِنَّةً لِمَزِيدِهِ، خَتَمَ بِهِ نُبُوَّتَهُ، وَقَوَى بِهِ حُجَّتَهُ».

أمّا في المرّة الثالثة، فورد مبنياً على الفتح، متصلاً بتاء التانيث الساكنة؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حال الإنسان يوم القيامة، يوم تشهد عليه جوارحه بما ارتكب من معاصي، وذنوب، وآثام: «فَيُنشَرُ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ فِي صُورٍ... فَشَهِدَتْ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ، وَيَدُهُ بِبَطْشِهِ، وَرِجْلُهُ بِخَطْوِهِ، وَجِلْدُهُ بِمَسِّهِ، وَفَرْجُهُ بِلَمْسِهِ»، وفيه تضمين لقوله - تعالى -: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ

شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١).

و«فَشَهِدَتْ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ» (شهدت): فعل ماضٍ مبني على الفتح، والتاء تاء التأنيث الساكنة، و(عَيْنُهُ) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني في محل جرٍّ بالإضافة، و(بنظره) الباء: حرف جرٍّ، و(نظره): اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل مبني في محل جرٍّ بالإضافة، وجملة (فَشَهِدَتْ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ) معطوفة على جملة (فَيُنشَرُ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ فِي صُورٍ).

فَرَدَّتُهُ

الفرد: ما كان وحده، يُقال: فَرَدَّ يَفْرُدُّ، وانفرد انفراداً، وأفردته: جعلته واحداً، والله الفرد: تفرّد بالرُّبوبيّة والأمر دون خلقه (٢)، وقيل: إنَّما وُصِفَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بالفردية؛ «لأنَّه لا يختلط بالأشياء ولا ييازجها، بل هو مستغنٍ عنها... وهو جَلٌّ وَعَزٌّ لا يقال له موافق، ولا يخالف لها في جوهر ولا طبيعة ولا قوّة؛ لأنَّه خالق الجوهر والطبيعة والقوّة، فهو لا يتّصل ولا منفصل عنها، والاتّصال يدلُّ على الانفصال، ظهر لنا لا يتّصل ولا ينفصل، بل هو الفرد الخالق لكلِّ ما نالته العقول من هذا العالم، فالفرد اسم في أسماؤه، والزَّوج من أسماء المخلوقين» (٣)، والفَرْدُ: الوترُ، وتفرّدتُ بكذا، إذا انفردتَ به (٤)، وفَرَدَ بالأمر فهو فَرَدُّ به، وفَرَدَ

١. فصلت: ١٩-٢١.

٢. ينظر: العين: ١١٥/٢.

٣. ينظر: الزينة في الكلمات الإسلامية: ٤٦-٤٧.

٤. ينظر: الصحاح في اللغة: ٣٧/٢.

فهو فَرَدُّ به وفَارِدٌ ومُفَرِّدٌ، وتَفَرَّدَ: يذهب وحده^(١)، والفَرْدُ هو الله تعالى، وهو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا مثل ولا ثاني^(٢).

وورد هذا الفعل «فرد» مرّةً واحدةً في الخطبة على زنة «فَعَّلَ»؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَفَرَّدْتُهُ تَفْرِيدَ مُؤْمِنٍ مُتَّقِنٍ». وزنة «فَعَّلَ» مزيد بتضعيف العين، له معانٍ كثيرة، ذكرها العلماء^(٣)، منها المبالغة والتكثير^(٤)، - وهو أشهرها -، ويدلُّ على تكرير الفعل، وكثرة القيام به، وكلا المعنيين واردٌ في قول أمير المؤمنين (عليه السلام)، أعني: المبالغة والتكثير، والجعل؛ فأمر المؤمنين (عليه السلام) يُريد أن يقول: إنّه يجعل الله - تبارك وتعالى - فرداً واحداً، وإنّما يقع هذا الفعل منه شيئاً بعد شيء، على تناول من الزّمان، فهو (عليه السلام) يُفَرِّدُهُ تَفْرِيدَ مُؤْمِنٍ به، مُتَّقِنٍ له.

و«فَرَّدْتُهُ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على السُّكُونِ؛ لاتّصاله بضمير رفع متحرّك وهو التّاء، والتّاء ضمير متّصل مبنيٌّ في محلِّ رفع فاعل، عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ في محلِّ نصب مفعول به، عائد إلى الله - جلَّ وعزَّ -، وجملة (وفَرَّدْتُهُ) معطوفة على جملة (وشهدت له شهود مخلص موقن).

* * *

١. ينظر: المحيط في اللغة: ٢/ ٣٤٣.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ٤/ ٤٤٨، ولسان العرب: ٣/ ٣٣١، والقاموس المحيط: ١/ ٣٩٠، وتاج العروس: ١/ ٢١٦٦-٢١٦٩.

٣. ينظر: ديوان الأدب: ٢/ ٣٨٠، والمفصل: ٣٧٢-٣٧٣، وشرح الشافية: ١/ ٩٢.

٤. ينظر: أدب الكاتب: ٣٥٤، وشرح الشافية: ١/ ٩٢، وشذا العرف في فن الصرف: ٢١، وأوزان الفعل ومعانيها: ٨٢.

وَحَدُّتُهُ

تدلُّ مادَّة «وحد» في اللُّغة على التَّفَرُّد، يُقال: رجلٌ أَحَدٌ وَوَحَدٌ وَوَحِدٌ وَوَحْدٌ وَوَحِيدٌ وَوَمُتَوَحِّدٌ، أَي: مُنْفَرِدٌ، وَالْأُنْثَى وَحِدَةٌ. وَرَجُلٌ وَحِيدٌ: لَا أَحَدَ مَعَهُ يُؤْنِسُهُ، وَتَقُولُ: بَقِيْتُ وَحِيداً فَرِيداً حَرِيداً بِمَعْنَى وَاحِداً، وَلَا يُقَالُ: بَقِيْتُ أَوْ وَحَدٌ، وَأَنْتِ تُرِيدُ فَرِداً، وَقَوْلُهُمْ: كَانَ رَجُلًا مُتَوَحِّداً، أَي: مُنْفَرِداً لَا يُجَالِطُ النَّاسَ وَلَا يُجَالِسُهُمْ^(١).

وقال الرَّاعِبُ: «الوحدة: الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشَّيْء الَّذِي لَا جُزْءَ لَهُ الْبَتَّةَ، ثُمَّ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ حَتَّى إِنَّهُ مَا مِنْ عَدَدٍ إِلَّا وَيُصَحُّ أَنْ يوصفَ بِهِ، فيُقَالُ: عشرةٌ واحدة، ومائةٌ واحدة، وألفٌ واحدٌ... وَالْوَحْدُ: الْمَفْرَدُ، وَيُوصَفُ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٢):

عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدٍ^(٣).

والواحد من صفات الله تعالى؛ فهو المتفرد بالوحدانية، والمختصُّ بها، فلم يُشْرِكْهُ فِي هَذَا الْاسْمِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْدَادِ^(٤)، فلا قديم سواه، ولا إله سواه، فهو واحدٌ من حيث إنَّه ليس له شريك فيجري عليه حُكْمُ الْعَدَدِ، وتبطل به وحدانيته، وذاتُه ذاتٌ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّكْثِيرُ بغيره، وَالإِشَارَةُ فِيهِ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ؛ لِأَنَّ

١. ينظر: الصحاح في اللغة: ٦٩ / ٢.

٢. البيت للنابغة، ينظر: ديوانه: ٣١، وتمام البيت:

كأن رحلي وقد زال النهارُ بنا يوم الجليل على مستأنسٍ وحد.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٨٥٧ و ٨٥٨.

٤. ينظر: الزينة في الكلمات الإسلامية: ٤٧ / ٢.

الجوهر قد يتكثّر بالانضمام إلى جوهر مثله، ويتركّب منها جسم^(١)، والواحد من صفات الله تعالى، ومعناه: أنّه لا ثاني، ويجوز أن ينعت الشّيء بأنّه واحد؛ فأماً «أحد» فلا ينعت به غير الله؛ لخصوص هذا الاسم الشّريف له جلّ ثناؤه، فقول: أَحَدْتُ الله تعالى: ووَحَّدْتُهُ، وهو الواحد الأحد^(٢)، والأحد بمعنى واحد، وهو في الأصل وحد^(٣).

وفصّل أبو هلال العسكري في التّفريق بين (الواحد)، و(الأحد)، إذ قال: «الواحد: الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر. والأحد: الفرد الذي لا يتجزّأ، ولا يقبل الانقسام. فالواحد: هو المتفرّد بالذّات في عدم المثل. والأحد: المتفرّد بالمعنى. وقيل المراد بالواحد: نفي التّركيب والأجزاء الخارجيّة والذهنيّة عنه تعالى، وبالأحد: نفي الشّريك عنه في ذاته وصفاته. وقيل: الواحدية: لنفي المشاركة في الصّفات، والأحدية لتفرّد الذات. ولما لم ينفك عن شأنه تعالى أحدهما عن الآخر قيل: الواحد والأحد في حكم اسم واحد. وقد يُفرّق بينهما في الاستعمال في وجوه: أحدها: أنّ الواحد يستعمل وصفا مطلقاً، والأحد يختصّ بوصف الله تعالى نحو: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)^(٤). الثّاني: أنّ الواحد أعمّ مورداً؛ لأنّه يُطلق على مَنْ يعقل وغيره، والأحد لا يطلق إلاّ على مَنْ يعقل. الثّالث: أنّ الواحد يجوز أن يُجعل له ثانٍ؛ لأنّه لا يستوعب جنسه بخلاف الأحد، ألا ترى أنّك لو قلت: فلان لا يقاومه واحد، جاز أن يقاومه اثنان، ولا أكثر. الرّابع: أنّ الواحد يدخل في الحساب، والضّرب، والعدد، والقسمة. والأحد يمتنع دخوله في ذلك. الخامس:

١. ينظر: الأسماء والصفات: ١٤ و ١٥.

٢. ينظر: لسان العرب: ٣/ ٧٠.

٣. ينظر: كشّاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٩١.

٤. الإخلاص: ١.

أَنَّ الواحد يُؤنَّث بالتَّاء، والأحد يستوي فيه المذكَر والمؤنَّث، قال تعالى: (كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ)^(١)، ولا يجوز: كواحد من النساء، بل: كواحدة. السَّادس: أَنَّ الواحد لا يصلح للإقرار والجمع، بخلاف الأَحد فإنَّه يصلح لهما؛ ولهذا وصف بالجمع قوله تعالى: (مَنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)^(٢). السَّابع: أَنَّ الواحد لا جمع له من لفظه، وهو أَحَدون، وآحاد^(٣).

وقيل: إِنَّ الفرق بين الواحد والأحد: «إِنَّ الأَحد شيءٌ بُنيَ لنفي ما يُذكر معه من العدد، والواحد اسمٌ لفتح العدد، وأحدٌ يصلح في الكلام في موضع الجحود، وواحدٌ في موضع الإثبات، يُقال: ما أتاني منهم أحدٌ، فمعناه: لا واحد أتاني ولا اثنان، وإذا قلت: جاءني منهم واحد، فمعناه: أَنَّهُ لم يأتني منهم اثنان، فهذا حدُّ الأَحد ما لم يُضف، فإذا أُضيف قَرَّبَ من معنى الواحد، وذلك أَنَّك تقول: قال أحدُ الثَّلاثة كذا وكذا، وأنت تُريد واحداً من الثَّلاثة، والواحد بُني على انقطاع النَّظير، وعزو المِثْل والوحيد بُني على الوحدة والانفراد عن الأصحاب من طريق بينوته عنهم^(٤)، فالأَحدية الإلهية تعني أَنَّ الله واحد لا ثاني له في الربوبية، ولا يُراد بها الوحدة العارضة؛ لأنَّ الله تعالى أَحديّ الذَّات والصفات، لا تركيب له في ذاته ولا وراء ذاته^(٥)، فالله - سبحانه وتعالى - واحد في ذاته وصفاته، ولا شريك له في وجوده، ولا في أفعاله^(٦).

١. الأحزاب: ٣٢.

٢. الحاقة: ٤٧.

٣. الفروق اللغوية: ٩٥.

٤. ينظر: تاج العروس: ١/ ٢٢٢٣ و ٢٢٢٤.

٥. ينظر: شرح الأسماء الحسنى: ٧٥.

٦. ينظر: رسالة التوحيد: ٥٧ و ٥٨.

وورد هذا الفعل «وحد» مرّة واحدة في الخطبة على زنة «فَعَلَّ» مطابقاً لدالته اللغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَوَحَّدْتُهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ مُذْعِنٍ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ فِي صُنْعِهِ، جَلَّ عَنْ مُشِيرٍ وَوَزِيرٍ، وَتَنَزَّ عَنْ مِثْلِ وَنَظِيرٍ»، ومن معاني زنة «فَعَلَّ» الجعل^(١)، فأمر المؤمنين (عليه السلام) جعل الله - تبارك وتعالى - واحداً، توحيد عبد مذعن، لا ثاني له بالرُّبوبيّة، فهو - جَلَّ وعلا - واحد في ذاته وصفاته، لا شريك له في وجوده، ولا في أفعاله^(٢)، و«وَوَحَّدْتُهُ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على السُّكون؛ لا تُصَاله بضمير رفع متحرّك، وهو التّاء، والتّاء ضمير متّصل مبنيٌّ في محل رفع فاعل، عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ في محلّ نصب مفعول به، عائد إلى الله - تبارك وتعالى - . وجملة (وَوَحَّدْتُهُ) معطوفة على جملة (وَفَرَّدْتُهُ).

..... * * *

لَيْسَ

جاء في العين: «ليس: كلمة جحود، قال الخليل: معناه: لا أيس، فطُرحت الهمزة، وألزقت اللّام بالياء، ودليله: قول العرب: اتّني به من حيث أيس وليس، ومعناه: من حيث هو، ولا هو»^(٣).

وقال الأزهري: «وقد صرّفوا لَيْسَ تصريفَ الفِعْلِ المَاضِي فَتَنَوْا وَجَمَعُوا وَأَنشَأُوا، فَقَالُوا: لَيْسَ وَلَيْسَا وَلَيْسُوا، وَلَيْسَتْ المَرَأَةُ وَلَيْسْنَ، وَلَمْ يُصَرِّفُوها فِي المُسْتَقْبَلِ، وَقَالُوا:

١. ينظر: الفعل (فَرَّدْتُهُ) من الكتاب.

٢. ينظر: بحار الأنوار: ٣٨ / ١٦٠.

٣. العين ٢ / ٧٣. وينظر: جهرة اللغة: ١ / ٤٨١.

لَسْتُ أَفْعَلُ، وَلَسْنَا نَفْعَلُ»^(١).

وبهذا المعنى - أي: النَّفي - أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «ليس» في الخطبة في مواضع خمسة. جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) في المواضع الثلاثة الأولى في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى -، وتعظيمه ببيان صفاته وأفعاله - عَزَّ وَجَلَّ؛ إذ قال (عليه السلام) في الموضوع الأول: «ليس له شريك».

وقال في الموضوع الثاني: «ليس كمثله شيء». وهو اقتباس من قوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)^(٢).

وقال في الموضوع الثالث: «ليس يدركه بصر» - وسيأتي الكلام على الفعل يدركه - .

أمَّا في الموضوعين الرابع والخامس، فجاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام بيان النعيم الذي يلقاه مَنْ زحزح عن تعذيب ربِّه؛ إذ قال (عليه السلام) في أحدهما: «ليس يصدع».

وقال في الآخر: «ليس ينزف». وسيأتي بيانها - إن شاء الله تعالى - .

..... * * *

١. تهذيب اللغة: ٣٢٢/٤. وينظر: الصحاح في اللغة: ١٥٥/٢، ولسان العرب: ٢١٠/٦، والمصباح

المنير: ٣٥٨/٨، ومعجم الأفعال الجامدة: ٨٥-٩١.

٢. الشورى: ١١.

يَكُنُّ، وَتَكُنُّ

قال ابن فارس: «الكاف والواو والنون أصلٌ يدلُّ على الإخبار عن حدوث شيء، إمَّا في زمانٍ ماضٍ، أو زمانٍ راهن»^(١).

وقال الرَّاعِب: «كان: عبارة عمَّا مضى من الزَّمان، وفي كثير من وصف الله تعالى تُنبئ عن معنى الأزليَّة، قال: (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [الأحزاب / ٤٠]... وما استعمل منه في جنس الشَّيء متعلِّقاً بوصف له هو موجود فيه فتنبيةً على أنَّ ذلك الوصف لازمٌ له، قليل الانفكاك منه. نحو قوله في الإنسان: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) [الإسراء / ٦٧]... فذلك تنبيهٌ على أنَّ ذلك الوصف لازمٌ له قليل الانفكاك منه...»^(٢). والكون: الحدث، وقد كان يكون كَوْنًا وكيونةً، والكائنة: الحادثة: وكونُ الله الأشياء: أَوْجَدَهَا. وَكَوْنُهُ فَتَكُونُ، و«كان» ترفع الاسم وتنصب الخبر، والمصدر الكون الكيان والكيونة. وتكون «كان» زائدة، وتامةً بمعنى «ثبت»، كان الله، ولا شيء معه، وبمعنى «حدث»: إذا كان الشَّيء، فأدْفُونِي^(٣)، والكائن اسم لله تعالى «باعتبار قيامه بذاته، لا بالوجود الطَّارِد للعدم، وإنَّما الوجود اسم من أَسْمَائِهِ به قوام كلِّ موجود، وبه يكون»^(٤).

وورد هذا الفعل «كان» في الخطبة مرَّتين مطابقاً لدلالته اللُّغوية، ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) في المرَّة الأولى في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى -، وبيان صفاته - عَزَّ وَجَلَّ - وأنَّه مُتَصَرِّفٌ بالخلق، كيف يشاء ومتى يشاء، فهو الفرد

١. معجم مقاييس اللغة ٥ / ١٤٨.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٧٣٠.

٣. ينظر: لسان العرب: ١٣ / ٣٦٦.

٤. اشتقاق أسماء الله: ١٣٨.

الأحد، لا شريك له في ملكه؛ إذ قال (عليه السلام): «وشهدت له شهوداً مخلّصين مؤقنين، وفردته تفرّيداً مؤمنين متقين، ووحدته توحيداً عبدياً مدعياً، ليس له شريك في ملكه، ولم يكن له وليٌّ في صنعه». و«كان» - هنا - فعل مضارع مجزوم لدخول «لم» الجازمة عليه، وعلامة جزمه السكون، وإذا جُزِمَ الفعل المضارع من «كان» قيل: لم يكن، والأصل: يكون، فحذف الجازم الضمة التي على النون، فالتقى ساكنان «الواو، والنون»؛ فحذف الواو لالتقاء الساكنين؛ فصار اللفظ «لم يكن»^(١)، واسم «كان» هو «وليٌّ» مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و«له» اللام حرف جرّ، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور إمّا أن يكون متعلقاً بخبر محذوف - خبر كان - تقديره «كائن» أو «استقرّ»، أو أنّه خبر «كان»، فهو قسم برأسه، وليس من قبيل المفرد، ولا من قبيل الجملة^(٢).

أمّا المرّة الثانية التي ورد فيها الفعل «كان»، ففي مقام وصيّة أمير المؤمنين (عليه السلام) معشر من كان حاضراً في وقت إلقاء الخطبة بتقوى الله - تبارك وتعالى -، وتذكّر سنة النبيّ الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلّم -، والتحذير من يوم القيامة؛ إذ قال (عليه السلام): «وصيتكم معشر من حضرني: بتقوى ربّكم، وذكرتكم بسنة نبيّكم... ولتكنّ مسألتكم مسألة ذلّ وخضوع، وشكرٍ وخشوع، وتوبةٍ ونزوع، وندمٍ ورُجوع».

و«ولتكنّ» فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه السكون، «مسألتكم» اسم «كان» مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف و«كم» ضمير متصل مبنيٌّ في محلّ جرّ بالإضافة، و«مسألة» خبر «كان» منصوب، وعلامة

١. ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١/٢٦٨ و ٢٦٩، ومنهج السالك إلى ألفية ابن مالك: ١/٤٤٢.

٢. ينظر: شرح ابن عقيل: ١/٢١١، وحاشية الخصري: ١/٩٦.

نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و«ذُلُّ» مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، و«خضوع» الواو حرف عطف، و«خضوع» معطوف مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

جَلَّ

تدلُّ مادَّة «جَلَّ» في اللُّغة على الإكبار، والتَّجليل، والتَّرفُّع، والتَّعظيم. وقال الرَّاغِب: «الجلالة: عِظْمُ القدر، والجلال بغير الهاء: التَّنَاهي في ذلك، وُحْصَّ بوصف الله تعالى، فقيل: (ذُو الجَلالِ وَالِإِكْرَامِ) [الرحمن / ٢٧]، ولم يستعمل في غيره، والجليل: العِظِيمُ القدر. ووصفهُ تعالى بذلك إمَّا لخلقهِ الأشياء العظيمة المستدلُّ بها عليه، أو لأنَّه يَجُلُّ عن الإحاطة به؛ أو لأنَّه يَجُلُّ أن يُدرك بالحواسِّ... والجلَّل: كلُّ شيءٍ عظيم»^(١).

وقال القرطبي: «الجلال عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح، يُقال: جَلَّ الشيء: عَظُمَ، وأَجَلَّتْهُ أي: عَظَّمْتُهُ، والجلال اسم من جَلَّ»^(٢).

ويُقال: جَلَّ الشَّيْءُ يَجُلُّ جَلالاً وِجْلالَةً، وَهُوَ جَلُّ وِجْليلٌ: عَظُمَ، والأُنْثى جَليلةٌ وِجْلالَةٌ. وَأَجَلَّتْهُ: عَظَّمْتُهُ، يُقال: جَلَّ فلانٌ في عيني، أي: عَظَّمْتُهُ، وَأَجَلَّتْهُ رأيتُهُ جَليلاً نَبيلاً، وَأَجَلَّتْهُ في المُرْتَبَةِ، وَأَجَلَّتْهُ، أي: عَظَّمْتُهُ^(٣)، وَجَلَّ الشَّيْءُ

١. مفردات ألفاظ القرآن: ١٩٨.

٢. الجامع لأحكام القرآن: ١٧/١٤٤. وينظر: فتح القدير: ١٩٣/٥.

٣. ينظر: لسان العرب: ١١/١١٦.

وجلاله بضمهما: مُعْظَمُهُ^(١).

وجاء هذا الفعل «جَلَّ» في الخطبة مرّةً واحدةً مطابقاً لدالته اللغوية، أوردته أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى -، وتعظيمه؛ إذ قال (عليه السلام): «جَلَّ عَنْ مُشِيرٍ وَوَزِيرٍ»؛ أي: أَنَّهُ - تبارك وتعالى - أعظم، وأكبر، وأرفع من أن يتخذ مُستشاراً، أو وزيراً في حكمه؛ فهو الفرد الصمد؛ الذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه، والخلق كلُّهم محتاجون إليه؛ قال - عزَّ من قائل - : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)^(٢).

و«جَلَّ» فعل ماضٍ، مضارعه «يَجِلُّ»؛ إذ الأصل فيه: «جَلَلٌ»، عُلَّ فيه بإدغام اللام الأولى في الثانية؛ لعدم جواز اجتماع حرفين متجانسين^(٣).

و«جَلَّ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - عزَّ وَجَلَّ - .

١. ينظر: تاج العروس: ١/٦٩٣٦.

٢. فاطر: ١٥.

٣. ينظر: الكتاب: ٤/٤٦٧، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١/١٣٤، ومشكل إعراب القرآن: ١/٧٤، وأسرار العربية: ١٨٤ وشرح الشافية (للرضي): ١/٢٥-٢٩، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٩١، وأبو عثمان المازني ومذهبه في الصرف والنحو: ١٥١، والإدغام في العربية (أطروحة دكتوراه): ٣٣٣، والعلّة الصرفية وموقعها في الدرس اللغوي الحديث (أطروحة دكتوراه): ٤١ و٤٢.

تَنْزَهُ

تدلُّ مادَّةُ «نزه» في اللُّغة على البعد. فالتَّنْزَهُ: التَّبَاعُدُ، والاسْمُ: التَّنْزَهُةُ، ومكانُ نَزِهِ وَنَزِيهِ، وَقَدْ نَزِهَ نَزَاهَةً وَنَزَاهِيَةً، وَقَدْ نَزَهَتِ الْأَرْضُ، وَأَرْضُ نَزَهَةٌ: بَعِيدَةٌ عَذْبَةٌ نَائِيَةٌ مِنَ الْأَنْدَاءِ، وَالْمِيَاهِ، وَالْعَمَقِ^(١).

وقال ابن الأثير: «أصلُ النَّزِهِ: البُعدُ. وَتَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى: تَبْعِيدُهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ النَّقَائِصِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ، فِي تَفْسِيرِ سُبْحَانَ اللَّهِ، هُوَ تَنْزِيهِهُ، أَي: إِبْعَادُهُ عَنِ السُّوءِ، وَتَقْدِيسُهُ»^(٢).

وجاء في لسان العرب: «وَالْعَامَّةُ يَصْعُونَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَيَغْلَطُونَ؛ فَيَقُولُونَ: خَرَجْنَا نَتْنَزُهُ، إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْبَسَاتِينِ، فَيَجْعَلُونَ التَّنْزَهُ الْخُرُوجَ إِلَى الْبَسَاتِينِ، وَالْخَضْرَ، وَالرِّيَاضَ، وَإِنَّمَا التَّنْزَهُ التَّبَاعُدُ عَنِ الْأَرْيَافِ وَالْمِيَاهِ حَيْثُ لَا يَكُونُ مَاءٌ وَلَا نَدَى وَلَا جَمْعُ نَاسٍ، وَذَلِكَ شِقُّ الْبَادِيَةِ، وَمِنْهُ قِيلَ: فَلَانُ يَتْنَزَهُ عَنِ الْأَقْدَارِ، وَيُنْزَهُ نَفْسَهُ عَنْهَا، أَي: يُبَاعِدُ نَفْسَهُ عَنْهَا... وَالتَّنْزِيهِ: تَسْيِيحُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِبْعَادُهُ عَمَّا يَقُولُ الْمَشْرُكُونَ...»^(٣).

وقال الفيومي: «وقال ابن قتيبة: ذهب بعض أهل العلم في قول الناس: خرجوا يتنزهون إلى البساتين، إنه غلط، وهو عندي ليس بغلط؛ لأنَّ البساتين في كلِّ بلد، وإنَّما تكون خارج البلد، فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل و البيوت، ثمَّ كثر هذا حتَّى استعملت التَّنْزَهُةُ في الخضر والجنان»^(٤).

١. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/ ٢٠٤.

٢. النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١٠٥.

٣. لسان العرب: ١٣/ ٥٤٨.

٤. المصباح المنير: ٢/ ٦٠١.

وورد هذا الفعل «نزه» في الخطبة مرةً واحدةً موافقاً لدلالته اللغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى - بتنزيهه عن اتخاذ المثل - وهو المشارك في تمام الحقيقية؛ ولذا نفي عن الله سبحانه وتعالى، كما قال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)^(١)، والنَّظِيرُ الذي هو من جنس المثل^(٢)، «وَتَنَزَّهُ عَنْ مِثْلٍ وَنَظِيرٍ».

وفَرَّقَ أبو هلال العسكري بين (المثل)، و(النَّظِير) بقوله: «إِنَّ (المثلين) مَا تَكَافَأَ فِي الدَّاتِ... وَالنَّظِيرُ مَا قَابَلَ نَظِيرَهُ فِي جِنْسِ أَفْعَالِهِ، وَهُوَ مُتَمَكِّنٌ مِنْهَا كَالنَّحْوِيِّ نَظِيرِ النَّحْوِيِّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلٌ كَلَامُهُ فِي النَّحْوِ أَوْ كَتَبَهُ فِيهِ، وَلَا يُقَالُ النَّحْوِيُّ مِثْلَ النَّحْوِيِّ؛ لِأَنَّ التَّمَاثُلَ يَكُونُ حَقِيقَةً فِي أَحْصَى الْأَوْصَافِ، وَهُوَ الدَّاتُ»^(٣).

و«وَتَنَزَّهُ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وجملة (تنزّه) معطوفة على جملة (جلّ).

* * *

عَلِمَ

جاء في (العين): «عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا، نَقِيضُ الْجَهْلِ. وَرَجُلٌ عَلَامَةٌ، وَعِلَامٌ، وَعَلِيمٌ... إِذَا بَالِغَتْ فِي وَصْفِهِ بِالْعِلْمِ أَيُّ: عَالِمٌ جِدًّا... وَمَا عَلِمْتُ بِخَبْرِكَ، أَيُّ: مَا شَعَرْتُ بِهِ. وَأَعْلَمْتَهُ بِكَذَا، أَيُّ: أَشْعَرْتُهُ، وَعَلَّمْتَهُ تَعْلِيمًا»^(٤).

١. الشورى: ١١.

٢. الفروق اللغوية: ١٨٩.

٣. الفروق اللغوية: ١٢٧.

٤. العين ٢ / ١٥٢.

والعلم في اللغة بمعنى المعرفة، يُقال: عَلِمْتُ الشَّيْءَ أَعْلَمُهُ عِلْمًا: عَرَفْتُهُ، وَعَلَّمَهُ العلمَ وَأَعْلَمَهُ إِيَّاهُ فَتَعَلَّمَهُ، وَفَرَّقَ سَبِيحًا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ: «وَقَدْ يَجِيءُ (فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ) فِي مَعْنَى وَاحِدٍ مُشْتَرَكِينَ، كَمَا جَاءَ فِيهَا صَيَّرْتَهُ فَاعِلًا وَنَحْوَهُ؛ وَذَلِكَ: وَعَزَّتْ إِلَيْهِ وَأَوْعَزْتُ إِلَيْهِ، وَخَبَّرْتُ وَأَخْبَرْتُ... وَقَدْ يَجِيئَانِ مَفْتَرِقِينَ، مِثْلَ عَلَّمْتُهُ وَأَعْلَمْتُهُ، فَعَلَّمْتُ: أَدَّبْتُ، وَأَعْلَمْتُ: أَدَنْتُ، وَأَدَنْتُ: أَعْلَمْتُ، وَأَدَنْتُ: النِّدَاءُ وَالتَّصْوِيتُ بِإِعْلَانٍ، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَجْرِي أَدَنْتُ وَأَدَنْتُ مَجْرِي: سَمَيْتُ وَأَسْمَيْتُ»^(١).

وَفَرَّقَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ بَيْنَ (العلم)، وَ(المعرفة) وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ الْمَعْرِفَةَ أَخْصَصُ مِنَ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّهَا عِلْمٌ بَعَيْنِ الشَّيْءِ عَمَّا سِوَاهُ، وَالْعِلْمُ يَكُونُ مَجْمَلًا وَمَفْصَلًا»^(٢).

وَقَالَ الرَّاعِبُ: «العلم: إدراك الشَّيْءِ بِحَقِيقَتِهِ، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: إِدْرَاكُ ذَاتِ الشَّيْءِ. وَالثَّانِي: الْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ بِوُجُودِ شَيْءٍ هُوَ مَوْجُودٌ لَهُ، أَوْ نَفْيِ شَيْءٍ هُوَ مَنْفِيٌّ عَنْهُ. فَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُتَعَدِّيُّ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ... وَالثَّانِي: الْمُتَعَدِّيُّ إِلَى مَفْعُولَيْنِ... وَالْعِلْمُ مِنْ وَجْهِ ضَرْبَانِ: نَظَرِيٌّ وَعَمَلِيٌّ. فَالنَّظَرِيُّ: مَا إِذَا عَلِمَ فَقَدْ كَمَلَ، نَحْوُ: الْعِلْمُ بِمَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ. وَالْعَمَلِيُّ: مَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَنْ يَعْمَلَ كَالْعِلْمِ بِالْعِبَادَاتِ. وَمِنْ وَجْهِ آخَرَ ضَرْبَانِ: عَقْلِيٌّ وَسَمْعِيٌّ، وَأَعْلَمْتُهُ وَعَلَّمْتُهُ فِي الْأَصْلِ وَاحِدًا، إِلَّا أَنَّ الْإِعْلَامَ اخْتَصَّ بِمَا كَانَ بِإِخْبَارٍ سَرِيعٍ، وَالتَّعْلِيمُ اخْتَصَّ بِمَا يَكُونُ بِتَكَرُّرٍ وَتَكَثِيرٍ حَتَّى يَحْصُلَ مِنْهُ أَثَرٌ فِي نَفْسِ الْمُتَعَلِّمِ...»^(٣).

١. الكتاب ٤/ ٦٢.

٢. الفروق اللغوية: ٦٢.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٨٠.

وَعُرِّفَ الْعِلْمُ اصْطِلَاحًا بِأَنَّهُ: «الاعتقاد الجازم المطابق للواقع»^(١).

وورد هذا الفعل «عَلِمَ» مرّةً واحدةً في الخطبة مطابِقاً لدلالته اللُّغوية، قابل فيها أمير المؤمنين بينه وبين فعل آخر، وهو «سَتَرَ»، فقال (عليه السلام): «عَلِمَ فَسَتَرَ»، وسيأتي الكلام - إن شاء الله تعالى - على دلالة الفعل «سَتَرَ» -، وقد تقدّم أنّ العطف بالفاء يفيد التّرتيب باتّصال، أي: بلا مهلة، وهو المعبر عنه بالتّعقيب، وكثيراً ما تقتضي السّبب إن كان المعطوف جملة^(٢)، وكذا هي الحال في الخطبة؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عَلِمَ فَسَتَرَ»؛ ف«عَلِمَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله تبارك وتعالى، والفاء عاطفة، و«سَتَرَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والجملة الفعلية (سَتَرَ) معطوفة على الجملة الفعلية (عَلِمَ).

فالله - تبارك وتعالى - عالم بما كان، وما يكون قبل كونه، وبما يكون، ولما يكن، وما يكون، ولا تخفى عليه خافية لا في الأرض، ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء، باطنها وظاهرها، وخفيها وجليها، علم أتمّ الإمكان^(٣).

..... * * *

١. التعريفات: ١٩٩.

٢. ينظر: الفعل (عَدَل) من الكتاب.

٣. ينظر: لسان العرب ٤١٦/١٥، وتاج العروس ٤٠٧/٨.

سَتَرَ

تدلُّ مادة «سَتَرَ» في اللُّغة على التَّغْطِية، والإخفاء. جاء في (معجم مقاييس اللُّغة): «السَّيْنُ والتَّاء والرَّاء كلمةٌ تدلُّ على الغطاءِ. تقول: سترت الشيء سترًا. والسترة: ما استترت به، كائناً ما كان، وكذلك السَّتار»^(١).

ويُقال: «سَتَرَ الشَّيْءَ يَسْتُرُهُ وَيَسْتُرُهُ سَتْرًا وَسَتْرًا: أَخْفَاهُ... والسَّتْر، بِالْفَتْحِ: مَصْدَرٌ سَتَرْتُ الشَّيْءَ أَسْتُرُهُ إِذَا غَطَّيْتَهُ فَاسْتَتَرَ هُوَ، وَتَسَتَّرَ، أَي: تَغَطَّى. وَجَارِيَةٌ مُسْتَرَّةٌ، أَي: مُحْدَرَةٌ... وَيُقَال: اسْتَتَرَ، وَأَسْتَتَرَ، وَتَسَتَّرَ... وَالسُّتْرُ: مَا سُتِرَ بِهِ، وَالْجَمْعُ أَسْتَار...»^(٢).

وبين أبو هلال العسكري (السُّتْر) حين فرَّق بينه وبين (الغطاء) بقوله: «إِنَّ السُّتْرَ مَا يَسْتُرُكَ عَن غَيْرِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُن مَلَاصِقًا لَكَ، مِثْلَ الْحَائِطِ وَالْجِبْلِ، وَالْغَطَاءُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَلَاصِقًا؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: تَسَتَّرْتُ بِالْحَيْطَانِ وَلَا تَقُولُ: تَغَطَّيْتُ بِالْحَيْطَانِ، وَإِنَّمَا تَغَطَّيْتُ بِالثِّيَابِ؛ لِأَنَّهَا مَلَاصِقَةٌ لَكَ، وَالْغِشَاءُ أَيْضًا لَا يَكُونُ إِلَّا مَلَاصِقًا»^(٣).

وجاء هذا الفعل «سَتَرَ» مرَّةً واحدةً في الخطبة مطابقتاً لدلالته اللُّغوية، قابل فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) بينه وبين الفعل «علم»، فالله - تبارك وتعالى - عالم بما كان، وما يكون قبل كونه، ولا تخفى عليه خافية في السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ؛ فهو المحيط بجميع الأشياء، باطنها وظاهرها، خفيها وجليها؛ ولذا يستر على عباده،

١. معجم مقاييس اللُّغة ٣/ ١٠٢.

٢. لسان العرب ٤/ ٣٤٣. وينظر: العين: ٢/ ٥٩، وجمهرة اللُّغة: ١/ ١٨٥، وتهذيب اللُّغة: ٤/ ٢٧٠، والصحاح في اللُّغة: ١/ ٣٠٢، والمحيط: ٢/ ٢٥٤، وتاج العروس: ١/ ٢٩٢١.

٣. الفروق اللُّغوية: ٢٣٨.

وهذا مصداق من مصاديق رحمة الله - عَزَّ وَجَلَّ - ؛ فالله - تبارك وتعالى - مع علمه بكل ما يصدر عن عباده من ذنوب ومعاصٍ، فهو يستر عليها، ويغطيها بمنه ورحمته، فهو السَّاتر والسَّتَّار، ويحبُّ السَّتر.

بَطْنٌ

الباطن خلاف الظاهر. جاء في العين: «البَطْنُ في كلِّ شيءٍ خلافُ الظَّهر، كبَطْنِ الأَرْضِ وظَهرها، وكالباطنِ والظَّاهر... وبِطَانَةِ الرَّجُلِ: وَلِيَجْتَهُ من القَوْمِ الذين يُدَاخِلُهُمْ وَيُدَاخِلُونَهُ في دُخْلِهِ أَمْرِهِمْ...»^(١). ويُقال: وأَفْرَشَنِي فلانٌ بطنٌ أَمْرِهِ وظهره، أي: سرّه وعلائيته^(٢)، وتَبَطَّنْتُ في الأمر، أي: دَخَلْتُ فيه حتَّى عَلِمْتُ باطنه^(٣).

ومن صفات الله - تبارك وتعالى - الباطن، قال الفراء: «الباطن على كلِّ شيءٍ علماً، فهو سبحانه وتعالى العالم الخبير، فيقال: بطنت الأمر، أي: خبرته»^(٤).

ووصف - عَزَّ وَجَلَّ - بالباطن؛ «لأنَّه نفى عن أنْ تدركه الخلائق بكيفيَّة، أو يحيط به أو هامهم، أو تبلغه صفاتهم، أو تدركه عقولهم، فلمَّا كان هكذا؛ ف قيل هو الباطن، ولامتناعه عن درك المخلوقين بذاته باطناً»^(٥).

١. العين: ١٠٣/٢.

٢. ينظر: الصحاح في اللغة: ٤٦/١.

٣. ينظر: المحيط في اللغة: ٣٢٥/٢. وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٠، ولسان العرب: ١٣/٢.

٤. معاني القرآن: ٤٩/٣ و ٥٠.

٥. الزينة في الكلمات الإسلامية: ٤٩/٢ و ٥٠.

وورد هذا الفعل «بَطَنَ» مرّةً واحدةً في الخطبة للدلالة على معناه اللُّغوي، أوردته أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى - وتعظيمه، بيان صفاته، وجاء فيها فعلاً ماضياً مجرداً مبنياً على الفتح، إذ قال (عليه السلام): «بطن فخير»، والفاعل ضمير مستتر، تقديره هو، عائد إلى الله - عزَّ وجلَّ - أي: أن الله - تعالى - عالم بكلِّ شيء، محيط به، لا يخفى عليه شيء؛ فهو المطلع على خفايا الأمور، ويعلم السِّرَّ وما يخفى. وجملة (بَطَنَ) معطوفة على جملة (فستر).

* * *

خَبَرَ

تدلّ مادة «خَبَرَ» في اللُّغة على العلم بالشَّيء. فالخبير العالم بالأمر: والخبير: المختبرُ المُجربُ، وخَبَرْتُهُ أَخْبَرْتُهُ: أي: علمته^(١). ويُقال: من أين خبرت هذا الأمر: أي: من أين علمت؟^(٢).

وقال الرَّاعِبُ: «الخَبْرُ: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخَبَرِ، وخَبَرْتُهُ خُبْرًا وخَبْرَةً... وقيل الخَبْرَةُ المعرفة ببواطن الأمر... وقوله تعالى: (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [آل عمران / ١٥٣]، أي: عالم بأخبار أفعالكم، وقيل أي: عالم ببواطن أموركم، وقيل: خبيرٌ بمعنى مُحْبِرٍ، كقوله: (فَيَسْبِغُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [المائدة / ١٠٥]، وقال تعالى: (وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ) [محمد / ٣١]، (قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) [التوبة / ٩٤]، أي: من أحوالكم التي نُخْبِرُ عنها»^(٣).

١. ينظر: العين: ٣٢١ / ١. وينظر: تهذيب اللغة: ٤٨٤ / ٢، والمحيط في اللغة: ٣٦١ / ١.

٢. ينظر: الصحاح في اللغة: ١ / ١٦١، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣٣٢ / ٢، والقاموس المحيط: ٤٨٨ / ٨.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٢٧٣.

وجاء في (لسان العرب): «الْحَبِيرُ: مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ... وَخَبَرْتُ الْأَمْرَ مِنْ بَابِ قَتَلَ كَمَا فِي الْقَامُوسِ وَالْمُصْبَاحِ، أَيُّ: عَلِمْتُهُ، وَخَبَرْتُ الْأَمْرَ أَخْبَرُهُ إِذَا عَرَفْتَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَسْتَلْ بِهِ خَبِيرًا) (١)، أَيُّ: اسْأَلْ عَنْهُ خَبِيرًا يُخْبِرُ» (٢).

وفرق أبو هلال العسكري بين (الخبر)، و(العلم) بقوله: «الفرق بين العلم والخبر: أَنَّ الْخَبَرَ هُوَ الْعِلْمُ بِكُنْهِ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا، فَفِيهِ مَعْنَى زَائِدٍ عَلَى الْعِلْمِ...» (٣).

وورد هذا الفعل «خَبَرَ» مرّةً واحدةً في الخطبة مطابقتاً لدلالته اللغوية، جاء فيها مقترناً بالفاء العاطفة، بعد الفعل «بَطَّنَ»، إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «بَطَّنَ فَخَبَرَ». وقد تقدّم أَنَّ الفاء العاطفة تفيّد السببية إن كان المعطوف جملةً (٤)، ف«بَطَّنَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله تبارك وتعالى، والفاء عاطفة، و«خَبَرَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والجملة الفعلية (خَبَرَ) معطوفة على الجملة الفعلية (بَطَّنَ). فالله - تبارك وتعالى - عالم بكلّ الأشياء ومحيط بها، ولا تخفى عليه خافية في السّماء ولا في الأرض؛ ولذا فهو عالمٌ بأخبار أعمال العباد.

١. الفرقان: ٥٩.

٢. لسان العرب ٤/ ٢٢٦.

٣. الفروق اللغوية ٢١١.

٤. ينظر: الفعل (عَدَلَّ) من الكتاب.

مَلِكٌ

تدلُّ مادَّة «مَلِكٌ» في اللُّغة على الشَّدِّ، والضَّبْطِ. جاء في (معجم مقاييس اللُّغة):
«الميم واللام والكاف أصلٌ صحيح يدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ وصحَّةٍ. يُقال: أَمَلَكَ
عَجِينَهُ: قوَّى عَجَنَهُ وشَدَّهُ. ومَلَكَتُ الشَّيءَ: قوَّيْتُهُ»^(١). «والمَلِكُ ضربان: مَلِكٌ هو
التملُّكُ والتَّوَلَّى، ومَلِكٌ هو القوَّةُ على ذلك، تَوَلَّى أو لم يتولَّ»^(٢)، والمَلِكُ ضَبْطُ
الشَّيءِ المُتَصَرَّفِ فيه بالحكم، والمَلَكَةُ: قوَّةُ في النَّفسِ والشَّدِّ^(٣).

والمالك اسم الله - تعالى - باعتبار انفراده في التَّصَرُّفِ في عالم الإمكان، مستولياً
على ما يشاء وكيف يريد، لا يُسألُ عمَّا يفعل، وهم يُسألون^(٤).

وقد استدللَّ الشَّيخ الطُّوسِيُّ على ملكيَّته بقوله: «وجوب الوجود يدلُّ على
كونه تعالى مَلِكاً؛ لأنَّه غنيٌّ عن الغير في ذاته وصفاته، وكلُّ شيءٍ مفتقرٌ إليه؛ لأنَّ
كلَّ ما عداه ممكنٌ إنَّما يوجد بسببه، وله ذات كلِّ شيءٍ؛ لأنَّه مملوكٌ مفتقرٌ إليه في
تحقيق ذاته فيكون مَلِكاً؛ لأنَّ الملك هو المستجمع لهذه الصِّفات الثلاث»^(٥).

و(المَلِكُ): الحاكم في النَّاسِ، ولا مَلِكَ على الإطلاق إلاَّ الله - تعالى - . وأمَّا
وَصْفٌ غيره بالمَلِكِ فهو بالإضافة إلى طائفةٍ معيَّنة من النَّاسِ^(٦). أي: يَخْتَصُّ

١. معجم مقاييس اللُّغة: ٥ / ٢٨١.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٧٧٤.

٣. ينظر: عمدة الحفاظ: ٤ / ١١٠.

٤. ينظر: شرح الأسماء الحسنی: ٩٤.

٥. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٣٢٥.

٦. ينظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ١٢٠.

سياسة الناطقين، ولهذا يُقال: مَلِكُ الناس، ولا يُقال: مَلِكُ الأشياء^(١).

وبهذا المعنى ورد الفعل «مَلَكَ» في الخطبة مرّتين، قابل أمير المؤمنين (عليه السلام) في المرّة الأولى بينه وبين فعل آخر، وهو «قَهَرَ»، - وسيأتي الكلام - إن شاء الله تعالى - بعد هذا الفعل على دلالة الفعل «قَهَرَ» - ومراده (عليه السلام): أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - هو المالك، والمتصرّف في عالم الإمكان، وهو المستولي على ما يشاء وكيف يشاء؛ فهو خالقه ومدبّرّه، إذ قال (عليه السلام): «مَلَكَ فقَهَرَ».

و«مَلَكَ» فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله تبارك وتعالى، وجملة (وملك) معطوفة على جملة (فخبر).

أمّا في المرّة الثّانية، فقد أوردّه أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام جزاء مَنْ رضي عنه الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وابتعد عن عذابه، وهو ثالث الأفعال الثّلاثة عشر التي ذكرها (عليه السلام) في هذا المقام، إذ قال (عليه السلام): «وَنَسَأَلُهُ عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ... فَمَنْ زُحِرِحَ عن تعذيب ربّه، سَكَنَ في جَنَّتِهِ بقربه وخُلِدَ في قصورٍ مُشِيدَةٍ، ومَلَكَ حُورَ عِينٍ وحَفْدَةً».

و«مَلَكَ» فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره (هو) عائد «مَنْ زُحِرِحَ» المتقدّم، و(حور) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف، و(عين) مضاف إليه مجرور علامة جرّه الكسرة الظّاهرة على آخره، و(وحفدة) الواو حرف عطف، و(حفدة) اسم معطوف على (حور) منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخره، وجملة (وملك حور عين وحفدة) معطوفة على جملة (وخُلِدَ في قصورٍ مُشِيدَةٍ).

١. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٧٧٤.

* * *

قَهَرَ

تدلُّ مادَّة «قَهَرَ» في اللُّغة على الغلبة، والعلوُّ. قال ابن فارس: «القاف والهاء والراء كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على غلبةٍ وعلوِّ. يُقال: قَهَرَهُ يَقْهَرُهُ قَهْرًا. والقاهر: الغالب. وأقْهَرَ الرَّجُلَ، إذا صَيَّرَ في حالٍ يذلُّ فيها. قال المخبَّل السَّعديّ:

تَمَّتْ حُصَيْنٌ أَنْ يَسُودَ جِدَاعُهُ فَأَمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أَدَلَّ وَأَقْهَرَ»^(١).

وقال الرَّاعِب: إنَّ «القَهْرُ: الغلبة والتَّذليل معاً، ويُستعملُ في كلِّ واحدٍ منهما. قال تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) [الأنعام / ١٨]...»^(٢).

وذكر الطَّبْرِيُّ أَنَّ معنى القهر من لدن البارئ - عَزَّ وَجَلَّ - هو «المدُّ المستعبد خلقه، العالِي عليهم. وإنَّما قال: (فوق عباده)؛ لأنَّه وصف نفسه - تعالى ذكره - بقهره إيَّاهم. ومن صفة كلِّ قاهر شيئاً أنَّ يكون مستعلياً عليه، فمعنى الكلام إذاً: والله الغالب عباده، المدُّ لهم، العالِي عليهم بتذليله لهم، وخلقهم إيَّاهم، فهو فوقهم بقهره إيَّاهم، وهم دونه»^(٣).

وقال ابن منظور: «والقَهَّار: من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ. قال الأزهرِيُّ: والله القاهر القَهَّار، قهر خلقه بسلطانه وقدرته، وصرَّفهم على ما أراد طوعاً وكرهاً، والقَهَّار للمبالغة... وقَهَرَهُ يَقْهَرُهُ قَهْرًا: غَلَبَهُ. وتقول: أَخَذْتُهُمْ قَهْرًا، أي: من غير

١. معجم مقاييس اللغة ٢/ ٨٣٦.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٨٧.

٣. جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٥/ ١٦١.

رضاهم»^(١).

والله - تبارك وتعالى - القاهر؛ الذي بادت عند سطوته قوى الخلائق أجمعين «والذي يقصم ظهور الجبابرة، فيقهرهم بالإذلال والإهانة والتكبات، والهلاك من القهر، وهو الغلبة وصرْفُ الشيء بما طبع عليه بالقسر»^(٢).

وفرَّق أبو هلال العسكري بين (القهر) و(القدرة) بقوله: «إنَّ القدرة تكون على صغير المقدور وكبيره، والقهر يدُلُّ على كبير المقدور؛ ولهذا يُقال: مَلِكٌ قاهرٌ؛ إذا أُريدَ المبالغة في مدحه بالقدرة، ولا يقال في هذا المعنى: مَلِكٌ قادرٌ؛ لأنَّ إطلاق قولنا: قادر لا يدُلُّ على عظيم المقدور كما يدُلُّ عليه إطلاق قولنا: قاهر»^(٣).

وفرَّق بين (القهر) و(الغلبة) بقوله: «إنَّ الغلْبَةَ تكون بِفضلِ القُدْرَةِ وبفضل العلم، يُقال: قَاتله، فغلْبَهُ، وصَارَعَهُ، فغلْبَهُ؛ وَذَلِكَ لفضلِ قدرته، وَتقول حَاجَّهُ، فغلْبَهُ، وَلَا عِبَهُ بالشَّطرنج، فغلْبَهُ، بِفضلِ علمه وفطنته، وَلَا يكون القَهْرُ إِلَّا بِفضلِ القُدْرَةِ؛ أَلَا ترى أَنَّكَ تقول ناواه، فقهره، وَلَا تقول: حَاجَّهُ، فقهره، وَلَا تقول: قهره بِفضلِ علمه»^(٤).

وورد هذا الفعل «قَهَرَ» مرَّةً واحدةً في الخطبة مطابِقاً لدلالته اللُّغوية، جاء فيها مقترناً بالفاء العاطفة، بعد الفعل «مَلِكٌ»، إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَلِكٌ قَهَرَ»، وقد تقدَّم أنَّ الفاء العاطفة تفيد السَّبَبِيَّةَ إنَّ كان المعطوف جملةً^(٥)،

١. لسان العرب ٥/ ١٢٠.

٢. أسماء الله الحسنى: ٤٣.

٣. الفروق اللغوية: ٣٨١.

٤. المصدر نفسه: ٣٨٩.

٥. ينظر: الفعل (عَدَل) من الكتاب.

ف«مَلَكٌ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - تبارك وتعالى -، والفاء عاطفة، و(قَهَرَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والجملة الفعلية (قَهَرَ) معطوفة على الجملة الفعلية (مَلَكٌ). فالله - تبارك وتعالى - قهر كلَّ شيء، فذلَّ الله طوعاً وكرهاً^(١)، وهو قادرٌ على إيصال الخيرات، ودفع الشرور والآفات^(٢)، فهو - عَزَّ وَجَلَّ - مالك كلِّ شيء، وهو الضَّارُّ والنَّافع، وهو القاهر الذي تخضع له الكائنات، وتذلُّ له الجبابرة، وتدين له الخلائق، وتتضاءل أمام عظمته وكبريائه المخلوقاتُ أجمع.

..... * * *

عُصِي

تدلُّ مادَّة «عصى» في اللُّغة على الخروج عن الطَّاعة. جاء في (العين): «العصا: جماعة الإسلام، فَمَنْ خالفهم، فقد شقَّ عصا المسلمين... وتقول: عَصَى يَعْصِي عَصِياناً وَمَعْصِيَةً. والعاصي: اسم الفصيل خاصَّة إذا عصى أُمَّة في اتِّباعها»^(٣).

وقال الجوهري: «العصيان: خلاف الطَّاعة، وقد عصاهُ يَعْصِيهِ عَصِياناً وَمَعْصِيَةً، فهو عاصٍ وَعَصِيٌّ»^(٤).

وقال الرَّاغِب: «وَعَصَى عَصِياناً: إذا خرج عن الطَّاعة، وأصله أن يتمنَّع بعصاهُ.

١. ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٢ / ١٣٠.

٢. ينظر: التفسير الكبير: ١٨ / ١٣٩، والكشاف: ٢ / ٣٢١.

٣. العين: ١ / ١٢٥.

٤. الصحاح في اللغة: ١ / ٤٧٥.

قال تعالى: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ) [طه / ١٢١]، (وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [النساء / ١٤]، (الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ) [يونس / ٩١]. ويقال فيمن فارق الجماعة: فلان شقَّ العَصَا»^(١).

وجاء في (المصباح المنير): «عَصَى العبد مولاه عَصِيًّا من باب رمى ومَعَصِيَّةً فهو عَاصٍ، وجمعه عَصَاةٌ، وهو عَصِيٌّ أَيضًا مبالغة... وَشَقَّ فُلَانٌ العَصَا يُصْرِبُ مثلًا لفارقة الجماعة ومخالفتهم...»^(٢).

وورد هذا الفعل «عصى» مرّةً واحدةً في الخطبة للدلالة على معناه اللُّغوي أوردته أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى - وتعظيمه؛ بيان صفاته، وجاء فيها مبنياً للمجهول، وقابل أمير المؤمنين (عليه السلام) بينه وبين فعل آخر، وهو «عَفَرَ» - وسيأتي الكلام على دلالة إن شاء الله تعالى - إذ قال (عليه السلام): «عَصِيٌّ فَعَفَرَ».

ف«عَصِيٌّ» فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وجملة (وعصي) معطوفة على جملة (فَعَفَرَ).

..... * * *

غَفَرَ، نَسْتَعْفِرُ

تدلُّ مادَّة «غَفَرَ» في اللُّغة على التَّغْطِيَةِ، والسَّتْرِ، يُقَالُ: غَفَرَهُ: سَتَرَهُ، وَغَفَرَ الْمَتَاعَ فِي الْوِعَاءِ يَغْفِرُهُ غَفْرًا، وَأَغْفَرَهُ: أَدْخَلَهُ وَسَتَرَهُ، كَذَلِكَ غَفَرَ الشَّيْبَ بِالْخِضَابِ: غَطَّاهُ، وَيُقَالُ: لَيْسَ فِيهِمْ غَفِيرَةٌ، أَي: لَا يَغْفِرُونَ ذَنْبًا، وَغَفِرَانَ الذُّنُوبِ إِنَّمَا يَكُونُ

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٧٠.

٢. المصباح المنير ٦/ ٢٠٠. وينظر: تهذيب اللغة: ١/ ٣٣٢، ومعجم مقاييس اللغة: ٤/ ٧١، والمحيط في اللغة: ١/ ١١١، والمحكم والمحيط الأعظم: ١/ ٣٩٨، ولسان العرب: ١٥/ ٦٣، وتاج العروس: ١/ ٨٥٠٠.

بسترها، وعدم فضح مقترفيها بالعقوبة عليها^(١).

وقال الرَّاعِبُ: «الْغَفْرُ: إلباس ما يصونه عن الدَّنَسِ، ومنه قيل: اغْفِرْ ثوبك في الوعاء، واصبغ ثوبك؛ فَإِنَّهُ اغْفَرُ للوسخ، والغُفْرَانُ والمُغْفِرَةُ من الله هو أَنْ يصون العبد من أَنْ يمسَّه العذاب. قال تعالى: (غُفْرَانِكَ رَبَّنَا) [البقرة / ٢٨٥]... وقد يُقال: غَفَرَ لَهُ إِذَا تَجَافَى عَنْهُ فِي الظَّاهِرِ، وَإِنْ لَمْ يَتَجَافَ عَنْهُ فِي البَاطِنِ، نحو: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» [الجاثية / ١٤]، والاستغْفَارُ: طلب ذلك بالمقال والفعال... وقيل: اغْفِرُوا هَذَا الأَمْرَ بِغُفْرَتِهِ، أَيُّ: استروه بما يجب أَنْ يَسْتَرَّ بِهِ»^(٢).

وقال ابن منظور: «الْغَفْرُ التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ... وَقَدْ غَفَرَهُ يَعْفِرُهُ عَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ... وَالْغَفْرُ وَالْمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْعَفْوُ عَنْهَا... وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ فِي ذَنْبِهِ وَلِذَنْبِهِ بِمَعْنَى،، فَعَفَرَ ذَنْبَهُ لَهُ مَغْفِرَةً وَعَفْرًا وَعُفْرَانًا»^(٣).

وجاء في (التعريفات): «والمغفرة: هي أَنْ يَسْتَرِ القَادِرُ القَبِيحَ الصَّادِرَ مِمَّنْ تَحْتَ قُدْرَتِهِ، حَتَّى إِنْ العَبْدَ إِذَا سَتَرَ عَيْبَ سَيِّدِهِ مَخَافَةَ عِتَابِهِ لَا يُقَالُ: غَفَرَ لَهُ»^(٤).

وورد هذا الفعل «غَفَرَ» مرَّتين في الخطبة، جاء في المرَّة الأولى مقترناً بالفاء العاطفة بعد الفعل «عُصِي»، إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عُصِي فَعَفَرَ». وقد تقدَّم أَنَّ الفاء العاطفة تفيده السَّبَبِيَّةُ إِنْ كَانَ المعطوف جملة^(٥)، ف«عُصِي» فعل

١. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧٧١ و ٧٧٢.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٠٩.

٣. لسان العرب ٥ / ٢٥.

٤. التعريفات: ١٢٣.

٥. ينظر: الفعل (عَدَل) من الكتاب.

ماضٍ مبنيٍّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - تبارك وتعالى -، و«غَفَرَ» فعل ماضٍ مبنيٍّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والجمله الفعلية (غَفَرَ) معطوفة على الجملة الفعلية (عُصِيَ).

فمراد أمير المؤمنين (عليه السلام) أَنَّ الله - تبارك وتعالى - مع خروج عباده عن طاعته - عَزَّ وَجَلَّ - فهو السَّاتر لذنوبهم، والمتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم^(١). يقول الطَّبْرِيُّ: «إِنَّ الغفران والمغفرة: السُّتر من الله على ذنوب مَنْ غفر له، وصفحه له عن هَتِكِ ستره بها في الدنيا والآخرة، وعفوه عن العقوبة عليه»^(٢).

فالله - سبحانه وتعالى - غفور لذنوب عباده، أي: «يسترها، ويتجاوز عنها؛ لأنَّه إذا سترها، فقد صفح عنها، وعفا... وهو متعلِّق بالمفعول؛ لأنَّه لا يقع السُّتر إلاَّ بمستور يُسْتَرُّ وَيُغَطَّى، وليست من أوصاف المبالغة في الذات، إنَّما هي من أوصاف المبالغة في الفعل»^(٣).

وقد ختم أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته المباركة - في المرَّة الثانية - بهذا الفعل، إذ قال (عليه السلام): «فَسْتَغْفِرُ رَبَّ كُلِّ مَرْبُوبٍ لِيْ وَلِكُمْ».

و«نستغفر» على زنة «استفعل»، ونصَّ العلماء على أَنَّ لِيْزِنَةَ «استفعل» معاني، منها الطَّلَب، وهو أشهرها^(٤)، فأمر المؤمنين (عليه السلام) يطلب المغفرة من الله - تبارك وتعالى -؛ فهو السَّاتر لذنوب عباده؛ بعفوه - عَزَّ وَجَلَّ -، والمتجاوز

١. ينظر: مطالب السؤل: ٧٦، ومصباح المتهجدين: ٣٤، وكفاية الطالب: ٥٦.

٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٥٢/٣.

٣. اشتقاق أسماء الله: ١٥١.

٤. ينظر: الفعل (نستعينه) في الكتاب.

عن خطاياهم وذنوبهم. و«نستغفر» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر، تقديره «نحن»، عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام).

عَبَدَ

تدلُّ مادَّة «عبد» في اللُّغة على الخُضوع، والتَّذلُّل. فالعبد: الإنسان حرّاً كان أو رقيقاً، ويُقال: عَبْدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً، ولا يُقال: إِلَّا لِمَنْ يَعْبُدُ اللهُ^(١).

وقال الجوهريّ: «العَبْدُ: المملوك، وجمعه: عبيد... وأمّا عَبْدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً فلا يُقال إِلَّا لِمَنْ يَعْبُدُ اللهُ. وتَعَبَّدَ تَعْبُدًا، أي: تفرَّدَ بالعبادة... واستعبدتُ فلاناً، أي: اتخذته عبداً. وتَعَبَّدَ فلانٌ فلاناً، أي: صيَّره كالعبد له، وإن كان حرّاً»^(٢).

وقال الرَّاعِب: «العُبُودِيَّةُ: إظهار التَّذلُّل، والعِبَادَةُ أبلغُ منها؛ لأنَّها غاية التَّذلُّل، ولا يستحقُّها إِلَّا مَنْ له غاية الإفضال، وهو اللهُ تعالى، ولهذا قال: (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) [الإسراء / ٢٣]... وجمع العَبْدِ الذي هو مُستَرَقٌّ: عبيد... وجمع العَبْدِ الَّذِي هو العَابِدُ عِبَادٌ، فالعبيدُ إذا أُضيف إلى اللهُ أعمُّ من العِبَادِ؛ ولهذا قال: (وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [ق / ٢٩]، فنبّه أنّهُ لا يظلم مَنْ يَخْتَصُّ بِعِبَادَتِهِ، وَمَنْ انتسب إلى غيره من الَّذِينَ تَسَمَّوا بِعَبْدِ الشَّمْسِ، وَعَبْدِ اللَّاتِ، ونحو ذلك»^(٣).

وقال ابن منظور: «العُبُودِيَّةُ الخُضُوعُ والتَّذَلُّلُ. والتَّعْبِيدُ التَّذَلُّلُ، يُقال: طرِيقُ

١. ينظر: العين: ١ / ٩٥.

٢. الصحاح في اللغة: ٢ / ٥٠٣.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٤٢.

مُعَبَّدٌ... والتَّعْبِيدُ الاستعباد، وهو أَنْ يَتَّخِذَهُ عَبْدًا، والعبادة الطَّاعَة، والتَّعْبُدُ: التَّنَسُّكُ»^(١).

وفَرَّقَ أَبُو هلال العسكري بين (العبادة) و(الطاعة) بقوله: «إِنَّ الْعِبَادَةَ غَايَةُ الْخُضُوعِ، وَلَا تَسْتَحِقُّ إِلَّا بَغَايَةَ الْإِنْعَامِ؛ وَهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا تَكُونُ الْعِبَادَةُ إِلَّا مَعَ الْمَعْرِفَةِ بِالْمَعْبُودِ، وَالطَّاعَةَ: الْفِعْلُ الْوَاقِعُ عَلَى حَسَبِ مَا أَرَادَهُ الْمُرِيدُ مَتَى كَانَ الْمُرِيدُ أَعْلَى رُتْبَةً مِمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَتَكُونُ لِلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْخَالِقِ»^(٢).

والمعبود اسمُ الله - تبارك وتعالى - «باعتبار كون تمام الموجودات مملوكاته بالاستحقاق لا بالاتِّفاق، فحقيقة العبادة انتباه النَّفْسِ، وتذكُّرها لهذا المعنى مع إدمان إعماله في مقام العمل أَنَا فَأَنَا؛ وَلِذَا حُصِّصَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَقَالَ: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)^(٣)»^(٤).

وتطابقت دلالة الفعل «عبد» في الخطبة مع دلالاته اللُّغوية؛ إذ جاء الفعل «عَبَدَ» مرَّةً واحدةً في الخطبة، في مقام تمجيد الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتعظيمه؛ ببيان صفاته - تبارك وتعالى -، وقابل فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) بينه وبين فعل آخر، وهو «شكر» - وسيأتي الكلام على دلالاته إن شاء الله تعالى -، فقال (عليه السلام): «عَبَدَ فَشَكَرَ»، و«عَبَدَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وجملة (عَبَدَ) معطوفة على

١. لسان العرب: ٣/ ٢٧١.

٢. الفروق اللغوية: ١٨٢.

٣. الإسراء: ٢٣.

٤. شرح الأسماء الحسنی: ٧٤.

جملة (فَغْفِرَ).

شُكْرٌ

تدلُّ مادَّة «شُكَّرَ» في اللُّغة على الثَّنَاءِ على الإِحْسَانِ^(١)، وذكر الفَرَّاءُ أَنَّ «العرب لا تكاد تقول: شكرتك، وإنَّما تقول: شكرت لك»^(٢)، قال تعالى: (وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)^(٣)، وهذه هي اللُّغة الفصيحة^(٤)، أمَّا شكرتك فهي لغة أقلِّ فصاحة^(٥).

وقال الرَّاغِبُ: «الشُّكْرُ: تصوُّر النُّعمَةِ وإظهارها، قيل: وهو مقلوب عن الكُشْرِ، أي: الكشف، ويُضادُّه الكُفْرُ، وهو: نسيان النُّعمَةِ وسترها»^(٦).

وفُرِّقَ بين (الحمد) و(الشكر)، فقليل: إنَّ الحمدَ أعمُّ من الشُّكرِ، والشُّكرُ يدخلُ تحته، ولا يدخلُ الحمدُ تحتَ الشُّكرِ، فقد يوضعُ الحمدُ موضعَ الشُّكرِ، فيُقال: حمدت الرَّجلَ على معروفه وإحسانه، ولا يوضعُ الشُّكرُ موضعَ الحمدِ، فيُقال: شكر الرَّجلَ على شجاعته. وروي عن ثعلب أنَّ الحمدَ يكونُ عن يدٍ وعن

١. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٢٠٧، ولسان العرب: ٧/ ١٠٧.

٢. معاني القرآن: ١/ ٩٢.

٣. البقرة: ١٥٢.

٤. ينظر: إصلاح المنطق: ١٩٤.

٥. ينظر: معاني القرآن (للفراء): ١/ ٩٢، وإصلاح المنطق: ١٩٤، والزاهر: ١/ ١٩٢.

٦. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٦١.

غير يد، والشُّكر لا يكون إلاّ عن يد^(١).

وجاء في (الكليات): «الشُّكر بالضمّ: عرفان الإحسان، ومن الله المجازاة، والثناء الجميل»^(٢).

والشُّكور من أسماء الله - تبارك وتعالى - ؛ لأنّه يرضى من عباده القليل من العبادة^(٣)، وهو الميثب عباده على أعمالهم^(٤)، المجازي على أقلّ القليل منها، ولا يضيع لديه - عزّ وجلّ - عملٌ عاملٌ منهم، فهو شاكر ذلك لهم، أي: مقابل له بالجزاء والثواب، فهو الَّذي يشكر اليسير من الطّاعة؛ فيثيب عليه الكثير من الثّواب، ويعطي الجزيل من النّعمة^(٥).

وهو - عزّ وجلّ - الشُّكور، المكرم، والمنعم لعباده على ما أبدوه من الأعمال المرضية له^(٦)، قال تعالى: (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)^(٧)، فوصفه - تبارك وتعالى - بأنّه شاكر مجاز، والمراد أنّّه يجازي على الطّاعة جزاء الشّاكرين على النّعمة^(٨)، وإنّما سمّي المجازاة على الطّاعة شكراً، لوجوه: الأوّل: أنّ اللفظ خرج مخرج التّلطّف للعبادة؛ مبالغةً في الإحسان إليهم.

١. ينظر: الفروق اللغوية: ٣٥، ودقائق العربية: ٤٣ و ٣٥.

٢. الكليات: ٢١٧.

٣. ينظر: الزينة في الكلمات الإسلامية: ١١٣/٢.

٤. ينظر: الزاهر: ١/١٩٢، وغريب القرآن: ١١٧، وتحفة الأريب: ١٥٠.

٥. ينظر: اشتقاق أسماء الله: ١٣٨.

٦. ينظر: شمس العلوم: ٢/٥٠٩، والأسماء والصفات: ٩١.

٧. فاطر: ٣٠.

٨. ينظر: الفروق اللغوية: ٣٥.

الثَّانِي: أَنَّ الشُّكْرَ لَمَّا كَانَ مُقَابِلًا لِلإِنْعَامِ أَوْ الْجِزَاءِ عَلَيْهِ؛ سَمِيَ كُلُّ مَا كَانَ جِزَاءَ شُكْرًا عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ.

الثَّالِثُ: كَأَنَّهُ - سَبِحَانَهُ - يَقُولُ: «أَنَا وَإِنْ كُنْتُ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِكَ، إِلَّا أَنِّي أَجْعَلُ لَهَا مِنَ الْمَوْقِعِ بَحِيثًا لَوْ صَحَّ أَنْ أَنْتَفِعَ بِهَا لَمَّا أَزْدَادَ وَقَعَهُ عَلَى مَا حَصَلَ»^(١).
وَشَكَرَ اللَّهُ بِأَحَدٍ مَعْنِيَيْنِ، إِمَّا بِالثَّوَابِ، وَإِمَّا بِالثَّنَاءِ^(٢).

وورد هذا الفعل «شَكَرَ» مرَّةً واحدةً في الخطبة مطابقاً لدلالته اللُّغوية، إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى - وتعظيمه^(٣): «عُبِدَ فَشَكَرَ». و«شَكَرَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وجملة (فَشَكَرَ) معطوفة على الجملة الفعلية (عُبِدَ).

..... * * *

حَكَمَ

تدلُّ مادَّةُ «حَكَمَ» في اللُّغة على المنع. جاء في (العين): «... الحكمة مرجعها إلى العدل، والعلم، والحلم. ويُقال: أَحَكَمْتُهُ التَّجَارِبَ، إِذَا كَانَ حَكِيمًا. وَأَحَكَمَ فَلَانٌ عَنِّي كَذَا، أَيُّ: مَنَعَهُ... وَاسْتَحَكَمَ الْأَمْرُ: وَثِقَ. وَاحْتَكَمَ فِي مَالِهِ: إِذَا جَازَ فِيهِ حُكْمُهُ... وَحَكَمْنَا فُلَانًا أَمَرْنَا: أَيُّ: يَحْكُمُ بَيْنَنَا... وَحَكَمَةُ اللَّجَامِ: مَا أَحَاطَ بِحَنَكِيهِ؛ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهُ مِنَ الْجُرْيِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَنَعْتَهُ مِنَ الْفَسَادِ فَقَدْ حَكَمْتُهُ

١. التفسير الكبير: ٤/١٦١ و١٦٢.

٢. ينظر: البحر المحيط: ١/٤٥٨، والتعريفات: ١١٢.

٣. ينظر: مطالب السؤول: ١٧٠، وكنز العمال: ٨/٢٢٢.

وَحَكْمَتُهُ وَأَحْكَمَتُهُ»^(١).

وقال الرَّاعِبُ: «حَكَمَ أَصْلُهُ: منع منعا لإصلاح، ومنه سُمِّيَتِ اللَّجَامُ: حَكَمَةَ الدَّابَّةِ، فْقِيلَ: حَكَمْتُهُ وَحَكَمْتُ الدَّابَّةَ: مَنَعْتُهَا بِالحِكْمَةِ، وَأَحْكَمْتُهَا: جَعَلْتُ لَهَا حَكَمَةَ... وَالحُكْمُ بِالشَّيْءِ: أَنْ تُقْضَى بِأَنَّهُ كَذَا، أَوْ لَيْسَ بِكَذَا، سِوَاءِ أَلْزَمْتَ ذَلِكَ غَيْرِهِ أَوْ لَمْ تَلْزَمْهُ... وَالحِكْمَةُ: إِصَابَةُ الحَقِّ بِالعِلْمِ وَالعَقْلِ، فَالحِكْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: مَعْرِفَةُ الأَشْيَاءِ، وَإِجَادُهَا عَلَى غَايَةِ الإِحْكَامِ، وَمِنَ الإِنْسَانِ: مَعْرِفَةُ المَوْجُودَاتِ، وَفِعْلُ الخَيْرَاتِ»^(٢).

وجاء في (لسان العرب): «... قِيلَ لِلْحَاكِمِ بَيْنَ النَّاسِ حَاكِمًا، لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الظَّالِمَ مِنَ الظُّلْمِ... وَقَدْ حَكَمَ عَلَيْهِ بِالأَمْرِ يُحْكِمُ حُكْمًا وَحُكُومَةً، وَحَكَمَ بَيْنَهُمْ كَذَلِكَ»^(٣).

وقال الجرجاني في معنى (الحكم) اصطلاحاً: «وَضَعُ الشَّيْءُ فِي مَوْضِعِهِ»^(٤).

ومن صفات الله - عَزَّ وَجَلَّ - الحَكَمَ، والحكيم، والحاكم، ومعاني هذه الأسماء متقاربة، وذكر ابن الأثير أَنَّ الحَكَمَ، والحكيم هما بمعنى الحاكم، وهو القاضي، فهو فَعِيلٌ بمعنى فَاعِلٍ، أَوْ هُوَ الَّذِي يُحْكِمُ الأَشْيَاءَ فَيُتَقَنُّهَا، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعَلٍ، فَاللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا شَرَّعَهُ فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ مِنَ الأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ الَّتِي يَتِمَثَّلُهَا النَّاسُ، فَ«الحاكم عند بعض الأصوليين

١. العين: ١/١٧٩.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٢٤٨ و ٢٤٩.

٣. لسان العرب: ١٢/١٤٠، وينظر: جمهرة اللغة: ١/٢٩٢، وتهذيب اللغة: ١/٤٧٥، والمحيط في اللغة: ١/١٧٥.

٤. التعريفات: ١٢٤.

والفهاء هو الله تعالى، والمحكوم عليه هو مَنْ وضع له الخطاب، أي: المخاطب بالفتح، والمحكوم به هو ما يتعلّق به الخطاب»^(١)، وبهذا المعنى ورد هذا الفعل «حَكَمَ» مرّةً واحدةً في الخطبة، قابل فيها أمير المؤمنين بينه وبين فعل آخر، وهو «عَدَلَ»، - وقد تقدّم الكلام على دلالته -، إذ قال (عليه السلام): «وَحَكَمَ فَعَدَلَ»، و«حَكَمَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره هو، عائذٌ إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - . وجملة (وحكم) معطوفةٌ على جملة (فشكر).

تَكَرَّمَ

الكرم ضدّ اللؤم، يُقال: كَرُمَ الرَّجُلُ يَكْرُمُ كَرَمًا، فهو كريمٌ^(٢).

وقال الأزهري: «الكَرِيمُ: من صفاتِ الله عَزَّ وَجَلَّ وأَسْمَاءُهُ، وَهُوَ الكَثِيرُ الخَيْرِ الجِوَادُ المنعمُ المفضّلُ... قَالَ الفَرَّاءُ: العَرَبُ تَجْعَلُ الكَرِيمَ تَابِعًا لِكُلِّ شَيْءٍ نَفَتْ عَنْهُ فِعْلًا تَنْوِي بِهِ الدَّمَ... والكريم: اسمٌ جامعٌ لِكُلِّ مَا يُحْمَدُ، فَاللهُ كَرِيمٌ، حميدٌ الفعّال...»^(٣).

وقال ابن فارس: «الكاف والراء والميم أصلٌ صحيح له بابان: أحدهما شَرَفٌ في الشّيءِ في نفسه، أو شرفٌ في خُلُقٍ من الأَخلاق، يقال رجلٌ كريمٌ، وفرسٌ كريمٌ، ونبات كريمٌ. وأكْرَمَ الرَّجُلُ، إذا أتى بأولادٍ كِرَامٍ... وكَرُمَ السَّحَابُ: أتى بالغيث،

١. كشاف اصطلاحات الفنون: ٧ / ١٤٤.

٢. ينظر: العين: ١ / ٤٤٣. وينظر: جمهرة اللغة: ١ / ٤٤٣، والصحاح في اللغة: ٢ / ٨٣، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣ / ١٧٧، ولسان العرب: ١٢ / ٥١٠، والمصباح المنير: ٨ / ٨١، والقاموس المحيط: ١ / ١٤٨٩، وتاج العروس: ١ / ٧٨٧٤.

٣. تهذيب اللغة: ٣ / ٣٧٤.

والكْرَم في الخُلُق يقال هو الصَّفح عن ذنبِ المذنب. والأصل الآخر الكَرَم، وهي القِلادة...»^(١).

وقال الرَّاغِب: «الكَرَم إذا وُصِفَ اللهُ تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، نحو قوله: (فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ) [النمل / ٤٠]، وإذا وُصِفَ به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يُقال: هو كريم حتى يظهر ذلك منه»^(٢).

وجاء في (التعريفات): «الكريم: مَنْ يوصل النَّفْعَ بلا عوض، فالكريم هو إفادة ما ينبغي لا لغرض؛ فَمَنْ يهب المال لعوض جلباً للنفع، أو خلاصاً عن الذَّمِّ، فليس بكريم»^(٣).

والكريم من صفات الله - تعالى - وأسمائه؛ فهو الذي لا ينفد عطاؤه وإحسانه، والكريم: الصَّفوح، والله - عزَّ وجلَّ - هو الكريم الصَّفوح عن ذنوب عباده المؤمنين^(٤).

وجاء هذا الفعل «تكرَّم» مرَّةً واحدةً في الخطبة، أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) لتمجيد الله - تبارك وتعالى - وتعظيمه، ببيان صفاته، إذ قال (عليه السلام): «وتكرَّم وتفضَّل». ومما تجدر الإشارة إليه - هنا - أمران، أحدهما: أنَّ الفعل ورد على زنة «فَعَّل»، وقد تقدَّم أنَّ زنة «فَعَّل» لها معانٍ متعدِّدة ذكرها

١. معجم مقاييس اللغة ٥ / ١٧١ و ١٧٢.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٧٠٧.

٣. التعريفات: ١٥٠ و ١٥١.

٤. ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٣٧٧، ومعجم مقاييس اللغة: ٥ / ١٧٢.

العلماء، وأشهرها المبالغة والتكثير^(١)، والآخر: أَنَّ الفعل «تَكَرَّمَ» ورد بلفظ الماضي، وتقدّم الكلام على ما في فعل الماضي من دلالة النَّفَازِ في الأمر، والفراغ منه. فمراد أمير المؤمنين (عليه السلام): أَنَّ كَرَّمَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - كثير، لا انقطاع له؛ فهو الَّذي لا ينفد عطاؤه وإحسانه، وكرمه - تبارك وتعالى - أمر نافذ، قديم، فهو (عليه السلام) يتحدث عن أمر حاصل نافذ قبل زمن التَّكَلُّمِ^(٢).

«وتَكَرَّمَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وجملة (وتَكَرَّمَ) معطوفة على جملة (فعدل).

تَفْضُلٌ

تدلُّ مادَّةُ «فضل» في اللُّغة على الزِّيَادَةِ. جاء في (العين): «... الفُضَالَةُ: ما فَضَّلَ من كلِّ شيءٍ. والفُضْلَةُ: البقيَّة من كلِّ شيءٍ... والفضيلة: الدرجة والرَّفْعَةُ في الفضل. والتَفْضُلُ: التَطَوُّلُ على غيرك، وقال اللهُ - جَلَّ وَعَزَّ -: (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ)^(٣) معناه: يريد أن يكون له الفضلُ عليكم في القَدْرِ والمنزلة»^(٤).

وقال ابن فارس «الفاء والضاد واللام أصلٌ صحيح، يدلُّ على زيادةٍ في شيء. من ذلك الفضل: الزِّيَادَةُ والخير... ويُقال: فَضَّلَ الشَّيْءُ يُفْضَلُ، ورُبَّمَا قالوا:

١. ينظر: الفعل (بلغ) من الكتاب.

٢. ينظر: مصباح التهجديين: ٣٤، ومنهاج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٢ / ٨٤.

٣. المؤمنون: ٢٤.

٤. العين: ٢ / ٢٣.

فَضِلَ يَفْضُلُ، وهي نادرة»^(١).

وقال الرَّاعِبُ: «الفَضْلُ: الزيادة عن الاقتصاد، وذلك ضربان: محمود: كفضل العلم والحلم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه. والفَضْلُ في المحمود أكثر استعمالاً، والفُضُولُ في المذموم...»^(٢).

وجاء في (المحيط في اللغة): «... فَضَّلَ يَفْضُلُ ورجلٌ مِفْضَالٌ: كثير الخير، ويُقال: فَضِّلَ يَفْضُلُ - كقولك: حَسِبَ يَحْسِبُ - نادرًا»^(٣).

وفرَّقَ أبو هلال العسكري بين (الفَضْل) و(الطَّوْل) بقوله: «إِنَّ الطَّوْلَ هُوَ مَا يَسْتَطِيلُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى مَنْ يَقْصِدُهُ بِهِ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الْمَتْبُوعِ إِلَى التَّابِعِ، وَلَا يُقَالُ: بِفَضْلِ التَّابِعِ عَلَى الْمَتْبُوعِ طَوْلًا، وَيُقَالُ: طَالَ عَلَيْهِ، وَطَوَّلَ، وَطَلَّ عَلَيْهِ: إِذَا سَأَلَهُ ذَلِكَ... قَالَ تَعَالَى: (أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ)^(٤)، أَي: مَنْ مَعَهُ فَضْلٌ يَسْتَطِيلُ بِهِ عَلَى عَشِيرَتِهِ»^(٥).

وجاء هذا الفعل «تَفَضَّلَ» مرَّةً واحدةً في الخطبة مطابقتاً لدلالته اللغوية، أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) لتمجيد الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتعظيمه، ببيان صفاته، إذ قال (عليه السلام): «وتكْرَمَ وتَفَضَّلَ». وما أشرت إليه في الفعل «تَكْرَمَ» يصدق على هذا الفعل؛ إذ ورد الفعل «تَفَضَّلَ» على زنة «فَعَّلَ»، التي ذكر العلماء أن أشهر

١. معجم مقاييس اللغة ٤/٤٥٠.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٣٩.

٣. المحيط في اللغة: ١٩/٢. وينظر: جمهرة اللغة: ٨/٢، وتهذيب اللغة: ٤/١٥٩، ولسان العرب: ١١/٥٢٤، والمصباح المنير: ٧/٢١٦، وتاج العروس: ١/٧٤٠٧.

٤. التوبة: ٨٦.

٥. الفروق اللغوية: ٥٤.

معانيها التّكثير، والمبالغة^(١)، وهو بلفظ الماضي الدّالّ على التّفادى في الأمر^(٢).
و«تفضّل» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو)
عائد إلى الله - تبارك وتعالى -، وجملة (وتفضّل) معطوفة على جملة (وتكرّم).

يَزَلُّ

تدلُّ مادّة «زال - يزال» في اللّغة على دوام الشّيء وملازمته. قال الأزهريّ:
«ويقال: زَالَ الشّيءُ: إذا تركَ عَنْ مَكَانِهِ وَلَمْ يَبْرَحْهُ؛ وَمِنْهُ قِيلَ: لَيْلٌ زَائِلُ النُّجُومِ،
إِذَا وَصَفَ بِالطُّوْلِ؛ أَي: تَلَوَّحَ نَجُومُهُ وَلَا تَغِيْبُ... وَيُقَالُ: مَا زَالَ يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا،
وَلَا يَزَالُ يَفْعَلُ كَذَا، كَقَوْلِكَ: مَا بَرِحَ وَمَا فَتَيْ وَمَا انْفَكَّ، وَمُضَارِعُهُ لَا يَزَالُ، وَلَا
يُتَكَلَّمُ بِهِ إِلَّا بِحَرْفِ نَفْيٍ»^(٣).

وقال الرّاعب: «وقولهم: مَا زَالَ، وَلَا يَزَالُ خُصًّا بِالْعِبَارَةِ، وَأَجْرِيًّا مَجْرَى (كَانَ)
فِي رَفْعِ الْأَسْمِ وَنَصْبِ الْخَبَرِ... وَمَعْنَاهُ مَعْنَى مَا بَرِحْتُ، وَعَلَى ذَلِكَ: (وَلَا يَزَالُونَ
مُخْتَلِفِينَ) [هود / ١١٨]، وقوله: (لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ) [التوبة / ١١٠]»^(٤).

وجاء في (المحيط في اللّغة): «وقولهم: مَا زَالَ فَلَانٌ يَفْعَلُ كَذَا، وَلَمْ يَزَلْ: يُرَادُ بِهِ
دَوَامٌ ذَلِكَ. وَزَالَ الشّيءُ: تَحَرَّكَ عَنْ مَكَانِهِ، وَلَمْ يَبْرَحْ»^(٥).

١. ينظر: الفعل (بلغ) من الكتاب.

٢. ينظر: الفعل (حمدت) من الكتاب.

٣. تهذيب اللغة: ٤ / ٣٧٧.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٣٨٨.

٥. المحيط في اللغة: ٢ / ٣٠٥.

وقال الفيومي: «(مَا زَالَ) يفعل كذا و (لا أزال) أفعله لا يُتكلَّمُ به إلا بحرف النَّفْيِ، والمراد به ملازمة الشَّيءِ و الحال الدَّائمة، مثل ما بَرِحَ وزناً ومعنى...»^(١).

وفرق أبو هلال العسكري بين قولنا: (لم ينفك)، و(لم يبرح)، و(لم يزل) بقوله: «إِنْ قَوْلُنَا لَمْ يَنْفَكْ يَقْتَضِي غَيْرَ لَمْ يَنْفَكْ، وَهُوَ يَسْتَعْمَلُ فِي مَا كَانَ الْمُوصُوفُ بِهِ لِأَزْمَا لَشَيْءٍ أَوْ مُقَارِنًا لَهُ، أَوْ مَشْبَهًا بِذَلِكَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَلَمْ يَبْرَحْ يَقْتَضِي مَكَانًا لَمْ يَبْرَحْ مِنْهُ، وَكَيْسَ كَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ»^(٢).

وجاء هذا الفعل «زال - يزال» مرّةً واحدةً في الخطبة مطابقاً لدالته اللغوية، أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) لتمجيد الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتعظيمه، ببيان صفة من صفاته، وهي القِدَمُ والدَّوام؛ إذ قال (عليه السلام): «لَمْ يَزَلْ، وَلَنْ يَزُولَ، وَكَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ». ومراد أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَدِيمٌ، دَائِمٌ لَا يَزَالُ مَوْجُودًا»^(٣).

و«زال - يزال» من أخوات «كان»، يُشترط في عملها أَنْ تُسبِقَ بنفي لفظاً أو تقديرًا، أو شبه نفي، ولا تستعمل إلا ناقصة^(٤)، و«لم يزل» لم: حرف نفي، وجزم، وقلب، و«يزل» فعل مضارع ناقص مجزوم، وعلامة جزمه السكون، وحذفت الألف قبل اللام الساكنة، للتخلُّص من التقاء الساكنين، وأصله: «لم يزال»، ثمَّ حذفت الألف فصار: «لم يزل»^(٥)، واسم «زال» محذوف تقديره «هو»، عائداً إلى الله

١. المصباح المنير ٤/ ١٣١. وينظر: لسان العرب: ١١/ ٣١٣.

٢. الفروق اللغوية: ١٨١.

٣. ينظر: مطالب السؤول: ١٧٦، ومصباح المتهجدين: ٣٣، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٨٢ / ٢.

٤. ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٢٦٣ و ٢٧٩.

٥. ينظر: شرح المفصل: ٩/ ١٢٣، وظاهرة الجزم في اللغة العربية (رسالة ماجستير): ٢٧٦ و ٢٧٧.

- تبارك وتعالى -، والخبر محذوف - أيضاً -، وتقديره «كائناً»، أو «موجوداً».

.....* * *

يَزُولُ

تدلُّ مادَّة «زال - يزول» في اللُّغة على الذَّهاب، والاستحالة، والاضمحلال. جاء في (العين): «الزَّوال: ذهاب الملك. وزوال الشَّمس كذلك زالت الشَّمس زوالاً»^(١).

وقال ابن فارس: «الزَّاء والواو واللام أصلٌ واحد يدلُّ على تنحِّي الشَّيء عن مكانه... وزال الشَّيء زَوَالاً، وزالت الشَّمس عن كبد السَّماء تَزُولُ، ويُقال: أزلته عن المكان وزوَّلتُه عنه»^(٢).

وقال الرَّاعِب: «زَالَ الشَّيء يَزُولُ زَوَالاً: فَارَقَ طَرِيقَتَهُ جانحاً عنه، وقيل: أزلته، وزوَّلتُه، قال: (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) [فاطر / ٤١]... والزَّوالُ يقال في شيء قد كان ثابتاً قبل...»^(٣).

وورد هذا الفعل «زال - يزول» مرَّةً واحدةً في الخطبة للدلالة على معناه اللُّغوي، أوردته أمير المؤمنين (عليه السلام) تأكيداً للفعل الذي قبله، وهو قوله: «لم يزل»؛ إذ قال (عليه السلام): «لَمْ يَزَلْ، وَلَنْ يَزُولَ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ». فالله - عَزَّ وَجَلَّ - قديمٌ، دائمٌ، لم يزل موجوداً، مؤكداً هذه الصِّفة

وظاهرة التخفيف في العربية (دراسة صرفية / صوتية) (رسالة ماجستير): ١٥٦.

١. العين: ٩١ / ٢.

٢. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٨ / ٣.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٣٨٧.

من صفات الله - تبارك وتعالى - بقوله: «لن يزول» هذا الوجود، ومعلوم أنّ «لن» أداة نفي تفيد التأييد^(١)، فالله - عزَّ وجلَّ - باقٍ، ودائمٌ، ولا يزول أبداً. و«لن» أداة نفي ونصب، و«يزول» فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» عائدٌ إلى الله - تبارك وتعالى - . وجملة (ولن يزول) معطوفة على جملة (لم يزل).

يُدْرِكُهُ

تدُلُّ مادَّة «دَرَكَ» في اللُّغة على البلوغ، واللِّحاق، والإحاطة، والوصول إلى الشَّيْء. جاء في (العين): «الدَّرَكُ: إدراكُ الحاجة والطلبِة... والدَّرَكُ: أسفل قعر الشَّيْء... والدَّرَكُ: اللِّحق من التَّبعة، والدَّرَكُ: اتِّباع الشَّيْء بعضه على بعض في كلِّ شيء، يطعنه طعناً دركاً متداركاً، أي: تباعاً واحداً إثر واحد، وكذلك في جري الفرس، ولحاقه الوحش. قال الله تعالى: (حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً)^(٢)، أي: تداركوا، أدرك آخرهم أوَّلهم فاجتمعوا فيها»^(٣).

وقال ابن دريد: «أدركتُ الرَّجَلَ إدراكاً، إذا لحقتَه فَهُوَ مُدْرِكٌ... والدَّرَكُ أيضاً: قَعْر البِئْرِ. وقعر كلِّ شيءٍ دَرَكَه... وَرَجُلٌ دَرَكَ الطَّرِيدَةَ، إِذَا كَانَ لَا تَفْوْتَهُ طَرِيدَةٌ... وَأَدْرَكَ الغَلامُ والجاريةُ، إِذَا بلغَا، إدراكاً»^(٤).

١. ينظر: شرح المفصل: ١٦/٧ و١٧، ومغني اللبيب: ٢٢١/١، والفعل المضارع دلالتة وعلته إعرابه وبنائه (رسالة ماجستير): ١٩٥.

٢. الأعراف: ٣٨.

٣. العين ١/٣٤.

٤. جمهرة اللغة: ١/٣٣٧.

وقال الأزهرى: «الدَّرَك: أسفل كلِّ شيءٍ ذي عمق كالرَّكِيَّة وغيرها...»^(١).

وقال الجوهري: «الإدراك: اللُّحوق، يُقال: مشيتُ حتَّى أدركته... وأدركته ببصري، أي: رأيته»^(٢).

وقال الرَّاعِب: «وَأَدْرَكَ: بلغ أقصى الشَّيء، وأَدْرَكَ الصَّبِيُّ: بلغ غاية الصَّبَا، وذلك حين البلوغ، قال: (حتَّى إذا أدْرَكَهُ العُرْقُ) [يونس / ٩٠]، وقوله: (لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ) [الأنعام / ١٠٣]، فمنهم من حمل ذلك على البصر الَّذي هو الجارحة، ومنهم من حمّله على البصيرة»^(٣). وجاء في مناجاة الإمام زين العابدين (عليه السلام) المعروفة بـ«مناجاة العارفين»: «إلهي قَصُرَتِ الألسُنُ عن بُلوغِ ثنائِكَ كما يليقُ بجلالِكَ، وعَجَزَتِ العقولُ عن إدراكِ كُنْهِ جَمالِكَ، وانحسرتِ الأبْصارُ دُونَ النَّظَرِ إلى سُبْحاتِ وجهِكَ»^(٤).

وتطابقت دلالة الفعل «يُدْرِكُهُ» في الخطبة مع دلالاته اللُّغوية؛ إذ جاء الفعل «يُدْرِكُهُ» مرّةً واحدةً في الخطبة، إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رَبُّ مُتَفَرِّدٌ بِعِزَّتِهِ، مُتَمَلِّكٌ بِقُوَّتِهِ، مُتَقَدِّسٌ بِعُلُوِّهِ، مُتَكَبِّرٌ بِسُمُوِّهِ، لَيْسَ يُدْرِكُهُ بَصَرٌ». وما زال كلامُ أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام بيان عظمة الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتمجيده، فهو - تبارك وتعالى - ليس بشيء من الأشياء، ولا بمثلها، بل هو موجودٌ كُلُّ مَنْ يريدُ إدراكه ببصره، وأنَّى لمخلوق أن يُدْرِكَ خالقه؟! وقد ضلَّت العقول عن كنه

١. تهذيب اللغة: ٣/ ٣٤١.

٢. الصحاح في اللغة: ١/ ٢٠٣.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٣١٢. وينظر: لسان العرب: ١٠/ ٤١٩، وتاج العروس: ١/ ٦٦٨٨.

٤. مفاتيح الجنان: ١٢٧.

معرفة. قال - تعالى - : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)^(١).

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «ليس يدركه بَصْرٌ» فيه تضمين لقوله الله - عزَّ وجلَّ - : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ).

و«يدركه» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، عائد إلى الله - عزَّ وجلَّ -، و«بَصْرٌ» فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

يُحِطُّ

يُقَالُ: حَاطَهُ يُحِطُّهُ حَوْطًا، وَحَيْطَةً، وَحِيَاطَةً: حَفِظَهُ، وَتَعَهَّدَهُ وَأَحْرَزَهُ^(٢).

وقال ابن فارس: «الْحَاءُ وَالْوَاوُ وَالطَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ الشَّيْءُ يُطِيفُ بِالشَّيْءِ. فَالْحَوْطُ مِنْ حَاطَهُ حَوْطًا»^(٣). وَأَحَاطَتِ الخَيْلُ بِفُلَانٍ وَأَحْتَاطَتْ بِهِ، أَي: أَحَدَقَتْ بِهِ^(٤).

وقال الرَّاعِبُ: «والإحاطة تقال على وجهين: أحدهما: في الأجسام نحو: أَحَطْتُ بِمكان كذا... والثاني: في العلم نحو قوله: (أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [الطلاق / ١٢]، وقوله عزَّ وجلَّ: (إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [آل عمران / ١٢٠] ... والإحاطة بالشَّيْءِ عِلْمًا هِيَ أَنْ تَعْلَمَ وَجُودَهُ وَجِنْسَهُ وَقَدْرَهُ وَكَيْفِيَّتَهُ، وَغَرَضُهُ

١. الأنعام: ١٠٣.

٢. ينظر: الاشتقاق: ١/ ١٩٨، ولسان العرب: ٩/ ١٥٠.

٣. معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٢٠.

٤. ينظر: الصحاح ٣/ ١١٢، ولسان العرب: ٩/ ١٤٩.

المقصود به وبإيجاده، وما يكون به ومنه، وذلك ليس إلا الله تعالى، وقال عَزَّ وَجَلَّ: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) [يونس: ٣٩]، فنفى ذلك عنهم^(١). وأحاط به، أي: علمه من جميع وجوهه، ولم يفته شيء منه^(٢).

وفرق أبو هلال العسكري بين (الإحاطة بالشيء) و(العلم به) بقوله: «الفرق بين العالم بالشيء والمحيط به أن أصل المحيط المطيف بالشيء من حوله بما هو كالسور الدائر عليه يمنع أن يخرج عنه ما هو منه، ويدخل فيه ما ليس فيه، ويكون من قبيل العلم وقيل القدرة مجازاً»^(٣).

وعرف الجرجاني (الإحاطة) بأنها: «إدراك الشيء بكامله ظاهراً وباطناً»^(٤).

وبهذا المعنى جاء هذا الفعل «يُحِطُ» في الخطبة مرة واحدة، أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام بيان عظمة الله - تبارك وتعالى - وتمجيده؛ إذ قال (عليه السلام): «ولم يُحِطْ به نظرٌ». ومراده (عليه السلام): أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - ربُّ مُتَفَرِّدٍ بعزته، مُتَمَلِّكٌ بقوته، مُتَقَدِّسٌ بعلوه، مُتَكَبِّرٌ بسموه؛ بدلالة «ليس يُدرُكه بصرٌ، ولم يُحِطْ به نظرٌ»؛ ولهذا فهو - تعالى - قويٌّ منيعٌ، بصيرٌ سميعٌ، حلِيمٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ، وأنسى المخلوق أن يعلم وجود خالقه - عَزَّ وَجَلَّ -، وجنسه، وقدره، وكيفيته، تعالى عما يصفون علواً كبيراً.

و«المحيط» صفة من صفات الله - تبارك وتعالى - . قال: (الله الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٢٦٥.

٢. ينظر: أساس البلاغة: ٩٩، ولسان العرب: ٩/ ١٥٠.

٣. الفروق اللغوية: ٧٥.

٤. التعريفات: ٣٢.

قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا^(١)، أَي: أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلِّيَّاتِ وَالْجَزَائِيَّاتِ، لَا يَعَزِبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ، عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَقَادِرٌ عَلَى الْإِنْشَاءِ بَعْدَ الْإِفْنَاءِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْمَحِيطِ بِالْأَكْوَانِ، الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُخْرِجُ عَنْ سَيِّطَرَتِهِ شَيْءٌ^(٢).

و«لَمْ يُحِطْ» لَمْ: حَرْفُ نَفْيٍ، وَجَزْمٌ، وَقَلْبٌ، وَ«يُحِطُ» فَعْلٌ مُضَارِعٌ مُجْزُومٌ، وَعَلَامَةٌ جَزَمَهُ السُّكُونُ، وَحُذِفَتِ الْبَاءُ قَبْلَ الطَّاءِ السَّاكِنَةِ؛ لِتَخَلُّصِ مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ، وَأَصْلُهُ: «لَمْ يُحِيطْ»، ثُمَّ حُذِفَتِ الْبَاءُ فَصَارَ: «لَمْ يُحِطْ»^(٣)، وَ«بِهِ» الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ، وَالْهَاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ مَبْنِيٌّ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِحَرْفِ الْجَرِّ، وَ«نَظَرٌ» فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ، وَعَلَامَةٌ رَفَعَهُ الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ عَلَى آخِرِهِ. وَجَمَلَةٌ (وَلَمْ يَحِطْ بِهِ نَظَرَ) مَعْطُوفَةٌ عَلَى جَمَلَةٍ (لَيْسَ يَدْرِكُهُ بَصْرًا).

عَجَزَ

تَدُلُّ مَادَّةُ «عَجَزَ» فِي اللُّغَةِ عَلَى الضَّعْفِ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الْقُوَّةِ. يُقَالُ: عَجَزَ يَعِجِزُ فَهُوَ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ، وَأَعَجَزَنِي فُلَانٌ إِذَا عَجَزْتُ عَنْ طَلْبِهِ وَإِدْرَاكِهِ^(٤). وَالْعَجْزُ خِلَافُ الْحِزْمِ، وَفُلَانٌ عَاجِزٌ فُلَانًا، إِذَا ذَهَبَ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْوَصُولَ إِلَيْهِ^(٥).

١. الطلاق: ١٢.

٢. ينظر: التفسير الكبير: ٤٠/٣٠. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦/١٨، والميزان في تفسير القرآن: ٥٦/١٦.

٣. ينظر: الفعل (زال - يزال) من الكتاب.

٤. ينظر: العين: ٤٨/١.

٥. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٢٣٢.

وقال الرَّاعِبُ: «... وَالْعَجْزُ أَصْلُهُ التَّأَخُّرُ عَنِ الشَّيْءِ، وَحَصُولُهُ عِنْدَ عَجْزِ الْأَمْرِ، أَيْ: مُؤَخَّرِهِ... وَصَارَ فِي التَّعَارُفِ اسْمًا لِلْقُصُورِ عَنِ فِعْلِ الشَّيْءِ، وَهُوَ ضِدُّ الْقُدْرَةِ»^(١).

وجاء هذا الفعل «عجز» في الخطبة مرّةً واحدةً للدلالة على معناه اللُّغوي، وأورده أميرُ المؤمنين (عليه السلام) في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى -، بإضافة العجز إلى كُلِّ مَنْ يُرِيدُ بَيَانَ هَيْئَتِهِ، وجاء فيها فعلاً ماضياً مجرداً، مبنياً على الفتح، إذ قال (عليه السلام): «عَجَزَ فِي وَصْفِهِ مَنْ يَصِفُهُ»، و«في وصفه» جارٌّ ومجرور، والجارُّ والمجرور متعلّقان بالفعل (عجز)، و«من» اسم موصول مبنيٌّ في محلِّ رفع فاعل للفعل «عَجَزَ».

* * *

يَصِفُهُ

الوصف: وصفك الشيء بحليته ونعته. وقال ابن فارس: «الواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشيء. ووَصَفْتُهُ أَصْفُهُ وَصْفًا. والصفة: الأمانة اللازمة للشيء... يُقَالُ: اتَّصَفَ الشَّيْءُ فِي عَيْنِ النَّاطِرِ: احْتَمَلَ أَنْ يَوْصَفَ»^(٢). ووَصَفْتُهُ وَصْفًا مِنْ بَابِ وَعَدَ نَعْتُهُ بِمَا فِيهِ، وَيُقَالُ هُوَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَصَفَ الثَّوْبُ الْجِسْمَ، إِذَا أَظْهَرَ وَبَيَّنَّ هَيْئَتَهُ، وَيُقَالُ الصِّفَةُ إِنَّمَا هِيَ بِالْحَالِ الْمُنْتَقِلَةِ، وَالنَّعْتُ بِمَا كَانَ فِي خَلْقٍ أَوْ خُلِقَ مِثْلَ الْعِدَّةِ مِنَ الْوَعْدِ، وَالْجَمْعُ صِفَاتٌ»^(٣).

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٤٧. وينظر: تهذيب اللغة: ١/١٠٠، والصحاح في اللغة: ١/٤٤٧، والمحيط في اللغة: ١/٣٤، ولسان العرب: ٥/٣٦٩، والمصباح المنير: ٦/٤٨، وتاج العروس: ١/٣٧٤٨.

٢. ينظر: العين: ٢/٥٤، والمحيط في اللغة: ٢/٢٣٥، والصحاح في اللغة: ٢/٢٨١.

٣. ينظر: المصباح المنير: ١/٣٦٤. وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٧٣، والعياب الزاخر: ٢/٣٢.

وورد هذا الفعل «يَصْفُهُ» في الخطبة مرّةً واحدةً موافقاً لدلالته اللغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى -، بإضافة العجز إلى كلِّ مَنْ يُريد بيان هيئته: «عَجَزَ فِي وَصْفِهِ مَنْ يَصْفُهُ».

و«يَصْفُهُ» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ في محلِّ نصب مفعول به، عائد إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى «مَنْ»، و«يَصْفُهُ» جملة صلة الموصول، لا محلَّ لها من الإعراب.

ضَلَّ

تدلُّ مادّة «ضَلَّ» في اللّغة على الضّياع، وعدم الهداية، والجواز عن القصد، والهلاك، والخفاء، والغياب، والعدول عن القصد. جاء في (العين): «ضَلَّ يَضِلُّ إذا ضاع، يُقال: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضَلُّ. وَمَنْ قال: يَضِلُّ، قال في الأمر: اضِلِّ، وَمَنْ قال: يَضِلُّ، قال في الأمر: اضِلِّ. وتقول: ضَلَلْتُ مكاني إذا لم تهتد له: وضلَّ إذا جازَ عن القصد. وأضَلَّ بعيره إذا أفلتَ فذهبَ. ويقال من ضَلَلْتُ: أضلُّ، ومن ضَلَلْتُ أضلُّ... ورجلٌ مُضِلٌّ، أي: لا يوفِّق لخير، صاحبٌ غَوَاياتٍ وبَطالاتٍ. وفلان صاحبٌ أضاليلٍ، الواحدة أضلولةٌ، قال: قد تَمَادَى في أضاليلِ الهوى... والضَّليلُّ على بناء سَكِّير: الذي لا يُقْلَعُ عن الضَّلالة... والضَّالَّةُ من الإبل: ما يَبْقَى بمَضِيعَةٍ لا يُعْرَفُ رَهْبًا»^(١).

ولسان العرب: ٣٥٦/٥، وتاج العروس ١/٦١٦١.

١. العين: ١٦/٢.

وجاء في (الجمهرة): «وَالضَّلَالُ ضِدُّ الْهُدَى. وَضَلَّ فِي الْأَمْرِ ضَلَالًا إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَهُ. وَضَلَّ فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لِلسَّبِيلِ... وَذَهَبَ فُلَانٌ ضَلَّةً إِذَا لَمْ يُدْرَأَ أَيْنَ ذَهَبَ... وَضَلَّ الشَّيْءُ إِذَا خَفِيَ وَغَاب... وَضَلَّتْ الشَّيْءُ: أَنْسِيَتْهُ»^(١).

وقال ابن فارس: «الضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ ضِيَاعُ الشَّيْءِ وَذَهَابُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ... وَكُلُّ حَائِرٍ عَنِ الْقَصْدِ ضَالٌّ»^(٢).

وقال الجوهري: «ضَلَّ الشَّيْءُ ضَلَالًا، أَيُّ: ضَاعَ، وَهَلَكَ... وَالضَّلَالَةُ ضِدُّ الرَّشَادِ»^(٣).

وقال الرَّاعِبُ: «الضَّلَالُ: الْعِدْوُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيُضَادُّهُ الْهُدَايَةُ، قَالَ تَعَالَى: (فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) [الإسراء/ ١٥]، وَيُقَالُ الضَّلَالُ لِكُلِّ عِدْوٍ عَنِ الْمَنْهَجِ، عَمْدًا كَانَ أَوْ سَهْوًا، يَسِيرًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا... وَالضَّلَالُ... ضَرْبَانُ: ضَلَّالٌ فِي الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ، كَالضَّلَالِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَعْرِفَةِ النَّبُوَّةِ، وَنَحْوَهُمَا الْمَشَارِ إِلَيْهِمَا بِقَوْلِهِ: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء/ ١٣٦]. وَضَلَّالٌ فِي الْعُلُومِ الْعَمَلِيَّةِ، كَمَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْعِبَادَاتُ»^(٤).

وجاء في (المحيط في اللغة): «ضَلَّ الشَّيْءُ يَضِلُّ ضَلَالًا: إِذَا ضَاعَ. وَإِذَا جَارَ الرَّجُلُ عَنِ الْقَصْدِ قِيلَ: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضِلُّ... وَضَلَّ فُلَانٌ: أَيُّ مَاتَ وَغَيَّبَتْهُ

١. جمهرة اللغة ١ / ٥١.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٣ / ٣٥٦.

٣. الصحاح في اللغة: ١ / ٤١٢.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٠٩ و ٥١٠. وينظر: تهذيب اللغة: ٤ / ١٣٧ و ١٣٨، والقاموس المحيط: ٣ / ١٢٣، ولسان العرب: ١١ / ٣٩٠، والمصباح المنير: ٥ / ٣٥١، وتاج العروس: ١ / ١٣٢٤.

الأرْضُ. وأضَلَّه قابِرُوه: دَفَنُوهُ. ومنه: ضَلَّ الماءُ في اللَّبَنِ: أَي حَفِيَ فِيهِ»^(١).

وورد هذا الفعل «ضَلَّ» مرَّةً واحدةً في الخطبة للدلالة على معناه اللُّغوي، إذ ما زال كلامُ أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام بيان حال مَنْ يُريدُ أَنْ يصفَ هيئةَ الله - تبارك وتعالى - وجلاله، إذ قال (عليه السلام): «وَضَلَّ فِي نَعْتِهِ مَنْ يُعَرِّفُهُ»، فهو جائز عن القصد، عادلٌ عنه، وهو إلى الضَّياع أقرب منه إلى الهدى^(٢).

و«ضَلَّ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و«في نعته» جارٌّ ومجرور متعلقان بالفعل (ضَلَّ)، و«مَنْ» اسم موصول مبنيٌّ في محلِّ رفع فاعل. وجملة (وَضَلَّ في نعته) معطوفة على جملة (عجز في وصفه من يصفه).

يُعَرِّفُهُ

وأصله مِنْ عَرَفْتُ، أَي: أَصَبْتُ عَرَفُهُ: أَي: رَائِحَتَهُ، أَوْ مِنْ أَصَبْتُ عَرَفُهُ، أَي: خَدَّهُ، يُقال: عَرَفْتُ كَذَا. قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا)^(٣)(٤). وَعَرَفُهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً وَعَرَفَانًا وَعِرْفَةً، وَالْمُعْتَرِفُ بِالشَّيْءِ: الدَّالُّ عَلَيْهِ. وَعَرَفَهُ بِهِ: وَسَمَّهُ، وَتَعَرَّفَهُ الْمَكَانَ: تَأَمَّلَهُ^(٥). والمعروف: اسمٌ لكلِّ فعلٍ يُعَرِّفُ بالعقل أو الشرع

١. المحيط في اللغة: ٢ / ١٨٩.

٢. ينظر: مطالب السؤل: ١٧٦، وكفاية الطالب: ٥٦، ونهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٢ / ٨٤.

٣. البقرة: ٨٩.

٤. ينظر: جهمرة اللغة: ١ / ٤٢١، وتهذيب اللغة: ١ / ٢٧٣، والصحاح في اللغة: ١ / ٤٦٢، والمحيط في اللغة: ١ / ٩١، ولسان العرب: ٩ / ٢٣٦، والمصباح المنير: ٢ / ٥٣، وتاج العروس: ١ / ٦٠١٢.

٥. ينظر: المحيط في اللغة: ١ / ٩١، والصحاح في اللغة: ١ / ٤٦٢، ولسان العرب: ٩ / ٢٣٦، والمصباح المنير: ٢ / ٣٥، وتاج العروس: ١ / ٦٠١٢.

حُسْنُهُ، والمنكر ما يُنكّرُ بها. قال - تبارك وتعالى - : (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (١) (٢).

وقال الرَّاغِبُ: «المَعْرِفَةُ والعِرْفَانُ: إدراك الشَّيْءِ بتفكّرٍ وتدبُّرٍ، وهو أخصُّ من العلم، ويضادُّه الإنكار، ويُقال: فلان يَعْرِفُ اللهَ، ولا يُقال: يعلم الله متعدياً إلى مفعول واحد، لما كان مَعْرِفَةُ البشرِ لله هي بتدبُّرٍ آثاره دون إدراك ذاته، ويُقال: الله يعلم كذا، ولا يُقال: يَعْرِفُ كذا، لما كانت المَعْرِفَةُ تُسْتَعْمَلُ في العلم القاصر المتوصِّلِ به بتفكُّرٍ... ويضادُّ المَعْرِفَةَ الإنكار، والعلم الجهل. قال: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) [النحل / ٨٣]» (٣).

والعارف في تعارف الفلاسفة والمتكلِّمين: هو المختصُّ بمعرفة الله، ومعرفة ملكوته، وحُسنِ معاملته تعالى، يُقال: عَرَفَهُ كذا (٤). وبهذا المعنى ورد الفعل «يَعْرِفُهُ» مرَّةً واحدةً في الخطبة؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَصَلَّ في نِعْتِهِ مَنْ يَعْرِفُهُ».

و«يَعْرِفُهُ» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظَّاهِرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الموصول «مَنْ»، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ نصب مفعول به، عائدٌ إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والجملة «يَعْرِفُهُ» صلة الموصول، لا محلَّ لها من الإعراب.

١. آل عمران: ١٠٤.

٢. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٥٦١، والتعريفات: ١٧٩.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٦٠-٥٦١.

٤. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٥٦١، والتعريفات: ١٧٩.

قَرُبَ

تدلُّ مادَّةُ «قَرَبَ» في اللُّغة على الدُّنُوِّ، والوصول إلى الشَّيْءِ، والتَّناول. والقُرْبُ ضدُّ البُعدِ، والتَّقَرُّبُ: التَّدْنِي، والتَّوَصُّلُ إلى الشَّيْءِ، ومنه الاقتراب^(١).

وقال الرَّاعِبُ: «القُرْبُ والبعد يتقابلان. يُقال: قُرِبْتُ منه أَقْرَبُ، وقَرَبْتُه أُقْرِبُهُ قُرْباً وقُرْباناً، ويستعمل ذلك في المكان، وفي الزَّمان، وفي النِّسبة، وفي الحظوة، والرِّعاية، والقدرة. فَمِنَ الأوَّلِ، نحو: (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) [البقرة: ٣٥]... وفي الزَّمان، نحو: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) [الأنبياء: ١]... وفي النِّسبة، نحو: (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى) [النساء: ٨]... وفي الحظوة: (وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) [النساء: ١٧٢]... وفي الرِّعاية، نحو: (إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: ٥٦]... وفي القدرة، نحو: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) [ق: ١٦]»^(٢).

ويُقال: أَقْرَبَتِ الحامل: دنا ولاذها، وأقارب الرَّجل: عشيرته الأَدْنون، وقارب الشَّيْءَ: داناه، وتقارب الشَّيْئان: تدانیا^(٣).

وقال ابن منظور: «القُرْبُ نقيضُ البُعدِ. قَرَبَ الشَّيْءُ، بِالضَّمِّ، يُقْرَبُ قُرْباً وقُرْباناً وقُرْباناً، أَي: دَنَا، فَهُوَ قَرِيبٌ، الوَاحِدُ وَالْإِثْنانِ وَالْجَمِيعُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ»^(٤). وقد ذكر الزَّيْدِيُّ أَنَّ الفِعْلَ «قَرَبَ» بضمِّ الرَّاءِ، يلفظه بعض العرب بكسر الرَّاءِ على أساس أَنَّ لا فرق بينهما، وإن كان بعضهم يُفَرِّقُ بين «قَرَبَ»، و«قَرَبَ»، فإذا

١. ينظر: العين: ١/٣٩٨، وجمهرة اللغة: ١/٣٦٧، وتهذيب اللغة: ٣/٢١٦، والمحيط في اللغة: ١/٤٧٤.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٦٣-٦٦٤.

٣. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣/٤٨، والمصباح المنير: ٧/٣٥٣.

٤. لسان العرب: ١/٦٦٢.

قيل: لا تَقْرَب بفتح الرَّاء، فمعناه: لا تلتبس بالفعل، وإن كان بضمِّ الرَّاء، كان معناه: لا تَدُنُّ^(١).

وسأرجئ الكلام على معنى الفعل «قَرَّبَ» في الخطبة بعد إتمام المعنى للفعل الآتي: «بُعَدَ»؛ فكلاهما متلازمان، أوردتهما أمير المؤمنين (عليه السلام) هكذا: «قَرَّبَ فَبُعَدَ، وَبُعَدَ فَقَرَّبَ»؛ في مقام تمجيد الله - تبارك وتعالى - وتعظيمه، ببيان صفاته - عَزَّ وَجَلَّ - .

بُعَدَ

قال الرَّاعِب: «البُعْد: ضدُّ القرب، وليس لها حدُّ محدود، وإنَّما ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره، يقال ذلك في المحسوس، وهو الأكثر، وفي المعقول، نحو قوله تعالى: (صَلُّوا صَلًّا لَبِيعِيدًا) [النساء: ١٦٧]... يُقال: بُعِدَ: إذا تباعد، وهو بعيد، (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبِيعِيدٍ) [هود: ٨٣]، وَبِعِدَ: مات، والبُعْدُ أكثر ما يُقال في الهلاك، نحو: (بِعِدَتْ ثُمُودٌ) [هود: ٩٥]... والبَعْدُ والبُعْدُ يُقال فيه وفي ضدِّ القرب»^(٢).

وقد فرَّق العلماء بين الفعل «بُعَدَ»، والفعل «بِعِدَ». ورد في (تاج العروس): «والبُعْد: المَوْتُ، والذي عَبَّرَ بِهِ الأقدمون أَنَّ البُعْدَ بِمَعْنَى الهلاكِ كَمَا فِي الصَّحاحِ وَغَيْرِهِ، وَيُقَالُ: إِنَّ الَّذِي بِمَعْنَى الهلاكِ إِنَّهَا هُوَ البَعْدُ، مُحَرَّكَةً، وَفِعْلُهَا ك(كَرَّمَ) وَ(فَرِحَ)، وَظَاهِرُهُ أَنَّ فِعْلُهَا مَعًا مِنَ البَابَيْنِ بالمَعْنَيْنِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ الأَكْثَرَ

١. ينظر: تاج العروس: ١/ ٨٤٢.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٣.

على منع ذلك، والتفرقة بينهما، وأنَّ البُعْدَ الَّذِي هُوَ خِلافِ القُرْبِ، الفِعْلُ مِنْهُ بِالضَّمِّ كـ(كُرِّمَ)، والبَعْدَ، محرَّكَةً، الَّذِي هُوَ الهَلَاكُ الفِعْلُ مِنْهُ بِعَدِّ الكَسْرِ، كـفَرِحَ، وَمَنْ جَوَزَ الاشتراكَ فِيهِمَا، أشارَ إلى أَفصَحِيَّةِ الضَّمِّ فِي خِلافِ القُرْبِ، وَأفصَحِيَّةِ الكَسْرِ فِي مَعْنَى الهَلَاكِ... أَنَّ العَرَبَ بَعْضُهُم يَقُولُ: (بَعْدَ)، وَبَعْضُهُم يَقُولُ: (بَعْدَ)، مِثْلَ (سَحِقَ وَسَحِقَ). وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: (بَعْدَ) فِي المَكَانِ، وَ(بَعْدَ) فِي الهَلَاكِ^(١).

و«بَعْدَ»، مضارعُ «يَبْعُدُ»، ومصدرُهُ «بُعْدًا»، ومعناه ضدُّ القربِ^(٢).

بعد أن أتممت الحديث عن المعنى اللغوي للفعليين: «قُرْبَ»، و«بَعْدَ»، آتي إلى معناهما في الخطبة، لكن قبل ذلك أقول: كان للعلماء كلام على مسألة قُرب العباد من الذات الإلهية المقدسة، وبُعْدِهِم عنها؛ إذ قال الرَّاعِبُ: «... والتَّقَرُّبُ: التَّحَدِّيُّ بما يقتضي حَظْوَةَ، وَقُرْبُ اللهِ تَعَالَى مِنَ العَبْدِ: هُوَ بِالإِفْضَالِ عَلَيْهِ، وَالفَيْضُ لَا بِالْمَكَانِ؛ وَهَذَا رَوَى «أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إلهي أَقْرَبُ أَنْتَ فَأُنَاجِيكَ؟ أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيكَ؟ فَقَالَ: لَوْ قَدَّرْتُ لَكَ البُعْدَ لَمَا انْتَهَيْتَ إِلَيْهِ، وَلَوْ قَدَّرْتُ لَكَ القُرْبَ لَمَا اقْتَدَرْتَ عَلَيْهِ^(٣)... وَقُرْبُ العَبْدِ مِنَ اللهِ فِي الحَقِيقَةِ: التَّخْصُّصُ بِكثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يَصِحُّ أَنْ يوصفَ اللهُ تَعَالَى بِهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَصِفَ الإنسانُ بِهَا عَلَى الحَدِّ الَّذِي يوصفُ تَعَالَى بِهِ نَحْوُ: الحِكْمَةِ وَالعِلْمِ وَالحِلْمِ وَالرَّحْمَةِ وَالعَنَى، وَذَلِكَ يَكُونُ بِإِزَالَةِ الأَوْسَاحِ مِنَ الجَهْلِ وَطَيْشِ وَالعُضْبِ، وَالحَاجَاتِ البَدَنِيَّةِ بِقَدْرِ طَاقَةِ البَشَرِ، وَذَلِكَ قُرْبٌ رُوحَانِيٌّ لَا بَدَنِيٌّ، وَعَلَى هَذَا القُرْبِ نَبَّهَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

١. تاج العروس: ١/ ١١٣١.

٢. ينظر: مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح: ٤٩.

٣. ينظر: المصنّف (لابن أبي شيبه): ١/ ١٠٨، والدرّ المشثور: ١/ ٤٧٠.

فيما ذَكَرَ عن الله تعالى: (من تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا) (١) «(٢)».

وقال ابن الأثير: «المراد بقرب العبد من الله تعالى القُربُ بالذكر والعمل الصَّالح، لا قُرب الذات والمكان؛ لأنَّ ذلك من صفات الأجسام.

والله يتعالى عن ذلك ويتقدَّس، والمراد بقرب الله من العبد، قُربُ نعمه وألطفه منه، وبرِّه وإحسانه إليه، وترادف مننه، وفيض مواهبه عليه» (٣).

وقال ملاهادي السبزواري: «والمراد بالبُعد: البُعد العقليِّ بمقتضى البرهان، لا البُعد الذي قد يجامع الإمكان، ففيه ردُّ على المشبَّهة الذين يقولون بصحَّة رؤيته في الجهة والمكان، دنيا وعقبى؛ لكونه عندهم جسماً - تعالى عن ذلك علواً كبيراً -، وعلى الأشاعرة الذين قالوا بصحَّة رؤيته في الآخرة، منزَّهاً عن الجهة والمكان» (٤).

وإليه ذهب الطَّبْرِيّ (٥)، والطَّبْرَسِيّ (٦)، والقرطبيّ (٧) من المفسِّرين.

وقال السيِّد الشَّهيد محمَّد محمَّد صادق الصِّدر قولاً يتضمَّن نقطتين؛ وذلك في معرض الإجابة عن سؤال افتراضيِّ، مفاده: ما معنى الاقتراب؟ فقال: «جوابه: أنَّ له معنيين، الأوَّل: وهو ما عليه إجماع المفسِّرين، ومنهم السيِّد الطَّباطبائيّ قدَّس سرُّه، وهو معنى إثباتيِّ، بمعنى قصد القربى، أمَّا في الصَّلَاة أو في مطلق الطَّاعة،

١. ينظر: صحيح البخاري: ٣٨٤ / ١٣.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٦٤ و ٦٦٥.

٣. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥٣ / ٤. وينظر: لسان العرب: ١ / ٦٦٢.

٤. شرح دعاء الصباح: ٤٩ - ٥٠.

٥. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٠ / ٣٢٦.

٦. ينظر: مجمع البيان: ١٠ / ٤٠٢.

٧. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠ / ١٢٨.

كما ورد عن النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: لَتَكُنْ كُلُّ أَعْمَالِكَ بِنِيَّةٍ، أَيُّ: بقصد القربى؛ فَإِنَّ التَّوَرُّعَ يَكْمُنُ فِيهِ ذَلِكَ دَائِمًا.

الثَّانِي: ثبوتِي، فهو يقتضي الاقتراب المعنوي من الله سبحانه وتعالى، أو من الكمال المطلق، وهو حصول التَّكَامُلِ فعلاً...»^(١).

وَأَرَى أَنَّ دَلَالََةَ الْفَعْلَيْنِ «قُرْبَ» و«بَعْدَ» فِي الْخُطْبَةِ جَاءَتْ مُوَافِقَةً لِمَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ مَعْنَى لِقُرْبِ الْعِبَادِ مِنَ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَبُعْدِهِمْ عَنْهَا، وَلَعَلَّ مَا يُنْبِتُ كَلَامَنَا هَذَا أَمْرَانِ، أَحَدُهُمَا: قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نَفْسَهُ فِي أَحَدِ أَدْعِيَتِهِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ^(٢)، وَهُوَ (دَعَاءُ الصَّبَاحِ)، إِذْ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «يَا مَنْ قُرْبَ مِنْ خَطَرَاتِ الظُّنُونِ، وَبَعْدَ عَنْ حَضَاتِ الْعِيُونِ»^(٣)، فَالمراد من القُرْبِ هُنَا: القُرْبُ المعنوي، لا المكاني؛ لِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ فِي ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، جَلَّتْ عَظَمَتُهُ -، قَالَ الْمَجْلِسِيُّ فِي بَيَانِ مَعْنَى القُرْبِ فِي الدُّعَاءِ: «أَيُّ: مَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الظُّنُونِ الَّتِي تَخْطُرُ بِالْقُلُوبِ، وَفِيهِ إِيْهَاءٌ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ مُسْتَحِيلٌ، وَغَايَةُ الْأَمْرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ الظَّنُّ، وَالْخَطَرَاتُ جَمْعُ خَطَرَةٍ، وَهِيَ الخُطُورُ»^(٤).

وَقَالَ الْمَجْلِسِيُّ فِي بَيَانِ مَعْنَى البُعْدِ فِي الدُّعَاءِ: «يَلُوحُ مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ بِالْعَقْلِ، وَلَا يُمْكِنُ إِبْصَارُهُ بِالْعَيْنِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْمُعْتَزَلَةِ، يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) [الأنعام: ١٠٣]، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَحُولَ الْأَبْصَارُ حَوْلَ جَنَابِهِ فِي مَرْتَبَةِ إِطْلَاقِهِ، وَإِنْ أُمْكِنَ إِبْصَارُهُ فِي مَرْتَبَةِ التَّمَثُّلِ

١. ينظر: منة المئان: ١/ ٣٧٢.

٢. ينظر: - في نسبته -: بحار الأنوار: ٣٨/ ١٥١.

٣. المصدر نفسه: ٣٨/ ١٥٠.

٤. بحار الأنوار: ٣٨/ ١٥٣.

والتَّنَزُّلُ إلى مراتب الظُّهور، ومدارج البدور»^(١).

وعلى ذلك يكون المعنى العامُّ للدُّعاء الشَّرِيف - كما يقول السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ كَلانتر - هو: «إلهي: أَنْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ بِتِلْكَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي يَحِيطُهَا الظَّنُّ لَدَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ عَمَرَتْ قُلُوبَهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَقُرْبِكَ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ، إِنَّهَا هِيَ أَوْ أَثَرُ تِلْكَ الْخَطَابَاتِ الَّتِي تَرُدُّ مِنْكَ عَلَيْهَا، وَقَدْ مَلَأْتَ تِلْكَ الْقُلُوبَ مِنْ حُبِّكَ، وَأَمَنْتَ بِكَ إِيْمَانًا كَامِلًا، وَيَقِينًا صَادِقًا... إلهي: أَنْتَ بَعُدْتَ عَنِ أَنْظَارِ الَّذِينَ لَيْسَتْ لَهُمْ أَعْيُنُ الْبَصِيرَةِ، وَأَمَّا الَّذِينَ لَهُمْ تِلْكَ الْعْيُونَ، فَأَنْتَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ، وَلَسْتَ بَعِيدًا عَنْهُمْ»^(٢).

والأمر الآخر: قول أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه في إحدى خطبه؛ إذ قال (عليه السلام) في صفات الله - عَزَّ وَجَلَّ - : «قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرِ مُبَايِنٍ»^(٣).

فقوله (عليه السلام): «قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مُلَامِسٍ» يدلُّ على أَنَّ: «قربه سبحانه من الأشياء إنما هو قُرْبٌ معنويٌّ؛ لِأَنَّهُ - سبحانه - ليس بجسم (فإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)^(٤)، فَقُرْبُهُ مِنْهَا بِمَعْنَى عِلْمِهِ بِهَا - عَزَّ وَجَلَّ -، وَقُرْبُ اللَّهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ هُوَ قُرْبٌ أَزَلِّيٌّ، لَا يُوصَفُ بِالزَّوَالِ، وَإِنَّهَا هِيَ مُلَازِمٌ لَهَا أَبَدًا، وَغَيْرُ مُفَارِقٍ»^(٥).

١. بحار الأنوار: ٣٨ / ١٥٤.

٢. مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح: ٤٨ و ٥٠.

٣. ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٠ / ٦٤، ومنهجا البراعة في شرح نهج البلاغة (للخوئي): ٨٥ / ١٤.

٤. البقرة: ١٨٦.

٥. أبنية المشتقات في نهج البلاغة - دراسة دلالية - (رسالة ماجستير): ٤٧.

وقوله (عليه السلام): «بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ» يدلُّ على أَنَّ: «بُعْدَهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عن الأشياء، إنَّما هو انتفاء اجتماعه معها؛ لأنَّه ليس بجسم، فلا يطلق عليه البينونة، وذلك كما يصدق على البعيد بالوضع، يصدق على البعيد بالذات الذي لا يصحُّ الوضع والأينُّ عليه، (فهو مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ) (١)، من غير اجتماعه - سبحانه - مع الأشياء» (٢).

ومهما يكن من أمرٍ، فإنَّ المراد من قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «قَرَّبَ بَعُدًا، وَبَعُدَ فَقَرَّبَ» أنَّه - تبارك وتعالى - مع كمال قربهِ، بعيدٌ عن تحديدات البشريَّة، ومع كمال بعده، فهو أقربُّ إلينا من جبل الوريد (٣).

يُجِيبُ

جاء في (تهذيب اللغة): «الجوابُ رَدِيدُ الْكَلَامِ، وَالْفِعْلُ: أَجَابَ يُجِيبُ. وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً (٤). قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ: جَابَةٌ اسْمٌ يَقُومُ مَقَامَ الْمَصْدَرِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: أَطَعْتُهُ طَاعَةً... فَالْجَابَةُ مَصْدَرٌ حَقِيقِيٌّ، وَالْجَابَةُ اسْمٌ، وَكَذَلِكَ الْجَوَابُ، وَكِلَاهُمَا يَقُومَانِ مَقَامَ الْمَصْدَرِ» (٥).

وقال الرَّاعِبُ: «وجوابُ الكلام: هو ما يقطع الجوب؛ فيصل من فم القائل

١. الحديد: ٤.

٢. أبنية المشتقات في نهج البلاغة - دراسة دلالية - (رسالة ماجستير): ٤٧.

٣. ينظر: نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٨٤ / ٢، وكفاية الطالب: ٥٦.

٤. ينظر: جمهرة الأمثال: ٢٥ / ١.

٥. تهذيب اللغة ٤ / ٥٧. وينظر: العين: ٤٩٣ / ١، ومعجم مقاييس اللغة ١ / ٤٩١، والمحيط في اللغة:

إلى سماع المستمع، لكن خُصَّ بما يعود من الكلام دون المبتدأ من الخطاب، قال تعالى: (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا) [النمل: ٥٦]، والجواب يُقال في مقابلة السُّؤال، والسُّؤال على ضربين:

طلبُ مقال، وجوابه المقال.

وطلبُ نوال، وجوابه النّوال.

فعلى الأوّل: (أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) [الأحقاف: ٣١]، وقال: (وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ) [الأحقاف: ٣٢].

وعلى الثّاني قوله: (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيهَا) [يونس: ٨٩]، أي: أُعطيتهما ما سألتها.

والاستجابة قيل: هي الإجابة، وحققتها هي التّحرّي للجواب والتّهيؤ له، لكن عبّر به عن الإجابة لقلّة انفكاكها منها، قال تعالى: (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) [الأنفال: ٢٤]، وقال: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: ٦٠]»^(١).

وفي أسماء الله - عَزَّ وَجَلَّ - المجيب، وهو الَّذي يُقابل الدّعاء والسُّؤال بالعطاء والقبول، وهو اسم فاعل من: أَجَابَ يُجِيبُ، قال تعالى: (أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلَيْسَتْ جِيبًا) ^(٢)، أي: فليجيبوني، تقول: أَجَابَهُ عَنْ سُؤَالِهِ، وَقَدْ أَجَابَهُ إِجَابَةً، وَإِجَابًا، وَجَوَابًا، وَجَابَةً، وَاسْتَجَابَهُ وَاسْتَجَابَةً، وَاسْتَجَابَ لَهُ. والاستجابة والإجابة، بمعنّى واحد، ويُقال: مَا أَجُودَ جَوَابَهُ!، وَهُوَ أَجُودُ جَوَابًا، لَا يُقَالُ: مَا أَجُوبَهُ، وَلَا هُوَ أَجُوبُ مِنْكَ، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ: أَجُودُ بِجَوَابِهِ!، وَلَا يُقَالُ: أَجُوبُ

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٢١٠.

٢. البقرة: ١٨٦.

بِهِ» (١).

وقال الفيومي: «جَوَابُ الكتاب معروف، وَجَوَابُ القول قد يتضمَّن تقريره، نحو: (نَعَمْ) إذا كان جواباً لقوله: (هل كان كذا؟)، أو نحوه، وقد يتضمَّن إبطاله، والجمع (أَجْوِبَةٌ، وَجَوَابَاتٌ)، ولا يسمَّى جواباً إلا بعد طلب، وَأَجَابَهُ إِجَابَةً، وَأَجَابَ قوله واستجاب له، إذا دعاه إلى شيء فأطاع، وَأَجَابَ الله دعاءه: قَبْلَهُ... وَجَابَ الأرض يُجِوبُهَا جَوْبًا: قطعها، و(انْجَابَ) السَّحَابُ: انكشف» (٢).

وفرق أبو هلال العسكري بين (الطَّاعَة) و(الإجابة) بقوله: «إِنَّ الطَّاعَةَ: موافقة الإرادة الحادثة إلى الفعل برغبته، أو رهبته. والإجابة: موافقة الدَّاعي إلى الفعل من أجل أَنَّهُ دَعَا به؛ ولذا يُقال: أَجَابَ اللهُ فلاناً، ولا يُقال: أَطَاعَهُ... والطَّاعَة تكون من الأدنى للأعلى؛ لأنَّها في موافقة الإرادة الواقعة موقع المسألة، ولا تكون إجابةً إلاَّ بَأَن تُفعل لموافقة الدُّعاء بالأمر، ومن أَجله» (٣).

وجاء هذا الفعل «يُجِيبُ» مرَّةً واحدةً في الخطبة، مطابقاً معناه اللُّغوي، وأورده أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام تعظيمه الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتمجيده، ببيان صفة من صفاته، في أَنَّهُ - تبارك وتعالى - يقبل دعوة مَنْ يدعو، إِذ قال (عليه السلام): «وَيُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ». وإجابة الدُّعاء من الله - عَزَّ وَجَلَّ - لعباده تُعدُّ وعداً منه - تبارك وتعالى -، وبشارةً للمؤمنين، ويمكن أَن تشتمل على الثَّواب الدُّنيوي، أو الأُخروي، قال - تعالى - : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٤)، وقال:

١. ينظر: لسان العرب: ١/٢٨٣، وتاج العروس: ١/٣٦٧.

٢. المصباح المنير: ١/١١٣.

٣. الفروق اللغوية: ٢٣٠.

٤. غافر: ٦٠.

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ^(١). واستجابة الدعاء أنواع، فقد روي عن أبي سعيد الخدري أَنَّهُ قَالَ: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «دعوة المسلم لا تُردُّ إلاَّ لإحدى ثلاث: ما لم يدعُ بإثم، أو قطيعة رحم، إمَّا أَنْ يُعَجَّلَ له في الدنيا، وإمَّا أَنْ يُدَّخَرَ له في الآخرة، وإمَّا أَنْ يُصْرَفَ عنه من الشَّوء بقدر ما دعا»^(٢).

و«يُجِيبُ» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر، تقديره «هو»، عائد إلى الله - تبارك وتعالى -، و«دعوة» مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، و«مَنْ» اسم موصول مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، و«يدعوه»: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة المقدَّرة على الواو، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وجملة «يدعوه» صلة الموصول لا محلَّ لها من الإعراب.

ومَّا تجدر الإشارة إليه أَنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل هذا الفعل «يُجِيبُ» بصيغة المضارع؛ لما فيه من الدَّلالة على الحال والاستقبال، والتَّجَدُّد والحدوث^(٣)؛ فصيغة المضارع مناسبة لهذا الفعل؛ فيكون مراد أمير المؤمنين (عليه السلام): أَنَّ إجابة الدعاء مستمَّرة باستمرار وجود الدَّاعي، فما زال هناك داعٍ، فهو - عَزَّ وَجَلَّ - يجيب دعوته، فالإجابة مستمَّرة، ومتجدِّدة باستمرار الدعاء وتجدُّده.

..... * * *

١. الشورى: ٢٦.

٢. ينظر: الموطأ: ١٧٢، وصحيح مسلم: ٥٢/١٧، والترغيب والترهيب: ٣/٢٨٥.

٣. ينظر: الفعل (نستعينه) من الكتاب.

يَدْعُوهُ، يُدْعَى

تدلُّ مادَّة «دعا» في اللُّغة على الطَّلَب، والرَّغبة، والمسألة، والسَّوق، والجمع. جاء في (العين) : «والادِّعاء في الحرب: الاعتزاء. ومنه التَّداعي، تقول: إليَّ أنا فلان... والادِّعاء أن تدَّعي حقًّا لك ولغيرك، يُقال: ادَّعى حقًّا أو باطلاً. والتَّداعي: أن يدعو القوم بعضهم بعضاً... والدَّاعية: صريخ الخيل في الحروب... وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) ^(١)، يُقال: ليس هو الدُّعاء، ولكن دعوتها إيَّاهم: ما تفعل بهم من الأفاعيل. يعني: نار جهنَّم. ويُقال: تداعى عليهم العدو من كلِّ جانبٍ: أقبل. وتداعتِ الحيطانُ إذا انقاصتْ وتفرَّزت... وفلانٌ داعي قومٍ وداعية قومٍ: يدعو إلى بيعتهم دعوة» ^(٢).

وجاء في (الصَّحاح في اللُّغة): «الدَّعوة إلى الطَّعام بالفتح. يُقال: كُنَّا في دَعْوَةِ فلانٍ ومدِّعاةِ فلانٍ، وهو في الأصل مصدرٌ، يريدون الدُّعاء إلى الطَّعام. والدَّعوة بالكسر في النَّسب... ودعوت فلانا، أي: صَحْتُ به واستدعيتُهُ، ودَعَوْتُ الله له وعليه دُعاءً» ^(٣).

وقال الرَّاعِب: «الدُّعاء كالنِّداء، إلَّا أنَّ النِّداء قد يقال بيا، أو أيا، ونحو ذلك من غير أن يضمَّ إليه الاسم، والدُّعاء لا يكاد يقال إلَّا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلانُ، وقد يستعمل كلُّ واحدٍ منهما موضع الآخر. قال تعالى: (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) [البقرة: ١٧١]، ويستعمل استعمال التَّسمية، نحو: دَعَوْتُ ابني زيدا، أي: سمَّيته... ودَعَوْتُهُ: إذا سأَلته، وإذا استغثته، قال تعالى:

١. المعارج: ١٧.

٢. العين ١/١٣٢.

٣. الصَّحاح في اللُّغة ١/٢٠٦.

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ) [البقرة: ٦٨]... والدُّعَاءُ إِلَى الشَّيْءِ: الحثُّ على قصده (قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) [يوسف: ٣٣]... والدَّعْوَى: الادِّعَاءُ، قال: (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا) [الأعراف: ٥]، والدَّعْوَى: الدُّعَاءُ، قال: وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [يونس: ١٠]»^(١).

ودعوتُ الله أدعوه دُعَاءً: ابتهلت إليه بالسؤال، ورجبت فيما عنده من الخير، ودَعَوْتُ زيدا ناديتُه، وطلبت إقباله، ودَعَا المؤذِنُ النَّاسَ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فهو دَاعِيُ الله، والجمع، ودَعَوْتُ الولدَ زيدا وبزيدٍ: سمَّيته بهذا الاسم، والدَّعْوَةُ بالكسر في النَّسَبِ، يُقال: دَعَوْتُهُ بَابن زيد، وادَّعَيْتُ الشَّيْءَ: تمنَّيته وطلبتَه لِنَفْسِي، وتَدَاعَى: البنيان: تصدَّع من جوانبه، وأذن بالسُّقُوطِ والانهدام، وتَدَاعَى الكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ: إذا هيل فانهال، وتَدَاعَى النَّاسُ عَلَى فُلَانٍ: تَأَلَّبُوا عَلَيْهِ، وتَدَاعَوْا بِالْأَلْقَابِ: دعا بعضهم بعضاً بذلك^(٢). والدُّعَاءُ: الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، دَعَا دُعَاءً وَدَعْوَى، وتَدَاعَوْا عَلَيْهِ: تَجَمَّعُوا. ودَعَا: سَأَلَهُ. والنَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: دَاعِيُ اللَّهِ، وَيُطَلَّقُ عَلَى الْمُؤَذِّنِ، وتَدَاعَى الْعَدُوُّ: أَقْبَلَ^(٣).

وقد جاء هذا الفعل «دَعَا» مرَّتين في الخطبة، ورد في المرَّة الأولى بمعنى العبادة المعروفة، وهو أن يتوجَّه العبد إلى خالقه، ويطلب منه قضاء حاجاته^(٤)، نحو قوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ)^(٥). أو رده أمير

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٣١٥ و٣١٦.

٢. ينظر: المصباح المنير: ٣/٢٢٨.

٣. ينظر: القاموس المحيط: ٣/٤١٩. وتهذيب اللغة: ١/٣٤٧ و٣٤٨، ومعجم مقاييس اللغة: ٢/٢٢٩، ولسان العرب: ١٤/٢٥٧، وتاج العروس: ١/٨٣٨١.

٤. ينظر: مجمع البيان: ٦/٥٠١، وبصائر ذوي التمييز: ٢/٦٠٠.

٥. الزمر: ٨.

المؤمنين (عليه السلام) لبيان صفة من صفات الله - تبارك وتعالى - وهي المجيب، فهو - عَزَّ وَجَلَّ - يجيب دعاء مَنْ يدعوهُ؛ إذ قال (عليه السلام): «يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ»، فمراد أمير المؤمنين (عليه السلام): أَنَّ إجابة الدُّعاء من الله - تبارك وتعالى - لعباده مستمرة ومتجددة باستمرار وجود الدَّاعي، فما زال هناك داعٍ، فهو - عَزَّ وَجَلَّ - يجيب دعوته.

والدُّعاء موجَّهٌ إلى السَّميع البصير، فهو يصدر عن العبد إلى ربه، أو من رتبة أدنى إلى رتبة أعلى من رتبة الدَّاعي أو الطَّالب، فالدُّعاء «هو طلب المراد من الغير؛ شَرْطٌ أَنْ يكون المطلوب منه فوق الطَّالب في الرُّتبة، ولا بدَّ من اعتبار الرتبة لتمييز عن السُّؤال، وإلاَّ فالسُّؤال أيضاً طلب المراد من الغير»^(١).

وفرَّق بين (الدُّعاء) و(السُّؤال) من ناحية الرُّتبة، فهما متساويان من ناحية الطَّلب من الغير، ولكنَّ وجه الاختلاف بينهما هو الرُّتبة؛ فالدُّعاء لا يكون إلاَّ في الطَّلب من الرُّتبة الأعلى من رتبة الطَّلب. أمَّا السُّؤال فيكون بين شخصين متساويين في الرُّتبة كأنَّ يكون بين الأخ وأخيه، والصَّديق وصديقه، والدُّعاء يتطلَّب اسماً يدعى به^(٢).

والدُّعاء كما يقول د. حسن منديل: «طقوس روحية؛ ذلك أنَّه مناجاة بين العبد وربِّه، إذ يجد الإنسان (المتكلِّم - المرسل) ربِّه مع حاجاته في حالة نفسية خاصة، حالة ضعف، وبثِّ الهموم، وفتح القلوب، وهي الحالة الطبيعية للإنسان المخلوق المحتاج إلى خالقه، فهو اعتراف بالعبودية، وبهذا تكون لغة الدُّعاء خاصة بخصوص الوضع النفسي للإنسان (المرسل)، ونوع (المتلقِّي) الخالق، فالعملية

١. شرح الأصول الخمسة: ٤٨٥.

٢. ينظر: أساء الله الحسنی (ابن القيم): ٣٨، وبصائر ذوي التمييز: ٦٠ / ٢.

روحية خالصة»^(١).

أمّا المرّة الثّانية التي ورد فيها الفعل «دَعَا» في الخطبة، فقد جاء موافقاً لدلالته اللّغوية، أوردّه أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان موقف من مواقف يوم القيامة، يوم يحشر الله - عَزَّ وَجَلَّ - العباد، ويسوقهم إلى الموقف؛ لإظهار أعمالهم للخلائق؛ إذ قال (عليه السلام): «يُدْعَى بِحَشْرٍ وَنُشُورٍ».

و«يُدْعَى» فعل مضارع مبني للمجهول، مرفوع وعلامة رفعه الضّمّة المقدّرة على الألف، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) عائد إلى الإنسان، و«بحشر» الباء حرف جرّ، و(حشر) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظّاهرة على آخره، و«ونشور» الواو حرف عطف، و(نشور) اسم معطوف مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظّاهرة على آخره. وجملة (يُدْعَى بِحَشْرٍ وَنُشُورٍ) معطوفة على جملة (فينشر في قبره).

وبيّن أبو هلال العسكريّ (الحشر) بقوله: «الحشر هو الجمع مع السّوق، والشّاهد قوله تعالى: (وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ)^(٢)، أي: ابعث مَنْ يجمع السحرة ويسوقهم إليك، ومنه يوم الحشر؛ لأنّ الخلق يُجمعون فيه، ويُساقون إلى الموقف، وقال صاحب المفصل: لا يكون الحشر إلّا في المكروه، وليس كما قال؛ لأنّ الله تعالى يقول: (يَوْمَ نُحْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا)^(٣)...»^(٤).

وبيّن معنى (النّشور) بقوله: «اسم لظهور المبعوثين، وظهور أعمالهم للخلائق،

١. الجانب الروحي في اللغة العربية: ٧٤.

٢. الشعراء: ٣٦.

٣. مريم: ٨٥.

٤. الفروق اللغوية: ١١٧.

ومنه قولك: نشرت اسمك، ونشرت فضيلة فلان، إلاَّ أَنَّهُ قيل: أنشَرَ اللهُ الموتى بالألف، ونشرت الفضيلة والثوب للفرق بين المعنيين^(١).

ولعلَّ معترضاً يعترض، فيقول: إنَّ الفعل (يُدعى) آخره أَلْف، والخطبة المُونَقَة - محلُّ البحث - هي خطبة خالية من حرف الألف، والفعل (يُدعى) يقدر بهذا الأمر، فأقول: إنَّ الفعل (يُدعى) وإنْ كان آخره الألف، إلاَّ أنَّ هذه الألف ليست أصليَّة، بل هي منقلبة عن الواو، فتقول: دعا، يدعو، دعوةً.

والقول نفسه يُقال مع الفعل (قَوَّى) - وسيأتي الكلام عليه -، إذ قال (عليه السلام): «وَقَوَّى بِهِ حُجَّتَهُ»، فالفعل (قَوَّى) وإنْ كان آخره أَلْفاً، إلاَّ أنَّ هذه الألف ليست أصليَّة، بل هي منقلبة عن ياء، فتقول: قوى يقوى تقويةً، فوجود هذه الألف لا يقدر بالخطبة، كونها خالية من الألف.

والقول نفسه يُقال مع الفعل (يسعى) - وسيأتي الكلام عليه -، إذ قال (عليه السلام): «يَسْعَى فِي جِسْمِهِ دُودٌ قَبْرِهِ»، فالفعل (يسعى) آخره أَلْف، إلاَّ أنَّ هذه الألف ليست أصليَّة، بل هي منقلبة عن الياء، فتقول: سَعَى يَسْعَى سَعِيًّا.

والقول نفسه يُقال مع الفعل (تولَّى) - وسيأتي الكلام عليه -، إذ قال (عليه السلام): «وَتَوَلَّى لِفَضْلِ عِنْدَ رَبِّ قَدِيرٍ»، فالفعل (تولَّى) آخره أَلْف، إلاَّ أنَّ هذه الألف ليست أصليَّة، بل هي منقلبة عن الياء، فتقول: تولَّى يتولَّى توليةً وتولِّيًّا.

والقول نفسه يُقال مع الفعل (يُسقى) - وسيأتي الكلام عليه -، إذ قال (عليه السلام): «يُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ»، فالفعل (يُسقى) آخره أَلْف، إلاَّ أنَّ هذه الألف ليست أصليَّة، بل هي منقلبة عن الياء، فتقول: سقى يسقى سَقِيًّا وسَقَايَةً.

..... * * *

يَرْزُقُ

تدلُّ مادَّة «رزق» في اللُّغة على العطاء. يُقال: رزق الله يَرْزُقُ العباد رزقاً، أي: اعتمدوا عليه^(١).

وقال ابن فارس: «الرَّاء والزاء والقاف أُصِيْلٌ واحدٌ يدلُّ على عطاء الوَقت، ثم يُجْمَلُ عليه غير الموقوت. فالرُّزُق: عطاء الله - جَلَّ ثناؤُه - . ويقال رَزَقَه اللهُ رَزُقاً»^(٢).

والرُّزُق: ما يُتَفَعُّ به والجمع الأرزاق. والرُّزُق: العطاء، ومصدر قولك: رَزَقَهُ اللهُ، وقد يُسَمَّى المطر رَزُقاً، وهو اتِّساعٌ في اللُّغة^(٣).

وقال الرَّاعِب: «الرُّزُقُ يُقال للعطاء الجاري تارةً، دنيوياً كان أم أخروياً، وللنَّصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويُتَغَدَّى به تارةً، يُقال: أعطى السَّلاطَن رَزُقَ الجنَد، ورُزِقَتْ علماً...»^(٤).

وقال الفيومي: «رَزَقَ اللهُ الخلق يَرْزُقُهُم، والرُّزُق بالكسر اسم للمرزوق، والجمع (الأرزاق)، مثل: (حمل وأحمال)، وارتزق القوم: أخذوا أرزاقهم فهم مُرْتَزِقَةٌ»^(٥).

وقال الزبيدي: «الرُّزُق، بالكسر: ما يُتَفَعُّ به، وقيل: هو ما يسوقه اللهُ إلى

١. ينظر: العين: ١/ ٣٨٤، والمحيط في اللغة: ١/ ٤٥٢.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٣١٩.

٣. ينظر: الصحاح في اللغة: ١/ ٢٥٢. وينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٣٨٣.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٣٥١.

٥. المصباح المنير: ١/ ٢٢٥.

الْحَيَوَانِ لِلتَّغْذِي، أَي: مَا بِهِ قِوَامُ الْجِسْمِ وَنَسَاؤُهُ، وَعِنْدَ الْمُعْتَرِ لَةَ: مَمْلُوكٌ يَأْكُلُهُ الْمُسْتَحِقُّ فَلَا يَكُونُ حَرَامًا، كَالْمُرْتَزَقِ عَلَى صِيغَةِ الْمَفْعُولِ... وَالْأَرْزَاقُ نَوْعَانِ: ظَاهِرَةٌ لِلْأَبْدَانِ، كَالْأَقْوَاتِ، وَبَاطِنَةٌ لِلْقُلُوبِ وَالنَّفُوسِ، كَالْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الرَّزْقُ بِالْفَتْحِ: الْمَصْدَرُ الْحَقِيقِيُّ، وَبِالْكَسْرِ الْأَسْمُ، وَقَدْ رَزَقَ الْخَلْقُ رَزْقًا وَرَزَقًا، وَالْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُ بِهَاءٍ^(١).

و«الرَّازِقُ» و«الرَّرْزَاقُ» فِي صِفَةِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، فَهُوَ - عَزَّ وَجَلَّ - خَالِقُ الرَّزْقِ وَمُعْطِيهِ، وَالْمَسْبَبُ لَهُ، وَيُقَالُ: لِلْإِنْسَانِ الَّذِي يَصِيرُ سَبَبًا فِي وَصُولِ الرَّزْقِ، وَالرَّرْزَاقُ لَا يُقَالُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى؛ فَهُوَ خَالِقُ الْأَرْزَاقِ، وَمُعْطِي الْخَلَائِقِ أَرْزَاقَهَا، وَمَوْصِلُهَا إِلَيْهِمْ^(٢). فَهُوَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْمُخْتَصُّ بِالرَّرْزُقِ، يَرْزُقُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُهُ؛ فَهُوَ الْأَصْلُ فِي الرَّزْقِ، وَغَيْرُهُ إِنَّمَا يَرْزُقُ بِتَمَكِينِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ؛ لِأَنَّ الرَّزْقَ كُلَّهُ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ - تَعَالَى -. وَالْمَخْلُوقُ يَنْقُلُ الرَّزْقَ مِنْ يَدِهِ إِلَى يَدِ غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ يَفْعَلُ الرَّزْقَ، وَالْمَخْلُوقُ إِذَا رَزِقَ غَيْرُهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - فَإِنَّمَا يَرْزُقُهُ لِاتْتِفَاعِهِ بِمَا يَرْزُقُ؛ إِمَّا لِأَجْلِ أَنْ يُخْرِجَ عَنِ الْوَاجِبِ، وَإِمَّا لِأَجْلِ أَنْ يَسْتَحَقَّ بِهِ ثَنَاءً وَحَمْدًا، وَإِمَّا لَوْقُوعِهِ تَحْتَ تَأْثِيرِ الشَّفَقَةِ وَالْعَطْفِ عَلَى الْمَرْزُوقِ. فَالْعَبْدُ يَرْزُقُ، وَيَطْلُبُ الْعَوْضَ، أَمَّا الْحَقُّ - سُبْحَانَهُ -، فَإِنَّ كَمَالَهُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لَهُ، فَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْ شَيْءٍ... فَكَانَ الرَّزْقُ الصَّادِرُ عَنْهُ لِمَحْضِ الْإِحْسَانِ. وَالْمَخْلُوقُ يَرْزُقُ لَوْ حَصَلَ فِي قَلْبِهِ إِرَادَةُ الْفِعْلِ، وَتِلْكَ الْإِرَادَةُ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -؛ وَلِذَا فَلَا رَازِقَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَالْمَرْزُوقُ كَأَنَّهُ تَحْتَ مِنَّةِ الرَّازِقِ، وَمِنَّةِ الرَّازِقِ - اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَسْهَلُ تَحْمُلًا مِنْ مِنَّةِ الْمَخْلُوقِ؛ فَكَانَ اللَّهُ (خَيْرَ الرَّازِقِينَ).

١. تاج العروس: ١/٦٣٢٦.

٢. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٥١، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٠/٢، ولسان العرب: ١٠/١١٥.

ثُمَّ إِنَّ المخلوق إذا رزق، فليس ذلك يعني تحقُّق الفائدة ممَّا رزق حتى يُمكنَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - المرزوق الانتفاع ممَّا رزق، فَرِزْقُ المخلوق لا بدَّ من أن يكون مسبوقاً بِرِزْقِ اللهِ - تعالى -، وملحوقاً به حتَّى يكون الانتفاع، على حين أن رِزْقَ الجليل القدير لا يحتاج إلى رِزْقٍ غيره^(١).

وهذا المعنى ورد هذا الفعل «يرزق» مرَّةً واحدةً في الخطبة؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَيَرْزُقُ عَبْدَهُ وَيُحِبُّهُ»، والمراد بالرزق معناه الأعم، وهي النعم الظاهرية، كالمأكولات، والمشروبات، والملبوسات، والممتلكات، والمنكوحات، ومن النعم الباطنية، كمحبَّة الله - تبارك وتعالى -، وأوليائه، وأنبيائه، وتهيُّؤ أسباب العبادة، والإطاعة، وامتنال أوامره ونواهيه^(٢).

وإنَّما استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) الفعل «يرزق»، ولم يستعمل فعلاً آخر؛ لما في دلالته من معنى نبيل، وهو إنَّ الرِّزْقَ لا يكون إلاَّ حلالاً، وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري حين فرَّق بين (الرِّزْق) و(الحظ)، إذ قال: «الفرق بين الرِّزْق والحظ: أنَّ الرِّزْق هو العطاء الجاري في الحكم على الإدراج؛ ولهذا يُقال: أرزاق الجندي؛ لأنَّها تجري على إدراج، والحظ لا يفيد هذا المعنى، وإنَّما يفيد ارتفاع صاحبه به... قال بعضهم: يجوز أن يجعل الله للعبد حظاً في شيء، ثُمَّ يقطع عنه، ويزيله مع حياته وبقائه، ولا يجوز أن يقطع رزقه مع إحيائه... وكلُّ ما خلقه الله تعالى في الأرض ممَّا يملك، فهو رزق للعباد في الجملة بدلالة قوله تعالى: (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً)^(٣)، وإن كان رزقاً لهم في الجملة، فتفصيل قسمته على ما يصح ويجوز من الأملاك؛ ولا يكون الحرام رزقاً؛ لأنَّ الرِّزْق هو العطاء الجاري في

١. ينظر: التفسير الكبير: ٥٨/٢٣ و ٥٩.

٢. ينظر: مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح: ١٦٧.

٣. البقرة: ٢٩.

الحكم، وليس الحرام ممّا حكم به، وما يفترسه الأسد رزق له بشرط غلبته عليه، كما أنّ غنيمة المشركين رزق لنا بشرط غلبتنا عليه، والمشارك يملك ما في يده، أمّا إذا غلبناه عليه بطل ملكه له، وصار رزقاً لنا، ولا يكون الرزق إلاّ حلالاً، فأما قولهم رزق حلال، فهو توكيد...»^(١).

وأشار إليه - أيضاً - حين فرّق بين (الرزق) و(الغذاء)، إذ قال: «الفرق بين الرزق والغذاء: أنّ الرزق اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به، فلا يجوز منازعته فيه لكونه حلالاً له، ويجوز أن يكون ما يغتذيه الإنسان حلالاً وحرماً؛ إذ ليس كل ما يغتذيه الإنسان رزقاً له؛ ألا ترى أنّه يجوز أن يغتذي بالسرقة، وليست السرقة رزقاً للشارق، ولو كانت رزقاً له لم يذمّ عليها وعلى النّفقة منها، بل كان يحمد على ذلك والله تعالى مدح المؤمنين بإنفاقهم في قوله - تعالى -: (وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)»^(٢)»^(٣).

و(يرزق) فعل مضارع مرفوع أو علامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره (هو) عائد الى الله - عزّ وجلّ -، و(عبده) مفعول به منصوب أو علامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الضمّ في محل جرّ بالإضافة أو جملة (ويرزق عبده) معطوفة على جملة (يجيب دعوة من يدعوه).

١. الفروق اللغوية: ١٣٦ و ١٣٧.

٢. البقرة: ٣، وتكرّرت في خمس آيات أخر.

٣. الفروق اللغوية: ١٣٧.

يَحْبُوهُ

تدلُّ مادَّةُ «يَحْبُوهُ» في اللُّغة على العطاء بلا مَنْ ولا جزاء، والاختصاص، والقرب، واتِّصال الأشياء، والدنوُّ. جاء في (العين): «الصَّبِيُّ يَحْبُو قَبْلَ أَنْ يَقُومَ. والبعير يَحْبُو إِذَا عَقَلَ؛ فَيَزْحَفُ حَبْوًا. وَحَبَّتِ الْأَضْلَاعُ إِلَى الصُّلْبِ، وَهُوَ اتَّصَلَهَا. وَيُقَالُ لِلْمَسَائِلِ إِذَا اتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ: حَبَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. قَالَ: تَحْبُو إِلَى أَضْلَابِهِ أَمْعَاؤُهُ، أَيُّ: تَتَّصِلُ... وَالْحَبَاءُ: عَطَاءٌ بِلا مَنْ ولا جزاء. حَبْوَتُهُ أَحْبُوهُ جِبَاءً، وَمِنْهُ أُخِذَتِ الْمَحَابَاةُ»^(١).

وقال ابن دريد: «حَبَا الصَّبِيُّ يَحْبُو حَبْوًا، إِذَا مَشَى عَلَى أَرْبَعٍ وَرَفَعَ صَدْرَهُ... وَكُلُّ دَانٍ حَابٍ، وَبِهِ سُمِّيَ حَبِيُّ السَّحَابِ لَدُنُوهُ مِنَ الْأَفْقِ وَانْتِصَابِهِ فِي الْقَطْرِ. وَحَبْوَتُ الرَّجُلِ أَحْبُوهُ جِبَاءً، إِذَا أُعْطِيَتْهُ وَوَصَلَتْهُ، وَهِيَ الْحَبْوَةُ أَيْضًا. وَأَحْبَاءُ الْمَلِكِ: الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ وَيَحْبُوهُمْ بِمُودَّتِهِ، وَيَخْتَصُّهُمْ»^(٢).

وجاء في (العباب الزاخر): «الْحَبَاءُ: جَلِيسُ الْمَلِكِ وَخَاصَّتُهُ، وَالْجَمْعُ أَحْبَاءٌ، مِثْلُ سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ... وَالتَّرْكِيبُ يَدُلُّ عَلَى الْقُرْبِ»^(٣).

وتطابقت دلالة بناء الفعل «يحبوه» في الخطبة مع دلالة من دلالاته اللغوية، وهي «العطاء بلا مَنْ ولا جزاء»؛ إذ جاء هذا الفعل مرَّةً واحدةً في الخطبة، قال فيها أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَيَرْزُقُ عَبْدَهُ وَيَحْبُوهُ»، فعطف أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «يحبوه» على الفعل الذي قبله «يرزق»، ومراده (عليه

١. العين: ٢٣٧/١، وينظر: المحيط في اللغة: ٢٥٥/١.

٢. جهرة اللغة: ٧٠/٢. وينظر: الصحاح في اللغة: ١١٣/١، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣٣٢/٣.

٣. العباب الزاخر: ٩/١. وينظر: تهذيب اللغة: ١٩٥/٢، ولسان العرب: ١٦٠/١٤، والمصباح المنير: ٢٧٥/٢، والقاموس المحيط: ١٦٤٢/١، وتاج العروس: ٨٣٣٧/١.

السلام) : أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - هُوَ الرَّازِقُ، أَي: المعطي، وهذا العطاء لا يكون إلاّ حلالاً، وهو في الوقت نفسه يحبو هذا العبد الذي يُعطيهِ، فهو - تبارك وتعالى - لا يريد من هذا الرزق الحلال المعطى لا جزاءً ولا شكوراً؛ فهو - عَزَّ وَجَلَّ - الغنيُّ، والعباد جميعاً مفتقرون إليه. قال - تبارك وتعالى - : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (١).

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل هذين الفعلين «يرزق، ويحبوه» بصيغة المضارع؛ لما فيه من دلالة على الحدوث والتجدد (٢). فرزقُ الله - عَزَّ وَجَلَّ - وحبوُّه لعباده مستمرّان ومتجدّدان، ومع ذلك كلّه لا يوجد منه - تبارك وتعالى - من ولا جزاء.

و«يحبوه» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على الواو، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو»، عائد إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والهاء ضمير متصل مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب مفعول به، عائد إلى «عَبْدَهُ»، وجملة (ويحبوه) معطوفة على جملة (ويرزق عبده).

بَعَثُهُ

تدلُّ مادّة «بعث» في اللُّغة على التّوجيه، والإرسال، والإثارة. جاء في (العين): «الْبَعْثُ: الإرسال، كَبَعَثَ اللَّهُ مَنْ فِي الْقُبُورِ. وَبَعَثْتُ الْبَعِيرَ أَرْسَلْتُهُ وَحَلَلْتُ عِقَالَهُ، أَوْ كَانَ بَارِكاً فَهَجَّتْهُ... وَبَعَثْتَهُ مِنْ نَوْمِهِ فَانْبَعَثَ، أَي: نَبَّهْتَهُ... وَيَوْمُ الْبَعْثِ: يَوْمٌ

١. فاطر: ١٥.

٢. ينظر: الفعل «نستعينه» من الكتاب.

القيامة... وكل قوم بعثوا في أمرٍ أو في وجه، فهم بعثٌ»^(١).

والبعث في كلام العرب على وجهين. أحدهما: الإرسال؛ كقوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى) ^(٢)، معناه: أرسلنا. والبعث: إثارة بارِكٍ أو قاعد، والبعث أيضاً: الإحياء من الموت ^(٣).

وجاء في (معجم مقاييس اللغة): «الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة، ويُقال: بعثتُ الناقة، إذا أنزتها»^(٤).

وبين أبو هلال العسكري معنى (البعث) حين فرّق بين (البعث) و(الإرسال) بقوله: «(الفرق) بين البعث والإرسال أنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة يخصه دونك ودون المبعوث إليه كالصبي تبعثه إلى المكتب، فتقول: بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة، وما يجري مجراها»^(٥).

وبين معنى (البعث) - أيضاً - حين فرّق بين (البعث) و(الإنفاذ) بقوله: «(الفرق) بين البعث والإنفاذ أن الإنفاذ يكون حملاً وغير حمل، والبعث لا يكون حملاً، ويستعمل في ما يعقل دون ما لا يعقل، فتقول: بعثت فلاناً بكتابي، ولا يجوز أن تقول: بعثت كتابي إليك، كما تقول: أنفذت كتابي إليك، وتقول: أنفذت إليك جميع ما تحتاج إليه، ولا تقول في ذلك: بعثت، ولكن تقول: بعثت إليك بجميع ما

١. العين: ١/١٠٨. وينظر: المحيط في اللغة: ١/٨٩.

٢. الأعراف: ١٠٣.

٣. ينظر: تهذيب اللغة: ١/٢٦٩. وينظر: لسان العرب: ٢/١١٦، وتاج العروس: ١/١٢١٥.

٤. معجم مقاييس اللغة: ١/٢٥١.

٥. الفروق اللغوية: ٢٢٢.

تَحْتَاجِ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: بَعَثَ فُلَانًا بِذَلِكَ»^(١).

وبعثه وابتعثه بمعنًى، أي: أرسله، فانبعث. وقولهم: كنت في بعث فلان، أي: في جيشه الذي بعث معه، وبعثت الناقة: أنزتها، وبعث الموتى: نشرهم ليوم الحساب، وانبعث في السير، أي: أسرع^(٢).

وقال الرَّاغِب: «أصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه، يُقال: بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علّق به، فبعثت البعير: أثرته وسيرته، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (وَالْمُوتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ) [الأنعام: ٣٦]، أي: يُخرجهم، ويسيرهم إلى القيامة... فالبعث ضربان:

- بشريّ، كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة.

- وإلهي، وذلك ضربان:

أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع لا عن ليس، وذلك يختص به البارئ تعالى، ولم يقدر عليه أحد.

والثاني: إحياء الموتى، وقد خصّ بذلك بعض أوليائه، كعيسى صلى الله عليه وسلم وأمثاله، ومنه قوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ) [الروم: ٥٦]، يعني: يوم الحشر...»^(٣).

وبعثه يبعثه بعثاً: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره، والبعيث: الرسول، وبعث الجنيد يبعثهم بعثاً: وجههم، وبعثه على الشيء: حمّله على فعله، وبعثه من

١. الفروق اللغوية: ٢٢٢.

٢. ينظر: الصحاح في اللغة: ١ / ٤٧.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٢.

نومه: أيقظه^(١). وبعث الله الرسول إلى عباده، وابتعثه، ومحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - رسول خير مبعوث، ومُبتعث^(٢).

وذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «بعثه» لبيان بعثة النبي الأكرم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، إذ أقرَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل هذا الفعل بهذه البعثة المباركة بقوله: «وَشَهِدْتُ بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ، وَرَسُولِهِ، وَصَفِيِّهِ، وَحَبِيبِهِ، وَخَلِيلِهِ، بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ»، وقد تقدّم بيان دلالة الفعل «شهدت»^(٣)، الذي أقرَّ فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه البعثة العظيمة، وجاء بهذا الفعل «بَعَثَهُ» وبعده بفعلين، وهما: «ختم، وقوى» لبيانها.

وجاء هذا الفعل «بَعَثَهُ» مرّةً واحدةً في الخطبة، موافقاً لدلالته اللغوية، وهي «الإرسال»؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ، وَفِي حِينِ فَتْرَةٍ وَكُفْرٍ، رَحْمَةً لِعَبِيدِهِ، وَمِنَّةً لِمَزِيدِهِ»، كقول الله - تبارك وتعالى - : (إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ)^(٤)، و: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ)^(٥).

ومراداه (عليه السلام): «بعثه... في حين فترة وكفر» أنّه «بعد ستّة قرون من بعثة المسيح عيسى بن مريم ((عليه السلام)) في فلسطين رسولاً إلى بني إسرائيل، بعث محمد بن عبد الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في شبه جزيرة العرب، في أمّ قُراها مكّة رسولاً إلى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، حاملاً رسالة الهداية والصّلاح، خاتماً بها

١. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ١/ ٢٣٤.

٢. ينظر: أساس البلاغة: ٢٥.

٣. ينظر: الفعل «شهدت» من الكتاب.

٤. آل عمران: ١٦٤.

٥. الجمعة: ٢.

شرائع مَنْ تقدّم من النَّبِيِّينَ؛ لتكون شريعة البشر، وقانونهم إلى يوم الدين»^(١).
 وقوله (عليه السلام): «بَعَثَهُ... رَحْمَةً لِعِبَادِهِ» فيه تضمين لقول الله - عَزَّ وَجَلَّ
 - : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^(٢).

و«بَعَثَهُ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى الله - تبارك وتعالى -، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ نصب مفعول به، عائد إلى النبيِّ الأَعْظَمِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -.

خَتَمٌ

تدلُّ مادَّة «ختم» في اللُّغة على آخر السَّيِّءِ، وعاقبته، وأقصاه، والاستيثاق، والتَّغْطِيَّة، والمنع. جاء في (العين): «الخاتَم: ما يوضع على الطِّينَةِ، اسم مثل العالم، والخِتام: الطِّين الذي يُخْتَمُ به على كتاب. ويُقال: هو الخِتمُ يعني: الطِّين الذي يُخْتَمُ به. وخِتامُ الوادي: أقصاه. ويقرأ: (خاتِمُهُ مِسْكٌ)، أي: خِتامه، يعني عاقبته رِيحُ المسك... وخاتِمَةُ السُّورَةِ: آخرها. وخاتِمُ العمل، وكلُّ شيء: آخرُهُ»^(٣).

وجاء في (تهذيب اللُّغة): «خَتَمَ يَخْتِمُ... الخِتامُ أَنْ تُشَارَ الأَرْضُ بالبَذْرِ حتَّى يَصِيرَ البَذْرُ تحتها، ثمَّ يَسْقُونها... يَقُولُونَ: خَتَمُوا عَلَيْهِ... قَالَ الفَرَّاءُ: والخِتامُ والخِتامُ: متقاربان في المعنى، إِلَّا أَنَّ الخِتامَ: الاسمُ، والخِتامُ: المَصْدَرُ... وخَتَمَ فلانٌ

١. بداية المعرفة: ١٤٦.

٢. الأنبياء: ١٠٧.

٣. العين: ٣١٧/١. وينظر: المحيط في اللُّغة: ١/٣٥٧.

الْقُرْآنَ: إِذَا قَرَأَهُ إِلَى آخِرِهِ... أَصْلُ الْخَتْمِ: التَّغْطِيَةُ، وَخَتْمُ الْبَدْرِ: تَغْطِيَتُهُ»^(١).

وقال ابن فارس: «الخاء والتاء والميم أصل واحد، وهو بلوغ آخر الشيء، يقال: ختمت العمل، وختم القارئ السورة. فأما الختم، وهو الطبع على الشيء، فذلك من الباب أيضاً؛ لأنَّ الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره... والنبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء؛ لأنه آخرهم. وختم كل مشروب: آخره. قال الله تعالى: (خِتامُه مسك) [المطففين: ٢٦]، أي: أن آخر ما يجدونه منه عند شربهم إياه رائحته المسك»^(٢).

وَخَتَمْتُ الْقُرْآنَ: بَلَغْتُ آخِرَهُ. وَاخْتَمَمْتُ الشَّيْءَ: نَقِضْتُ افْتِتِحَتَهُ. وَخَاتِمَةُ الشَّيْءِ: آخِرُهُ. وَمُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

(٣) -

وقال الراغب: «الختم والطبع يقال على وجهين: مصدر ختمت وطبعت، وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع. والثاني: الأثر الحاصل عن النقش، ويُتَجَوَّزُ بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء، والمنع منه اعتباراً بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب... وتارة في تحصيل أثر عن شيء اعتباراً بالنقش الحاصل، وتارة يُعْتَبَرُ منه بلوغ الآخر، ومنه قيل: ختمت القرآن، أي: انتهيت إلى آخره... (وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ) [الأحزاب: ٤٠]؛ لَأَنَّهُ خَتَمَ النَّبُوَّةَ، أَي: تَمَّهَا بِمَجِيئِهِ. وَقَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : (خِتامُه مسك) [المطففين: ٢٦]، قيل: ما يختم به، أي: يُطْبَعُ...»^(٤).

١. تهذيب اللغة ٢/ ٢٧٤.

٢. معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٩٩.

٣. ينظر: الصحاح في اللغة: ١/ ١٦٣.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٢٧٤ و ٢٧٥.

وقال ابن سيده: «معنى ختم، وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من ألا يدخله شيء... وختم الشيء يخرمه ختماً: بلغ آخره. وخاتم كل شيء، وخاتمته: عاقبته وآخره... وختام القوم، وخاتمهم: آخرهم... وخاتم الفرس الأثني: الحلقة الدنيا من ظبيتها»^(١).

وقد جاء هذا الفعل «ختم» مرّةً واحدةً في الخطبة مطابقاً لدلالته اللغوية، وأورده أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان بعثة النبي الأعظم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، وهو ثاني الأفعال التي ذكرها في ذلك، إذ قال (عليه السلام): «وخرم به نبوته»، ومراده (عليه السلام): أنه - تبارك وتعالى - تمم نبوة النبي الأكرم محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - والنبوة، والنبي الخاتم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - هو المغطى على من كان قبله من الأنبياء - عليهم السلام -، فخاتم الأنبياء: جاء آخرهم، فكانه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - غطى عليهم - عليهم السلام - فبنوته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ختمت شرائع من تقدم من الأنبياء؛ لتكون شريعة البشر، وقانونهم إلى يوم الدين^(٢).

وقوله (عليه السلام): «وخرم به نبوته» فيه تضمين لقول الله - عز وجل - : «وخرم النبي»^(٣)، وإشارة إليه.

و«ختم» فعل ماضٍ مبني على الفتح، و«به» الباء حرف جرّ، والهاء ضمير متصل مبني في محلّ جرّ بحرف الجرّ، عائد إلى النبي الأعظم محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، و«نبوته»: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على

١. المحكم والمحيط الأعظم ٢ / ٣٢٥.

٢. ينظر: بداية المعرفة: ١٤٦.

٣. الأحزاب / ٤٠.

آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة عائد إلى الله - عز وجل - .

قَوَى

القُوَّةُ خلاف الضَّعْفِ^(١). «والقُوَّةُ: الطَّاقَةُ مِنَ الحَبْلِ، وجمَعها قَوَى. ورجُلٌ شديد القُوَى، أي: شديد أَسْرِ الحَلْقِ... قَوَى الضَّعِيفَ قُوَّةً فهو قَوِيٌّ، وتَقَوَّى مثله، وقَوَيْتُهُ أَنَا تَقْوِيَةً، وقاوَيْتُهُ فَقَوَيْتُهُ، أي: غلبتُهُ»^(٢).

وقال الرَّاعِبُ: «القُوَّةُ تستعمل تارة في معنى القدرة، نحو قوله تعالى: (خُذُوا ما آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) [البقرة: ٦٣]، وتارة للتَّهَيُّؤِ الموجود في الشَّيْءِ، نحو أن يُقال: النَّوَى بِالْقُوَّةِ نَحَلَ^(٣)، أي: متهَيَّئٌ ومترشَّحٌ أن يكون منه ذلك. ويستعمل ذلك في البدن تارة، وفي القلب أُخرى، وفي المعاون من خارج تارة، وفي القدرة الإلهية تارة. ففي البدن، نحو قوله: (وقالوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) [فصلت: ١٥]... وفي القلب، نحو قوله: يا يَحْيَى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ [مريم: ١٢] أي: بقوة قلب. وفي المعاون من خارج، نحو قوله: (لو أن لي بكم قُوَّةً) [هود: ٨٠] قيل: معناه: من أتقوى به من الجند، وما أتقوى به من المال... وفي القدرة الإلهية، نحو قوله: (إن الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة: ٢١]... فعامٌ فيما اختصَّ الله تعالى به من القدرة، وما جعله للخلق. وقوله: (ويزدكم قُوَّةً إلى قُوَّتكم) [هود: ٥٢] فقد ضمَّن تعالى أن يعطي كلَّ واحد منهم من أنواع القُوَى قَدْرَ ما يستحقُّه... والقُوَّةُ التي تستعمل للتَّهَيُّؤِ أكثر

١. ينظر: العين: ١/٤١٧، والصحاح في اللغة: ٢/١٠٢، والمحيط في اللغة: ٢/٨.

٢. الصحاح في اللغة: ٢/١٠٢.

٣. أي: يمكنه أن يصير نخلاً.

مَنْ يستعملها الفلاسفة، ويقولونها على وجهين: أحدهما: أن يُقال لما كان موجوداً ولكن ليس يستعمل، فيقال: فلانٌ كاتبٌ بالقوَّة. أي: معه المعرفة بالكتابة، لكنه ليس يستعمل، والثاني: يقال فلانٌ كاتبٌ بالقوَّة، وليس يعنى به أن معه العلم بالكتابة، ولكن معناه: يمكنه أن يتعلَّم الكتابة...»^(١).

والقويُّ صفة من صفات الله - عَزَّ وَجَلَّ - . وقد ذكر الزَّجَّاجي أنَّ القويَّ: ذو القوَّة والأيد، ويُقال لِمَنْ أطلق شيئاً وقدر عليه: (قد قوي عليه)، وَلِمَنْ لم يقدر عليه: (قد ضعف عنه)^(٢).

وفُرِّق بين (القويِّ) و(القادر) بأنَّ: «القوي هو الَّذي يقدر على الشَّيء وعلى ما هو أكثر منه؛ وَهَذَا لا يجوز أن يُقال للَّذي استفرغ قدرته في الشَّيء إنَّه قوي عليه، وإنَّما يُقال له: إنَّه قوي عليه، إذا كان في قدرته فضل لغيره؛ وَهَذَا قَالَ بعضهم القوي القادر العَظِيم الشَّانَ فيما يقدر عَلَيْهِ»^(٣).

والفعل «قوى» في الخطبة الفعلُ الثَّالث الذي أورده أميرُ المؤمنين (عليه السلام) بعد الفعلين «بعثه» و«ختم» لبيان بعثة النَّبيِّ الأَظم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، إذ قال (عليه السلام): «وَشَهِدْتُ بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ... بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ... خَتَمَ بِهِ نُبُوَّتَهُ، وَقَوَّى بِهِ حُجَّتَهُ».

وورد هذا الفعل «قوى» مرَّةً واحدةً في الخطبة، وتطابقت فيها دلالة بنائه

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٩٣ و ٦٩٤. وينظر: تهذيب اللغة: ٣/ ٢٩٣، والمحكم والمحيط الأعظم:

٧٠/ ٣، ولسان العرب: ١٥/ ٢٠٦، والمصباح المنير: ٨/ ١٨.

٢. ينظر: اشتقاق أسماء الله: ١٤٩.

٣. الفروق اللغوية: ١/ ٢٩٩، وينظر: كتاب الأضداد (للسجستاني): ٩٣، وكتاب الأضداد (لابن السكيت): ١٦٧.

مع دلالاته اللغوية، مشيراً فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى فائدة من فوائد بعثة الأنبياء، وهي تقوية الحجّة على العباد؛ إذ إنَّ للأنبياء الإلهيين - فضلاً عن تعريف البشر، وهدايتهم إلى الطريق الصحيح للتكامل الحقيقي للإنسان، وتلقّي الوحي وإبلاغه النَّاس - فوائد وتأثيرات مهمّة في مجال تكامل البشر، ومنها تقوية الحجّة على العباد، يقول - تبارك وتعالى - : (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)^(١)، فإنّه - سبحانه وتعالى - بمقتضى عدله لا يعذب أو يعاقب حتّى يتمّ البيان والحجّة على العباد؛ وذلك بإرسال الرُّسل والأنبياء - عليهم السلام -^(٢).

و«قَوَى» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح المقدّر على الألف، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) عائد إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، و«به» الباء حرف جرٍّ، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، و«حُجَّتَهُ» مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، وجملة (وقَوَى به حُجَّتَهُ) معطوفة على جملة (وختَمَ به نُبُوَّتَهُ).

وتقدّم مع الفعل (يُدعى) أنّ هذا الفعل (قَوَى)، وإن كان آخره ألفاً، إلا أنّ هذه الألف ليست أصلية، بل هي منقلبة عن الياء، فتقول: قَوَى يقَوَى تقويةً، فوجود هذه الألف مع الفعل (قَوَى) لا يقدح بالخطبة المونقة - محلّ البحث - كونها خاليةً من الألف.

١. النساء: ١٦٥.

٢. ينظر: دروس في العقيدة الإسلامية: ٢١٣ و٢١٤، ومعارف الإسلام: ٣٥.

وَعَظَ

الواو والعين والظاء لها دلالة واحدة، يُقال: وَعَظَهُ يَعِظُهُ وَعَظًا وَعِظَةً وَمَوْعِظَةً: ذَكَرَهُ بِمَا يَلِينُ قَلْبَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ؛ فَاتَّعَظَ^(١). جاء في (العين): «العِظَةُ: الموعظة. وَعَظْتُ الرَّجُلَ أَعْظُهُ عِظَةً وَمَوْعِظَةً. وَاتَّعَظَ: تَقَبَّلَ العِظَةَ، وهو تذكيرُك إِيَّاهِ الخَيْرَ ونحوه مِمَّا يَرِقُّ لهُ قَلْبُهُ»^(٢).

والوعظ إمَّا أَنْ يَكُونَ بِالنُّصْحِ وَالإِرشَادِ^(٣)، قال تعالى: (فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ)^(٤)، أَي: وَجَّهُوا النَّصِيحَةَ لَهُنَّ^(٥). وإمَّا بِالتَّخْوِيفِ من عاقبة الأمور^(٦)، كقوله - تعالى -: (فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)^(٧).

والشَّخْص الَّذِي يَقُومُ بِمَهْمَةِ الوَعْظِ يَسْمَى واعِظًا^(٨)، نحو قوله تعالى: (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الوَاعِظِينَ)^(٩).

١. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٢٦/٦، والقاموس المحيط: ٤٠٠/٢، وتاج العروس: ٢٦٦/٥.
٢. العين: ١٣٣/١. وينظر: المحيط في اللغة: ١١٦/١، ولسان العرب: ٤٦٦/٧، وتاج العروس: ٥٠٨٤/١.
٣. ينظر: مجمع البحرين: ٤: ٢٩٢، ومعجم ألفاظ القرآن: ٨٦٣/٢، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٥٧٩.
٤. النساء: ٣٤.
٥. ينظر: مجمع البيان: ٤٤/٣.
٦. ينظر: غريب القرآن (للسجستاني): ١٧١، وجامع البيان: ١٠٤/٣، والصحاح في اللغة: ١١٨١/٣، ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٧٦، ومجمع البيان: ٢٣٠/١، وروح المعاني: ١٣٩/١١.
٧. البقرة: ١٦٦.
٨. ينظر: المعجم الوسيط: ١٠٥٥/٢، ومعجم المعاني: ٣٩٣، والألفاظ المعبّرة عن الكلام في التعبير القرآني «دراسة دلالية» (رسالة ماجستير): ٩٥.
٩. الشعراء: ١٣٦.

وبهذه الدلالة ورد هذا الفعل «وعظ» في الخطبة مرّةً واحدةً، وأورده أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان صفات النبي الأكرم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في أداء وظيفته، وهي النبوة، إذ قال (عليه السلام): «وَشَهِدْتُ بِعَثَةِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ... بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ... خَتَمَ بِهِ نُبُوَّتَهُ، وَقَوَّى بِهِ حُجَّتَهُ، فَوَعَظَ وَنَصَحَ».

فإنّما جاء النبي القائد محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - واعظاً ل: «إيقاظ الناس من غفلتهم بلطائف البيان، ومحاسن الكلام؛ ليرغبوا بالمعروف^(١)، ويزهدوا بالذنوب والآثام... حثّ الناس على حسنات الأفعال، وزجرهم عن قبائحهم بالحسنات والسيئات التي يعرفونها... وتذكيرهم بما ينسون أو يتناسون... وتليين القلوب... وتوعية للعواطف»^(٢).

و«وعظ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو)، عائد إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -. وجملة (فوعظ) معطوفة على جملة (وقوى به حجته).

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن بيّن بعثة النبي الأعظم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ب(بعثه... ختم... قوى) شرع في بيان صفاته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في أداء وظيفته، وهي النبوة، وكان ممّا استعان به أفعال أربعة، وهي: (وَعَظَ)، و(نَصَحَ)، و(بَلَّغَ)، و(كَدَحَ).

..... * * *

نَصَحَ

تدلُّ مادّة (نَصَحَ) في اللُّغة على الجودّة، والخلوص بالعمل، والصّدق،

١. الصواب: في المعروف.

٢. محمد في القرآن: ٢١٢.

والإحكام، والنصح خلاف الغش. جاء في (الصّحاح في اللّغة): «نصحتك نصحاً ونصاحةً... وهو باللام أفصح. قال الله تعالى: (وَأَنْصَحْ لَكُمْ)»^(١). والاسم: النصيحة. والنصيح: الناصح. وقوم نصحاء. ورجل ناصح الجيب، أي: نقي القلب. قال الأصمعي: الناصح: الخالص من العسل وغيره، مثل الناصع. وكل شيء خلص فقد نصح. وانتصح فلان، أي: قبل النصيحة... ونصحت الإبل الشرب تنصح نصوحاً، أي: صدقته. وأنصحتها أنا: أرويتها. قال: ومنه التوبة النصوح، وهي الصادقة. والنصح بالفتح: مصدر قولك نصحت الثوب: خطته: ويقال منه التوبة النصوح...»^(٢).

وقال الرّاعب: «النّصح: تحرّي فعل أو قول فيه صلاح صاحبه. قال تعالى: (لَقَدْ أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) الأعراف / ٧٩... وهو من قولهم: نصحت له الود، أي: أخلصته، وناصح العسل: خالسه، أو من قولهم: نصحت الجلد: خطته، والناصح: الحياط، والنصاح: الحيط، وقوله: (توبوا إلى الله توبة نصوحاً) التحريم / ٨، فمن أحد هذين؛ إمّا الإخلاص، وإمّا الإحكام»^(٣).

وجاء في (أساس البلاغة): «نصحته ونصحت له نصحاً ونصيحة، وتنصحت له... وناصحته مناصحة. وناصح نفسه في التوبة إذا أخلصها. واستنصحته وانتصحته... ومن المجاز هو ناصح الجيب، ونصح الغيب البلاد: جادها ووصل نبتها، وأرض منصوحة. ونصحت الإبل الرّي: صدقته... ونصح الحياط الثوب،

١. الأعراف: ٦٢.

٢. الصحاح في اللغة: ٢/ ٢١١.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٨٠٨.

إذا أنعم خياطته، ولم يترك فيه فتقاً، ولا خللاً؛ شُبّه ذلك بالنصح» (١).

وبهذه الدلالة ورد هذا الفعل (نصح) في الخطبة مرّة واحدة؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَشَهِدْتُ بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ... فَوَعَظَ وَنَصَحَ».

و(نَصَحَ) هو الفعل الثّاني الَّذي أوردّه أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان صفات النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في أداء وظيفته - النُّبُوَّة - إذ قال (عليه السلام): «وَشَهِدْتُ بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ... بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ... خَتَمَ بِهِ نُبُوَّتَهُ، وَقَوَّى بِهِ حُجَّتَهُ، فَوَعَظَ وَنَصَحَ...». فجاء هذا الفعل (نَصَحَ) مبيّناً الفعل قبله (وعظ)، وتقدّم أنّ الوعظ قد يكون بالنصح، فجاء - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - واعظاً بالنصيحة الحسنة، وكان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مخلصاً في وعظه، وكان وعظه محكماً، ليس فيه خرق ولا ثلمة، ولم يترك فيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فتقاً، ولا خللاً.

وجاء هذا الفعل مجرداً ماضياً مبيّناً على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وجملة (ونصح) معطوفة على جملة (فوعظ).

كَدَحٌ

تدلُّ مادّة (كدح) في اللغة على العمل، والسَّعي الدَّؤوب، والاكتساب بصعوبة

١. أساس البلاغة: ١/ ٤٧٥. وينظر: العين: ١/ ١٩٢، وتهذيب اللغة: ٢/ ١٤، ومعجم مقاييس اللغة: ٣٤٨/ ٥، والمحيط في اللغة: ١/ ١٩٣، والمخصص: ١/ ٣٤٠، والمحكم والمحيط الأعظم: ١/ ٤٦٥، ولسان العرب: ٢/ ٦١٥، والقاموس المحيط: ١/ ٢٣٨ و٣١٢، وتاج العروس: ١/ ١٧٧١.

ومشقة وعناء، وشدة الاجتهاد في السعي. جاء في (العين): «الكدح: عمل الإنسان من الخير والشر. ويكدح لنفسه. وقوله تعالى: (إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا) (١)، أي: ناصب، وكَدْحًا، أي: نصباً... والكدح: دون الكدم بالأسنان. والكدح بالحجر والحافر» (٢).

وقال ابن دريد: «كَدَحَ الرَّجُلُ يَكْدَحُ كَدْحًا، إذا اكتسب. وكدح لذيابه، وكدح لآخرته. وتكدح جلده، إذا تحدش. وفي الحديث: «يجيء يوم القيامة وفي وجهه كُدُوحٌ وخدوش» (٣). وحمار مكدح، إذا كانت به آثار من عض الفحول» (٤).

وجاء في «معجم مقاييس اللغة»: «(كدح). الكاف والذال والحاء، أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تأثيرٍ في شيء. يقال كَدَّحَهُ وَكَدَّحَهُ، إذا خَدَّشَهُ. وحمار مُكَدَّحٌ: قد عَضَّضَتْهُ الحُمْرُ. ومن هذا القياس كَدَّحَ إِذَا كَسَبَ، يَكْدَحُ؛ فهو كَادِحٌ» (٥).

وبين أبو هلال العسكري (الكدح) حين فرَّق بينه وبين (الكسب) بقوله: «إنَّ الكدح الكسب المؤثر في الخلال كتأثير الكدح، الَّذِي هُوَ الخدش في الجلد، وقال الله تعالى: (إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) (٦). وهو يرجع إلى شدة الاجتهاد في

١. الانشاق/ آية ٦.

٢. العين: ١/ ١٧٧. وينظر: تهذيب اللغة: ١/ ٤٧٠، والمحيط في اللغة: ١/ ١٧٢.

٣. ورد الحديث بألفاظ أخرى، فقد جاء في سنن الدارقطني ٣/ ٢٨: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَهُوَ غَنِيٌّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي وَجْهِهِ كُدُوحٌ وَخُدُوشٌ».

٤. جهرة اللغة: ١، ٢٥٣. وينظر: المخصص: ٢/ ٨٥، والمحكم والمحيط الأعظم: ١/ ٤٢٣، والقاموس المحيط: ١/ ٢٣٠.

٥. معجم مقاييس اللغة: ٥/ ١٣٥.

٦. الانشاق/ الآية ٦.

السَّعي والجمع، وفلان يكدح لذيهاه، ويكدح لآخرته، أي: يجتهد لذلك»^(١).

وجاء في (الصَّحاح في اللُّغة): «الكدح: العمل، والسَّعي، والخدش، والكسب. يُقال: وهو يكدح في كذا، أي: يَكُدُّ. وقوله تعالى «إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا»^(٢)، أي: تسعى. وأصابه شيء؛ فكدح وجهه. وبه كدح وكدوح، أي: خدوش. وقيل: الكدح أكثر من الخدش. وهو يكدح لعياله ويكتدح، أي: يكسب لهم، والتَّكديح: التَّخديش... وتكدَّح الجلد: تخدَّش»^(٣).

وتطابقت دلالة الفعل (كدح) في الخطبة مع دلالاته اللُّغوية؛ إذ ورد مرَّةً واحدة، وهو آخر الأفعال التي جاء بها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان صفة من صفات النَّبيِّ الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في أداء وظيفة - النَّبُوَّة -، وقابل بينه وبين الفعل (بَلَّغَ)^(٤)، وتقدَّم الكلام عليه في الفعل (بلغت) من الكتاب، إذ قال (عليه السلام): «وَشَهِدْتُ بِيَعْتَةِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ... بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ... خَتَمَ بِهِ نُبُوَّتَهُ، وَقَوَّى بِهِ حُجَّتَهُ، فَوَعَّظَ وَنَصَحَ، وَبَلَّغَ وَكَدَحَ». فقد بَلَّغَ الرَّسُولَ الْأَعْظَمَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - رسالة ربِّه بسعي دؤوب، مجتهداً في ذلك كلِّه، مع ما لاقاه من مشقَّة، وعناء، وصعوبة.

و (كدح) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - . وجملة (وكدح) معطوفة على جملة (وبلغ).

١. الفروق اللُّغوية: ٦٤.

٢. الإنشاق/ الآية ٦

٣. الصحاح في اللُّغة: ٢/ ١٠-٩. وينظر: لسان العرب: ٢/ ٥٦٩، وتاج العروس: ١/ ٢٢/ ١١.

٤. ينظر: الفعل (بلغت) من الكتاب.

وَصِيَّتْكُمْ

تدلُّ مادَّةُ (وصي) في اللُّغة على الصَّلَّة، والوصل، والتَّقَدُّم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ. جاء في (تهذيب اللُّغة): «وصيت الشَّيء ووصلته سواء. وقال ذو الرِّمة:

نَصِي اللَّيْلِ بِالْأَيَّامِ حَتَّى صَلَاتِنَا مقاسمة يَشْتَقُّ أَنْصَافَهَا السَّفَرُ^(١)

وفلاة - واصية يتصل بفلاة أخرى... وقال الأصمعي: وصى الشَّيء يصي: إذا اتَّصل. ووصاه غيره يصيه. وقال الليث: الوصاة كالوصية... ويُقال: وصي بين الوصاية، والفعل أوصيت ووصيت إيصاءاً وتوصية. والوصية: ما أوصيت به، وسميت وصيةً لارتباطها بأمر الميت^(٢).

وقال الجوهري: «أوصيت له بشيء، وأوصيت إليه، إذا جعلته وصيك. والاسم الوصاية والوصاية. وأوصيته، ووصيته أيضاً توصية بمعنى. والاسم: الوصاة. وتوآصى القوم، أي: أوصى بعضهم بعضاً... ووصيت الشَّيء بكذا، إذا وصلته... وأرض واصية: متصلة النبات. وقد وصت الأرض إذا اتَّصل نبتها. ورَبَّما قالوا: توآصى النَّبت، وإذا اتَّصل. وهو نبت واصٍ^(٣).

وجاء في (أساس البلاغة): «... ووصى النَّبت: اتَّصل وكثر. وأرض واصية النَّبات. ووَآصى البلد البلد: وأصله. وأوصيت إلى زيد لعمره وكذا ووصيت، وهذا وصي، وهم أوصيائي، وهذه وصيتي ووصاتي، وقبل الوصي وصايته، وهي مصدر الوصي. ومن المجاز: (أوصيك بتقوى الله) «ووصى بها إبراهيم بنيه»

١. ديوانه: ٤٥.

٢. تهذيب اللغة: ٤/ ٢٣٢.

٣. الصحاح في اللغة: ٢/ ٢٨٢.

ووصيك بفلان أن تبرّه وبأرضي أن تعمرها. واستوص بفلان خيراً»^(١).

وقال الفيروزآبادي: «وصى، كَوَعَى خَسَّ بعد رفعه، وأتزن بعد خَفَّة، وأتصل، وَوَصَلَ، والأَرْضُ وَضِيًّا وَوُصِيًّا وَوَصَاءً وَوَصَاءَةً أتصل نباتها - وأوصاهُ وَوَصَّاهُ توصيةً عَهْدَ إِلَيْهِ. والاسم الوَصَاةُ والوِصَايَةُ، والوَصِيَّةُ، وهو المَوْصَى أيضاً. والوَصِيُّ المَوْصِي، والمَوْصَى...»^(٢).

وبهذا الفعل «وصيتكم» صدرَ أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه السلام) وصيته في الخطبة، وورد الفعل فيها موافقاً لدلالته اللغوية؛ فأمر المؤمنين (عليه السلام) يريد أن يصل، ويوصل، ويتقدم لمن حضر في مجلسه وعظاً مقترناً بالعمل به، وأَيُّ وَعَظٍ هَذَا يَصْدُرُ عَنِ سَيِّدِ الْوَاعِظِينَ! إِذْ قَالَ (عليه السلام): «وَصَيْتُكُمْ مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ نِي: بِتَقْوَى رَبِّكُمْ».

فبعد أن ابتدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته بالحمد والثناء على الله - تبارك وتعالى - وتنزيهه ببيان صفاته وأفعاله، شاهداً له بالرُّبُوبِيَّةِ، ولحمْد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بالرِّسَالَةِ، مع بيان صفاته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بتقديم الوعظ لمن حضره في ذلك المجلس.

و (وصيتكم) فعل ماضٍ مبنيٌّ على السُّكُونِ؛ لِاتِّصَالِهِ بِتَاءِ الْفَاعِلِ، وَالتَّاءِ ضَمِيرٌ مَتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ رَفْعِ فَاعِلٍ، عَائِدٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)، وَ(كم) ضَمِيرٌ مَتَّصِلٌ مَبْنِيٌّ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَفْعُولٍ بِهِ، عَائِدٌ إِلَى (معشر من حضري).

..... * * *

١. أساس البلاغة: ١٩/٢. وينظر: العين: ٤٨/٢، مفردات ألفاظ القرآن: ٨٧٣، والمحيط في اللغة:

٢٣٩/٢، ولسان العرب: ٢٩٤/١٥، وتاج العروس: ٨٦٤٨/١.

٢. القاموس المحيط، ٣/٤٨٥.

حَضَرَنِي، حَضَرَهُ

تدلُّ مادَّة (حضر) في اللُّغة على القرب، والشُّهود (المشاهدة)، والإقامة، وهو نقيض الغيِّبة. جاء في (العين): «الحَضَر: خلاف البدو. والحاضرة خلاف البادية؛ لأنَّ أهل الحاضرة حضروا الأمصار والديار... والحَضْرَةُ: قَرَبَ الشَّيْءُ. تقول: كنت بحضرة الدَّار... وضربته بحضرة فلان، وبمحضره أحسنُ في هذا. والحاضر: هم الحيُّ إذا حضروا الدَّار التي بها مجتمعهم، فصار الحاضر اسماً جامعاً كالحاجِّ...»^(١).

وقال الجوهري: «حَضْرَةُ الرَّجُل: قُرْبُهُ وَفِئَاؤُهُ. والحَضْرُ بلد. بإزاء مسكن. ويُقال: كَلَّمْتُهُ بِحَضْرَةِ فُلَانٍ وبمحضرٍ من فلان، أي: بمشهدٍ منه... والحَضْرُ أيضاً خلاف البدو. والمَحَضْرُ: السُّجْلُ. والمحضر: المرجع إلى المياه، وفلان حسن المَحَضْر، إذا كان ممَّن يذكر الغائب بخير... وفلان حاضر بموضع كذا، أي: مقيم به. ويُقال: على الماء حاضر، وهؤلاء قوم حَضَّار، إذا حضروا المياه... والحضور: نقيض الغيبة»^(٢).

وقال الرَّاعِب: «الحَضْر: خلاف البدو، والحَضَارَةُ والحِضَارَةُ: السُّكُونُ بالحضر، كالْبِدَاوَةِ والبِدَاوَةِ، ثُمَّ جُعِلَ ذلك اسماً لشهادة مكان أو إنسان أو غيره، فقال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» البقرة/ ١٨٠... وقال تعالى: «مَا عَمِلْتُمْ مِنْ خَيْرٍ مَحْضَرًا» آل عمران/ ٣٠، أي: مشاهداً معيناً في حكم الحاضر عنده، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: «وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ» الأعراف/ ١٦٣، أي: قربه...»^(٣).

١. العين/ ١/ ١٨٨. وينظر: المحيط في اللغة: ١/ ١٨٧، والمحکم والمحيط الأعظم: ١/ ٤٥٢.

٢. الصحاح في اللغة: ١/ ١٣٤.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٢٤١ و ٢٤٢.

وجاء في (أساس البلاغة): «حضر فلان، وأحضرتة، واستحضرتة، وطلبته فأحضرنيه صاحبه. وهو من حاضري البلد، ومن الحضور. وفعلت كذا وفلان حاضر، وفعلته بحضرتة، وبمحضره... وحاضرتة: شاهدته. وهو من أهل الحضر، والحاضرة، والحواضر، وهو حضريٌّ بين الحضارة... ومن المجاز حضرت الصلاة. وأحضرُ ذهنك. وجاءنا ونحن بحضرة الدار، وحضرة الماء: بقرهها... وحضرت الأمر بخير، إذا رأيت فيه صواباً، وكفيته... وحضر المريض، واحتضر: حضره الموت»^(١).

ويقال في الفعل: حَضَرَ الرَّجُلَ حُضُوراً، وأحضره غيره. وحكى الفراء حَضَرَ بالكسر، لغة فيه. يُقال: حَضَرَتِ القاضِي اليومَ امرأةٌ. وكلُّهم يقول: يَحْضُرُ بالضَّمِّ^(٢). وَحَضَرَ كَنَصَرَ وَعَلِمَ حُضُوراً وَحَضَارَةً ضِدُّ غَابَ، كاحتضر وتحضر، ويُعدَّى، يقال حَضَرَهُ، وَتَحَضَّرَهُ، وَأَحْضَرَ الشَّيْءَ، وَأَحْضَرَهُ إِيَّاهُ^(٣).

وبهذا المعنى ورد الفعل (حضر) مرّتين في الخطبة، أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) - في المرّة الأولى - في وصيته معشرَ مَنْ كان قريباً منه، شاهداً ما يقوله له، إذ قال (عليه السلام): «وَصَيْتُكُمْ مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَنِي».

و(حضرني) حَضَرَ: فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو، عائد إلى (معشر)، والنون للوقاية، لا محلّ لها من الإعراب، والياء ضمير متّصل مبنيٌّ في محلّ نصب مفعول به، عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام). وجملة (حضرني) صلة الموصول، لا محلّ لها من الإعراب.

١. أساس البلاغة: ١/ ٨٩.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ١/ ٥٠٠، والصحاح في اللغة: ١/ ١٣٤، ولسان العرب: ٤/ ١٩٦.

٣. ينظر: المخصص: ٢/ ٤٧٧، والقاموس المحيط: ١، ٣٨٦.

أما في المرّة الثّانية، فقد جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام بيانه حال الإنسان المحتضر، وهو يجدُّ في نزع شديد - وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى -؛ فيكون عنده شاهداً قريباً ومقيماً كلَّ قريب وبعيد، إذ قال (عليه السلام): «ثُمَّ قِيلَ هُوَ مَوْعُوكُ، وَجِسْمُهُ مِنْهُوكُ، ثُمَّ جَدَّ فِي نَزْعِ شَدِيدٍ، وَحَضْرُهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ».

و«حَضْرُهُ» حضر: فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل (كلُّ) مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والهاء في (حضره) ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ نصب مفعول به. وجملة (وحضره كل قريب وبعيد) معطوفة على جملة (ثم جد في نزع شديد).

ذَكَرْتُكُمْ

تدلُّ مادّة (ذكر) في اللّغة على معانٍ، منها: الحفظ، وعدم النسيان، والسّهو. جاء في (العين): «الذكر: الحفظ للشيء تذكرةً، وهو مني على ذكر، والذكر: جريُّ الشيء لسانك، تقول: جرى منه ذكرٌ»^(١).

وقال ابن دريد: «الذكر: ضدُّ النسيان؛ ذكرتُ الشيء أذكره ذكراً أو ذكراً، وهو مني على ذكرٍ وعلى ذكْرٍ، والضمُّ أعلى، وذكّرته ذكراً حسناً. وذكّرته الله أن تفعل كذا وكذا كالقسم...»^(٢).

١. العين: ٤٣٧/١. وينظر: الصحاح في اللغة: ٢٢٧/١، والمحيط في اللغة: ٤٢/٢، والمحکم والمحيط الأعظم: ١٦٣/٣، ولسان العرب: ٣٠٨/٤، وتاج العروس: ٢٨٦٣-٢٨٦٧.

٢. جبهة اللغة: ٣٧٥/١.

وقال أبو هلال العسكري في الفرق بين (الذكر) و(العلم) إنَّ الذِّكْرَ: «وإن كان ضرباً من العلم، فإنَّه لا يسمَّى ذكراً إلا إذا وقع بعد نسيان، وأكثر ما يكون في العلوم الصُّروريَّة، ولا يوصف الله به؛ لأنَّه لا يوصف بالنَّسيان، وقال علي بن عيسى: الذِّكْرُ يضاؤُ السَّهْوِ...»^(١).

وقال الرَّاعِبُ: «الذِّكْرُ: تارة يقال، ويراد به هيئة للنَّفْسِ بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أنَّ الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذِّكْرُ يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشَّيْءِ القلب أو القول؛ ولذلك قيل: الذِّكْرُ ذِكْران: ذِكْرٌ بالقلب. وذِكْرٌ باللسان، وكلُّ واحد منها ضربان: ذِكْرٌ عن نسيان. وذِكْرٌ لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ»^(٢).

وجاء في (أساس البلاغة): «ذكرته ذكراً وذكري. وذكرته تذكرة وذكري «وَذَكَّرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٣). وذكر الشَّيْءَ وتذكرته، واجعله في على ذكر، أي: لا أنساه... واستذكر بدراسته، طلب بها الحفظ»^(٤).

وبهذا المعنى ورد الفعل (ذَكَّرْتُكُمْ) في الخطبة مرَّةً واحدة، جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيَّته مَنْ كان حاضراً عنده، مُذَكِّراً إِيَّاهُمْ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، إذ قال (عليه السلام): «وَصَيْتُكُمْ مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ نِيَّ، وَذَكَّرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ».

وأحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين استعمل الفعل (ذَكَّرْتُكُمْ) بصيغة

١. الفروق اللغوية: ٢٤١.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٣٢٨.

٣. الذاريات: الآية ٥٥.

٤. أساس البلاغة: ١/١٤٧.

(فَعَّلَ)؛ فِرْنَةٌ (فَعَّلَ) لها معانٍ كثيرة، منها المبالغة والتكثير، وهو أشهرها، ويدلُّ على تكرير الفعل، وكثرة القيام به^(١)، وهو ما يتناسب ومعنى الفعل (ذَكَرْتُكُمْ)؛ فإنَّ الذِّكْرَ يحتاج إلى إعادة، وكثرة، ومبالغة. قال الله تعالى: «وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢).

و(ذَكَرْتُكُمْ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على السُّكُونِ؛ لا تُصَالِه بقاء الفاعل، وتاء الفاعل ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ رفع فاعل، عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، و(كم) ضمير متَّصل مبنيٌّ في محلِّ نصب مفعول به، عائد إلى معشر مَنْ كان حاضراً عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في مجلسه. وجملة (ذَكَرْتُكُمْ) معطوفة على جملة (وَصَيْتُكُمْ).

تُسَكِّنُ، سَكَنَ

تدلُّ مادَّة (سكن) في اللُّغة على الهدوء، والاستقرار، والثَّبات، والاستئناس، والاطمئنان، وعدم الانتقال والاضطراب والحركة. جاء في (العين): «السُّكُونُ: ذهاب الحركة، أي: سكت، سكت الرِّيح، وسكن المطر، وسكن الغضب. والسَّكَنُ: المنزل، وهو الْمَسْكَنُ أيضاً. والسَّكِينَةُ: الوديعه، والوقار، تقول: وهو وديع وقور ساكن... وسكينة بني إسرائيل: ما في التَّابوت من موارث الأنبياء... جعله الله لهم سكينه، لا يفرُّون عنه أبداً، وتطمئنُّ قلوبهم إليه»^(٣).

١. ينظر: الفعل (بلغ) من الكتاب.

٢. الذاريات/ ٥٥.

٣. العين: ١/ ٤٣. وينظر: جهرة اللغة: ١/ ٤٧٨، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ١٤٥، ولسان العرب: ٢١١/ ١٢.

وسكن الشيء سكوناً: استقرَّ، وثبت. وسكَّنه غيره تسكيناً^(١).

وقال الرَّاعِب: «السُّكون: ثبوت الشيء بعد تحرُّك، ويستعمل في الاستيطان نحو: سكن فلان مكان كذا، أي: استوطنه... وسكَّان السفينة: ما يسكَّنُ به، والسكَّين سَمِّي لإزالته حركة المذبوح...»^(٢).

جاء في (أساس البلاغة): «سكن المتحرِّك، وأسكنته وسكَّنته، وتناسبت حركاته وسكناته. وسكنوا الدَّار وسكنوا فيها، وأسكنتهم الدَّار، وأسكنتهم فيها، وهم سكن الدَّار وساكنتها وساكنوها وسكَّانها، وهي مسكنهم... ومن المجاز: سكنت نفسي بعد الاضطراب... وسكنت إلى فلان: استأنست به، ولا تسكن نفسي إلى غيره، ومالي سكن، أي: مَنْ أسكن إليه من امرأة ولا حميم، وفلان سكني من النَّاس، ومنه سمَّيت النار سَكناً كما سمَّيت مؤنسة... وتركتهم على سكناتهم: على أحوال استقامتهم التي كانوا عليها لم ينتقلوا إلى غيرها»^(٣).

وتطابقت دلالة الفعل (سكن) في الخطبة مع دلالاته اللُّغوية؛ إذ جاء الفعل (سكن) أربع مرَّات في الخطبة. أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) في المرَّة الأولى في مقام وصيته مَنْ كان حاضراً عنده، إذ قال (عليه السلام): «وَصَيْتُكُمْ مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ نِي، وَذَكَرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تُسَكِّنُ قُلُوبَكُمْ».

والفعل (تُسَكِّنُ) على زنه (فَعَّلَ)، ولهذه الصَّيغة معانٍ كثيرة، منها: الجَعْلُ، وهو جَعْلُ مفعولِهِ على ما هو عليه، نحو: سبحان الَّذي ضوَّء الأضواء، أي:

١. ينظر: الصحاح في اللغة: ١/ ٣٢٣، والمحيط في اللغة: ٢/ ٣٠.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٤١٧.

٣. أساس البلاغة: ١/ ٢٢٣. وينظر: تهذيب اللغة: ٣/ ٣٢٨. والقاموس المحيط: ٣/ ٣٣٥.

جعلها أضواءً^(١)؛ فيكون المعنى في الخطبة (تُسَكَّنُ قُلُوبَكُمْ)، أي: تجعلها ساكنة. و (تُسَكَّنُ) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره (هي)، عائد إلى (برهبة)، وقلوبكم: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و(كم) ضمير متصل مبني في محل جرٍ بالإضافة. وجملة (تُسَكَّنُ قُلُوبَكُمْ) صفة لـ (برهبة).

ومَّا تجدر الإشارة إليه أَنَّ (الرَّهْبَةَ) في القرآن الكريم جاءت مسندة إلى الصدور، وذلك في قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ»^(٢). وقد حاكى أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك بإسناد (الرَّهْبَةَ) إلى القلوب التي في الصدور؛ إذ قال (عليه السلام): «فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةِ تَسَكَّنُ قُلُوبَكُمْ».

أمَّا في المرّة الثَّانِيَةِ، فأورد أمير المؤمنين (عليه السلام) الفعل (سكن) في بيان حال الإنسان المحتضر - وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى -، إذ قال (عليه السلام): « ثُمَّ قِيلَ هُوَ مَوْعُوكُ، وَجِسْمُهُ مِنْهُوَكُ، ثُمَّ جَدَّ فِي نَزْعِ شَدِيدٍ، وَحَصْرُهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، فَشَخَصَ بَبَصَرِهِ، وَطَمَحَ بِنَظَرِهِ، وَرَشَحَ جَبِينَهُ، وَسَكَنَ حَيْنَهُ» وهذه استعارة لطيفة استعملها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو يريد أن يصف حال الإنسان المحتضر، فهو حين يُحْتَضِرُ يطمح بنظره، ويرشح جبينه، وتنقطع منه كلُّ حركة واضطراب، حتَّى ذلك الصَّوت الَّذِي يصدره في حال الاحتضار، وكنَّى

١. ينظر: شرح الشافية: ٩٥ / ١، وأوزان الفعل ومعانيها: ٨٢.

٢. الحشر: ١٣.

عنه بالحنين، وهو الصَّوت الَّذِي تُصدره النَّاقَة في نزاعها إلى ولدها^(١).

و(سكن) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(حنينه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهَاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (سكن حنينه) معطوفة على (ورشح جبينه).

أمَّا في المرَّة الثالثة والرَّابعة، فأورده أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام بيان حال الإنسان المتنعَّم - وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى - في جَنَّة الله - عَزَّ وَجَلَّ - وفردوسه؛ إذ قال (عليه السلام): «فَمَنْ زُحِرِحَ عَن تَعْدِيبِ رَبِّهِ، سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِدَ فِي قُصُورٍ مُّشِيدَةٍ، وَمَلَكَ حُورَ عَيْنٍ وَحَفَدَةً، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، وَسَكَنَ حَظِيرَةَ فِرْدَوْسٍ».

فَمَنْ زُحِرِحَ عَن تَعْدِيبِ رَبِّهِ، اسْتَقَرَّ، وَثَبَتَ، وَاطْمَأَنَّ، وَاسْتَأْنَسَ بِجَنَّةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَحَظِيرَةِ فِرْدَوْسِهِ؛ حَيْثُ كَانَتْ لَهُ سَكْنًا، وَوَطْنًا، وَمَسْتَقْرًا.

و(سكن في جنَّته بقربه) سكن: فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح (فعل جواب الشرط)، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (مَنْ زُحِرِحَ عَن تَعْدِيبِ رَبِّهِ)، و(في) حرف جرٍّ، و(جنَّته) اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهَاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بالإضافة، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل (سكن)، و(بقربه) الباء حرف جرٍّ، و(قربه) اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهَاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وهنا نكتة لطيفة أشار إليها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (بقربه)، وهي إنَّ الجَنَّةَ الحَقِيقِيَّةَ هي القرب منه - تبارك وتعالى -.

١. ينظر: العين: ١/١٦٨، الصحاح في اللغة: ١/١٥٢، ولسان العرب: ١٣/١٢٨.

و(سكن حظيرة فردوس) سكن: فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (مَنْ زحزح عن تعذيب ربه)، و(حظيرة) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و(فردوس) مضاف إليه مجرور، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و(فردوس) مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره. وجملة (وسكن حظيرة فردوس) معطوفة على جملة (وطيف عليه بكؤوس).

تُذْرِي

تدلُّ مادَّة (ذراً) في اللُّغة على معانٍ كثيرة، منها: النَّفْضُ، وَالصَّبُّ. فالذَّرُّ اسم لما ذَرَوْتُهُ بمنزلة النَّفْضِ، اسم ما تَنْفُضُهُ مِنَ الثَّمَرِ المتساقط. والذَّرَى: ما أذْرَأَتِ العَيْنُ مِنَ الدَّمْعِ، أَي: صَبَّتْ، تُذْرِي إِذْرَاءً، وَأذْرَأْتُ الدَّمْعَ: أَذْرَيْتُهُ (١).

وبهذه الدَّلالة ورد هذا الفعل (تذري) في الخطبة مرَّةً واحدة؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تُسَكِّنُ قُلُوبَكُمْ، وَخَشْيَةٍ تُذْرِي دُمُوعَكُمْ»، أَي: عليكم بخشية تصبُّ دموعكم.

و(تذري) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هي، عائد إلى (خشية)، و(دموعكم) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و(كم) ضمير متَّصل مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة.

١. ينظر: العين: ١٥٤/٢، وجمهرة اللغة: ٣٧٦/١، وتهذيب اللغة: ٦٦/٥، والصحاح في اللغة: ١، ٢٤٤، والمحيط في اللغة: ٣٩٤/٢، والقاموس المحيط: ١٠٩، والعباب الزاخر: ١٨/١، ولسان العرب: ٧٩/١، وتاج العروس: ٢٨٥٨/١.

ومما تجدر الإشارة إليه - هنا - أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد صبَّ الدُموع المرتبط بعلم ومعرفة بالله - تبارك وتعالى - ؛ ولذا قال (عليه السلام): «فعلَيْكُمْ... بخشية تدرى دموعكم»، ولم يقل: (فعلَيْكُمْ... بخوف يدرى دموعكم)؛ إذ إنَّ هناك فرقاً بين (الخوف) و(الخشية)، فالخشية اصطلاحاً: «خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه»^(١). وفرَّق الدكتور أحمد الشرباصي بين (الخشية) و(الخوف) بقوله: «وإذا واصلنا قراءة تنا في كتب السلف فيما يتصل بالخوف، وجدنا جملة ألفاظ متقاربة، وإن لم تكن مترادفة، ومنها الخوف، والخشية، والرَّهبة... وقد قالوا في التفرقة الدَّقيقة بينها: إنَّ الخوف هرب من حلول المكروه عند استشعاره، وهو لعامة المؤمنين، وصاحبه يلتجئ إلى الهرب والإمساك، والخشية أخصُّ من الخوف، وهي للعلماء العارفين بالله المشار إليهم بقوله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^(٢) وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالله، وعلى قدر العلم تكون الخشية»^(٣).

فالخشية هي خوف من ذات الله سبحانه، لا من عذابه وعقابه، وذهب الرَّازي إلى أن تخصيص (الخشية) بالله - سبحانه وتعالى - إنما كان للعظمة «لأنَّ الخشية تكون غالباً من عظم المخشي، وإن كان الخاشي قوياً، أمَّا الخوف، فيكون غالباً من ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمراً يسيراً»^(٤).

وفرَّق الدكتور عائشة عبد الرَّحمن بين (الخشية) و(الخوف) بقولها: «وتفترق الخشية عن الخوف بأنَّها تكون عن يقين صادق بعظمة مَنْ نخشاه... أمَّا الخوف،

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٢١٣.

٢. فاطر: ٢٨.

٣. موسوعة أخلاق القرآن: ١ / ١٦٠.

٤. التفسير الكبير: ١٧٧ / ٢٨.

فيجوز أن يحدث عن تسلطٍ بالقهر والإرهاب»^(١).

يُذْهِلُكُمْ

تدلُّ مادَّة (ذهل) في اللُّغة على التَّرْكِ، والسَّلْوِ، والنَّسيان. يقال ذَهَلَ يَذْهَلُ، وَذَهَلَ يَذْهَلُ ذَهولاً. وَذَهَلَ عَنِ الأَمْرِ ذَهولاً، وَقَدْ أَذْهَلَهُ الأَمْرُ، وَأَذْهَلَهُ عَنْهُ: إِذَا نَسِيَهُ، وَسَلَا عَنْهُ، وَتَرَكَه. وَالدَّهْلُ: تَرَكَ الشَّيْءَ: تَنَاسَاهُ عَنِ عَمْدٍ، أَوْ يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ. وَقِيلَ: الدَّهْلُ: السَّلْوُ وَطِيبَ النَّفْسِ عَنِ الإِلفِ. وَالدُّهولُ: شُغْلٌ يورث حُزناً ونسياناً. قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: «يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ»^(٢)، أَي تَسْلُو عَنْ وَلَدِهَا، فَتَرَكَه لِشِدَّةِ القِيامةِ وَالفِرْعِ الأَكْبَرِ^(٣).

وقد شرع أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الفعل (يُذْهِلُكُمْ) في الخطبة، وبعده أفعال خمسة في وصف يوم القيامة، وما يجري فيه على الإنسان، فقال (عليه السلام): «فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تُسَكِّنُ قُلُوبَكُمْ، وَخَشْيَةٍ تُدْرِئُ دُمُوعَكُمْ، وَتَقِيَّةٍ تُنْجِيكُمْ، يَوْمَ يُذْهِلُكُمْ»، أَي: أَنَّ هَذَا اليَوْمَ يَجْعَلُ أَنْفُسَكُمْ تَسْلُو عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَتَتَرَكَه، وَلا طِيبَ لَهَا فِي كُلِّ إِلفٍ؛ إِذْ إِنَّهَا تَكُونُ مَنْصَرِفَةً بِكُلِّهَا لِذَلِكَ اليَوْمِ؛ لِشِدَّتِهِ وَفِرْعِهِ.

وقد صمَّن أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «يَوْمَ يذْهِلُكُمْ» قوله - تبارك

١. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ٢٠٩.

٢. الحج/ ٢.

٣. ينظر: العين: ١، ٢٦٨، وتهذيب اللغة: ٢/ ٣٢٢، والصحاح في اللغة: ٣٩٨، ومفردات ألفاظ القرآن: ٣٢٢، والمحيط في اللغة: ١/ ٣٠٤، والمحکم والمحيط الأعظم: ٢/ ١٨٩، وأساس البلاغة: ١/ ١٥٠، ولسان العرب: ١١/ ٢٥٩، وتاج العروس: ١/ ٧٠٧٨.

وتعالى - «يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ»^(١).

و(يذهلكم) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (يوم)، و(كم) ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. والجملة (يذهلكم) في محل جر بالإضافة إلى الظرف (يوم).

يُبْلِيكُمْ

أصل مادة (يبيلكم) في اللغة من البلاء، أو الابتلاء، وهو إظهار الخير من الشر، والعلم والمعرفة بكنه الأشياء. جاء في (العين): «...بُيِّلَ الإنسان وابتلي إذا امتحن... والبلاء في الخير والشر، والله يبلي العبد بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً. وأبليت فلاناً عذراً، أي: بينت فيما بيني وبينه ما لا لوم عليّ بعده. والبلوى هي البلية، والبلوى: التجربة، بلوته أبلوه بلواً»^(٢).

وقال الرّاعب: «... وبلوته: اختبرته كأنني أخلقتُه من كثرة اختباري له، وقرئ: «هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ» [يونس / ٣٠]، أي: تعرف حقيقة ما عملت؛ ولذلك قيل: بلوت فلاناً، إذا اختبرته، وسمي الغمُّ بلاءً من حيث إنّه يبلي الجسم... وإذا قيل: ابتلى فلان كذا وأبلاه، فذلك يتضمّن أمرين: أحدهما تعرّف حاله، والوقوف على ما يُجهل من أمره، والثاني ظهور جودته وردائه، ورّبما قُصد به الأمران، ورّبما يقصد به أحدهما، فإذا قيل في الله تعالى: بلا كذا وأبلاه،

١. الحج/٢.

٢. العين: ٢/١٩٠. وينظر: تهذيب اللغة: ٥/١٩٠، والمحيط في اللغة: ٢/٤٦٠، والمخصّص: ١/٣٤٣.

فليس المراد منه إلاّ ظهور جودته وردائه، دون التّعرف لحاله، والوقوف على ما يُجهل من أمره؛ إذ كان الله علام الغيوب، وعلى هذا قوله عزّ وجلّ: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» [البقرة / ١٢٤]...^(١).

وجاء في (أساس البلاغة): «وبلي فلان: أصابته بليّة... وناقاة بلو سفر: قد بلاها السفر، وأبلاها. وقولهم: أبليتة عذراً إذا بيّنته له بياناً لا لوم عليك بعده، حقيقته جعلته بالياً لعذري، أي: خابراً له عالماً بكنهه، وكذلك أبليتة يمينا... ومنه أبلى في الحرب بلاء حسناً إذا ظهر بأسه حتّى بلاه الناس، وخبروه... وابتليت الأمر: تعرّفته»^(٢).

وجاء في (لسان العرب): «بَلَوْتُ الرَّجُلَ أَبْلُوهُ بَلَوْاً وَبَلَاءً. وابتليتة: اختبرته، وبلاه يبلوه بَلَوْاً إذا جرّبته واختبره... وقد ابتليتُهُ فأبلاني، أي: استخبرته فأخبرني... وابتلاه الله يُبلي العبد بلاء حسناً، ويبلية بلاء سيئاً... والجمع بلايا»^(٣).

وتطابقت دلالة الفعل (يبليكم) في الخطبة مع دلالة اللُّغوية، إذ جاء الفعل (يبليكم) مرّةً واحدة في الخطبة، وفي معنى إظهار الخير والشرّ، وهو ثاني الأفعال الخمسة التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف يوم القيامة، وما يجري فيه على الإنسان، إذ قال (عليه السلام): «وَصَيْتُكُمْ مَعَشَرَ مَنْ حَضَرَ نِي: بَتَقْوَى رَبِّكُمْ، وَذَكَرْتُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تَسْكُنُ قُلُوبَكُمْ، وَخَشْيَةٍ تُذَرِّي دُمُوعَكُمْ، وَتَقِيَّةٍ تُنَجِّيكُمْ، يَوْمَ يُذْهِلُكُمْ وَيُبْلِيكُمْ».

و(يبليكم) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على الياء؛ منع

١. مفردات ألفاظ القرآن: ١٤٥ و ١٤٦.

٢. أساس البلاغة: ١/ ٣٢.

٣. لسان العرب: ١٤/ ٨٣.

من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (يوم) و(كم) ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة (ويبليكم) معطوفة على جملة (يذهلكم).

يفوز

الفوز: هو الظفر بالخير، والنجاة من الشرِّ والهلاك. يُقال: فاز بالجنة، ونجا من النار، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: «فَلَا تُحْسَبَنَّ لَهُمْ بِمَفَازَةِ مِنَ الْعَذَابِ»^(١)، أي: بمنجاة^(٢). وقيل: إنَّ الفوز: ضدُّ الهلاك. ويُقال: فاز يفوز فوزاً، ثمَّ كثر ذلك حتَّى صار كلُّ مَنْ نال خيراً، فقد فاز به يفوز^(٣). فكلُّ مَنْ أصاب خيراً، فقد فاز به: أي أفلح. والفوز: الظفر، وفاز فلان بالجائزة، أي: ظفر بأيِّ شيء كان^(٤).

وجاء في (أساس البلاغة): «طوبى لمن فاز بالشَّواب، وفاز من العقاب، أي: ظفر ونجا. وهو بمفازة من العذاب، أي: بمنجاة منه... وتقول: تلك الفازة فيها المفازة، أي: المفلحة... وفوز المسافر: ركب المفازة، ومضى فيها... وخرج لهم سهم فائز: إذا غلب، وفاز بفائزة، أي: بشيء يسره ويصيب به الفوز، وتقول: فاز فلان بفائزة هنيئة، وأجيز بجائزة سنيئة»^(٥).

١. آل عمران: ١٨٨.

٢. ينظر: العين: ٩٢/٢، وتهذيب اللغة: ٣٨١/٤، والصحاح في اللغة: ٥٤/٢، والمخصص: ٢٠١/٣، والقاموس المحيط: ٥٦/٢.

٣. ينظر: جمهرة اللغة: ٤٥٧/١.

٤. ينظر: المحيط في اللغة: ٣٠٦/٢، ومفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٧-٥٤٨.

٥. أساس البلاغة: ٣٦٠/١.

وفَرَّقَ أبو هلال العسكري بين (الفوز) و(النَّجاة) بقوله: «إِنَّ النَّجَاةَ هِيَ الْخِلَاصُ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَالْفَوْزُ هُوَ الْخِلَاصُ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَالْفَوْزُ هُوَ الْخِلَاصُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَعَ الْوَصُولِ إِلَى الْمَحْبُوبِ؛ وَهَذَا سَمَّى اللَّهُ - تَعَالَى - الْمُؤْمِنِينَ فَائِزِينَ لِنَجَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ، وَنِيلَهُمُ الْجَنَّةَ، وَلَمَّا كَانَ الْفَوْزُ نَيْلَ الْمَحْبُوبِ قِيلَ فَازَ بِطَلْبَتِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) (١)، أَي: أَنَالُ الْخَيْرَ نَيْلًا كَثِيرًا» (٢).

ويعدُّ لفظ (الفوز) من الأضداد؛ فالمفازة: المنجاة، والمفازة: المهلكة. ومن المهلكة تسميتهم الفلاة: مفازة؛ لأنَّها مهلكة؛ وإنَّما سُمِّيت الفلاة مفازة تفاعلاً، أو لأنَّ ركبها إذا قطعها، وجاوزها، فاز (٣).

وتطابقت دلالة الفعل (يفوز) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ جاء الفعل (يفوز)، مرَّةً واحدة في الخطبة، وهو ثالث الأفعال الخمسة التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف يوم القيامة، وما يجري فيه على الإنسان، إذ قال (عليه السلام): « وَصَيْتُكُمْ مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَنِي: بِنِقْوَى رَبِّكُمْ، وَذَكَرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، فَعَلَيْكُمْ... يَوْمَ يَذْهَبُكُمْ وَيُبْلِيكُمْ، يَوْمَ يَفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقُلَ وَزْنُ حَسَنَتِهِ، وَخَفَّ وَزْنُ سَيِّئَتِهِ».

و(يفوز) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و(فيه) في: حرف جرٍّ، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل (يفوز)، و(مَنْ) اسم موصول مبني على السكون في محلِّ رفع فاعل، و(ثَقُلَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(وزن) فاعل

١. النساء: ٧٣.

٢. الفروق اللغوية: ١٦٠.

٣. ينظر: الأضداد (للأنباري): ١٠٤ و ١٠٥، والروض الأنف: ١٢٠/٢، وشرح مقامات الحريري: ٦١/٣.

مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و(حستته) مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (ثقل وزن حسنته) صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب. وجملة (يفوز فيه من ثقل وزن حسنته) في محلِّ جرٍّ بالإضافة إلى الظرف (يوم).

ثَقُلُ

الثَّقُلُ: ضدُّ الخَفِّ، والثَّقِيلُ: ضدُّ الخَفِيفِ: جاء في (أساس البلاغة): «ثقل الشيء ثقلاً، وثقل الحمل على ظهره، وأثقله الحمل، ورجل مثقل: حمل فوق طاقته. وحملت الدابة ثقلها... ولفلان ثقل كبير، أي: متاع وحشم... وأثقلت الحامل، وامرأة مثقل. وتثاقل عن الأمر. وثاقل إلى الدنيا: أخلد إليها... ومن المجاز: ثقل سمعي، وثقل عليّ كلامك، وأنت ثقل على جلسائك... وأثقله المرض... (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)^(١)، أي: ما في بطنها من كنوز وأموات»^(٢).

وقال الرَّاعِبُ: «الثَّقُلُ والخِفَّةُ متقابلان، فكلُّ ما يترجَّح على ما يوزن به أو يُقدَّر به، يُقال: هو ثقيل، وأصله في الأجسام، ثمَّ يُقال في المعاني، نحو: أثقله الغرم والوزر. قال الله تعالى: «أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ» [الطور/ ٤٠]...»^(٣).

وقد ورد هذا الفعل (ثَقُلَ) مرّةً واحدةً في الخطبة، قابل فيها أمير المؤمنين (عليه

١. الزلزلة: ٢.

٢. أساس البلاغة: ٤٧/١. وينظر: العين: ٣٩٤/١، وجمهرة اللغة: ٢٠٦/١، وتهذيب اللغة: ٢٠٢/٣، والمخصص: ١٦٧/١، والمحکم والمحيط الأعظم: ٣٨/٣، وتاج العروس: ٦٩١١/١.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ١٧٣ و ١٧٤.

السلام) بينه وبين الفعل (خَفَّ) - وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى -، وهو رابع الأفعال الخمسة التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف يوم القيامة، وما يجري فيه على الإنسان، إذ قال (عليه السلام): «وَصَيْتُكُمْ مَعَشَرَ مَنْ حَضَرَ نِي: بِنَقْوَى رَبِّكُمْ، وَذَكَرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، فَعَلَيْكُمْ... يَوْمَ يُدْهِلُكُمْ وَيُبْلِيكُمْ، يَوْمَ يَفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقَلَ وَزُنَّ حَسَنَتِهِ، وَخَفَّ وَزُنَّ سَيِّئَتِهِ».

وتقدّم إعرابه مع الفعل (يفوز).

خَفَّ

تدلُّ مادَّة (خَفَّ) في اللُّغة على القلَّة، والنَّقْص. والحْفِيف: ضِدُّ الثَّقِيل. جاء في (العين): «الحِفَّة: خِفَّةُ الوزن، وخِفَّةُ الحال. وخِفَّةُ الرَّجُل: طَيْشُهُ، وخِفَّتُهُ في عمله. والفعل من ذلك كُلُّهُ خَفَّ يَخِفُّ خِفَّةً فهو خَفِيف... وأخَفَّ فلان إذا خَفَّتْ حالُهُ، أي: رَقَّ. وأخَفَّ الرَّجُل: قَلَّ ثَقْلُهُ في سفر أو حضر»^(١).

وخَفَّ الشَّيْءُ يَخِفُّ خِفَّةً: صار خَفِيفاً. وخَفَّ القَوْمُ خَفُوفاً، أي: قَلُّوا. وقد خَفَّتْ زَحْمَتُهُمْ^(٢).

وقال ابن سيده: «الحِفَّةُ والحِفَّةُ: ضِدُّ الثَّقَلِ والرُّجُوحِ يكون في الجسم والعقل والعمل، خَفَّ يَخِفُّ خَفّاً وخِفَّةً، فهو خَفِيفٌ وخُفَافٌ. وقيل: الخَفِيفُ في الجسم، والخُفَافُ في التَّوَقُّدِ والذُّكاءِ، وجمَعها خُفَافٌ... وشيْءٌ خَفٌّ: خَفِيفٌ... خَفَّ المطرُ:

١. العين: ١/ ٢٩٤. جمهرة اللغة: ١/ ٣٠، وتهذيب اللغة: ٢/ ٤٠٥، ومفردات ألفاظ القرآن: ٢٨٨ و

٢٨٩، والمخصص: ٢/ ٤٦٥، والعباب الزاخر: ١٠/ ٣٠٢، وتاج العروس: ١/ ٥٨١٣.

٢. ينظر: الصحاح في اللغة: ١/ ١٧٩.

نقص...»^(١)، وقد ورد هذا الفعل (خَفَّ) مرَّةً واحدة في الخطبة، قابل فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) بينه وبين الفعل (ثَقَلَ) - وقد تقدَّم الكلام عليه -، وهو خامس الأفعال التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف يوم القيامة، وما يجري فيه على الإنسان، إذ قال (عليه السلام): «وَصَيُّتُكُمْ مَعَشَرَ مَنْ حَصَرَ نِي: بِتَقْوَى رَبِّكُمْ، وَذَكَرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، فَعَلَيْكُمْ... يَوْمَ يُذْهِلُكُمْ وَيُبْلِيكُمْ، يَوْمَ يَفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقَلَ وَزُنُ حَسَنَتِهِ، وَخَفَّ وَزُنُ سَيِّئَتِهِ».

فأمير المؤمنين (عليه السلام) قابل بهذين الفعلين (ثقل) و(خفَّ) بين ثقل الحسنات، وخفة السيئات؛ ليجعله معياراً لمن أراد الظفر بالخير، وهو الجنة، والقرب من الله - تبارك وتعالى -، وهو الجنة الحقيقية، والنجاة من الشرِّ والهلاك في نار جهنم، والبعد عن الله - عزَّ وجلَّ - يوم القيامة.

و(خَفَّ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(وزن) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و(سيئته) مضاف إليه مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظاهرة على آخره، ومضاف، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (خَفَّ وزن سيئته) معطوفة على جملة (ثقل وزن حسنته).

ليغتنم

تدلُّ مادَّة (غنم) في اللُّغة على الغاية، أو الفوز بالشيء في غير مشقَّة^(٢)، أو إفادة شيء لم يملك من قبل^(٣)، وقال الجوهري: «والمَغْنَم والغنيمة بمعنى، يُقال:

١. المحكم والمحيط الأعظم: ٢/٢٧٠.

٢. ينظر: العين: ١/٣٥٨، والمحيط في اللغة: ١/٤١٤.

٣. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/٣٩٧، وعمدة الحفاظ: ٣/١٧٦.

غَنِمَ القَوْمُ غُنْمًا بالغَمِّ، وَغُنَامًا أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، أَي: غَايَتِكَ وَالَّذِي تَتَغَنَّمُهُ. وَغَنَّمْتُهُ تَغْنِيمًا، إِذَا نَقَلْتَهُ. وَاعْتَنَّمَهُ وَتَغَنَّمَهُ: عَدَّهُ غَنِيمَةً» (١).

وقال الرَّاعِبُ: «الغَنَمُ: معروف. قال تعالى: «وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمَنا عَلَيْهِمُ شَحْومَهُما» [الأنعام / ١٤٦]. والغَنَمُ: إِصَابَتُهُ وَالظَّفْرُ بِهِ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ فِي كُلِّ مَظْفُورٍ بِهِ مِنْ جِهَةِ العِدَى وَغيرِهِمْ. قال تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ» [الأنفال / ٤١]... وَالْمَغْنَمُ: ما يُغْنَمُ، وَجمعه مغانم...» (٢).

وتطابقت دلالة الفعل (ليغتنم) في الخطبة مع دلالة اللغوية؛ إذ جاء هذا الفعل (ليغتنم) مرّةً واحدةً في الخطبة، أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام وَعَظِ الإنسان، وإرشاده، وتوجيهه، فبعد أن أتمَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) وَصَفَ يومِ القيامة، وما يجري فيه على الإنسان، انتقل (عليه السلام) إلى وَعَظِ الإنسان، وتوجيهه في فعلين، أحدهما: (ولتكن) - وتقدّم الكلام عليه -، والآخر: (ليغتنم)؛ إذ قال (عليه السلام): «وَلتَكُنْ مَسْأَلَتُكُمْ مَسْأَلَةً ذُلٌّ وَخُضُوعٌ، وَشُكْرٌ وَخُشُوعٌ، وَتَوْبَةٌ وَنُزُوعٌ، وَنَدَمٌ وَرُجُوعٌ، وَلِيغْتَنِمَ كُلُّ مُعْتَنِمٍ مِنْكُمْ، صِحَّتَهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَيْبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلَوْتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ».

فمراد أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله: (وليغتنم... قبل سفره)، أَي: اجعل غايتك الفوز برضا الله - تبارك وتعالى -، والفوز بقربه - عَزَّ وَجَلَّ - بالصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَالشَّيْبَةِ قَبْلَ الهَرَمِ، وَبالسَّعَةِ قَبْلَ الفَقْرِ، وَبالخُلُوةِ قَبْلَ الشُّغْلِ، وَبالحَضْرِ قَبْلَ السَّفْرِ. وَلاشكَّ في أَنَّ الفوز بالقرب من الله - عَزَّ وَجَلَّ -

١. الصحاح في اللغة: ٢/ ٢٧. وينظر: تهذيب اللغة: ٣/ ٨٧، والمحکم والمحيط الأعظم: ٢، ٤٣٧، ولسان العرب: ١٢/ ٤٤٥، ولقاموس المحيظ: ٣/ ٢٢٦، وتاج العروس: ١/ ٧٨٤١.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٦١٥.

— وبرضوانه في السُّقم أكثر مشقَّة منه في الصِّحة، وفي الهرم أكثر منه في الشَّيبة، وهكذا دواليك.

و (ليغتنم) اللّام لام الأمر، و(يغتنم) فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه السُّكون، و(كلُّ) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، و(مغتنم) مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظَّاهرة على آخره، و(منكم) من: حرف جرّ، و(كم) ضمير متّصل مبنيّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ. وجملة (وليغتنم...) معطوفة على جملة (ولتكن مسألتكم...).

يكبر

(كَبُرَ) في اللُّغة نقيض (صَغُرَ). يُقال: كَبُرَ الرَّجُلُ ككُرْمٍ يَكْبُرُ كِبْرًا، وكُبْرًا وكَبَّارَةً، فهو كبير، وكَبُرَ الرَّجُلُ، أي: أَسَنَّ، والكِبْرُ في السَّنِّ^(١). وكبر الأمر، وخطب كبير، وكبر عليّ ذلك، إذا شقَّ عليك. وكبر الرَّجل في قدره، وكبر في سنّه، وشيخ كبير، وذو كبر وكُبر، وهو كبر قومه: أكبرهم في السَّنِّ، أو في الرِّياسة، أو في النِّسب^(٢).

وقال الرَّاعِب: «الكبير والصَّغير من الأسماء المتضايقة التي تقال عند اعتبار بعضها ببعض، فالشيء قد يكون صغيراً في جنب شيء، وكبيراً في جنب غيره،

١. ينظر: العين: ١/ ٤٤، وجمهرة اللغة: ١/ ١٤٦، وتهذيب اللغة: ٣/ ٣٦٧ و٣٦٨، والصحاح في اللغة: ٢/ ١٠٥، والمحيط في اللغة: ٢/ ٤٨، والمخصص: ١/ ٢٥، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ١٧١، ولسان العرب: ٥/ ١٢٥، والمصباح المنير: ٨/ ٣٣، والقاموس المحيط: ١/ ٤٩٦، وتاج العروس: ١/ ٣٤٣٦-٣٤٣٩.

٢. ينظر: ساس البلاغة: ١/ ٣٩٨.

ويستعملان في الكميّة المتّصلة بالأجسام، وذلك كالكثير والقليل، وفي الكميّة المنفصلة كالعدد^(١).

وورد هذا الفعل (يكبر) مرّةً واحدةً في الخطبة للدلالة على الكبر في السنّ، وكان هذا الفعل (يكبر) وبعده أفعال سبعة، وهي (يهرم، يمرض، يسقم، يمله، يُعرض، يتغيّر، ينقطع) سبباً في توجيه أمير المؤمنين (عليه السلام) معشر مَنْ كان حاضراً عنده في مجلسه إلى اغتنام الصّحة قبل السّقم، والشّبية قبل الهرم، والسّعة قبل الفقر، والخلوة قبل الشُّغل، والحضر قبل السّفْر؛ إذ قال (عليه السلام): «وَلْيَعْتَنِمِ كُلُّ مُعْتَنِمٍ مُنْكُمْ، صَحَّتْهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَيَّبَتْهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتْهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلَوَتْهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضَرَتْهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرَمُ، وَيَمْرُضُ وَيَسْقَمُ، وَيَمْلَهُ طَبِيبُهُ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ، وَيَنْقَطِعُ عُمُرُهُ».

و(يَكْبُرُ) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (هو) في قوله (قبل هو يكبر). وجملة (يكبر) في محل رفع خبر للمبتدأ (هو).

يَهْرَمُ

تدلُّ مادّة (يَهْرَمُ) في اللّغة على أقصى الكبر في السنّ، وبلوغ الغاية فيه، والضعف. يُقال: هَرِمَ هرماً ومهرماً، وهَرَمَتِ السُّنُونُ، وهو ابن هرمة، وابن عجزه: لولد الشّيخ. وولد لهرمة^(٢). والهَرَمُ: بلوغ الغاية في السنّ^(٣). وشيخ هرم

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٩٦.

٢. ينظر: العين: ١/ ٢٧١.

٣. ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٤٤٧.

وشيوخ هرمى، وقد هَرِمَ هرمًا، ومن المجاز: خشبُ هرمي: قديمة يابسة^(١). وهَرِمَ هرمًا من باب تَعَبَ فهو هَرِمٌ كَبِرَ وَضَعُفَ، ويتعدَّى بالهمزة؛ فيقال: أَهْرَمَهُ، إذا أضعفه^(٢). والمَهْرَمُ، مَحْرَكَةٌ، والمَهْرَمُ والمَهْرَمَةُ أَقْصَى الكِبَرِ، هَرِمَ كَفَرِحَ، فهو هَرِمٌ^(٣).

وجاء هذا الفعل (يَهْرَمُ) مرَّةً واحدة في الخطبة مطابقاً لدلالته اللغوية، وهي أَقْصَى الكِبَرِ فِي السَّنِّ، وبلوغ الغاية فيه، والضعف. وهو ثاني الأفعال الثمانية التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في توجيهه معشر مَنْ كان عنده في مجلسه إلى اغتنام الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، والشَّيْبَةِ قَبْلَ المَهْرَمِ، والسَّعَةِ قَبْلَ الفَقْرِ، والخُلُوةِ قَبْلَ الشُّغْلِ، والحِضْرِ قَبْلَ السَّفْرِ، إذ قال (عليه السلام): «وَلْيَعْتَنِمْ كُلُّ مُعْتَنِمْ مِنْكُمْ، صِحَّتَهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَيْبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخُلُوتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرَمُ».

وقد قرن أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يهرم) بالفعل (يكبر)، وواضح أَنَّهُ (عليه السلام) إِنَّمَا فعل ذلك؛ لَأَنَّ أَوَّلَ أَمْرِ الإنسان يكبر في السَّنِّ، حَتَّى يبلُغ أَقْصَى الكِبَرِ فِيهِ، وصولاً إلى حالة الضَّعْفِ فِي حالة (يهرم).

و(يهرم) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (هو) المتقدِّم في قوله: (قبل هو يكبر ويهرم). وجملة (ويهرم) معطوفة على جملة (يكبر).

١. ينظر: تهذيب اللغة: ١٣٣٢/٢، والصحاح في اللغة: ٢/٢٥٠، والمحيط في اللغة: ١/٣٠٨، والمخصص ١/٢٧، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢/١٩٦، وأساس البلاغة: ١/٢، ولسان العرب: ١٢/٧٠٦.

٢. ينظر: المصباح المنير: ١٠/١٣٤.

٣. ينظر: القاموس المحيط: ٣/٢٩٥.

يَمْرُضُ

تدلُّ مادَّة (يمرض) في اللُّغة على الضَّعف، والنُّقصان، والمرض: ضدَّ الصَّحة. يُقال: مَرِضَ يَمْرُضُ مَرَضًا وَمَرَضًا، فهو مريض، ومارض، من باب تعب. وأصل المرض الضَّعف، وكلُّ ما ضَعُفَ، فقد مَرِضَ، ومنه قولهم: امرأة مريضة الأَلحاظ، ومريضة النَّظر، أي: ضعيفة النَّظر، ومَرِضَ الرَّجُلُ في كلامه، إذا ضَعَفَهُ، وريح مريضة إذا ضَعُفَ هُبُوبُهَا^(١). وأصل المرض النُّقصان، فيقال: بدن مريض، أي: ناقص القوَّة، وقلب مريض: ناقص الدِّين، ومَرِضَ فلان في حاجتي: إذا نقصت حرركه فيها^(٢). والمرض: كلُّ ما خرج به الإنسان عن حدِّ الصَّحة من علَّة، أو نفاق، أو تقصير في أمر، وقد جمعوا مريضاً مَرَضَى وَمَرَضَى^(٣).

وورد هذا الفعل (يمرض) مرَّةً واحدة في الخطبة للدلالة على ضدَّ الصَّحة. وهو ثالث الأفعال الثمانية التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في توجيهه معشر مَنْ كان حاضراً عنده في مجلسه إلى اغتنام الصَّحة قبل السُّقم، والشَّيبة قبل الهرم، والسَّعة قبل الفقر، والخلوة قبل الشُّغل، والحضر قبل السَّفَر؛ إذ قال (عليه السلام): «وَلْيَعْتَنِمِ كُلُّ مُعْتَنِمٍ مِنْكُمْ، صِحَّتَهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَيْبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلْوَتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرَمُ، وَيَمْرُضُ وَيَسْقُمُ».

و (يمرض) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره،

١. ينظر: العين: ٢٢/٢، والصحاح في اللغة: ١٦٦/٢، ومفردات ألفاظ القرآن: ٧٦٥، والمحيط في اللغة: ١٩٨/٢، وأساس البلاغة: ١٤٤/١، ولسان العرب: ٢٣١/٧، وتاج العروس: ٤٧٣/١.ز.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ١٥٧/٤.

٣. ينظر: المصباح المنير: ٤٣٩/٨.

والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (هو) المتقدم من قوله: (قبل هو يكبر ويهرم). وجملة و(يمرض) معطوفة على جملة (يهرم).

يَسْقُمُ

تدلُّ مادَّة (يَسْقُمُ) في اللُّغة على ملازمة المرض، أو طوله يُقال: سَقِمَ يَسْقِمُ سَقَمًا، وسُقِمًا وسَقَامًا من باب تعب: طال مرضه، وسَقِمَ سَقَمًا من باب كَرُمَ كَرَمًا فهو سقيم، ويتعدى بالهمزة والتضعيف. وأسقمه الله إسقاماً فهو مُسَقَمٌ. والسُقْمُ والسَقَمُ لغات، والسَّقِيم: المريض الذي ثابته سَقَمُه، فلم يكد يفارقه^(١).

وجاء هذا الفعل (يسقم) مرّة واحدة في الخطبة مطابقاً لدالته اللغوية، وهي ملازمة المرض أو طوله. وهو رابع الأفعال الثمانية التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في إرشاده معشر مَنْ كان عنده في مجلسه إلى اغتنام الصّحة قبل السُّقم، والشّيبية قبل الهرم، والسّعة قبل الفقر، والخلوة قبل الشُّغل، والحضر قبل السّفْر، إذ قال (عليه السلام): «وَلْيَغْتَنِمْ كُلُّ مُغْتَنِمْ مِنْكُمْ، صِحَّتَهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَيْبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلْوَتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرَمُ، وَيَمْرُضُ وَيَسْقُمُ».

وقد قرن أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يسقم) بالفعل (يمرض)، وواضح أنّه (عليه السلام) إنّما فعل ذلك؛ لأنّ المرض بداية ضعف الإنسان أو

١. ينظر: العين: ٣٨٤/١، وجمهرة اللغة: ٤٧٥/١، وتهذيب اللغة: ١٧٣/٣، والصحاح في اللغة: ٣٢١/١، ومفردات القرآن: ٤١٥، والمحيط في اللغة: ٤٥١/١، والمخصص: ٤١٦/١، ٣٧٧/٣، والمحكم والمحيط الأعظم: ٨/٣، وأساس البلاغة: ٢٢١/١، ولسان العرب: ٢٨٨/١٢، والمصباح المنير: ٢٦٦/٤، والقاموس المحيط: ٢٣٩/٢، وتاج العروس: ٧٧٥٦/١.

نقصان صحته، ثمَّ تصل به الحال إلى أن يكون هذا المرض ملازماً له، ثابتاً، وهي حالة السُّقْم.

و(يسقم) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (هو) المتقدم في قوله: (قبل هو يكبر ويهرم). وجملة (يسقم) معطوفة على جملة (ويمرض).

يَمَلُّهُ

تدلُّ مادة (يملُّه) في اللغة على الصَّجْر، والتَّبْرُّم، واليَأْس؛ فيكون الإعراض نتيجته. جاء في (العين): «... طريق مُمَلُّ: قد سَلِكَ حَتَّى صَار مُعْلَمًا... والمَلَلُ والمَلَالُ: أَنْ تَمَلَّ شَيْئًا، وتُعْرَضُ عَنْهُ»^(١).

ويُقال: مَلَّتُ الشَّيْءَ بالكسر، ومَلَّتُ فِيهِ أَيْضاً مَلَالاً وَمَلَّةً وَمَلَالَةً، إِذَا سَمَّيْتَهُ. واستمَلَّتُهُ كذَلِكَ، وَرَجُلٌ مَلٌّ وَمَلُولٌ وَمَلُولَةٌ وَذُو مَلَّةٍ. وامرأة مَلُولَةٌ، وَأَمَلَّهُ وَأَمَلَّ عَلَيْهِ، أَي: أَسَاءَهُ^(٢). والمَلَلُ والمَلَالَةُ والمَلَالُ: السَّامَةُ، وَرَجُلٌ مَلٌّ، أَي: مُمَلُّوْلٌ، أَي: صَجِرٌ. وَجَمَلٌ مُمَلٌّ: وَهُوَ النَّضْوُ الَّذِي كَثُرَ رُكُوبُهُ حَتَّى تُرِكَ لَا حِرَاكَ بِهِ، وَأَمَلَّ عَلَى فُلَانٍ، أَي: شَقَّ عَلَيْهِ^(٣). وَمَلَّتُ الشَّيْءَ مَلَّةً: بَرَمْتُ بِهِ، وَأَمَلَّنِي وَأَمَلَّ عَلَيَّ: أَبْرَمَنِي^(٤). والمَلَالُ: فَتَوَرَّ يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ مَزَاوَلَتْهُ شَيْءٌ، فَيُوجِبُ

١. العين: ١٨٧/٢. وينظر: تهذيب اللغة: ١٧٧/٥، وأساس البلاغة: ٤٥٢/١، وتاج العروس: ٧٥٢١/١ و٧٥٢٢.

٢. ينظر: جمهرة اللغة: ٦٠/١، والصحاح في اللغة: ١٨١/٢.

٣. ينظر: المحيط في اللغة: ٤٥٣/٢.

٤. ينظر: لسان العرب: ٦٢٨/١١.

الكلال، والإعراض عنه^(١).

وتطابقت دلالة الفعل (يملئه) في الخطبة مع دلالاته اللغوية، وهي: الضجر، والتبرُّم، واليأس؛ فقد جاء مرَّةً واحدةً في الخطبة، وهو خامس الأفعال الثمانية التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في توجيهه معشر مَنْ كان عنده في مجلسه إلى اغتنام الصِّحة قبل السُّقم، والشَّيبة قبل الهرم، والسَّعة قبل الفقر، والخلوة قبل الشُّغل، والحضر قبل السَّفَر؛ إذ قال (عليه السلام): «وَلِيَعْتَنِمَ كُلُّ مُعْتَنِمٍ مِنْكُمْ، صِحَّتَهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَيْبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلْوَتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرُمُ، وَيَمْرُضُ وَيَسْقُمُ، وَيَمْلَأُ طَبِيبُهُ».

فبعد أن يضعف الإنسان، وتنقص صحَّته في حال (يمرض)، ثمَّ تصل به الحال سوءاً إلى أن يكون المرض ملازماً له، ثابتاً، وهي حال (يسقم)؛ فييأس منه حينذاك طبيبه، أي: يتبرَّم، ويضجر، وهي حال (يمله طبيبه).

و(يمله) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ نصب مفعول به، عائد إلى (هو) المتقدم في قوله: (قبل هو يكبر ويهرم). و(طبيبه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ في محلِّ جرِّ بالإضافة. وجملة (ويمله طبيبه) معطوفة على جملة (ويسقم).

يُعْرَضُ

تدلُّ مادَّة (أَعْرَضَ - يُعْرِضُ) في اللُّغة على الصَّدِّ عن الشَّيء، ومجانبتة، ونسيانه،

والحياد عنه. يُقال: أَعْرَضَ عن الشَّيْءِ، أي: جانبه، وعدل عنه، وأَعْرَضْتُ بوجهي عنه، أي: صَدَدْتُ وَحَدْتُ^(١). وأَعْرَضَ لُبِّي عن كذا: إذا نسيتَه^(٢). وأَعْرَضَ يُعْرِضُ مِنْ أَعْرَضَ عن الشَّيْءِ، إذا وُلَّاهَ ظهره^(٣).

وبهذا المعنى ورد الفعل (يُعْرِضُ) مرَّتين في الخطبة، مرَّةً أوردته أمير المؤمنين (عليه السلام) سادس الأفعال الثمانية التي جاء بها في مقام توجيهه (عليه السلام) معشر مَنْ كان جالساً عنده إلى اغتنام الصَّحَّة قبل السُّقْم، والشَّيْبَة قبل الهرم، والسَّعة قبل الفقر، والخلوة قبل الشُّغل، والحضر قبل السَّفَر؛ إذ قال (عليه السلام): «وَلْيُعْتَنِمِ كُلُّ مُعْتَنِمٍ مِنْكُمْ، صِحَّتَهُ قَبْلَ سَقْمِهِ، وَشَيْبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلْوَتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرَمُ، وَيَمْرَضُ وَيَسْقُمُ، وَيَمْلَهُ طَبِيبُهُ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ». ومراده (عليه السلام): أَنَّ الإنسان إذا يمرض ويسقم) و(يمله طبيبه): ييأس من شفائه، وتتعدَّى هذه الحال إلى المقرَّبين منه؛ فـ(يُعرض عنه حبيبه)، أي: يصدُّ عنه، ويجانبه، ويحيد عنه؛ لما يعرفوا من حال ذلك الإنسان السَّقِيم من طبيبه؛ فيعرضوا عنه.

و(يعرض) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، و«عنه» عن: حرف جرٍّ، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، عائد إلى هو المتقدِّم في قوله: (قبل هو يكبر ويهرم). والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل (يعرض)، و(حبيبه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (ويعرض عنه حبيبه) معطوفة على جملة (ويمله طبيبه).

١. ينظر: العين: ٦٣/١، والصحاح في اللغة: ١٠٨٤-١٠٨٥، ولسان العرب: ٥٦/٧.

٢. ينظر: أساس البلاغة: ٣٠٦/١.

٣. ينظر: لسان العرب: ١٥٦/٧.

ومَّا تجدر الإشارة إليه هنا الدقة في إيراد الأفعال بحسب تدرُّج معانيها مع ملاحظة الفروق الدقيقة بين فعل وآخر في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويبدو واضحاً هذا الأمر في التدرُّج الحاصل بين هذه الأفعال التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام)، التي كانت سبباً في توجيهه (عليه السلام) معشر مَنْ كان جالساً عنده، وهي (يكبر ويهرم)، و(يمرض ويسقم)، و(يمله طبيبه)، و(يعرض عنه حبيبه). فبعد أن يكبر الإنسان في السنِّ، حتَّى يبلغ أقصى الكبر فيه (يهرم)، ثُمَّ (يمرض)؛ فتبدأ حالته الصَّحيَّة بالتَّقصُّ والضعف، حتَّى تصل إلى أنَّه (يسقم): إلى ملازمة المرض له وثبوتها، ثُمَّ تصل به الحال إلى أنَّ طبيبه ييأس منه، ويتبرَّم، ويضجر، بل تتعدَّها إلى المقرَّبين منه؛ ف(يُعرض عنه حبيبه)؛ لما علموا من حاله الميؤوس منها من طبيبه. فكان (عليه السلام) يضع لكلِّ معنى لفظاً يصل به إلى حقيقة ذلك المعنى، ومراده.

أمَّا في المرَّة الثَّانية، فقد أوردته أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام بيان عذاب الإنسان المذنب يوم القيامة - وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى - بعد أن يرد جهنَّم بكرب وشدة، وهو تاسع الأفعال الأحد عشر التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان، الَّذي ورد جهنَّم، إذ قال (عليه السلام): «فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلَخُ جِلْدَهُ، يَضْرِبُهُ زَيْبَتُهُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ»، فحينذاك يستغيث من ذلك كله، بيِّد أنَّ خزنة جهنَّم يحيدون عنه، ويجانبونه، ويصدون عنه؛ إذ قال (عليه السلام): «يَسْتَعِيْثُ؛ فَتُعْرِضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ»، وتقدِّم^(١) أنَّ العطف بالفاء يفيد الترتيب بالتَّصال، أي: بلا مهلة، وهو المعبرُّ عنه بالتَّعقيب، وكثيراً ما تقتضي - أيضاً - السَّبب إن كان المعطوف جملة، وكذا هي الحال في الخطبة؛ إذ قال

١. ينظر: الفعل (عدل) من الكتاب.

أمير المؤمنين (عليه السلام): (يَسْتَعِيْثُ؛ فَتُعْرِضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ)، ف(يستغيث) – وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى – فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، والفاء عاطفة، و(تعرض) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و(عنه) عن: حرف جرّ، والهاء ضمير متصل مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلقان بالفعل (تعرض)، و(خزنة) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و(جهنّم) مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الفتحة بدل الكسرة؛ لأنّه ممنوع من الصّرف، والجملة الفعلية (تعرض عنه خزنة جهنم) معطوفة على الجملة الفعلية (يستغيث).

ومن قَمِيْن القول إن أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل هذا الفعل (تعرض) بزنة المضارع، وتقدّم أنّ صيغة المضارع تدلُّ على التّجدد^(١)، وهو ما يتناسب وحال الإنسان في ذلك الموقف؛ إذ إنّه تتكرّر منه الاستغاثة، والنصرة، والتّخليص من الشّدة، والنقمة، والفكّ من الشّدائد، والتّفريج عنه، بيد أنّ خزنة جهنّم تقابل هذا الطّلب المتكرّر بإعراض مماثل متكرّر، فقال (عليه السلام): «يَسْتَعِيْثُ؛ فَتُعْرِضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ».

يَتَغَيَّرُ

تدلُّ مادّة (يتغير) في اللّغة على التّحوّل، والتّبديل، والاختلاف يُقال: تَغَيَّرَ الشَّيْءُ عَنْ حَالِهِ، أَي: تَحَوَّلَ، وَغَيْرَهُ: حَوَّلَهُ، وَبَدَّلَهُ، كَأَنَّهُ جَعَلَ غَيْرَ مَا كَانَ، وَفِي

١. ينظر: الفعل (نستعينه) من الكتاب.

التنزيل العزيز: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)^(١)، أي: حَتَّى يُبَدِّلُوا مَا مَا أَمْرَهُمُ اللَّهُ.

والغَيْرُ الاسم من التَّغْيِيرِ، وَغَيَّرَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ: حَوَّلَهُ، وَتَغَايَرَتِ الْأَشْيَاءُ: اخْتَلَفَتْ، وَالغِيَارُ: الْبَدَالُ، وَالغَيْرُ: تَغْيِيرُ الْحَالِ، وَانْتَقَالَهَا مِنَ الصَّلَاحِ إِلَى الْفَسَادِ^(٢).

وقال الرَّاعِبُ: «... وَالتَّغْيِيرُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أحدهما: لِتَغْيِيرِ صُورَةِ الشَّيْءِ دُونَ ذَاتِهِ. يُقَالُ: غَيَّرْتُ دَارِي: إِذَا بَنَيْتَهَا بِنَاءً غَيْرَ الَّذِي كَانَ.

والثَّانِي: لِتَبْدِيلِهِ بِغَيْرِهِ. نَحْوُ: غَيَّرْتُ غَلَامِي وَدَابَّتِي: إِذَا أَبَدَلْتَهُمَا بِغَيْرِهِمَا. نَحْوُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» [الرعد / ١١].

والفَرْقُ بَيْنَ غَيْرَيْنِ وَمُخْتَلَفَيْنِ أَنَّ الْغَيْرَيْنِ أَعْمٌ، فَإِنَّ الْغَيْرَيْنِ قَدْ يَكُونَانِ مُتَّفَقَيْنِ فِي الْجَوْهَرِ بِخِلَافِ الْمُخْتَلَفَيْنِ، فَالْجَوْهَرَانِ الْمُتَحَيِّزَانِ هُمَا غَيْرَانِ وَلَيْسَا مُخْتَلَفَيْنِ، فَكُلُّ خِلَافَيْنِ غَيْرَانِ، وَلَيْسَ كُلُّ غَيْرَيْنِ خِلَافَيْنِ^(٣).

وَتطابقت دلالة الفعل (يتغير) في الخطبة مع دلالاته اللغوية، وهي: التَّحَوُّلُ، وَالتَّبَدُّلُ، وَالاختلاف؛ فقد جاء مرَّةً واحدةً في الخطبة، وهو سابع الأفعال الثمانية التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في إرشاده معشر مَنْ كَانَ جَالِساً عِنْدَهُ إِلَى اغْتِنَامِ الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَالشَّبِيبةِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَالسَّعةِ قَبْلَ الْفَقْرِ، وَالخُلُوةِ قَبْلَ الشُّغْلِ، وَالْحَضْرَ قَبْلَ السَّفْرِ؛ إِذْ قَالَ (عليه السلام): «وَلْيَعْتَنِمِ كُلُّ مُعْتَنِمٍ

١. الأنفال: ٥٣.

٢. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/ ٢٩، ولسان العرب: ٥/ ٣٤، وتاج العروس: ١/ ٣٢٢٥.

٣.. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٩١.

مُنْكُمْ، صِحَّتَهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَبَّيْتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلَوْتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضَرْتَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرَمُ، وَيَمْرُضُ وَيَسْقُمُ، وَيَمْلَأُ طَبِيبُهُ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ».

و(يتغير) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و(عقله) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة، عائد إلى (هو) المتقدم في قوله (قبل هو يكبر ويهرم). وجملة (ويتغير عقله) معطوفة على جملة (ويعرض عنه حبيبه).

يَنْقَطِعُ

تدلُّ مادَّة (ينقطع) في اللُّغة على النَّفاد، وانتهاء الغاية، والضعف، والنقص، وذهاب الوقت، والعبور، والانفصال. يُقال: قَطَعْتُهُ قَطْعاً وَمَقْطَعاً فَانْقَطَعَ، وَقَطَعْتُ النَّهْرَ قُطُوعاً. وَقُطِعَ بَفُلَانٍ: الْقَطْعُ رَجَاؤُهُ، وَمُنْقَطِعٌ كُلُّ شَيْءٍ حَيْثُ تَنْتَهِي غَايَتُهُ. وَالْقِطْعَةُ: طَائِفَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَانْقَطَعَ الشَّيْءُ: ذَهَبَ وَقْتُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: انْقَطَعَ الْبَرْدُ وَالْحَرُّ. وَانْقَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مُنْقَطِعٌ بِهِ: إِذَا عَجَزَ عَنْ سَفَرِهِ مِنْ نَفْقَةٍ ذَهَبَتْ، أَوْ قَامَتْ عَلَيْهِ رَاحِلَتُهُ، أَوْ آتَاهُ أَمْرٌ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَحَرَّكَ مَعَهُ. وَقِيلَ: هُوَ إِذَا كَانَ مُسَافِراً فَأَقْطَعَ بِهِ وَعَطَبَتْ رَاحِلَتُهُ، وَنَفَدَ زَادُهُ وَمَالُهُ. وَتَقُولُ الْعَرَبُ: فُلَانٌ قَطِيعُ الْقِيَامِ، أَي: مُنْقَطِعٌ، إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ انْقَطَعَ مِنْ ثِقَلٍ أَوْ سَمْنَةٍ، وَرُبَّمَا كَانَ مِنْ شِدَّةِ ضَعْفِهِ. وَمَقْطَعُ الْحَقِّ: مَوْضِعُ التَّقَاءِ الْحَكْمِ فِيهِ، وَهُوَ مَا يَفْصِلُ الْحَقَّ مِنْ

الباطل^(١). وقطعت النَّهر: عبرته^(٢).

وبهذه الدلالة جاء هذا الفعل (ينقطع) في الخطبة مرّةً واحدة، وهو ثامن الأفعال التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في توجيهه معشر مَنْ كان جالساً عنده إلى اغتنام الصّحة قبل السُّقم، والشّبيبة قبل الهرم، والسّعة قبل الفقر، والخلوة قبل الشُّغل، والحضر قبل السّفر؛ إذ قال (عليه السلام): «وَلْيَعْتَنِمَ كُلُّ مُعْتَنِمٍ مُنْكُمْ، صِحَّتَهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَبِيبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلْوَتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرَمُ، وَيَمْرُضُ وَيَسْقُمُ، وَيَمْلَأُهُ طَبِيبُهُ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ، وَيَنْقَطِعُ عُمُرُهُ».

وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين استعمل هذا الفعل (ينقطع)؛ إذ إنّه (عليه السلام) سينتقل - سيعبر - إلى بيان حال الإنسان في بداية الموت (الاحتضار)، فكأنّ الإنسان بانقطاع عمره، أي: انتهائه، ونفاده، وذهابه يعبر من حال إلى حال، فهو ينتقل من حال (الحياة) إلى حال (بداية الموت - الاحتضار)، وهذا الفعل بداية الانتقال إلى حال (الاحتضار والموت)، فهو في هذه الحال في عداد الموتى، ومنه نلاحظ دقة أمير المؤمنين (عليه السلام) في استعماله الأفعال في الانتقال من فقرة إلى أخرى في الخطبة بما يتناسب والفقرة اللاحقة، وهكذا دواليك. فالفعل (ينقطع) ربط بين قوله (عليه السلام): «وَلْيَعْتَنِمَ كُلُّ مُعْتَنِمٍ مُنْكُمْ، صِحَّتَهُ قَبْلَ سُقْمِهِ، وَشَبِيبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَخَلْوَتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرَمُ، وَيَمْرُضُ وَيَسْقُمُ، وَيَمْلَأُهُ طَبِيبُهُ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ

١. ينظر: العين: ٢٤/١، وتهذيب اللغة: ٤٦/١، والصحاح في اللغة: ٨٤/٢ و٨٥، ومفردات ألفاظ القرآن: ٦٧٧ و٦٧٨، والمحيط في اللغة: ١٣/١، والمخصص: ١٣٥/٣، والمحكم والمحيط الأعظم: ٥٢/١ و٥٣، ولسان العرب: ٢٧٦/٨، وتاج العروس: ٥٤٧٧/١.

٢. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٠١/٥، ولسان العرب: ٢٧٦/٨.

حَيِّبُهُ»، وقوله (عليه السلام): «ثُمَّ قِيلَ هُوَ مَوْعُوكُ، وَجِسْمُهُ مَنَّهُوْكُ، ثُمَّ جَدَّ فِي نَزَعٍ شَدِيدٍ، وَحَصْرَهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، فَشَخَصَ بَبَصْرِهِ، وَطَمَحَ بِنَظَرِهِ، وَرَشَحَ جَبِينَهُ، وَسَكَنَ حَنِينَهُ، وَجَذِبَتْ نَفْسُهُ».

و(ينقطع) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و(عمره) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة. وجملة (وينقطع عمره) معطوفة على جملة (ويتغير عقله).

قِيلَ

يُقال: قال يقول قولاً ومقالاً، أي: تكلم كلاماً خارجاً من اللسان^(١)، كما قال تعالى: «قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^(٢).

والقول في (الاصطلاح): هو الكلام، ويراد به مجموعة من المعاني تخالج النفس الإنسانية، ويعبر عنها بمجموعة من الألفاظ والعبارات^(٣)، كما في قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٤).

وقيل في الفرق بينهما إن: «إجماع الناس على أن يقولوا: القرآن كلام الله، ولا

١. ينظر: تهذيب اللغة: ٣٠٢/٩، ولسان العرب: ٥٧٢/١١، ومجمع البحرين: ٣٧٥/٢.

٢. الزمر: ٥٠.

٣. ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٤٢٩/٢، وألفاظ الحياة الثقافية: ٣٢٥.

٤. آل عمران: ٣٥.

يقولون القرآن: قول الله» (١).

وقال ابن منظور إن: «الكلام ما كان مكتفياً بنفسه، وهو الجملة، والقول: ما لم يكن مكتفياً بنفسه، وهو جزء من الجملة» (٢). فهناك علاقة خصوص وعموم.

وإذا كان الفعل المبني للمجهول ثلاثياً معتلاً العين، نحو: (قال) فإنه سُمِعَ في فائه ثلاثة أوجه، أولها: إخلاص الكسر، فيقال: قِيلَ، والثاني: إخلاص الضم، فيقال قُويل، والثالث: الإشمام، وهو الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر، ولا يظهر ذلك إلا في اللفظ، ولا يظهر في الخط (٣).

وورد هذا الفعل (قيل) مرة واحدة في الخطبة، وبعده أفعال سبعة، وهي (جدد، حضره، شخص، طمح، رشح، سكن، جذبت) بين فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) حال الإنسان المحتضر، إذ قال (عليه السلام): «ثُمَّ قِيلَ هُوَ مَوْعُوكُ، وَجِسْمُهُ مِنْهُوَكُ». والموعوك: الذي وعكته الحمى والمرض، والذي بالغ المرض في انحناؤه (٤).

و(ثُمَّ): حرف عطف، و(قيل) فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبني على الفتح، و(هو) ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ، (موعوك) خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، ومقول القول (هو موعوك) من المبتدأ والخبر في محل رفع نائب فاعل لفعل (قيل). وجملة (ثُمَّ قِيلَ مَوْعُوكُ) معطوفة على جملة (وينقطع عمره).

١. الخصائص: ١٨/١. وينظر: النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي: ٦٤ وما بعدها.

٢. لسان العرب: ١٢/٥٢٢.

٣. ينظر: شرح ابن عقيل: ١/٥٠٢-٥٠٥.

٤. ينظر: تهذيب اللغة: ٤/٢١٠، والمصباح المنير: ٩٦٩.

جَدَّ

تدلُّ مادَّة (جَدَّ) في اللُّغة على الاجتهاد في العمل، والعظم، والجلال، والقرب، وهو نقيض الهزل. جاء في (العين): «... والجُدُّ: نقيض الهزل، وجدَّ فلانٌ في أمره وسيره، أي: انكمش عنه بالحقيقة. والجِدَّةُ: مصدر الجديد... والجِدَّةُ: جدة النَّهر، أي: ما قرب من النَّهر... والمجَادَّةُ: المُحاكَّةُ في الأمر»^(١).

وقال الأزهرِيُّ: «والجدُّ على وجوه، قال الله تعالى: «وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا»... قال الفراء... عن مجاهد إنَّه: جدُّ ربِّنا: جلال ربِّنا، وقال بعضهم عظمة ربِّنا، وهما قريبان من السَّواء... والجِدُّ إنَّما هو الاجتهاد في العمل... وقال اللَّيث: الجِدُّ: نقيض الهزل. يُقال: جدَّ فلان في أمره، إذا كان ذا حقيقة ومضاء»^(٢).

وتطابقت دلالة الفعل (جَدَّ) في الخطبة، مع دلالاته اللُّغوية؛ إذ جاء الفعل (جَدَّ) مرَّةً واحدة في الخطبة، وهو ثاني الأفعال الثمانية التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حال الإنسان المحتضَّر، وأراد به أن يصف مرحلة من مراحل الاحتضار، وهي عملية (النَّزع)، وحقيقة هذه العمليَّة، وعظمتها، وجلالها، ونعتها (عليه السلام) بالشَّديدة، إذ قال (عليه السلام): «ثُمَّ جَدَّ فِي نَزْعٍ شَدِيدٍ»، فهذا الأمر (النَّزع) ليس بالهزل، وهو قريب جدًّا من الإنسان، وإن اعترى الإنسان هذا النَّزع، فهو ليس بالهين، وإنما هو أمرٌ عظيم، جليل، شديد - نسأل الله - تبارك وتعالى - العافية -.

و(ثُمَّ) حرف عطف، و(جَدَّ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير

١. العين: ٤٥٦/١.

٢. تهذيب اللغة: ٤٣٠/٢. وينظر: جمهرة اللغة: ٢٠/١، ومفردات ألفاظ القرآن: ١٨٨، والمحيط في اللغة: ٧٦/٢، والمخصص: ٢٥٦/١، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢٢٦/٣، وأساس البلاغة: ٥٤/١، ولسان العرب: ١٠٧/٣، والمصباح المنير: ٨٠/٢ - ٨٢.

مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (هو) المتقدم في قوله: (ثم قيل هو موعوك)، و(في) حرف جرّ، (نزع) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، و(شديد) نعت (صفة) مجرورة، وعلامة جرّها الكسرة الظاهرة على آخره. وجملة (ثم جد في نزع شديد) معطوفة على جملة (وجسمه منهوك).

..... * * *

شَخَصَ

تدلُّ مادَّة (شَخَصَ) في اللُّغة على الارتفاع، وهو ضدُّ الهبوط. جاء في (العين): «... وشَخَصَ ببصره إلى السَّماء: ارتفع. وشَخَصَت الكلمة في الفم: إذا لم يقدر على خفض صوته بها. والشَّخِيس: العظيم الشَّخص، بيّن الشَّخصة. وأشخَصْتُ هذا عليه، إذا أعليته عليه»^(١).

وقال ابن دريد: «... وشخص الرَّجل ببصره: إذا أَحَدَ النَّظْرَ رافعاً طرفه إلى السَّماء، ولا يكون الشَّاخص إلا كذلك. وشَخَصَ من مكان إلى مكان: إذا سار في ارتفاع، فإن سار في انحدار، فهو هابط، والشُّخوص: ضدُّ الهبوط»^(٢).

وجاء في (معجم مقاييس اللغة): «الشَّين والخاء والصَّاد واحد يدلُّ على ارتفاع في شيء. من ذلك الشَّخص، وهو سواد الإنسان إذا ساء لك من بعد. ثمَّ يحمل على ذلك، فيقال: شخص من بلد إلى بلد. وذلك قياسه. ومنه أيضاً شُخوص البصر»^(٣).

١. العين: ٢٩٩. وينظر: المخصص: ١/٦٩، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣/٣٦٠.

٢. جوهرة اللغة: ١/٣١٧.

٣. معجم مقاييس اللغة: ٣/١٩٧.

وقال الجوهريّ: «... وشَخَصَ بالفتح شخوصاً، أي. يُقال: شَخَصَ بَصْرُهُ، فهو شاخص، إذا فتح عينيه، وجعل لا يَطْرِفُ»^(١).

وعده ابن سيده من أفعال الموت، وذكره في باب (أفعال الموت)، إذ قال: «وقد شَخَصَ يَشَخَصُ شخوصاً، وأشخصه صاحبه، ومنه شخوص البصر عند الموت»^(٢).

وقال ابن منظور: «... وشَخَصَ بصرُ فلان فهو شاخص، إذا فتح عينيه، وجعل لا يطرّف، وفي حديث ذكر الميِّت إذا شَخَصَ بصره، شخوص البصر: ارتفاع الأجنان إلى فوق، وتحديد النَّظَرِ وانزعاجه»^(٣).

وجاء في (المصباح المنير): «... وشَخَصَ شخوصاً... ارتفع، وشَخَصَ البصرُ إذا ارتفع، ويتعدى بنفسه، فيقال: شَخَصَ الرَّجُلُ بَصْرَهُ: إذا فتح عينيه لا يطرّف، ورَبَّما يُعدى بالباء فقليل: شَخَصَ الرَّجُلُ ببصره، فهو شاخص»^(٤).

وقال الزبيديّ: «... وشَخَصَ كمنع شخوصاً: ارتفع. ويُقال: شَخَصَ بَصْرُهُ فهو شاخص: إذا فتح عينيه، وجعل لا يطرّف، قال الله تعالى: «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا»^(٥) شَخَصَ الميِّتَ بصره: رفعه إلى السماء فلم يطرّف. وشخص ببصره عند الموت كذلك، وهو مجاز. وأبصار شاخصة وشواخص... وقال ابن الأثير: شخوص بصر الميِّت: ارتفاع الأجنان إلى فوق، وتحديد النَّظَرِ

١. الصحاح في اللغة: ٣٤٩/١. وينظر: تهذيب اللغة: ٤١٩/٢.

٢. المخصص: ٤٨٥/١. وينظر: أساس البلاغة: ٢٣٧/١، وتاج العروس: ١٤٤٤/١.

٣. لسان العرب: ٤٥/٧.

٤. المصباح المنير: ٤٥٩/٤.

٥. الأنبياء: ٩٧.

وانزعاجه»^(١).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (شَخَصَ) مرّة واحدة في الخطبة، وهو رابع الأفعال الثمانية التي جاء بها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حال الإنسان المحتَضِر؛ إذ قال (عليه السلام): (فَشَخَصَ بْبَصْرِهِ). فالإنسان المحتَضِر لا يقوى على شيء سوى أَنَّهُ يمدُّ بصره ارتفاعاً من شدّة النَّزَعِ، حتّى إنَّه لا يستطيع أَن يُجْرِكَ بصره جانباً إلى مَنْ حَضَرَهُ، بل يكتفي برفعه إلى أعلى من دون أَن يطرف.

وفيه تضمين لقوله تعالى: «وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ»^(٢).

و(فشخص) الفاء حرف عطف، و(شخص) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى الإنسان المحتَضِر، (بصره) الباء حرف جرٍّ، و(بصره) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بالإضافة، والجائر والمجرور متعلّقان بالفعل (شخص). وجملة (فشخص بصره) معطوفة على جملة (وحضره كل قريب وبعيد).

طَمَحَ

الفعل (طمح) من باب (منع)، وله معنيان بحسب تعدّيه إلى معموله، فإن

١. تاج العروس: ٤٤٦٢/١.

٢. الأنبياء: ٩٧.

تعدَّى بنفسه، فهو بمعنى (ارتفع)، وإن تعدَّى بحرف الجرّ (الباء)، فهو بمعنى (رمى إلى الشّيء). جاء في (العين): «طمح الفرس رأسه، أي: رَفَعَهُ... وطمح ببصره، إذا رمى به إلى الشّيء»^(١).

وقال الأزهرّي: «طَمَحَ فلان ببصره: إذا رمى به إلى الشّيء، وفرس طامح البصر.. وطمحت بعينها: إذا رمت ببصرها إلى الرّجل، وإذا رفعت بصرها يُقال: طَمَحَتْ... وإذا رميت بشيء في الهواء قلت: طَمَحْتُ به تَطْمِيحاً»^(٢).

وجاء في (معجم مقاييس اللّغة): «الطّاء والميم والحاء أصلٌ واحد يدلُّ على علوِّ شيء. يُقال: طمّح ببصره إلى الشّيء: علا. وكلُّ مرتفع طامح. وطمح ببوله: إذا رماه في الهواء»^(٣).

وقال الفيّومي: «طَمَحَ ببصره نحو الشّيء يَطْمَحُ بفتحتين طموحاً واستشرف له، وأصله قولهم: جبل طامح، أي: عالٍ مشرف»^(٤).

وزاد ابن سيده، فقال: «طَمَحَ ببصره يَطْمَحُ طموحاً رمى به، يكون في الإنسان، والفرس: مَدَّ بصره إلى الشّيء: طمّح به»^(٥).

وقد أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (طمح) مرّة واحدة في الخطبة، واستعمله متعدّياً بحرف الجرّ (الباء)، إذ قال (عليه السلام): (طَمَحَ بِنَظَرِهِ)، ومنه تلحظ دقّة إيراد أمير المؤمنين (عليه السلام) الأفعال بحسب ما

١. العين: ٢٠٦/١. وينظر: الصحاح في اللّغة: ٤٣٠/١، والقاموس المحيط: ٢٢٤/١.

٢. تهذيب اللّغة: ٦٧/٢.

٣. معجم مقاييس اللّغة: ٣٣١/٣.

٤. المصباح المنير: ٤٣٦/٥. وينظر: لسان العرب: ٥٣٤/٢، وتاج العروس: ١٦٨٨/١.

٥. المخصص: ٧٠/١.

يقتضيه المعنى والسِّيَاق؛ إذ استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل هذا الفعل فعلاً يدلُّ على ارتفاع بصر الإنسان المحتَضِر، وهو (شخص)، واستعمل بعده هذا الفعل (طمح) متعدِّياً بالباء، ومعناه: أَنَّهُ رمى إلى الشَّيء، وإن كان يدلُّ على الارتفاع من دون حرف الجرِّ الباء - كما ذكر أصحاب المعجمات -؛ لأنَّ (شخص) دلَّ على الإرتفاع، أمَّا (طمح)، فإنَّه يتناسب والتدرُّج الحاصل في حال الإنسان المحتَضِر؛ ف(شخص ببصره)، أي: رفع بصره، ثُمَّ (طمح بنظره)، أي: رمى بنظره إلى مَنْ حضره من قريبٍ وبعيدٍ.

و(طمح) خامس الأفعال الثَّمانية الَّتِي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حال الإنسان المحتَضِر.

و(طمح) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى الإنسان المحتَضِر، و(بنظره) الباء حرف جرٍّ، و(نظره) اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (وطمح بنظره) معطوفة على جملة (فشخص ببصره).

رَشَحَ

جاء في (العين): «رَشَحَ فلان رَشْحاً: أي عَرِقَ. والرَّشْحُ: اسم للعرق. والمِرْشَحَةُ: بطانة تحت لبْدِ السَّرَجِ لِشَفِهَا العرق... والرَّاشِحُ والرَّوْاشِحُ: جبال تندی فَرَبَّما اجتمع في أصولها ماء قليل، وإن كَثُرَ سُمِّيَ واشلاً. وإن رأيتَه كالعرق

يجري خلال الحجارة، سُمِّي رَشْحاً^(١).

ويقال: رَشَحَ الماء والعَرَقُ يَرَشُحُ رَشْحاً وَرَشْحَاناً، إذا خرج من الإنسان، أو السَّقَاء، أو القربة، وكُلُّ جلدٍ راشحٍ بالعرق^(٢).

وقال ابن فارس: «الرَّاء والشَّين والحاء أصل واحد، وهو الندى يبدو من الشَّيء، فالرَّشْحُ: العَرَقُ. يُقال: رَشَحَ بَدْنُهُ بَعَرَقِهِ»^(٣).

والرَّشْحُ: تندية الجسد من العرق. والرَّشْحُ: اسمُ ذلك العَرَقِ^(٤).

وتطابقت دلالة هذا الفعل (رشح) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّة واحدة، وهو سادس الأفعال الثمانية التي جاء بها (عليه السلام) في بيان حال الإنسان المحتضّر، إذ قال (عليه السلام): (وَرَشَحَ جَبِينُهُ). وَرَشَحُ جبينِ الإنسان علامةٌ بارزةٌ ومهمّةٌ من علامات الإنسان المحتضّر، وهو ما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) في حال احتضاره، حين سأله ولده الإمام الحسن (عليه السلام) عن ذلك - أي: رَشَحَ جبينِ الأمير (عليه السلام) - فقال (عليه السلام): أي بني، إنّ الإنسان إذا اقترب أجله، عَرَقَ جَبِينُهُ^(٥).

١. العين: ١/١٨٦.

٢. ينظر: جهرة اللغة: ١/٢٥٩، والصحاح في اللغة: ١/٢٥٤، والمخصص: ٣/٤٧٣، والقاموس المحيط: ١/٢١٠.

٣. معجم مقاييس اللغة: ٢/٣٢٧.

٤. ينظر: المحيط في اللغة: ١/١٨٤. وينظر: تهذيب اللغة: ١/٤٩٥، والمحكم والمحيط الأعظم: ١/٤٤٨، ولسان العرب: ٢/٤٤٩، والمصباح المنير: ٣/٤٠٦، والقاموس المحيط: ١/٢٨٠، وتاج العروس: ١/١٥٩٠.

٥. بحار الأنوار: ٢/٧٥.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «آية المؤمن إذا حضره الموت، بياض وجهه أشدُّ من بياض لونه، ويرشح عن جبينه، ويسيل من عينيه كهيئة الدُموع، فيكون ذلك خروج نفسه»^(١).

و(رشح) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(جبينه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى الإنسان المحتضِر. جملة (ورشح جبينه) معطوفة على جملة (وطمح بنظره).

جَذَبْتُ

تدلُّ مادَّة (جَذَبَ) في اللُّغة على الانتهاء، والانقطاع، والبتر، والمضي، والذهاب، والابتعاد. جاء في (العين): «... والجذبَةُ: البُعد، وفلانٌ مِنَّا جَذَبَةٌ، أي: بعيد»^(٢).

ويقال للثاقبة إذا غرزت، وذهب لبنها: قد جذبت، فهي جاذب. وجَذَبَ فلانٌ جبلاً وصاله، وجَذَمَهُ: إذا قطعه^(٣).

وجاء في (معجم مقاييس اللُّغة): «الجيم والذال والباء أصل واحد يدلُّ على بتر الشيء. يُقال: جذبت الشيء أجذبُه جذباً. وجذبتُ المهر عن أمه إذا فطمته، ويقال ناقة جاذب، إذ قلَّ لبنها... لأنَّه إذا قلَّ لبنها فكأنَّها جذبتَه إلى نفسها»^(٤).

١. معالم الزلفى في معارف النشأة الأولى والأخرى: ٢٧٩ / ١.

٢. العين: ٤٧٤ / ١.

٣. ينظر: تهذيب اللُّغة: ٤٨٩ / ٣.

٤. معجم مقاييس اللُّغة: ٣٩٣ / ١.

ويُقال: جذبت المهر عن أمه، أي: فطمته. والجذبُ: انقطاع الريق. وجذبَ الشهر: مضى عامته، وجاذبته الشّيء: إذا نازعته إيّاه، والتّجاذب: التّنازع، والإنجذاب: سرعة السّير^(١).

وقال ابن سيده: «وناقة جاذبة، وجاذب، وجذب: جذبت لبنها من ضرعها، فذهب صاعداً... وقد جذبت تجذب جذاباً. وجذب الشاة والفصيل يجذبها جذباً: قطعها عن الرضاع... جذبت الأم ولدها تجذبه: فطمته... وجذب النخلة يجذبها جذباً: قطع جذبها ليأكله»^(٢).

وجاءت هذه المعاني - أي: الانتهاء، والانقطاع، والبتر، والمضي، والذهاب، والابتعاد - مجتمعة في هذا الفعل (جذبت نفسه) في الخطبة؛ إذ أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّة واحدة، وهو ثامن الأفعال الثمانية وآخرها، التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حال الإنسان المحتضر. فبعد أن قيل: إنه موعوك، وجسمه منهوك، وجدّ في نزع شديد، وحضره كل قريب وبعيد، فيشخص ببصره، ويطمح بنظره، ويرشح جبينه، ثم يسكن حينه، فتكون النتيجة النهائية أن تنتهي نفسه، وتقطع، وتبتر، وتمضي، وتذهب، وتبتعد عن جسده؛ وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) في اختيار هذا الفعل لبيان هذه المرحلة، وهي المرحلة الأخيرة من مراحل الإنسان المحتضر؛ فيه - أي: الفعل - اجتمعت كل هذه المعاني المناسبة وحال ذلك الإنسان في تلك المرحلة.

وقد ورد هذا الفعل في الخطبة مبنياً للمجهول، ومعلوم أن حذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه، أغراضاً قسّمها النحويون على أغراض لفظية، ومنها:

١. ينظر: الصحاح في اللغة: ١/ ٨٤.

٢. المحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ٢٨٠. وينظر: المخصص: ٢/ ٣٨٠، ولسان العرب: ١/ ٢٥٨، والقاموس المحيط: ١/ ٣٨، وتاج العروس: ١/ ٣٤.

الإيجاز والاختصار، ورعاية الفاصلة والتقارب بين الفقر. ومعنوية، ومنها: العناية بالمفعول به، والتّركيز على الحدث، والعلم بالفاعل، والجهل به، والتّزيه، والتّحقير والتّوهين، والتّعظيم، والإعمام والشّمول، وعدم ترتّب الفائدة من ذكّر الفاعل^(١).

وإنّ الغرض اللفظي في النّصوص اللّغوية الرّفيعة لا يعدو الغرض الأوّل؛ إذ إنّّه يأتي تابِعاً بعد استيفاء تمام حقّه^(٢). وممّا يجدر ذكّره أنّ الغرض من حذف الفاعل قد يختلف باختلاف حال المُخبر والمُخبر عنه، ومدى العلاقة بينهما، أو مقتضى الحال التي تجمعهما. وقد يكون لحذف الفاعل وبناء الجملة للمجهول غرض واحد، أو أكثر من غرض^(٣).

ولعلّ من قمين القول أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أورد هذا الفعل بصيغة المبني للمجهول، فقال (عليه السلام): (جُذِبْتُ لِأَمْرَيْنِ:

أحدهما: صعوبة هذا الحال - جَذِبَ نَفْسَ الْإِنْسَانِ - وشدّتها؛ أي: تعظيماً لهذه الحال، فقد ورد في الأخبار أنّ للموت ثلاثة آلاف سكرة، السّكرة منها أشدُّ من ألف ضربة بالسّيف^(٤). قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): «... وإنّ الكافر لتخرج نفسه سيلاً من شدقه كزبد البعير، أو كما تخرج نفس البعير»^(٥).

١. ينظر: شرح المفصل: ٧/ ٧٠، وشرح ابن عقيل: ١/ ٤٩٩، وشرح ابن الناظم: ٩٣، ومعاني النحو: ٢/ ٤٩٢، والمبني للمجهول في التعبير القرآني رسالة (ماجستير): ٣٢، والمبني للمجهول في نهج البلاغة (دراسة لغوية) (رسالة ماجستير): ٩٨-١١٩.

٢. ينظر: المبني للمجهول في التعبير القرآني (رسالة ماجستير): ٩٨.

٣. ينظر: المبني للمجهول في نهج البلاغة (دراسة لغوية) (رسالة ماجستير): ٨٩ و٩٩.

٤. ينظر: معالم الزلفى في معارف النشأة الأولى والأخرى: ١/ ٢٥٦.

٥. المصدر نفسه: ١/ ٢٧٩.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ الميِّتَ إِذَا حضره الموت، أُوثِقَهُ ملك الموت، ولولا ذلك ما استقرَّ»^(١).

وفي رواية أُخرى أَنَّهُ إِذَا احتضر الكافر «دنا منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله، أَخَذْتَ فِكاكَ رِهانِكَ، وَأَخَذْتَ أمانَ براءتِكَ، وَتَمَسَّكَتْ بِالْعَصْمَةِ الكَبْرَى فِي الحِياةِ الدُّنْيا؟ فيقول: لا، فيقول: أَبشُرْ يا عدو الله، بِسَخَطِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَذابِهِ، وَالنَّارِ، أَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَحذِرُ فَقَدْ نَزَلَ بِكَ، ثُمَّ يَسْأَلُ نَفْسَهُ سِلاًّ عَنِيفاً، ثُمَّ يُوَكِّلُ بِرُوحِهِ ثِلاثَةَ شَيطانٍ، كُلُّها تَبزِقُ فِي وَجْهِهِ، وَينادى بِرُوحِهِ، فَإِذا وَضَعَ فِي قَبْرِهِ، فَتُحَلِّقُ لَهُ بابٌ مِنَ أَبْوابِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنَ فِيحِها وَهَبِها»^(٢).

الآخر: التَّعْظِيمُ لملك الموت؛ فَقَدْ جاءَ فِي هِيائِهِ أَنَّ «الدُّنْيا كُلَّها بَينَ يَدَيِ ملك الموت، كالمائة بين يدي الرَّجُلِ، يَمُدُّ يَدَهُ إِلى ما يَشاءُ مِنْها فَيَتناولُهُ وَيأْكُلُ. مِلءُ الدُّنْيا - مَشْرِقُها وَمَغْرِبُها وَبَحْرُها وَكُلُّ ناحِيةٍ مِنْها - أَقْرَبُ إِلى ملك الموت مِنَ الرَّجُلِ عَلى مائة، وَإِنَّ مَعَهُ أَعواناً - وَاللهُ أَعْلَمُ بَعَدَتِهِم لَيسَ مِنْهُم ملك - أَلّا لَوْ أذُنَ لَهُ أَنَّ يَلْتَقِمَ سَبْعَ السَّماءاتِ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي لِقْمَةٍ واحِدَةٍ، لَفَعَلَ...»^(٣).

وجاء عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا ذر، لَمَّا أُسْرِيَ بي إِلى السَّماءِ، مَرَرْتُ بِمَلِكٍ جالِسٍ عَلى سَريْرٍ مِنْ نورٍ عَلى رَأْسِهِ تاجٌ مِنْ نورٍ، إِحْدَى رِجْليهِ فِي المَشْرِقِ، وَالأُخْرى فِي المَغْرِبِ، بَينَ يَدَيْهِ لُوحٌ يَنْظُرُ فِيهِ وَالدُّنْيا كُلُّها بَينَ عَينَيْهِ، وَالخَلْقُ بَينَ رِكبَتَيْهِ، وَيَدُهُ تَبْلُغُ المَشْرِقَ وَالمَغْرِبَ، فَقلْتُ: يا جَبْرائيلُ، مَنْ هَذا؟ فَمَّا رَأَيْتُ مِنَ مَلَائِكَةِ رَبِّي جَلَّ جِلالُهُ أَعْظَمَ خَلْقاً مِنْهُ! قال: هَذا عَزْرائيلُ،

١. المصدر نفسه: ١/٢٦٩.

٢. معالم الزلفى في معارف النشأة الأولى والأخرى: ١/٢٧٧.

٣. المصدر نفسه: ١/٢٥٦.

ملك الموت ...» (١).

و(جُذِبَتْ) جُذِبَ: فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، والتاء: تاء التأنيث الساكنة ضمير متصل مبنيٌّ على السُّكون لا محلَّ لها من الإعراب، و(نفسه) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (وجذبت نفسه) معطوفة على جملة (وسكن حينه).

بَكَتُهُ

تدلُّ مادَّة (بكى) في اللُّغة على البكاء على الميت، ورثائه. جاء في (العين): «البكاء مقصور وممدود. بَكَى يَبْكِي، وبَاكَيْتُهُ فَبَكَيتُهُ، أَي: كنت أبكي منه» (٢). ويُقال: بكى يبكي بُكاءً وبُكْيًا، فهو باكٍ. وأبكاه: فعَل به ما يُوجب بكاءه. وبكَّاه على الميت تبكيه: هيَّجه للبكاء. وبكَّاه بُكاءً، وبكَّاه: بكى عليه، ورثاه (٣). وقال الجوهري: «البكاء يُمدُّ ويقصر، فإذا مددت أردت الصَّوت الَّذي يكون مع البكاء، وإذا قصرت أردت الدُّموع وخروجها... وبكَيْتُهُ وبكَيْتُ عليه بمعنى». قال الأصمعي: بكيت الرَّجل وبكَيْتُهُ بالتَّشديد، كلاهما إذا بكيت عليه. وأبكَيْتُهُ إذا صنعت ما يبكيه. وبَاكَيْتُهُ فَبَكَيتُهُ، إذا كنت أبكي منه... واستبكَيْتُهُ وأبكَيْتُهُ بمعنى.

١. المصدر نفسه: ٢٥٦/١.

٢. العين: ٤٥٣/١.

٣. ينظر: تهذيب اللغة: ٤١٨/٣، والمخصص: ١٩٥/٣، والمحکم والمحيط الأعظم: ٢٠٥/٣، ولسان العرب: ١٨٢/١٤، والمصباح المنير: ٣٥٨/١، والقاموس المحيط: ٣٩٨/٣.

وتباكى: تكلّف البكاء»^(١).

وقال الزّمخشرّي: «بكى على الميت، وبكاه، وبكى له، وبكى عليه، وبكاه. وفعلت به ما أبكاه، وبكاه... واستبكيته فبكى، وبأكيته فبكيته: كنت أبكى منه»^(٢).

وورد هذا الفعل (بكى) مطابقاً لدلالته اللغوية مرّة واحدة في الخطبة، جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال امرأة ذلك الإنسان المحتضّر، الذي «جُدِبَتْ نَفْسُهُ»؛ إذ قال (عليه السلام): «وَجُدِبَتْ نَفْسُهُ، وَبَكَتْهُ عِرْسُهُ». والعِرس: امرأة الرَّجل^(٣).

و(بكته) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح المقدّر على الألف؛ منع من ظهور التّعذر، والتّاء: تاء التّأنيث السّاكنة، ضمير مبنيٌّ على السُّكون، لا محلّ له من الإعراب، والهاء: ضمير متّصل مبنيٌّ على الضّمّ في محلّ نصب مفعول به، عائد إلى (من) جذبت نفسه)، وعرسه: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ على الضّمّ في محلّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى (من جذبت نفسه). وجملة (وبكته عرسه) معطوفة على جملة (وجذبت نفسه).

حُضِرَ

١. الصحاح في اللغة: ٣٥٨/١.

٢. أساس البلاغة: ٣٠/١. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٢٦/١، والمحيط في اللغة: ٦٩/٢.

٣. ينظر: العين: ٧٦/١، وجمهرة اللغة: ٣٨٨/١، وتهذيب اللغة: ١٧٧/١، ومعجم مقاييس اللغة: ٤/٢١٤ و٢١٥، والصحاح في اللغة: ٤٥٧/١، والمحيط في اللغة: ٦١/١، ولسان العرب: ١٤٣/٦، وتاج العروس: ٤٠١٦/١ و٤٠٠١٧.

جاء في (العين): «الْحَفِيرَةُ: الحفرة في الأرض، والحَفْر: اسم المكان الذي حُفِرَ كخندق أو بئر... والبئر إذا كانت فوق قدرها سُمِّيت حَفْرًا، وحفيراً، وحفيرة...» (١).

والحَفْرُ: مصدر حفرت الأرض أحفرها حَفْرًا. والموضع المحفور: الحفير، والحفيرة. وما أخرج من التراب من الشيء المحفور: حَفَرَ (٢).

وقال الجوهري: «حَفَرْتُ الأَرْضَ واحتفرتها. والحفيرة: واحدة الحفْر. واستحَفَرَ النَّهْرُ: حال له أن يُحْفَرَ. والحَفْرُ بالتحريك: التراب يُستخرج من الحفرة» (٣).

وحَفَرَ الشَّيْءَ يَحْفِرُهُ حَفْرًا، واحتفره: نَقَاه، كما يحفر الأرض بالحديدة. واسم المُحْتَفَرِ: الحفيرة والحفيرة والحفْر. والحَفْرُ: البئر الموسعة فوق قدرها. والحَفْرُ: التراب المخرج من الشيء المحفور. والجمع من كل ذلك أَحْفَارٌ، وأحافير جمع الجمع. والمحفرة والمحفَرُ والمحفَارُ: المسحاة ونحوها مما يُحْتَفَرُ به (٤).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (حفر) مرّة واحدة في الخطبة، جاء به (عليه السلام) مبيّنًا للمجهول؛ لبيان ما يحصل على الإنسان الميّت. فبعد أن (جذبت نفسه)، و(بكته عرسه)، يُبادر إلى أن يُحْفَرَ له حفيرة ليودع فيها.

١. العين: ٢١٣/١، وينظر: تهذيب اللغة: ١٠٠/٢، والمحيط في اللغة: ٢٢١/١، والمصباح المنير: ٤١٦/٢.

٢. ينظر: جمهرة اللغة: ١/٢٦٢.

٣. الصحاح في اللغة: ١/١٣٧.

٤. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢/٢٢، ولسان العرب: ٤/٢٠٤، والقاموس المحيط: ١/٤٨٣، وتاج العروس: ١/٢٧١٠-٢٧١٣.

وتقدم أن لحذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه أغراضاً قسّمها النحويون على أغراض لفظية، ومعنوية^(١)، ومن الأغراض المعنوية: التركيز على الحدث، والجهل بالفاعل، وكلا هذين الغرضين متحقق في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «حَفَرَ رَمْسَهُ»؛ فأمير المؤمنين (عليه السلام) أراد أن يركّز على وصف حال الإنسان الميت فيما يخص حفر الرمس له، وحاله في تلك الحفيرة، وفي الوقت نفسه لا يُعَلِّم مَنْ سيقوم بتلك العملية - أي: عملية الحفر -؛ فالفاعل المجهول، إلا أن الأمر متحقق لا محالة.

وجدير بالذكر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) ذكر (الرمس) حين قال: «حفر رمسه»، وقيل: إن الرمس: التراب، ورمس القبر: ما حُثِيَ عليه، وقد رمسناه بالتراب، والرمس: تراب تحمله الزرع فترمس به الآثار، أي: تعفوها. وكلُّ شيء يُنثرُ عليه التراب، فهو مرموس^(٢).

وترمس: تدفن الآثار كما يُرمس الميت. قيل: إذا كان القبر قدوماً مع الأرض؛ فهو رمس، أي: مستويًا مع وجه الأرض. ورمست الرجل في الأرض رمساً، أي: دفنته، وسويت عليه الأرض^(٣).

وجاء في (معجم مقاييس اللغة): «الراء والميم والسّين أصل واحد تدلُّ على تغطية، وستر. فالرمس: التراب. والرياح الرّوامس: التي تُثير التراب؛ فتدفن الآثار. ويُقال: رمست على فلان الخبر؛ إذا كتّمته إياه. ورمست الرجل، وأرمسته:

١. ينظر: الفعل (جذبت) من الكتاب.

٢. ينظر: العين: ٦٣/٢، وتهذيب اللغة: ٢٨٤/٤، والمحيط في اللغة: ٢٦١/٢.

٣. ينظر: تهذيب اللغة: ٢٨٤/٤.

دفتته»^(١).

والرَّمَسُ: مصدر رَمَسْتُهُ أَرْمُسُهُ رَمْسًا: إذا دفتته، وبه سميت الرياح الرِّوَامِسُ؛ لأنَّهَا تَرْمُسُ الآثار، أَي: تَدْفِنُهَا، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ، فَسُمِّيَ الْقَبْرُ رَمْسًا، وَالْجَمْعُ أَرْمَاسٌ وَرُمُوسٌ. وَالرَّمَسُ أَيْضًا: تَرَابُ الْقَبْرِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ. وَالرَّمَسُ: مَوْضِعُ الْقَبْرِ. وَقِيلَ: إِذَا كَانَ الْقَبْرُ مَدْمُومًا مَعَ الْأَرْضِ فَهُوَ الرَّمَسُ، أَي: مُسْتَوِيًّا مَعَ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَإِذَا رَفَعَ عَنِ وَجْهِ الْأَرْضِ فِي السَّمَاءِ، فَلَا يُقَالُ لَهُ رَمْسٌ^(٢).

و(حفر) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، و(رمسه) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى مَنْ (جذبت نفسه). وجملة (وحفر رمسه) معطوفة على جملة (بكته عرسه).

* * *

يَتِمُّ

تَدُلُّ مَادَّةُ (يَتِمُّ) فِي اللُّغَةِ عَلَى مَوْتِ الْأَبِّ، وَاخْتِلَافَ فِي ذَلِكَ، فَقِيلَ: إِنَّ الْيَتِيمَ فِي النَّاسِ مَنْ مَاتَ أَبُوهُ، وَغَيْرُ النَّاسِ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ، وَقِيلَ: الَّذِي يَمُوتُ أَحَدُ وَالِدَيْهِ. جَاءَ فِي (العين): «لَا يُقَالُ: يَتِيمٌ إِلَّا بِفَقْدَانِ الْأَبِّ، وَيَتِمُّ يَتِيمًا، وَأَيْتَمَهُ اللَّهُ»^(٣).

وقال ابن دريد: «الْيَتِيمُ: الْأِسْمُ، وَالْيَتِيمُ الْمَصْدَرُ، يَتِمُّ الصَّبِيُّ يَتِيمًا وَيَتَمُّ، إِذَا

١. معجم مقاييس اللغة: ٢/٣٦٣.

٢. ينظر: العباب الزاخر: ١/١١٩، ولسان العرب: ٦/١٠١.

٣. العين: ٢/١٤٢. وينظر: المحيط في اللغة: ٢/٣٨٤.

صار يتيمًا. وأيتمه الله إيتاماً. واليتيم: الفرد، وبه سمِّي الذي يموت أحد والديه يتيمًا، كأنه أُفرد. واليتيم من النَّاس الذي قد مات أبوه، ومن البهائم: الذي قد ماتت أمُّه» (١).

وجاء في (المصباح المنير): «يَتِيمٌ يَتِيمٌ من بايٍ تعب وقرب يُتَمُّ بضمِّ الياء وفتحها، لكنُّ اليَتِيمِ في النَّاسِ من قبل الأب، فيقال: صغير يتيم، والجمع أيتام ويتامى، وصغيرة يتيمة، وجمعها يتامى، وفي غير النَّاسِ من قبل الأمِّ، وأيتمت المرأة أيتاماً؛ فهي مُوتِمٌ، صار أولادها يتامى» (٢). فاليتيم: هو مَنْ قُطِعَ عن والديه بعد موتها، فصار فرداً، فكانه أُفرد.

وقد أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يَتِمُّ) مرَّةً واحدة في الخطبة لمن مات في النَّاسِ أبوه؛ بدلالة قوله (عليه السلام) المتقدم «بكته عرُّسه»، أي: بكته زوجته - كما ذكرتُ -؛ فأمر المؤمنين (عليه السلام) أراد أن يبيِّن حال أبناء ذلك الميت، فالأبناء مات أبوهم، وأفردوا؛ فأصبحوا أيتاماً بعده.

و(يتم) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(ولده) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى مَنْ (جُذبت نفسه). وجملة (ويتم ولده) معطوفة على جملة (وحفر رسمه).

..... * * *

١. جهرة اللغة: ١/١٩٦. وينظر: تهذيب اللغة: ٥/٢٩، ومعجم مقاييس اللغة: ٦/١١٨، والصحاح في اللغة: ٢/٢٩٨.

٢. المصباح المنير: ١/٤٧٦. وينظر: لسان العرب: ١٢/٦٤٥، وتاج العروس: ١/١٥١٣.

تَفَرَّقَ

تدلُّ مادَّة (تفرق) في اللُّغة على المباينة. جاء في (العين): «الفَرْق: تفریقُ بين شيئين فرقا حتَّى يفترقا ويتفَرَّقا. وتفارقَ القومُ وافترقوا، أي: فارق بعضهم بعضاً... والفُرقة مصدر الافتراق... والفُرقان: كلُّ كتاب أنزل، به فرق الله بين الحق والباطل... ويوم الفرقان يوم بدر وأحد، فرق الله بين الحق والباطل»^(١).
والفرق: كلُّ شيئين فصلت بينهما، قد فرقتهما فرقا، وكلُّ ناحية منهما فَرَقَ وفريق^(٢).

وجاء في (معجم مقاييس اللُّغة): «الفاء والرَّاء والقاف أُصيِلَ واحد صحيح يدلُّ على تمييز وتزييل بين شيئين. ومن ذلك الفرق: فرق الشَّعر. يُقال: فرقته فرقا»^(٣).

وقال الجوهري: «فَرَقْتُ بين الشَّيئين أَفَرُقُ فَرَقاً وفُرْقاناً. وفَرَقْتُ الشَّيءَ تَفْرِيقاً وتَفْرِقَةً، فانفرد وافترد وتفَرَّق... والفُرقان: القرآن، وكلُّ ما فُرِّق به بين الحق والباطل، فهو فُرْقان... والمُفَرِّق والمُفَرِّق: وسط الرأس، وهو الَّذي يُفَرِّقُ فيه الشَّعر، وكذلك مَفَرِّقُ الطَّرِيق ومَفَرِّقُهُ، للموضع الَّذي يتشعَّب منه طريقٌ آخر»^(٤).

وفارق الشَّيءَ مُفارقةً، وفراقاً: بآينَهُ. والاسم: الفُرقة. وتفارق القوم: فارق

١. العين: ٣٩٦/١. وينظر: المحيط في اللغة: ٤٧٣/١.

٢. ينظر: جمهرة اللغة: ٤٣٤/١.

٣. معجم مقاييس اللغة: ٣٩٢/٤.

٤. الصحاح في اللغة: ٤١/٢. وينظر: تهذيب اللغة: ٢١١/٣، ولسان العرب: ٢٩٩/١، والمصباح المنير: ٧، ١٧٦، والقاموس المحيط: ١، ١١٨٣، وتاج العروس: ١/٦٥٣٩ و٦٥٤٠.

بعضهم بعضاً، وفارق فلان امرأته مفارقةً وفِراقاً: بآيئها. والفرق: الفصل بين الشئيين، وجمعه: فروق^(١).

وبمعنى (المباينة) أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (تفرق) مرّةً واحدةً في الخطبة؛ إذ قال (عليه السلام): «وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَدَدُهُ»؛ كناية عن ذهاب جاه الإنسان الميِّت (ومن جذبت نفسه)، فبموته يذهب جميع مَنْ كان مجتمعاً حوله، سواء في ذلك مَنْ يُظْهِرُ الْحُبَّ لَهُ صِدْقاً، أَوْ تَمَلُّقاً؛ فكلُّ شيءٍ انتهى بموت ذلك الإنسان، وَتَرِكَ لِمَا هُوَ أَهْمٌ مِنْهُ، وهو ما جمعه ذلك الإنسان الميِّت، وقد ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد هذا الفعل مباشرة، فقال (عليه السلام): «وَقُسِّمَ جَمْعُهُ»، وسيأتي الحديث عنه - إن شاء الله تعالى -.

و(تفرق) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(عنه) عن: حرف جرٍّ، والهاء: ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، عائد إلى مَنْ (جذبت نفسه)، والجارُّ والمجرور متعلّقان بالفعل (تفرق)، و(عدده) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى مَنْ (جذبت نفسه). وجملة (تفرق عنه عدده) معطوفة على جملة (ويتم ولده).

قُسِّمَ

تدلُّ مادّة (قسم) في اللّغة على التّجزئة، والتّشطير، والتّفريق، والإبعاد، والفرز. جاء في (العين): «القَسْمُ مصدر قَسَمَ يَقْسِمُ قَسْماً، والقِسْمَةُ مصدر الاقتسام،

١. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٤٧/٣.

ويقال أيضاً: قَسَمَ بينهم قِسْمَةً^(١).

وقال ابن سيده: «قسم الشيء يقسمه قسماً، وقسمه: جزأه... وتقسّموا الشيء، واقتسموه، وتقاسموه: قَسَمُوهُ بينهم... وقاسمته المال: أخذت منه قِسْمَكَ، وأخذ قسمه. وقسيمك: الذي يقاسمك أرضاً أو داراً أو مالاً بينك وبينه... وهذا قسيم هذا، أي: شطره... وقسمهم الدهر يقسمهم وقسمهم: فرّقهم قسماً هنا وقسماً هنا. ونوى قسوم: مفرّقة مبعّدة»^(٢).

وجاء في (المصباح المنير): «قَسَمْتُهُ قِسْماً من باب ضرب فرزته أجزاءً فانقسم، والموضع مَقْسِمٌ مثل مسجد، والفاعل قاسم، وقَسَامٌ مبالغة»^(٣).

وتطابقت دلالة هذا الفعل (قُسِمَ) في الخطبة مع دلالة اللُّغوية؛ إذ أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدةً في الخطبة، إذ قال (عليه السلام): «وَقُسِمَ جُمُعَةٌ». فيتفرّق مَنْ كان حول ذلك الميِّت - كما قلت -؛ ليفكّروا، ويقترّبوا، ويصيروا إلى ما هو أهمُّ منه، وهو ما جمعه ذلك الإنسان الميِّت - التُّرْكَة -، فيجزّؤنه، ويشطرونه، ويفرّقونه، ويفرزونه، ويبعدونه عنه بتقاسمهم إياه فيما بينهم.

وقد جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الفعل مبنياً للمجهول، وتقدّم أنّ لحذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه أغراضاً لفظية ومعنوية^(٤)، ومن المعنوية:

١. العين: ٣٨٣/١. وينظر: تهذيب اللغة: ١٧١/٣، والصحاح في اللغة: ٧٧/٢، والمحيط في اللغة: ٤٥١/١.

٢. المحكم والمحيط الأعظم: ٧/٣. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧٣/٥، ولسان العرب: ٤٧٨/١٣، وتاج العروس: ٧٨٨٥/١.

٣. المصباح المنير: ٣٩٩/٧.

٤. ينظر: الفعل (جذبت) من الكتاب.

التَّركيز على الحدث، وهو ما ابتغاه أمير المؤمنين (عليه السلام) مع هذا الفعل؛ فأراد (عليه السلام) أَنْ يبيِّنَ أَنَّ ما يجمعه ذلك الإنسان الميِّت صائر إلى التَّجزئة، والتَّشظير، والتَّفريق، والفرز، والإبعاد عنه، وواضح أَنَّ الوَرثةَ هم مَنْ يقوم بذلك.

و(قسم) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، و(جمعه) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى (من جذبت نفسه). وجملة (وقستم جمعه) معطوفة على جملة (تفرق عنه عدده).

ذَهَبٌ

تدلُّ مادَّة (ذهب) في اللُّغة على الزَّوال، والمضيِّ، والسَّير، والمرور. جاء في (العين): «... والذَّهاب والذُّهوب، لغتان، مصدر ذهبت، والمذَّهب: يكون مصدرًا كالذَّهاب، ويكون اسمًا للموضع، ويكون وقتاً من الزَّمان»^(١). والذَّهاب: السَّير، يُقال: ذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهَاباً وذُهوباً، فهو ذَاهِبٌ وذُهوبٌ، وذهب به، وأذْهَبَهُ: أزاله^(٢).

والذَّهاب: السَّير، والمرور، وذهب كمنع يَذْهَبُ ذَهَاباً بالفتح، ويكسر مصدر سماعيٌّ، وذُهوباً بالضَّمِّ قياسيٌّ مستعمل، ومذهباً، فهو ذَاهِبٌ وذُهوبٌ كصبور: سار، أو مرَّ^(٣).

١. العين: ١/٣٦٨. وينظر: تهذيب اللغة: ٢/٣٢٢، والمحيط في اللغة: ١/٣٠٤ و٣٠٥.

٢. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢/١٨٩.

٣. ينظر: لسان العرب: ١/٣٩٣، وتاج العروس: ١/٤٩٩.

وبمعنى الزوال، والمضيّ أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (ذهب) مرّة واحدة في الخطبة؛ إذ قال (عليه السلام): «وَذَهَبَ بَصْرُهُ وَسَمِعُهُ». وجاء في آخر الأفعال التي أوردتها (عليه السلام) في بيان حال الصّيقِ الأشياءِ بالإنسان الميت بعد موته، وهي: (الزّوجة، والقبر، والولد، والجاه - العدد، والجمع - التّركة -، والبصر، والسّمع)، إذ قال (عليه السلام): «وَبَكَتُهُ عَرْسُهُ، وَحَفِرَ رَمْسُهُ، وَيَتَمَّ وَلَدُهُ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَدَدُهُ، وَقُسِمَ جَمْعُهُ، وَذَهَبَ بَصْرُهُ وَسَمِعُهُ».

و(ذهب) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(بصره) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متّصل مبنيٌّ على الضّمّ في محلّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى (من جذبت نفسه)، و(سمعه) الواو حرف عطف، و(سمعه) اسم معطوف على (بصره) مرفوع، وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متّصل مبنيٌّ على الضّمّ في محلّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى (من جذبت نفسه). وجملة (وذهب بصره وسمعه) معطوفة على جملة (وقسم جمعه).

..... * * *

غُمُضٌ

تدلُّ مادّة (غُمُضٌ) في اللّغة على معانٍ منها: إغلاق العينين بإطباق الجفنين. جاء في (العين): «الغُمُضُ: ما تطامن من الأرض، وجمعه: غُمُوضٌ... والغِمَاضُ: النّوم، يُقال: ما دُفِتْ غُمُضاً، ولا غِمَاضاً. وما غَمَّضْتُ ولا أَعَمَّضْتُ... والغَمَّضَةُ: التّغافل عن الأشياء. ودار غامضة: غير شارعة. وغمّضت تغمّض غموضاً، وأمر غامض، غمّض غموضاً. والغامض من الرّجال: الفاتر عن الحملة... والغموض:

بطون الأودية» (١).

وقال الجوهري: «الغامض من الأرض: المطئن. وقد غَمَضَ المكان بالفتح يَغْمُضُ غُمُوضاً. وكذلك غَمَضَ بِالضَّمِّ غُمُوضَةً وَغَمَاضَةً. ومكان غَمُضٌ، والجمع غُمُوض وأغْمَاضٌ.... وهو أشدُّ غوراً. والغامض من الكلام: خلاف الواضح، وقد غَمَضَ غُمُوضَةً، وَغَمَّضْتُهُ أَنَا تَغْمِيزاً. وتغميض العين: إغماؤها... ويُقال: ما اكتحلت غَمَاضاً ولا غِمَاضاً ولا غَمُضاً بِالضَّمِّ، ولا تَغْمِيزاً ولا تَغَمَاضاً، أَي: ما نَمْتُ، وما اغتمضت عيناى» (٢).

فَالْعُمُضُ، وَالْعَمَاضُ، وَالْغَمَاضُ، وَالتَّغْمَاضُ، وَالتَّغْمِيزُ، وَالْإِغْمَاضُ: النُّومُ، وَأَعْمَضَ طَرْفَهُ عَنِّي، وَغَمَّضَهُ: أَغْلَقَهُ. وَأَعْمَضَ الْمَيْتَ، وَغَمَّضْتَهُ، وَغَمَّضَ عَلَيْهِ: أَغْلَقَ عَيْنَيْهِ (٣). وَأَعْمَضْتُ الْعَيْنَ إِغْمَاضاً، وَغَمَّضْتُهَا تَغْمِيزاً: أَطْبَقْتُ الْأَجْفَانَ (٤).

وتطابقت دلالة الفعل (غَمَضَ) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ أورد بمعنى (إغلاق العين بإغماض الجفنين) مرة واحدة في الخطبة، وهو أول الأفعال التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، فَبَيَّأَشْرَ بَأَنَّ تُغَمَّضَ عَيْنَاهُ، إِذْ قَالَ (عليه السلام): «وَعُمَّضَ وَمُدَّدَ، وَوَجَّهَ وَجْرَدَ، وَغُسِّلَ وَنُشِفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِطَ لَهُ، وَهِيَءٌ وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ،

١. العين: ٣٤٦/١.

٢. الصحاح في اللغة: ٢٦/٢. وينظر: تهذيب اللغة: ٤٩/٣، ومعجم مقاييس اللغة: ٤/٢١٧، والمخصص: ٣/٤٨٢، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢/٤٠١، ولسان العرب: ٧/١٩٩، والقاموس المحيط: ٢/١٩٦، وتاج العروس: ١/٤٦٨٧ - ٤٦٨٩.

٣. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢/٤٠١.

٤. ينظر: المصباح النير: ٧/٨٢.

وَشُدَّ مِنْهُ ذَنْبُهُ، وَقُمَّصَ وَعَمَّمَ، وَلَفَّ».

وقد ورد في (أحكام الاحتضار) في رسائل الفقهاء العملية أنه يُستحبُّ للميت أن تُغمَّصَ عيناه، ويُطبقَ فوه، ويُشدَّ لحياه^(١).

وما قيل في الفعل (جذبت نفسه) يقال - هنا - مع الفعل (غُمَّصَ) في بناءه للمجهول، فقد بني للمجهول لأمرين. أحدهما: التركيز على الحدث، وهو استحباب إغماض عيني الميت، وهي حالة تدعو إلى التأمل وإنعام النظر؛ فالإنسان لا يقوى على أيِّ شيء، حتَّى إغلاق عينيه، ممَّا يدلُّ على عجزه، وانعدام قوَّة تأثيره على جسده؛ فهو لا يملك ذلك - أصلاً - . والآخر: أنه لا يُعلمُ مَنْ سيغلق عينيه، ولكنَّه سيحدث.

ومن قمين القول إنَّ هذا الفعل ورد على زنة (فُعِّلَ)، وقد تقدَّم أنَّ لهذه الصيغة معاني متعدِّدة، ذكرها العلماء، ومنها: الجُعْلُ^(٢): وهو جَعْلُ مفعوله على ما هو عليه، نحو: سبحان الَّذي ضوَّء الأضواء، وكوَّف الكوفة، وبصَّر البصرة، أي: جعلها أضواء، وكوفة، وبصرة. وهذا المعنى وارد مع الفعل (غُمَّصَ)، أي: جَعَلَ الميتُ مُغمَّصَ العينين.

و(غُمَّصَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره، هو، عائد إلى (من جذبت نفسه). وجملة (غُمَّصَ) معطوفة على جملة (وذهب بصره وسمعه).

١. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٧٢، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ٩١، ومنهج الصالحين (للسيد الصدر): ٦٧، وأحكام العبادات (للمدرسي): ١٣٣، وسبيل السلام (لليعقوبي): ١٠٤.

٢. ينظر: الفعل (فَرَدَّته) من الكتاب.

مُدِّدٌ

تدلُّ مادةٌ (مُدِّدٌ) في اللُّغة على الجذب، والمطل، والبسط. جاء في (العين):
«المُدُّ: الجذب... ومَدَّ النَّهْرَ، وامتدَّ الحبلُ... والمادة: كلُّ شيءٍ يكون مدداً لغيره...
والتَّمَدُّدُ كتمدُّد السَّقاء، وكذلك كلُّ شيءٍ يبقى فيه شبه المدِّ، والامتداد في الطُّول،
وامتدَّ بهم السَّير، أي: طال» (١).

وقال ابن فارس: «الميم والدال أصل واحد يدلُّ على جرَّ شيءٍ في طول،
وأتصل شيءٌ بشيءٍ في استطالة» (٢).

والمُدُّ: الجذب، والمطل، مَدَّهُ يَمُدُّهُ مَدًّا، وَمَدَّ بِهِ فامتدَّ، ومَدَّهُ فتمدَّد، وتمدَّدناه
بيننا مَدَدْنَاهُ (٣).

وقال الزبيدي: «المُدُّ: البَسَطُ. قال اللحياني: مَدَّ اللهُ الأَرْضَ مَدًّا: بسطها
وسَوَّاهَا. وقوله تعالى: «وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ» أي: بُسِطَتْ وَسُوِّيتْ... المَدُّ: الجذب،
وَمَدَدْتُ السَّيِّءَ مَدًّا: جذبته، قال ابن القطّاع. المَدُّ: المَطْلُ، وقال المصنّف في
البصائر: أصلُ المدِّ جرُّ شيءٍ في طول، وأتصل شيءٌ بشيءٍ في استطالة، مَدَّهُ يَمُدُّهُ
مَدًّا، مَدَّ بِهِ فامتدَّ...» (٤).

وورد هذا الفعل (مُدِّدٌ) مرّةً واحدةً في الخطبة مطابقتاً لدلالته اللغوية، وهو
ثاني الأفعال التي جاء بها أمير المؤمنين في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في

١. العين: ١١٣/٢. وينظر: جمهرة اللغة: ٣٥/١، وتهذيب اللغة: ٤٤٣/٤، والصحاح في اللغة:
١٦٢/٢، والمحيط في اللغة: ٣٤٠/٢.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٢١٦/٥.

٣. ينظر: لسان العرب: ٣٩٦/٣.

٤. تاج العروس: ١/٢٢٦٨ و٢٢٦٩.

المغتسل بعد موته، فبعد أن يَبَاشَرَ بِإِغْمَاضِ عَيْنَيْهِ، يُجَذَّبُ وَيُمَطَّلُ وَيُسَبَّطُ؛ إِذْ قَالَ (عليه السلام): «وَعَمَّضَ وَمُدَّدَ، وَوَجَّهَ وَجَرَّدَ، وَغَسَّلَ وَنَشَفَ، وَسَجَّجَ وَبَسَّطَ لَهُ، وَهَيَّأَ وَنَشَرَ عَلَيْهِ كَفَّنَهُ، وَشَدَّ مِنْهُ ذَقَّنَهُ، وَقَمَّصَ وَعَمَّمَ، وَلَفَّ».

وقد ورد في (أحكام الاحتضار) في الرسائل العملية للفقهاء أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ أَنْ تُغْمَضَ عَيْنَاهُ، وَيُطَبَّقَ فَوْهَ، وَيُشَدَّ لِحْيَاهُ، يُيَادَرُ إِلَى أَنْ تُمَدَّ يَدَاهُ إِلَى جَانِبِهِ، وَسَاقَاهُ (١).

وما قيل في الفعل (جذبت نفسه) يقال - هنا - مع الفعل (مُدَّدَ) في بنائه للمجهول؛ فقد بني للمجهول لأمرين. أحدهما: التَّركِيزُ عَلَى الْحَدِثِ، وَهُوَ اسْتِحْبَابُ مَدِّ يَدَيِ الْمَيِّتِ وَرِجْلَيْهِ، وَالْآخَرُ: أَنَّهُ لَا يُعْلَمُ مَنْ سَيَقُومُ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ حَاصِلٌ لَا مَحَالَةَ.

و(مُدَّدَ): فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبنيٌّ عَلَى الْفَتْحِ، وَنَائِبُ الْفَاعِلِ ضَمِيرٌ مُسْتَرْتَفٍ فِيهِ جَوَازًا، تَقْدِيرُهُ هُوَ، عَائِدٌ إِلَى (مَنْ جَذَبَتْ نَفْسَهُ). وَجُمْلَةٌ (مُدَّدَ) مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ (عَمَّضَ).

..... * * *

وَجَّهَ

جاء في (العين): «الْوَجْهُ: مُسْتَقْبَلُ كُلِّ شَيْءٍ. وَالْجِهَةُ: النَّحْوُ. يُقَالُ: أَخَذَتْ جِهَةَ كَذَا، أَيْ: نَحْوَهُ... وَالْوَجْهَةُ: الْقِبْلَةُ وَشَبَّهَهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ اسْتَقْبَلَتْهُ وَأَخَذَتْ فِيهِ. تَوَجَّهُوا إِلَيْكَ، يَعْنِي: وَلَوْ أَوْجُوهُمْ إِلَيْكَ. وَالتَّوَجُّهُ: الْفِعْلُ اللَّازِمُ. وَالْوَجَّاهُ

١. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٧٢ و٧٣، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ٩١، ومنهاج الصالحين (للسيد الصدر): ٦٧، وأحكام العبادات (للمدرسي): ١٣٣٣، وسبيل السلام (لليعقوبي):

والتَّجَاهُ: ما استقبل شيءٌ شيئاً. تقول: دار فلان تُجَاه دار فلان. والمواجهة: استقبالك الرَّجُلَ بكلام، أو وجهه» (١).

ويقال: دور بني فلان تواجه دور بني فلان، أي: تقابلها، وهي المواجهة، والوجه (٢).

وقال الرَّخْشَرِيُّ: «واجهته مواجهةً ووجاهاً. وداري تجاه داره، وتعدت وجاهك وتجاهك بالضم والكسر فيهما... وتوجَّهت إليه ووجَّهت... ووجَّهت إليه رسولاً. وتوجَّه جهة كذا ووجهة كذا، وجعلته وجهة لي... ووجَّه الأعمى والمريض والميت: جَعَلَ وجهه نحو القبلة» (٣).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (وُجِّه) مرّةً واحدة في الخطبة، جاء فيها مبنياً للمجهول، على زنة (فُعِّلَ)، وهو ثالث الأفعال التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، فبعد أن يُيَاشِرَ بإغماض عينيه، تُمدُّ يده ورجلاه، ويوجَّه إلى القبلة، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّضْ وَمُدِّدْ، وَوَجِّهَ وَجَرِّدْ، وَغَسَّلْ وَنَشَّفْ، وَسَجِّجِ وَبَسِّطْ لَهُ، وَهَيِّءْ وَنَشِّرْ عَلَيْهِ كَفْنَهُ، وَشَدِّ مِنْهُ ذَقْنَهُ، وَقَمِّصْ وَعَمِّمْ، وَلُفَّ».

وقد ورد في (أحكام الاحتضار) في رسائل الفقهاء العملية أنه يُستحبُّ للميت بعد أن تُغمض عيناه، ويُطبق فوه، ويُشدَّ لحياه، وتُمدَّ يده إلى جانبه، ورجلاه، أن

١. العين: ١/ ٢٧٥. وينظر: تهذيب اللغة: ٢/ ٣٤٨، والصحاح في اللغة: ٢/ ٢٦٨، والمخصص: ١/ ٥٤، والمحکم والمحيط الأعظم: ٢/ ٢٢٦، ولسان العرب: ١٣/ ٤٨٧.

٢. ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٢٥٠.

٣. أساس البلاغة: ٢/ ١١.

يُوجَّه إلى القبلة بوضعه بصورة، لو جلس أضحى وجهه تلقاء القبلة^(١).

وما قيل في الفعل (جُذبت نفسه) يقال - ههنا - مع الفعل (وُجَّه) في بناءه للمجهول؛ فقد بُني للمجهول لأمرين. أحدهما: التَّركيز على الحدث، وهو استحباب توجيه الميِّت إلى القبلة، والآخر: أَنَّهُ لا يُعْلَمُ مَنْ سيقوم بذلك، ولكنَّه سيحدث.

فضلاً عن ذلك، فإنَّ الفعل (وُجَّه) ورد على زنة (فُعِّل) - كما تقدَّم - وسبق أن قلتُ^(٢) إنَّ لهذه الصَّيغة معاني متعدِّدة، ذكرها العلماء، ومنها: الجَعْلُ، وهو معنى وارِدٌ مع الفعل (وُجَّه)، أي: جَعِلَ الميِّت متوجَّهاً إلى القبلة.

و (وُجَّه) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، وجملة (وُجَّه) معطوفة على جملة (مُدِّد).

جُرْد

تدلُّ مادَّة (جُرْد) في اللُّغة على التَّعريّة من الشَّيء. جاء في (العين): «الجَرْدُ: فضاء لا نبات فيه، اسم للفضاء، فإذا نعتت به قلت: أرض جرداء، ومكان أجرد، وقد جَرِدَت جَرْداً، وجَرَدَها القحط تجريداً. ورجل أجرد: لا شعر على جسده... والمُجَرَّد: الَّذي أجرده النَّاس فتركوه في مكان واحد... وإذا خرجت السُّنبلة من

١. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٧٧، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ٩٦، ومنهج الصالحين

(للسيد الصدر): ٦٧، وأحكام العبادات (للمدرسي): ١٣٣، وسبيل السلام (لليعقوبي): ١٠٤.

٢. ينظر: الفعل فَرَدته من الكتاب.

لفائفها، قيل: تجرّدت... والجريدة: سعفة رطبة جُرِّدَ عنها خوصها كما يُقشَأُ الورقُ عن القصب»^(١).

وجريدُ النَّخل: الَّذي يُجرد عنه الخوص. وكلُّ شيء قشّره عن شيء، فقد جَرَّدته عنه، وتجرّد الرَّجل: إذا تعرّى^(٢).

وقال ابن فارس: «الجيم والرّاء والدّال أصل واحد، وهو بُدُو ظاهر الشّيء حيث لا يستره ساتر. ثمّ يحمل عليه غيره ممّا يشاركه في معناه. يُقال: تجرّد الرَّجل من ثيابه يتجرّد تجرّداً. قال بعض أهل اللّغة: الجريد سَعَفُ النَّخل، والواحدة جريدة؛ سُمّيت بذلك لأنّه قد جُرِّدَ عنها خوصها. والأرض الجرد: الفضاء الواسع؛ سُمّي بذلك لبروزه وظهوره، أنّ لا يستره شيء»^(٣).

ويقال: جَرَدَ الشّيء يَجْرُدُهُ جَرْدًا، وَجَرَّدَهُ: قشّره. وَجَرَدَ الشّيء، يَجْرُدُهُ جَرْدًا: نزع عنه الشّعر، وكذلك جَرَّدَهُ. وقد جَرِدَ، وانجرد. والجرد من الأرض: ما لا ينبت. وقد جَرِدَت جَرْدًا. وَرَدَهَا القحط. وسنة جارود: مقحطة. ورجل جارود: مشووم منه كأنّه يُقشّرُ قومه، ورجل أجرد: لا شعر عليه، وخدُّ أجرد كذلك، وتجرّد من ثوبه، وانجرد: تعرّى^(٤).

وقال الزّخشي: «جَرَّدَهُ من ثيابه... ومن المجاز: جُرِّدَ السّيف من غمده،

١. العين: ١/ ٤٧٠. وينظر: تهذيب اللغة: ٣/ ٤٧٣، والصحاح في اللغة: ١/ ٨٦، والمحيط في اللغة: ٢/ ٩٧، ولسان العرب: ٣/ ١١٥، والمصباح المنير: ٦/ ٨٩، والقاموس المحيط: ١/ ٢٦٥، وتاج العروس: ١/ ١٩٢١ و ١٩٢٢.

٢. ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٢١٦.

٣. معجم مقاييس اللغة: ١/ ٤٠٣.

٤. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ٢٦٣.

وسيف مجرّد، كقولهم: سيف عريان، ورجل أجرد: لا شعر على جسده... وضربه بجريدة، أي: سعة جردت من الخوص...»^(١).

وتطابقت دلالة الفعل (جُرّد) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدة، جاء فيها مبنياً للمجهول، وعلى زنة (فُعّل)، وهو رابع الأفعال التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، فبعد أن يباشر بإغماض عينيه، وتُمَدّ يده ورجلاه، ويوجّه إلى القبلة، يُعمد إلى تجريده من ثيابه، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّصَ وَمُدِّدَ، وَوَجَّهَ وَجُرِّدَ، وَغُسِّلَ وَنُشِّفَ، وَسُجِّيَ وَبَسِطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنَشَرَ عَلَيْهِ كَفْنَهُ، وَشَدَّ مِنْهُ ذَقْنَهُ، وَقَمَّصَ وَعُمِّمَ، وَكَفَّ».

وقد ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية لتغسيل الميت سُنناً مستحبة، قبل أن يُوضَعَ الميت في حال التّغسيل على مكان مرتفع من سرير أو دكّة، وأن يكون تحت الظلال، وأن تُمدّ يده ورجلاه، وأن يوجّه إلى القبلة، وأن يُنزَعَ قميصه من طرف رجليه، وإن استلزم فتقه مع إذن الوارث فيه^(٢).

وما قيل في الفعل (جذب نفسه) يقال - هنا - مع الفعل (جُرّد) في بنائه للمجهول؛ فقد بني للمجهول لأمرين. أحدهما: التّركيز على الحدث، وهو أن يُجرّد الميت من ثيابه، والآخر: أنّه لا يُعلم من سيقوم بذلك، ولكنه حاصل لا محالة.

وهذا الفعل (جُرّد) جاء على زنة (فُعّل) - كما تقدّم - ولهذه الصّيغة معانٍ

١. أساس البلاغة: ٥٨/١.

٢. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٧٧، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ٩٦، ومنهج الصالحين (للسيد الصدر): ٧٠، وسبل السلام (لليعقوبي): ١٠٩.

ذكرها العلماء، ومنها: الجَعْلُ^(١)، وهو معنى متحقق في الفعل (جُرِّد)، أي: جُعِلَ الميِّتُ جُرِّدًا من ثيابه.

و (جُرِّد) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو، عائد إلى (من جذبت نفسه). وجملة (جُرِّد) معطوفة على جملة (وَجَّه).

* * *

غُسِّلَ

تدلُّ مادَّة (غُسِّلَ) في اللُّغة على تطهير الشَّيْء، وتنقيته. جاء في (معجم مقاييس اللُّغة): «الغين والسَّين واللام أصل صحيح يدلُّ على تطهير الشَّيْء، وتنقيته»^(٢).

وقال الجوهري: «غَسَلْتُ الشَّيْءَ غَسْلًا بِالْفَتْحِ، يَغْسِلُ، وَالاسْمُ الْغُسْلُ بِالضَّمِّ، يُقَالُ: غُسِّلَ وَغُسِّلَ. وَالْغُسْلُ بِالْكَسْرِ: مَا يُغْسَلُ بِهِ الرَّأْسُ خِطْمِيٍّ وَغَيْرِهِ... وَاغْتَسَلْتُ بِالْمَاءِ. وَالْغُسُولُ: الْمَاءُ الَّذِي يُغْتَسَلُ بِهِ. وَكَذَلِكَ الْمُغْتَسَلُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ)^(٣) وَالْمُغْتَسَلُ أَيْضاً: الَّذِي يُغْتَسَلُ فِيهِ. وَالْمَغْسَلُ، بِكَسْرِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا: مَغْسَلُ الْمَوْتَى، وَالْجَمْعُ: الْمَغْسِلُ. وَالْغَسَالَةُ: مَا غَسَلَتْ بِهِ الشَّيْءَ. وَشَيْءٌ غَسِيلٌ وَمَغْسُولٌ»^(٤).

١. ينظر: الفعل (فَرَدْتُهُ) من الكتاب.

٢. معجم مقاييس اللُّغة: ٤/٣٤٠. وينظر: العين: ١/٣٤٨، وجمهرة اللُّغة: ١/٤٧١، والمحيط في اللُّغة: ١/٣٩٨، والمخصص: ١/٤٩٩.

٣. ص: ٤٢.

٤. الصحاح في اللُّغة: ٢/١٩. وينظر: تهذيب اللُّغة: ٣/٥٤، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢/٤٠٥، ولسان العرب: ١١/٤٩٤، والقاموس المحيط: ٣/١٤١، وتاج العروس: ١/٧٣٧٥-٧٣٧٧.

وورد هذا الفعل (عُسِّلَ) في الخطبة مرّةً واحدةً مطابقاً لدلالته اللغوية، جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مبنياً للمجهول، وعلى زنة (فُعِّلَ)، وهو خامس الأفعال التي أوردتها (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، فبعد أن تُغْمَضَ عيناه، وتُمدَّ يداه ورجلاه، ويُوَجَّهَ إلى القبلة، ويُجَرَّدَ من ثيابه، يتمُّ تغسيله، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّصَ وَمُدِّدَ، وَوُجِّهَ وَجُرِّدَ، وَعُسِّلَ وَنُشِّفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَقْنُهُ، وَقَمِّصَ وَعُمِّمَ، وَلُفَّ».

وقد ذكر الفقهاء في رسائلهم العمليّة في (تغسيل الميت) أنّه يُعَسَّلُ بثلاثة أغسال: الأول: بماء السّدر، والثّاني: بماء الكافور، والثّالث: بماء القراح. ويغسل أولاً رأس الميت ورقبته، ثمّ الجانب الأيمن منه، ثمّ الجانب الأيسر^(١).

وما قيل في الفعل (جذبت نفسه) يقال - هنا - مع الفعل (عُسِّلَ) في بناءه للمجهول؛ فقد بني للمجهول لأمرين: الأوّل: التّركيز على الحدث، وهو أنّ يُعَسَّلَ الميت بثلاثة أغسال، والثّاني: أنّه لا يُعَلِّمُ مَنْ سيقوم بذلك، ولكنّه متحقّق لا محالة.

وذكرت أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أورد هذا الفعل على زنة (فُعِّلَ)، وتقدّم أنّ لصيغة (فُعِّلَ) معاني كثيرة ذكرها العلماء، منها: المبالغة والتّكثير - وهو أشهرها -، ويدلُّ على تكرير الفعل، وكثرة القيام به^(٢)، ومنها: الجعْلُ^(٣)، وكلا

١. ينظر منهاج الصالحين (للخوئي): ٧٣ و٧٧، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ٩٢ و٩٦، ومنهاج الصالحين (للسيد الصدر): ٦٧ و٦٨، وأحكام العبادات (للمدرسي): ١٣٥، وسبل السلام (لليعقوبي): ١٠٥ و١٠٦.

٢. ينظر: الفعل (بَلَّغَ) من الكتاب.

٣. ينظر: الفعل (فَرَدَّته) من الكتاب.

المعنيين متحقق في الفعل (غُسِّلَ)؛ فغُسِّلُ الميِّت بثلاثة أغسال يدلُّ على الكثرة، وهو معنى تدلُّ عليه صيغة (فُعِّلَ)، فضلاً عن دلالتها على (الجعل)، أي: جُعِلَ بدن الميِّت طاهراً غير متنجس.

و(غُسِّلَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، وجملة (وغُسِّلَ) معطوفة على جملة (جُرِّد).

نَشَفٌ

تدلُّ مادَّة (نُشِفَ) في اللُّغة على ذهاب الماء، واليبس. جاء في (العين): «النَّشْفُ: دخول الماء في الأرض. والثَّوْب وغيره. نَشِفَتِ الأرض الماء، ونَشِفَ الماء في الأرض، سواء» (١).

وقال ابن فارس: «النُّون والثَّيْن والفَاء: أصل صحيح يدلُّ على ولوج ندى في شيء يأخذه. منه النَّشْفُ: دخول الماء في الثَّوْب والأرض حتَّى يَنْشَفَهُ» (٢).

ونَشِفَ الثَّوْب العَرَق، بالكسر، ونَشِفَ الحوض الماء يَنْشَفُهُ نَشْفاً: شربه. وتَنْشَفُهُ كذلك. وأَرْض نَشِيفَةٌ: بَيْنَةُ النَّشْفِ، إذا كانت تَنْشَفُ الماء (٣).

وقال ابن منظور: «نَشِفَ الماء ييس، ونَشِيفَتُهُ الأرض نَشْفاً، والاسم النَّشْفُ،

١. العين: ٨/٢. وينظر: جهرة اللغة: ٤٨٩/١، وتهذيب اللغة: ١١٠/٤، والمحيط في اللغة: ١٧٢/٢، والمخصص: ٢٤٨/٢، والعياب الزاخر: ٢١/٢، والمصباح المنير: ٣٠٢/٩.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٣٤٣/٥.

٣. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/٢١٠، والقاموس المحيط: ٤٣٢/٢، وتاج العروس: ١/٦١٣٧.

وَنَشَفَ الْمَاءَ يَنْشِفُهُ نَشْفًا وَنَشْفَةً: أَخَذَهُ مِنْ غَدِيرٍ أَوْ غَيْرِهِ بِخُرْقَةٍ أَوْ غَيْرِهَا» (١).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (نشف) مرتين في الخطبة. جاء في المرة الأولى مبنياً للمجهول، وعلى زنة (فُعِّلَ)، وهو سادس الأفعال التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، فبعد أن تُغمض عيناه، وتُمدَّ يداه ورجلاه، ويُوَجَّه إلى القبلة، ويُجَرَّد من ثيابه، ويُغَسَّل بالأغسال الثلاثة، بعدها (يُنَشَّف) منها، إذ قال (عليه السلام): «وَعَمَّضَ وَمُدَّدَ، وَوَجَّهَ وَجَرَّدَ، وَعَسَّلَ وَنَشَّفَ، وَسَجَّيَ وَبَسَّطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنَشَّرَ عَلَيْهِ كَفَّهُ، وَشَدَّ مِنْهُ ذَقْنَهُ، وَقَمَّصَ وَعَمَّمَ، وَوَلَّفَ».

وقد ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية في باب (تغسيل الميت) بعد أن يُفرغ من تغسيله يُنَشَّف بدن الميت بثوب نظيف أو نحوه (٢).

وما قيل في الفعل (جذبت نفسه) يقال - هنا - مع الفعل (نُشِّف) في بناءه للمجهول؛ فقد بني للمجهول لأمرين. الأوَّل: التَّركيز على الحدث، وهو تشييف بدن الميت بثوب نظيف أو غيره من الأغسال الثلاثة، والثاني: أَنَّهُ لَا يُعْلَمُ مَنْ سَيُنَشَّفُ بَدَنَهُ، إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ حَاصِلٌ لَا مَحَالَةَ.

وكما ذكرتُ أَنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أورد هذا الفعل على زنة (فُعِّلَ)، وتقدَّم أَنَّ العلماء ذكروا معاني لهذه الصيغة، منها: المبالغة والتكثير (٣)، والجعل (٤)،

١. لسان العرب: ٩/ ٣٢٩.

٢. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٧٨، وموجز الفتاوى المستنبطة: ٩٦، ومنهاج الصالحين (للسيد الصدر): ٧١، وسبل السلام (لليعقوبي): ١٠٩.

٣. ينظر: الفعل (بَلَّغ) من الكتاب.

٤. ينظر: الفعل (فَرَّدَتْه) من الكتاب.

وكلا المعنيين وارد مع الفعل (نُشِفَ)؛ فتنشيفُ بدنِ الميِّت من الأَغسالِ الثَّلَاثَةِ يدلُّ على الكثرة والمبالغة؛ لِيُجْعَلَ ناشفاً لا ماء فيه، وهو معنى تدلُّ عليه صيغة (فُعِّلَ)؛ فضلاً عن دلالتها على (الجعل)، أي: جعل بدن الميِّت ناشفاً من الأَغسالِ الثَّلَاثَةِ، غير مُبَلَّلٍ.

و(نُشِفَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، وجملة (وَنُشِفَ) معطوفة على جملة (وَعُغِّلَ).

أمَّا في المرَّةِ الثَّانِيَةِ؛ فقد أوردَه أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على جسم الإنسان الميِّت في داخل القبر، وهو رابع الأفعال الخمسة التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك، إذ قال (عليه السلام): «فَهُوَ حَشْوُ قَبْرِ، وَرَهْيُنُ قَبْرِ، يَسْعَى فِي جِسْمِهِ دُودُ قَبْرِهِ، وَيَسِيلُ صَدِيدُهُ مِنْ مَنْخَرِهِ، وَيُسْحَقُ بَدْنُهُ وَحَمُّهُ، وَيَنْشِفُ دَمَّهُ، وَيَرْمُ عَظْمَهُ».

و(ينشف) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و(دمه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه). وجملة (وينشف دمه) معطوفة على جملة (ويُسْحَقُ بَدْنُهُ وَحَمُّهُ).

سَجِي

تدلُّ مادَّة (سَجِي) في اللُّغة على الرُّكود، والسُّكون، وتغطية الشَّيء. جاء في (العين): «السُّجُو: السُّكون. وعين ساجية، أي: فاترة النَّظرة... وليلة ساجية:

ساكنة الرِّيح... ويُقال: سجا البحر، أي: سكنت أمواجه، وتسجية الميِّت: تغطيته بثوب... (وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى)^(١)، أي: أظلم وركد، كما يُقال: بحر ساجٍ، وليل ساجٍ، إذا ركد وظلم، ومعنى ركد: سكن... وتسجية الميِّت: تغطيته بثوب»^(٢).
وقال ابن فارس: «السَّيْنُ والجِيم والواو يدلُّ على سكونٍ، وإطباق»^(٣).

وَسَجَا الْبَحْرُ يَسْجُو سَجْوًا: إِذَا سَكَنَتْ أَمْوَاجُهُ، وَسَجَا اللَّيْلُ: سَكَنَ. وَالسَّجْوَاءُ: النَّاقَةُ الَّتِي تَسْكُنُ حَتَّى تَحْلُبَ، وَلَيْلَةٌ سَاجِيَةٌ إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً الرِّيحَ.
(٤)

وقال ابن منظور: «وسجا البحر وأسجى إذا سكن، وسجا الليل وغيره يسجُو سُجْوًا وَسَجْوًا سَكَنَ، وَلَيْلَةٌ سَاجِيَةٌ، إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً الْبَرْدِ وَالرِّيحِ وَالسَّحَابِ... سَجَى الْمَيِّتُ غَطَّاهُ، وَسَجَّيْتُ الْمَيِّتَ تَسْجِيَةً: إِذَا مَدَدْتَ عَلَيْهِ ثَوْبًا... وَالْمُتَسَجِّي الْمُتَغَطِّي فِي اللَّيْلِ السَّاجِي؛ لِأَنَّهُ يُغَطِّي بِظِلَامِهِ وَسُكُونِهِ... سَجَا يَسْجُو سَجْوًا، وَسُجِّي يُسَجِّي، وَأَسْجَى يُسْجِي كُلَّهُ غَطَّى شَيْئًا مَا، وَالتَّسْجِيَةُ: أَنْ يُسَجَّى الْمَيِّتُ بِثَوْبٍ، أَيْ: يُغَطَّى بِهِ»^(٥).

وقد جاء هذا الفعل (سَجَى) مرَّةً واحدةً في الخطبة، وهو سابع الأفعال التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميِّت في المعتسل بعد موته، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمَّضَ وَمُدِّدَ، وَوُجِّهَ وَجُرِّدَ، وَغُسِّلَ

١. الضحى: ٢.

٢. العين: ١/٤٨٧. وينظر: تهذيب اللغة: ٤/٣٠، وأساس البلاغة: ١/١٠٨.

٣. معجم مقاييس اللغة: ٣/١٠٦.

٤. ينظر: المحيط في اللغة: ٢/١٢٨.

٥. لسان العرب: ١٤/٣٧٢ و٣٧٣.

وُنُشِفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِطَ لَهُ، وَهِيَءٌ وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَنْفُهُ، وَقَمَّصَ وَعُمِّمَ، وَلَفَّ.

وكلا المعنيين - أعني: ١ - الرُّكُودَ والسُّكُونَ ٢ - تغطية الشَّيء - واردة في الفعل (سُجِّيَ) في الخطبة؛ فهو إمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ أَنْ المِيتَ بعدَ أَنْ تُغْمَضَ عيناه، وتُمدَّ يده ورجلاه، ويوجَّهَ إلى القبلة، ويُجرَّدَ من ثيابه، ويُغسَّلَ، ويُنَشَّفَ، ويُرجَعُ به إلى حال السُّكُونِ والرُّكُودِ، أو أَنَّهُ يُغَطَّى بثوب، أو قطعة من القماش بعدَ أَنْ يُغسَّلَ بالأغسال الثلاثة، ويُنَشَّفَ، يَبْدَأَنَّ الأَقْوَى عندِي المعنى الأول، وهو السُّكُونُ والرُّكُودُ، فبعدَ أَنْ يُغسَّلَ بدن المِيتِ بالأغسال الثلاثة، وبعدَ أَنْ يُقَلَّبَ في ذلك كله يميناً ويساراً في أثناء الغسل، ويُنَشَّفَ بدنه، يُرجَعُ به إلى حال السُّكُونِ والرُّكُودِ؛ ليكون مسجِّياً، بعدَ أَنْ يكون قد بُسِطَ له، أي: يُفْتَحُ له الكفن بعدَ أَنْ كان معقوداً، وهيءَ له، أي: تُرتَّبَ قطع الكفن الثلاث: المئزر، والقميص، والإزار؛ لتُنشَرَ عليه، فيكون الكفن مستولياً على جسده كُلِّه.

فضلاً عن ذلك، فإنَّ العلماء - في رسائلهم العمليَّة - في باب (تغسيل الميت) لم يذكروا أنَّ بدن المِيتَ بعدَ أَنْ يُغسَّلَ، يُنَشَّفَ، ويُغَطَّى بثوب، بل إنَّ الخطوة الأخرى هي التَّكْفِين - والله أعلم -.

وما قيل في الفعل (جذبت نفسه - يقال - هنا - مع الفعل (سُجِّيَ) في بناءه للمجهول؛ فقد بني للمجهول لأمرين. أحدهما: التَّركيز على الحدث، وهو التَّسجِيَّة، والآخر: أَنَّهُ لا يُعَلَّمُ مَنْ سيقوم بهذه العمليَّة، غير أَنَّها كائنة لا محالة.

و(سُجِّيَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، وجملة (سُجِّيَ) معطوفة على جملة (نُشِفَ).

بُسطَ

تدلُّ مادَّةُ (البسط) في اللُّغة على النَّشر، وهي نقيض القبض، وهي جَعْلُ الشَّيءِ مستويًا ممتدًّا. يُقال: بسط الثَّوبَ والفرَّاش: إذا نشره. والبَسَّاطُ: ما يُبَسِّطُ^(١).

وقال ابن فارس «الباء والسَّين والطَّاء أصل واحد، وهو امتداد الشَّيء في عرض أو غير عرض. فالْبَسَّاطُ ما يُبَسِّطُ. والبَسَّاطُ: الأرض، وهي البسيطة»^(٢).
وانبسط الشَّيء على الأرض، والبسيطُ من الأرض: كالبساط من الثَّياب، والجمع البُسُط. والبَسَّاطُ: ما بُسِّطَ، وأرض بَسَّاط وبسيطة: منبسطة مستوية^(٣).

وتطابقت دلالة الفعل (بُسطَ) في الخطبة مع دلالاته اللُّغوية؛ إذ جاء هذا الفعل مرَّةً واحدة في الخطبة، وهو ثامن الأفعال التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميِّت في المغتسل بعد موته، فبعد أن نُغمض عيناه، وتُمدَّ يده ورجلاه، يُوجَّه إلى القبلة، ويُجرَّد من ثيابه، ويُغسَّل، ويُنَشَّف، ويُرجع به إلى حال السُّكون والرُّكود، فيبسط له كفنه، أي: يُفتح له الكفن، فيجعل مستويًا ممتدًّا بعد أن كان معقودًا، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّضْ وَمُدِّدْ، وَوَجِّهْ وَجُرِّدْ، وَغُسِّلْ وَنَشِّفْ، وَسُجِّيْ وَبَسِّطْ لَهُ، وَهَيِّءْ وَنَشِّرْ عَلَيْهِ كَفْنَهُ، وَشُدِّ مِنْهُ ذَفْنَهُ، وَقُمَّصْ وَعُمِّمْ، وَلَفَّ».

و(بُسطَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا، تقديره هو، عائد إلى الكفن، و(له) اللام: حرف جرٍّ، والهاء:

١. ينظر: العين: ٥٦/٢، وتهذيب اللغة: ٢٥٨/٤، والصحاح في اللغة: ٤٣/١، والمحيط في اللغة: ٢٤٩/٢، والعباب الزاخر: ٢٣٢/١، والمصبح المنير: ٣٠٢/١.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٢٣٤/١.

٣. ينظر: لسان العرب: ٢٥٨/٧، وتاج العروس: ٤٧٧٣/١.

ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بحرف الجر، و(له) الجار والمجرور متعلقان بالفعل (بسط). وجملة (وبسط له) معطوفة على جملة (وسجى).

هُيَّءُ

تدلُّ مادة (هيء) في اللغة على الأخذ في الشيء، وتحضيره، وإصلاحه. قال الأزهرى: «الهيئة للمتهيء في ملبسه، ونحوه، تقول: هاء فلان يهأ هية»^(١).

يقال: هئت للأمر هيء هية، وهيات تهيوأ بمعنى. وهيات الشيء: أصلحته^(٢). وهاء يهأ هية. والمهياة: أمر يتهايا القوم؛ فيتراضون^(٣).

وقال ابن منظور: «الهيئة والهيئة حال الشيء، وكيفيته، ورجل هيء حسن الهيئة... وهاء للأمر يهأ ويهيء ويتهايا: أخذ له»^(٤).

وجاء هذا الفعل (هيء) مرة واحدة في الخطبة مطابقتاً لدلالته اللغوية، وهو تاسع الأفعال التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، فأول ما يكون أن تغمض عيناه، وتمد يده ورجلاه، ويوجه إلى القبلة، ويجرد من ثيابه، ويغسل، وينشف، ويرجع به إلى حال السكون، ويفتح له كفنه بعد أن كان معقوداً، ثم (هيء) أي: ترتب قطع الكفن الثلاث، وهي: الإزار، والقميص، والمزرب؛ لتنشر عليه بعدها ليستولي على جسد

١. تهذيب اللغة: ٢، ٣٨٩.

٢. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/ ٢٦١.

٣. ينظر: العباب الزاخر: ١/ ٥٦ و ٥٧.

٤. لسان العرب: ١/ ١٨٨. وينظر: العين: ١/ ٢٨٥ ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٥٠.

المَيِّتُ كُلَّهُ، إِذْ قَالَ (عليه السلام): «وَعُمِّصْ وَمُدِّدْ، وَوَجِّهْ وَجُرِّدْ، وَغَسِّلْ وَنُشِّفْ، وَسُجِّجِي وَبَسِّطْ لَهُ، وَهَيِّءْ وَنُشِّرْ عَلَيْهِ كَفْنَهُ، وَشُدِّ مِنْهُ ذَقْنَهُ، وَقَمِّصْ وَعَمِّمْ، وَكُفِّ».

وجدير بالذكر أنَّ الفقهاء ذكروا في رسائلهم العملية في (التكفين) أنَّه يجب تكفين الميت بثلاثة أثواب. الأول: المئزر، ويجب أن يكون ساتراً ما بين السرة والرُّكبة. والثاني: القميص، ويجب أن يكون ساتراً ما بين المنكبين إلى نصف الساق. والثالث: الإزار: ويجب أن يغطِّي تمام البدن^(١).

وما قيل في الفعل (جذبت نفسه) يقال - هنا - مع الفعل (هَيَّءَ) في بنائه للمجهول؛ فقد بني للمجهول لأمرين. أحدهما: التَّركيز على الحدث، وهو ترتيب قطع الكفن الثلاث، والآخر: أنَّ التَّرتيب لهذه القطع حاصل، وإن لم نعرف مَنْ سيرَّبها.

و(هَيَّءَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، عائد إلى الكفن، وجملة (وهَيَّءَ) معطوفة على جملة (وَبَسِّطْ لَهُ).

..... * * *

نُشِرَ، يُنْشَرُ

تدلُّ مادَّة (نشر) في اللُّغة على التَّفريق، والبسط، والتَّشعب، وهي خلاف الطِّيِّ، وتدلُّ - مجازاً - على حياة الأموات بعد الموت، وبعثهم من قبورهم للحساب. قال

١. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي) ٧٨، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ١٠٠، ومنهج الصالحين (للسيد الصدر): ٧١، وأحكام العبادات: ١٤٥، وسبل السلام (لليعقوبي): ١١٠.

ابن فارس: «النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء، وتشعبه»^(١).

ويقال نَشَرَ الشَّيْءَ نَشْراً فانتشر بمعنى: فرَّقه، ونشر علمه: بسطه، والله ينشر رحمته، يبسطها ويمنحها، وتنشر الملائكة أجنحتها، أو تُنْشَرُ كتب الأعمال يوم القيامة. وانتشر النَّاسُ وغيرهم: تفرَّقوا. ونشر الثَّوبُ والكتاب، وصحف مُنْشَرَةٌ. واستنشره: طلب إليه أن ينشر عليه الثَّوب، قال تعالى: (فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ)^(٢)، أي: تفرَّقوا^(٣).

ومن المجاز: نشر الله الموتى نشرأً، وأنشرهم، ونشروا نشوراً وانتشروا. والنُّشور: الحياة بعد الموت. ينشرهم الله انتشاراً^(٤). ونشر الله الميت وأنشره لغتان فصيحتان، والميت منشور ومُنْشَرٌ^(٥)، وفي التنزيل: (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ)^(٦). ونشر الله الموتى نشوراً من باب قعد حيوا، ونشرهم الله يتعدى ولا يتعدى^(٧). ونشر الله الميت ينشره نشرأً ونُشوراً وأنشره: أحياه. فالنُّشور حياة الأموات بعد الموت،

١. معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٣٤٤.

٢. الجمعة: الآية ١٠.

٣. ينظر: العين: ٢ / ٤، وجمهرة اللغة: ١ / ٤٥١، وتهذيب اللغة: ٤ / ٩٦، والصحاح في اللغة: ٢ / ٢٠٨، ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٠٥، وأساس البلاغة: ١ / ٤٧٣، ولسان العرب: ٥ / ٢٠٦، والمصباح المنير: ٩ / ٤٩٥، والقاموس المحيط: ٢ / ١٤، وتاج العروس: ١ / ٣٥٣٤، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٢ / ٢٣١.

٤. ينظر: العين: ٢ / ٤، وأساس البلاغة: ١ / ٤٧٣.

٥. ينظر: جمهرة اللغة: ١ / ٤٠١.

٦. عيس: ٢٢.

٧. ينظر: المصباح المنير: ٩ / ٢٩٤.

وبعثهم من قبورهم للحساب^(١).

ولعلّه مأخوذ من قولهم (النَّشْرُ): وهو أَنْ يَجْرَجَ النَّبْتُ، ثُمَّ يَبْطِءُ عَنْهُ الْمَطْرُ، فَيَبْسُ، ثُمَّ يَصِيبُهُ الْمَطْرُ، فَيَنْبِتُ بَعْدَ الْيَبْسِ^(٢). فحال الإنسان بعد إحيائه من القبر مماثل لذلك، فيولد الإنسان في الحياة الدنيا، ثُمَّ يَبْدَأُ بِمَرَا حِلِّ عَمْرِهِ بِانْتِقَاصِ، فيصل إلى مرحلة الموت (اليَبْسِ)، ثُمَّ يَصِيبُهُ مَطْرٌ؛ إِذْ تَأْتِي دَعْوَةُ اللَّهِ إِلَيْهِ بِالنُّشُورِ، فيحيا بعد الموت، فينبت بعد اليَبْسِ.

وجاء هذا الفعل (نشر) مرّتين في الخطبة، كان في المرّة الأولى بمعنى التّفريق، والبسط، والتّشعيب، وهو عاشر الأفعال التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميّت في المغتسل بعد موته، فبعد أن تُغْمَضُ عَيْنَاهُ، وَتُمدَّ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ، وَيُوجَّهُ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَيُجَرَّدُ مِنْ ثِيَابِهِ، وَيُعَسَّلُ، وَيُنَشَّفُ، وَيُرْجَعُ بِهِ إِلَى حَالِ السُّكُونِ، وَيُفْتَحُ لَهُ كَفْنُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَعْقُوداً، وَتُرْتَّبُ قِطْعَةُ الثَّلَاثِ؛ لِتُنَشَّرَ عَلَيْهِ، أَي: تُفَرَّقَ عَلَى جَسَدِهِ، وَتُشَعَّبَ، وَتُبَسَطَ؛ حَتَّى تَكُونَ مُسْتَوِيَةً عَلَى جَسَدِهِ كُلِّهِ، فَالْمُنْزَرُ مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ، وَالْقَمِيصُ مِنَ الْمُنْكَبِينَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَالْإِزَارُ يُغَطِّي تَمَامَ الْبَدَنِ، فَقَالَ (عليه السلام): «وَعُمَّضَ وَمُدَّدَ، وَوَجَّهَ وَجَرَّدَ، وَعَسَّلَ وَنَشَّفَ، وَسَجَّى وَبَسَطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنَشَرَ عَلَيْهِ كَفْنَهُ، وَشَدَّ مِنْهُ دَقْنَهُ، وَقُمَّصَ وَعَمَّمَ، وَوَلَّفَ».

وما قيل في الفعل (جذبت نفسه) يقال - هنا - مع الفعل (نَشَرَ) في بنائه للمجهول؛ فقد بني للمجهول لأمرين. أحدهما: التّركيز على الحدث، وهو بَسَطُ

١. ينظر: تهذيب اللغة: ٩٦/٤، ومعجم مقاييس اللغة: ٣٤٤/٥، ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٠٥، ولسان العرب: ٢٠٦/٥، والقاموس المحيط: ١٤/٢، وتاج العروس: ٣٥٣٤/١.

٢. ينظر: المحيط في اللغة: ١٦٣/٢.

الكفن، وتفريقه، وتشعيه على جسد الميت؛ ليكون مستولياً عليه. والآخر: أنه لا بُدَّ من حصول هذه الحال بصرف النَّظَرِ عَمَّنْ سيقوم بها.

و(نُشِرَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، و(عليه) على: حرف جرٍّ، والهاء: ضمير متَّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور متعلَّقان بالفعل (نُشِرَ)، و(كفنه) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه). وجملة (ونُشِرَ عليه كفنه) معطوفة على جملة (وهيَّء).

أمَّا في المرَّة الثانية، فكان هذا الفعل (يُنشَرُ) بمعنى حياة الأموات بعد الموت، وبعثهم من قبورهم للحساب، أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حال الإنسان في النَّشْرِ، وما بعد الموت، فقال (عليه السلام): «فَيُنشَرُ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخَ فِي صُورٍ، وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَنُشُورٍ».

ولعلَّ من قمين القول إنَّ هذا الفعل (يُنشَرُ) جاء مبنيًّا للمجهول، وتقدَّم أنَّ لحذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه معاني لفظية ومعنوية ذكرها العلماء^(١)، ومنها: ١ - التَّركيز على الحدث ٢ - التَّعظيم. وكلاهما متحقِّق مع هذا الفعل؛ فأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد أن يركِّز على هذا الحدث، وهو: إحياء الميت بعد الموت، وبعثه للحساب، وأراد في الوقت نفسه أن يُعظِّم هذه العمليَّة، وما يحصل على الإنسان فيها من رعب وخوف وكشف، أو يُعظِّم مَنْ يقوم بها من الملائكة.

(فَيُنشَرُ) الفاء: حرف عطف، و(يُنشَرُ) فعل مضارع مبنيٌّ للمجهول، مرفوع

١. ينظر: الفعل (جذبت) من الكتاب.

وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، و(من): حرف جرٍّ، و(قبره) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على الكسر في محل جرٍّ بالإضافة، (ومن قبره) الجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل (فُيَنْشَرُ). وجملة (فينشر من قبره) معطوفة على جملة (ويقيم من قبره)؛ إن كانت الفاء حرف عطف (فينشر).

شُدُّ

تدلُّ مادة (شُدُّ) في اللغة على الأحكام، والقوَّة، والوثاق، والصَّلابَة، وهي نقيض الحلِّ واللِّين. جاء في (العين): «الشَّدُّ: الصَّلابَة، والقوَّة»^(١).

ويقال: شَدَّه، أي: أوثقه، يَشُدُّه وَيَشُدُّه أَيضاً. تقول: شَدَّ اللهُ مُلْكَهُ وشَدَّدَهُ، أي: قوَّاه^(٢).

وقال ابن فارس: «الشِّين والدَّال أصل واحد يدلُّ على قوَّة في الشَّيْء، وفروعه ترجع إليه، من ذلك: شَدَدْتُ العقد شداً أَشَدَّهُ»^(٣).

والشَّدُّ: القوَّة. وشَدَدْتُ فلاناً: قوَّيته، وشَدَّ الشَّيْءَ يَشُدُّه وَيَشُدُّهُ^(٤).

١. العين: ٤٩٦/١ و ٤٩٧.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ٧٢/٤ والصحاح في اللغة: ٣٤٩/١، ولسان العرب: ٢٣٢/٣، وتاج العروس: ٢٠٥٤-٢٠٥٨.

٣. معجم مقاييس اللغة: ١٣٩/٣.

٤. ينظر: المحيط في اللغة: ١٥٠/٢، ومفردات ألفاظ القرآن: ٤٤٧ و ٤٤٨.

والشدة: نقيض اللين، وكل ما أحكم فقد شدّ، وتشدّد هو، وتشادّ، وشيء شديد: مشتدّ قوي^(١).

وقال الزمخشري: «ومن المجاز: شدّ الله تعالى أسرته، أي: قوى إحكام خلقه... شدّ أزاره خلاف حلّ... رجل شديد وشديد القوى. وقوم شداد وأشداء. وشدّ العقدة فاشتدت (فشدوا الوثاق)^(٢)، وشده الله: قواه يشده، فاشتدّ، ويقال: شدّ الله منك، وهو شديد على قومه، وقد شدّد عليهم، ومن شدّد الله تعالى عليه^(٣).

وشدّ الشيء يشدّ من باب ضرب قوي؛ فهو شديد، وشدّدته شدّا من باب قتل: أوثقته^(٤).

وبهذا المعنى جاء هذا الفعل (شدّ) مرّة واحدة في الخطبة، وهو حادي عشر الأفعال التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، إذ قال (عليه السلام): «وغمّض ومُدّد، ووَجّه وَجْرَد، وَغَسَّل وَنَشَفَ، وَسَجَّى وَبَسَطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنَشَرَ عَلَيْهِ كَفْنَهُ، وَشَدَّ مِنْهُ ذَفْنَهُ، وَقَمَّصَ وَعَمَّم، وَلَفَّ».

وسياتي مع الفعل (عمّم) أنّ الفقهاء ذكروا في رسائلهم العمليّة في باب (تكفين الميت) أنّه يُستحبُّ في الكفن إضافة العمامة للرّجل من قماش يُلفُّ به رأسه، ويُجعل طرفاه تحت حنكه على صدره، فيجعل الطرف الأيمن على الجهة اليسرى

١. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣/٣٥٢.

٢. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣/٣٥٢.

٣. أساس البلاغة: ١/٧ و ١/١٩٦ و ١/٢٣٨.

٤. ينظر: المصباح المنير: ٤/٤٦١.

من صدره، ويُجعل الطَّرْف الأيسر على الجهة اليمنى من صدره^(١).
وجاء هذا الفعل (شُدَّ) في الخطبة مبنياً للمجهول؛ للتركيز على الحدث، وهو
شُدُّ الذَّنْبِ بِطَرَفِي الْعِمَامَةِ، وللجهل بَمَنْ سيقوم بذلك.
و(شُدَّ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، و(منه) من: حرف جرٍّ،
والهاء: ضمير متّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور
متعلّقان بالفعل (شُدَّ)، و(ذقنه) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة
على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ
بالإضافة، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه). وجملة (وشُدَّ منه ذقنه) معطوفة على جملة
(ونُشِرَ عليه كفنه).

* * *

قَمِصٌ

قال ابن فارس: «القاف والميم والصاد أصلان: أحدهما يدلُّ على بُسِّ شيء
والإنشيام فيه، والآخر: على نَزْوِ شيء وحركة.
فالأول: القميص للإنسان معروف. يُقال: تَقَمَّصه، إذا لبَّسه، ثُمَّ يُسْتَعَار ذلك
في كلِّ شيء دخل فيه الإنسان، فيقال: تَقَمَّصَ الإمارة، وتَقَمَّصَ الولاية. وجمَعُ
القميص أقمصة، وقُمُص»^(٢).

١. ينظر: منهاج الصالحين (الخوئي): ٧٨ و٧٩، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ١٠٢، ومنهج
الصالحين (للسيد الصدر): ٧٣، وأحكام العبادات (للمدرسي): ١٣٧، وسبل السلام (لليعقوبي):
١١٣.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٥/٢١. وينظر/: تهذيب اللغة: ٣/١٦١، والصحاح في اللغة: ٢/٩٥،
ومفردات ألفاظ القرآن: ٦٨٤، ولسان العرب: ٧/٨٢، وتاج العروس: ١/٤٥٢٠.

والقميص: معروف، يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ. وتَقَمَّصَ قميصه: لَبَسَهُ، وَقَمَّصَهُ تَقَمِيمًا أَلْبَسَهُ قَمِيصًا، فَتَقَمَّصَ هُوَ (١).

وجاء هذا الفعل (قُمِّصَ) مرَّةً واحدة في الخطبة بمعنى (لبس القميص)، وهو ثاني عشر الأفعال التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّصَ وَمُدِّدَ، وَوُجِّهَ وَجَرِّدَ، وَعُغِّسَ وَنُشِّفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَفْنُهُ، وَقُمِّصَ وَعُمِّمَ، وَوَلَّفَ».

و(قُمِّصَ) مرحلة من مراحل عملية نَشْرِ الكفن على الميت واستيلائه عليه، وهي لبس القميص، والقميص هو القطعة الثانية من قطع الكفن الثلاث، وتكون ما بين المنكبين إلى نصف الساق - كما تقدَّم - (٢).

وجاء الفعل (قُمِّصَ) مَبْنِيًّا للمجهول، وعلى زنة (فَعَّلَ). وبني للمجهول لأمرين، أحدهما: التَّرْكِيزُ على الحدث، وهو لبس القميص من أجزاء الكفن للميت، والآخر: أَنَّهُ لَا يُعْلَمُ مَنْ سَيَلْبِسُهُ تلك القطعة، إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ. أمَّا مجيئه على زنة (فَعَّلَ)، فقد ذكر العلماء أن لهذه الصيغة معاني كثيرة (٣)، ومنها: الْجَعْلُ، وهو معنى متحقق في الفعل (قُمِّصَ)، أي: جعل الميت مرتدياً قميصاً، أي: ألبس قميصاً.

و(قُمِّصَ) فعل ماضٍ مَبْنِيٌّ للمجهول، مَبْنِيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جَذِبَتْ نَفْسَهُ). وجملة (وقُمِّصَ)

١. ينظر: المحيط في اللغة: ١/ ٤٤٧، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢/ ٥٠٠، والقاموس المحيط: ٢/ ١٧٤.

٢. ينظر: الفعل (يُنشَرُ) من الكتاب.

٣. ينظر: الفعل (فَرَدَتْه) من الكتاب.

معطوفة على جملة (وَشَدَّ مِنْهُ ذِقْنَهُ).

عُمِّمَ

جاء في (العين): «العمامة: معروفة، والجمع العمام، واعتَمَّ الرَّجُلُ، وهو حسن العِمَّةَ والاعْتِمَامُ»^(١).

وقال الجوهري: «وَعَمَّمْتُهُ: أَلْبَسْتُهُ العِمَامَةَ... واعتَمَّ بالعمامة، وَتَعَمَّمَّ بِهَا بِمعنى. وفلان حسن العِمَّةَ، أَي: حسن الاعتِمَامُ»^(٢).

وتطابقت دلالة الفعل (عُمِّمَ) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ جاء مرَّةً واحدة، وهو ثالث عشر الأفعال التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّصَ وَمُدِّدَ، وَوُجِّهَ وَجُرِّدَ، وَغُسِّلَ وَنُشِفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِطَ لَهُ، وَهِيَءٌ وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ، وَشَدَّ مِنْهُ ذِقْنَهُ، وَقَمِّصَ وَعُمِّمَ، وَلَفَّ».

وقد ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية في باب (تكفين الميت) أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ فِي الكفن إضافة العمامة للرجل من قماش يُلَفُّ به رأسه، ويُجعل طرفاه تحت حنكه على صدره، فيجعل الطرف الأيمن على الجهة اليسرى من صدره، ويُجعل الطرف الأيسر على الجهة اليمنى من صدره^(٣).

١. العين: ١٣/١. وينظر: المحيط في اللغة: ٥/١.

٢. الصحاح في اللغة: ١/٤٩٧. وينظر: تهذيب اللغة: ١/٢٤، ومعجم مقاييس اللغة: ٤/١٠-١٤، ولسان العرب: ١٢/٤٢٣، والقاموس المحيط: ٣/٢٦٣، وتاج العروس: ١/٧٨٣٠-٧٨٣١.

٣. ينظر: الفعل (قَمِّصَ) من الكتاب.

وما قيل في الفعل (قَمَّص) يقال - هنا - مع الفعل (عَمَّم) في بنائه للمجهول، ومجيئه على زنة (فُعِّل)؛ فجاء مبنياً للمجهول لأمرين. أحدهما: التَّركيز على الحدث، وهو تعميم الميت (الرَّجُل) من القماش الَّذِي يُلَفُّ به رأسه، والآخر: الجهل بِمَنْ سيقوم بلفِّ تلك العمامة.

أما مجيئه على زنة (فُعِّل)؛ فلأنَّها تدلُّ على معانٍ كثيرة ذكرها العلماء^(١)، ومنها: الجُعْلُ، وهو معنى وارد مع الفعل (عَمَّم)، أي: جعل الميت معمَّماً.

و(عَمَّم) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه). وجملة (وعَمَّم) معطوفة على جملة (وقمَّص).

* * *

لُفَّ

تدلُّ مادَّة (لُفَّ) في اللُّغة على طوي الشَّيء، وجمعه، وضمُّه، وإدراجه، واللَّفُّ ضدُّ النَّشر. يُقال: لَفَّ الشَّيء لُفًّا، إذا خلطه وَطَواه^(٢).

ولَقَّه ضدُّ نَشَره، والشَّيء بالشَّيء ضَمُّه إليه، ووصله به. واللَّفَّافَةُ بالكسر: ما يُلَفُّ على الرَّجُل وغيرها، والألُفَّاف الأشجار الملتقَّة، والمِلَّفُ كمِقَصَّ: لحاف يُلتَفُّ به. ويُقال: تَلَفَّف الرَّجُل بثوبه، والتَفَّ به. ومنه لِفَّافَةُ الرَّجُل، والميِّت يُلَفُّ

١. ينظر: الفعل (فَرَدَّته) من الكتاب.

٢. ينظر: العين: ١٨٤/٢ و١٨٥، وجمهرة اللُّغة: ٥٨/١، والصحاح في اللُّغة: ١٤٥/٢، والمحيط في اللُّغة: ٤٥٠/٢، وأساس البلاغة: ٤٣٦/١.

في كفه لَفًّا، إذا أدرج فيه إدراجاً^(١).

وقال ابن فارس: «اللام والفاء أصل صحيح يدلُّ على تلوي شيء على شيء. يُقال: لَفْتُ الشيء بالشيء لَفًّا. ولفتُ عماتي على رأسي. ويُقال: جاء القومُ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُم، أي: مَنْ تَأَثَّبَ إليهم، كأنَّه التَفَّ بهم»^(٢).

وقال الرَّاعِب: «قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) [الإسراء/ ١٠٤] أي: منضمًّا بعضكم إلى بعض. يُقال: لَفَّتُ الشيء لَفًّا وجاءوا وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُم، أي: مَنْ انضَمَّ إليهم، وقوله: «وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا» [النبأ/ ١٦] أي: التَفَّ بعضها ببعض لكثرة الشجر... واللَّفِيف من النَّاس: المجتمعون من قبائل شتى»^(٣).

ويُقال: جاء القوم بلفتهم ولفهم ولفيفتهم - أي: بجماعتهم، ولف الشيء يلفه لَفًّا جمعه، وقد التَفَّ الشيء: تجمَّع وتكاثف، والتَفَّ الشجرُ بالمكان: كثر وتضايق^(٤).

وجاء هذا الفعل (لَفًّا) مرَّةً واحدة في الخطبة مطابقاً لدلالته اللغوية، وهو رابع عشر الأفعال التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يحصل على الإنسان الميت في المغتسل بعد موته، وآخرها، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّصَ وَمُدِّدَ، وَوُجِّهَ وَجُرِّدَ، وَغُسِّلَ وَنُشِّفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِطَ لَهُ، وَهِيَءَ وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَقْنُهُ، وَقُمِّصَ وَعُمِّمَ، وَلَفَّ».

١. ينظر: تذيب اللغة: ١٧١/٥، والقاموس المحيط: ٤٢٩/٢.

٢. معجم مقاييس اللغة: ١٦٦/٥.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٧٤٣.

٤. ينظر: المخصص: ٢٦٨/١، ولسان العرب: ٣١٧/٩، وتاج العروس: ٦١٢١/١ و٦١٢٢.

وقد ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية في باب (تكفين الميت) أنه يُستحبُّ في الكفن إضافة اللُّفافة فوق الإزار يُلْفُّ بها تمام بدن الميت، والأوَّلَى كونها برداً يمانياً^(١).

وما قيل في الفعل (جذبت نفسه) يقال - هنا - مع الفعل (لُفَّ) في بنائه للمجهول؛ فقد بني للمجهول لأمرين. أحدهما: التَّركيز على الحدث، وهو لُفُّ تمام بدن الميت بهذه اللُّفافة، والآخر: لا يُعَلِّمُ مَنْ سيقوم بهذا اللَّفِّ.

و(لُفَّ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره، هو عائد إلى (من جذبت نفسه)، و(جملة) (ولُفَّ) معطوفة على جملة (وعُمَّم).

ويبدو لي - والله أعلم - أن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنَّما ذكر هذه الأفعال الأربعة، وهي: شَدُّ الذَّقْنِ، والتَّقْمِصِ، والتَّعْمِصِ، واللَّفِّ؛ لما في ذلك من صورة تُبيِّن مدى الإحكام في التَّكفين، وفي مناطق مختلفة ورئِسة في جسده من الذَّقْنِ، وأعلى الرأس، ووسط الجسم، ولفافة تغطِّي جسده كُلِّه، والحال الضَّعيفة التي يكون فيها الميت بتلك الصُّورة، فضلاً عن حال الموت التي هو فيها. وإلَّا فما الحاجة من ذِكرِ الفعل (قُمِّصَ) وهو موجود في الفعل (ويُنشَرُ عليه كفنُه)؛ فهو من القطع الثَّلاث التي تمَّ نشرها على جسد الميت.

..... * * *

وُدَّعُ

تدلُّ مادَّة (وُدَّع) في اللُّغة على التَّركِ، والتَّخْلِية. جاء في (العين): «يُقال: وُدَّعَ

١. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٨١، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ١٠٣، ومنهاج الصالحين (للسيد الصدر): ٧٣، وأحكام العبادات (للمدرسي): ١٣٨، وسبل السلام (لليعقوبي):

يُوذَعُ دَعَةً، وَاَتَدَعُ تُدَعَةً... والتَّوْدِيعُ: أَنْ تُوذَعُ ثوباً فِي صَوَانٍ، أَيُّ: فِي مَوْضِعٍ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ رِيحٌ، وَلَا غِبَارٌ... وَالْوَدَاعُ: تَوْدِيعُكَ أَخَاكَ فِي الْمَسِيرِ، وَالْوَدَاعُ: التَّرْكُ وَالْقَلَى، وَهُوَ تَوْدِيعُ الْفِرَاقِ، وَالْمَصْدَرُ تَوْدِيعٌ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)^(١)، أَيُّ: مَا تَرَكَكَ. وَالْمُودِعُ: وَالْمُودِعُ... وَالْوَدِيعَةُ: مَا تَسْتَوْدِعُهُ غَيْرَكَ لِیَحْفَظَهُ^(٢).

وقال ابن فارس: «الواو والدال والعين: أصل واحد يدل على التَّرك والتَّخْلِيَةِ. وَدَعَهُ: تَرَكَهُ، وَمِنْهُ: دَعَّ... وَمِنْهُ وَدَّعْتُهُ تَوْدِيعاً»^(٣).

والتَّوْدِيعُ عِنْدَ الرَّحِيلِ. وَالاسْمُ: الْوَدَاعُ. وَقَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ)^(٤) قَالَ: مَا تَرَكَكَ. وَتَوْدِيعُ الثَّوْبِ: أَنْ تَجْعَلَهُ فِي صَوَانٍ يَصُونُهُ^(٥).

وقال الفيومي: «وَدَّعْتُهُ أَدَّعُهُ وَدَّعَاً، وَأَصْلُ الْمَضَارِعِ الْكَسْرُ، وَمِنْ ثَمَّ حُذِفَتْ الْوَاوُ، ثُمَّ فُتِحَ لِمَكَانِ حَرْفِ الْخَلْقِ... الْوَدِيعَةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، وَأَوْدَعْتُ زَيْدًا مَا لَأَدْفَعْتُهُ؛ لِيَكُونَ عِنْدَهُ وَدِيعَةٌ، وَجَمَعَهَا وَدَائِعٌ»^(٦).

وتطابقت دلالة الفعل (وُدَّع) في الخطبة مع دلالة اللُّغوية؛ إذ جاء به أمير

١. الضحى: ٣.

٢. العين: ١/١٣٢. وينظر: تهذيب اللغة: ١/٣٥٣، ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٦١، والمحكم والمحيط الأعظم: ١/٣٢٠ و٣٢١، وأساس البلاغة: ١٢/٢، ولسان العرب: ٨/٣٨٠، وتاج العروس: ١/٥٥٨٥ - ٥٥٩٢.

٣. معجم مقاييس اللغة: ٦/٧١.

٤. الضحى: ٣.

٥. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/٢٧١.

٦. المصباح المنير: ١٠/٢٩٥.

المؤمنين (عليه السلام) مرةً واحدة، جاء فيها مبنياً للمجهول، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّصَ وَمُدِّدَ، وَوَجَّهَ وَجُرِّدَ، وَغُسِّلَ وَنُشِفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفَّنُهُ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَقْنُهُ، وَقُمِّصَ وَعُمِّمَ، وَلُفَّ وَوُدِّعَ». فَيَتْرَكَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ الْمَيِّتَ وَيُحَلِّي لِشَيْعٍ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدِ تَمَّتْ جَمِيعُ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَجْهِيزِهِ مِنْ غُسْلٍ وَتَكْفِينٍ.

وقد ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية في باب (التشييع) أنه يُسْتَحَبُّ إِعْلَامُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَوْتِ الْمُؤْمِنِ لِتَشْيِيعِ جَنَازَتِهِ، وَيُسْتَحَبُّ لَهُمُ الْمَبَادِرَةُ إِلَى ذَلِكَ^(١).

وقد جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الفعل (ودّع) مبنياً للمجهول؛ للتركيز على الحدث، وهو تشييع ذلك الميت، هذا أولاً، وثانياً: للجهل بمن سيكون مشيعاً لذلك الميت.

و(ودّع) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو، عائد إلى (من جذبت نفسه)، وجملة (وودّع) معطوفة على جملة (ولف).

..... * * *

سَلَّمَ

تَدَلُّ مَادَّةَ (سَلَّمَ) فِي اللُّغَةِ عَلَى إِقَاءِ الشَّيْءِ، وَتَرْكِهِ، وَإِبْصَالِهِ، وَتَخْلِيصِهِ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: «يُقَالُ: فَلَانٌ مُسَلَّمٌ، وَفِيهِ قَوْلَانُ: أَحَدُهُمَا هُوَ الْمُسْتَسَلَّمُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالثَّانِي: هُوَ الْمَخْلُصُ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ، وَمَنْ قَوْلُهُمْ: سَلَّمَ الشَّيْءُ لِفُلَانٍ، أَيُّ: خَلَّصَهُ،

١. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٨٧، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ١٠٣، ومنهاج الصالحين (للسيد الصدر): ٧٩، وأحكام العبادات (للمدرسي): ١٣٩، وسبل السلام (لليعقوبي): ١٢٠.

وَسَلَّمَ لَهُ الشَّيْءَ، أَي: خَلَّصَ لَهُ» (١).

والإسلام: الاستسلام لأمر الله، والانقياد لطاعته. ويقولون: سَلَّمْنَا لِلَّهِ رَبَّنَا، أَي: استسلمنا له وأسلمنا. وَأَسَلَمْتُ فَلَانًا: خذلتَه، وَأَسَلَمْتُ إِلَيْهِ ثوبًا، وَسَلَّمْتُ لَهُ وَإِلَيْهِ، وَكُلُّ تَارِكٍ لشيءٍ، فَهَمُّ مُسَلِّمٌ لَهُ. وَأَسَلَّمَ الرَّجُلُ بَعْدَ جُنُونِهِ: إِذَا تَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ جُنُونِ الشَّبَابِ (٢).

وورد هذا الفعل (سَلَّمَ) مرَّةً واحدةً في الخطبة مطابقتاً لدلالته اللغوية، جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مبنياً للمجهول في بيان ما يحصل على الإنسان الميت بعد غسله، وتكفينه، وتشيعه، إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّصَ وَمُدِّدَ، وَوُجِّهَ وَجُرِّدَ، وَغُسِّلَ وَنُشِّفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنُشِّرَ عَلَيْهِ كَفَنُهُ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَفْنُهُ، وَفُصِّصَ وَعُمِّمَ، وَلَفَّ وَوُدِّعَ وَسَلَّمَ». فَيُسَلَّمُ، أَي: يُتْرَكُ بَعْدَ أَنْ يُشَبَّعَ لِمَنْ يَحْمِلُهُ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ.

ومجيء هذا الفعل (سَلَّمَ) في الخطبة مبنياً للمجهول لأمرين. الأول: التَّركيز على الحدث، وهو تَرْكُ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ بَعْدَ تَشْيِيعِهِ لِمَنْ يَحْمِلُهُ، وَالثَّانِي: الْجَهْلُ بِمَنْ سَيَتْرَكُهُ، وَيَلْقِيهِ.

و(سَلَّمَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر منه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (من جذبت نفسه). وجملة (وسَلَّمَ) معطوفة على جملة (وودِّع).

..... * * *

١. تهذيب اللغة: ٤/ ٢٩٢.

٢. ينظر: المحيط في اللغة: ٢/ ٢٦٥. وينظر: العين: ٢/ ٦٥، ومعجم مقاييس اللغة: ٣/ ٦٨، والصحاح في اللغة: ١/ ٣٢٧ و٣٢٨، ولسان العرب: ١٢/ ٢٨٩، والمصباح المنير: ٤/ ٣٠٦.

حُمِلَ

جاء في (العين): «حَمَلَ يَحْمِلُ حَمَلاً وَحُمْلَاناً... وتقول: إِنِّي لَأَحْمِلُهُ عَلَى أَمْرٍ فَمَا يَتَحَمَّلُ، وَأَحْمِلُهُ أَمْرًا فَمَا يَتَحَمَّلُ، وَإِنَّهُ لَيَحْتَمِلُ الصَّنِيعَةَ وَالْإِحْسَانَ، وَحَمَلْتُ فَلَانًا فَلَانًا، وَتَحَمَّلْتُ بِهِ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَةِ وَالْحَاجَةِ. وَتَحَامَلْتُ فِي الشَّيْءِ: إِذَا تَكَلَّفْتَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ، وَاسْتَحَمَلْتُ فَلَانًا نَفْسِي، أَيُّ: حَمَلْتُهُ أُمُورِي وَحَوَائِجِي... وَالْحَمْلُ: مَا فِي الْبَطْنِ، وَالْحِمْلُ: مَا عَلَى الظَّهْرِ»^(١).

وقال الجوهري: «حَمَلْتُ الشَّيْءَ عَلَى ظَهْرِي أَحْمِلُهُ حَمَلاً... وَحَمَلْتُ الْمَرْأَةَ وَالشَّجَرَ حَمَلاً... وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْحِمْلُ مَا كَانَ فِي بَطْنٍ أَوْ عَلَى رَأْسِ شَجْرَةٍ. وَالْحِمْلُ بِالْكَسْرِ: مَا كَانَ عَلَى ظَهْرٍ أَوْ رَأْسٍ... وَاسْتَحَمَلْتَهُ، أَيُّ: سَأَلْتَهُ أَنْ يَحْمِلَنِي. وَحَمَلْتُهُ الرِّسَالَةَ، أَيُّ: كَلَّفْتَهُ حَمْلَهَا...»^(٢).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «حَمِلَ» مرّةً واحدةً في الخطبة، جاء به مبنياً للمجهول؛ إذ قال (عليه السلام): «وَعُمَّصَ وَمُدِّدَ، وَوُجِّهَ وَجُرِّدَ، وَغُسِّلَ وَنُسِّفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِّطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنَشَرَ عَلَيْهِ كَفْنَهُ، وَشَدَّ مِنْهُ ذَقْنَهُ، وَقَمَّصَ وَعَمَّمَ، وَلَفَّ وَوَدَّعَ وَسَلَّمَ، وَحَمَلَ فَوْقَ سَرِيرٍ». فبعد أَنْ يُغَسَّلَ الْإِنْسَانُ الْمَيِّتَ، وَيُكْفَنَ، وَيُشَيَّعَ، وَيُتْرَكَ لِمَنْ يَحْمِلُهُ، يُحْمَلُ فَوْقَ سَرِيرٍ؛ لِيُصَلَّى عَلَيْهِ - بعد ذلك -.

وأتى أمير المؤمنين (عليه السلام) بالفعل «حَمِلَ» مبنياً للمجهول؛ للتركيز على الحدث، وهو حَمْلُ ذَلِكَ الْمَيِّتِ، هَذَا أَوَّلًا، وَلِلْجَهْلِ بِمَنْ سَيَحْمِلُهُ ثَانِيًا.

١. العين: ١/ ٢٢٠. وينظر: جهرة اللغة: ١/ ٢٩٤، وتهذيب اللغة: ٢/ ١٢٨ - ١٣٠، ومعجم مقاييس اللغة: ٢/ ٨٤ و ٨٥، والمحيط في اللغة: ١/ ٢٢٩، ومفردات ألفاظ القرآن: ٢٥٧ و ٢٥٨، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢/ ٤٣، ولسان العرب

٢. الصحاح في اللغة: ١/ ١٤٧.

و«حِمْلٌ» فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى «مَنْ جذبت نفسه». وجملة «وحِمْلٌ فوق سرير» معطوفة على جملة «وسُلم».

صُلِّي، صَلَّتْ

اختلف اللُّغَوِيُّونَ والمفسِّرون في الأصل اللُّغوي للصَّلَاةِ على أقوال. فذهب بعضهم إلى أَنَّهَا مشتَقَّةٌ من اللُّزوم، فذهب هؤلاء إلى أَنَّ الصَّلَاةَ من أعظم الفرائض الَّتِي أمر الله بلزومها، والحفاظ عليها؛ لهذا قال الزَّجَّاج: «وأصل هذا عندي كلُّه من اللُّزوم يُقال: صَلَّى وأصلى واصطلى: إذا لزم»^(١). وذهب الطُّوسِيّ إلى أَنَّهَا مأخوذة من معنى اللُّزوم؛ لِأَنَّهَا من أعظم ما يلتزم به^(٢).

وذهب أكثر اللُّغويين والمفسِّرين إلى أَنَّ أصل الصَّلَاةِ في اللُّغة: الدُّعاء^(٣)، فكأنَّ الصَّلَاةَ سُمِّيَتْ على هذا ببعض ما تتضمَّنُه، أي: بتسمية الكلِّ باسم الجزء، وهي من المجاز المرسل الَّذِي علاقته الجزئية^(٤).

وذهب عدد من اللُّغويين والمفسِّرين إلى أَنَّ الصَّلَاةَ مشتَقَّةٌ من (الصُّلُوَيْنِ)^(٥)،

١. معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٢٥١. وينظر: لسان العرب: ١٤/ ٤٦٤.

٢. ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٥٧.

٣. ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٤٦٠، والتبيان في تفسير القرآن: ١/ ٥٧، وأحاديث التعبد النبوية في ضوء نظرية الحقول الدلالية (أطروحة دكتوراه): ١٣٥.

٤. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٩٠.

٥. ينظر: المصباح المنير: ١/ ٢٧١، وأحاديث التعبد النبوية في ضوء نظرية الحقول الدلالية (أطروحة دكتوراه): ١٣٧.

وهو مثني، مفرده: (الصَّلا)، قال ابن دريد: «والصَّلا: العظم الَّذي عليه الإليتان، وهو آخر ما يبلى من الإنسان في القبر»^(١)، وذكر هؤلاء أنَّ الصلاة مشتقة من الصلويين؛ لأنَّ المصلِّي يرفعهما في سجوده وركوعه^(٢).

وذهب عدد من اللغويين والمفسرين إلى أنَّ الصَّلاة مشتقة من الأثر واللزوم، كالَّذي يلحظ في تسابق الخيل؛ إذ رأى هؤلاء أنَّ السَّابق فيها يتلو اللَّاحق، ويضع جحفلته - وهي للفرس كالشَّفة للإنسان - على صلا السَّابق، وبهذا يكون المصلِّي من الخيل الَّذي يتلو سابقه مباشرة^(٣).

وقيل إنَّها من الصَّلاء، وهو بكسر الصَّاد يقرأ ممدوداً، وبفتحه يقرأ الصَّلا مقصوراً، ومعنى الصَّلاء أو الصَّلا: مقاساة حرِّ النَّار وإيقادها^(٤). قال الرَّاغِب: «أصل الصَّلاة من الصَّلَّى، قال: ومعنى: صَلَّى الرَّجُل، أي: إنَّه زاد، وأزال عن نفسه بهذه العبادة الصَّلَّى الَّذي هو نار الله الموقدة، وبناء (صَلَّى)، كبناء (مَرَض) لإزالة المرض^(٥).

وذهب بعضهم إلى أنَّها مشتقة من الصَّلَّة؛ لأنَّها تصل الإنسان بخالقه، وتقرُّبه من رحمته^(٦).

١. جمهرة اللغة: ٨٨/٣.

٢. ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٩٤/١.

٣. ينظر: تهذيب اللغة: ٤/٢٣٠، ونظام الغريب في اللغة: ١٦٠.

٤. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٩٠.

٥. ينظر: المصدر نفسه: ٤٩١.

٦. ينظر: روح الدين الإسلامي: ٢١، وأحادي التعبد النبوية في ضوء نظرية الحقول الدلالية (أطروحة دكتوراه): ١٣٩.

وقيل إنَّها مأخوذة من كلمة (صَلُّوتا) العبريَّة، ومعناها: مكان الصَّلَاة^(١).

وقيل إنَّها لفظة بابليَّة، جعلت اسماً لعبادة معيَّنة في شريعة إبراهيم (عليه السلام)، ودخلت العبريَّة منذ هجرة إسماعيل (عليه السلام)^(٢).

أمَّا معنى الصَّلَاة اصطلاحاً، فقد ذكر الطُّوسِيّ: «أنَّها في الشَّرْع عبارة عن الرُّكُوع والسُّجُود على وجه مخصوص، وأركان وأذكار مخصوصة»^(٣). وقال الرَّاغِب: «والصَّلَاة الَّتِي هي العبادة المخصوصة، أصلها الدُّعاء، وسمَّيت هذه العبادة بها، كتسمية الشَّيء باسم بعض ما تتضمَّنُه»^(٤). وقال ابن الأثير: «وهي العبادة المخصوصة، وأصلها في اللُّغة: الدُّعاء، فسمَّيت ببعض أجزائها، وقيل: إنَّ أصلها في اللُّغة: التَّعظيم، وسمَّيت العبادة المخصوصة صلاة؛ لما فيها من تعظيم الرَّبِّ تعالى، وقوله في التَّشَهُد: الصَّلوات لله: أي: الأدعية التي يُراد بها تعظيم الله تعالى، وهو مستحقُّها لا تليق بأحد سواه»^(٥).

وقال الجرجاني: إنَّها «أركان مخصوصة، وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدَّرة»^(٦).

وجاء هذا الفعل (صَلَّى) مرَّتين في الخطبة، أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) في المرَّة الأولى في الصَّلَاة على الميت؛ إذ قال (عليه السلام): «وَعُمِّصْ وَمُدِّدْ، وَوُجِّهْ

١. ينظر: فلسفة الصلاة: ٢٨.

٢. ينظر: المصدر نفسه: ٢٩.

٣. التبيان في تفسير القرآن: ٥٧/١.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٩١.

٥. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٩٥/٣.

٦. التعريفات: ١٧٥.

وَجُرِّدَ، وَغُسِّلَ وَنُشِفَ، وَسُجِّيَ وَبُسِطَ لَهُ، وَهَيَّءَ وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَقْنُهُ، وَقُمِّصَ وَعُمِّمَ، وَلَفَّ وَوُدِّعَ وَسَلِّمَ، وَحَمَلَ فَوْقَ سَرِيرٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بِتَكْبِيرٍ^(١).

وذكر الفقهاء في رسائلهم العملية في باب (الصلاة على الميت) كيفيتها، وهي خمس تكبيرات: يُكَبَّرُ أَوَّلًا، ويتشهد الشهادتين بأن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. ويكبر ثانياً، ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بأن يقول: اللهم صل على محمد وآل محمد. ويكبر ثالثاً، ويدعو للمؤمنين والمؤمنات بأن يقول: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات. ويكبر رابعاً، ويدعو للميت بأن يقول: اللهم اغفر لهذا الميت، ويكبر خامساً، وينصرف^(١).

وجيء بالفعل (صَلَّى) مبنياً للمجهول للتركيز على الحدث، وهو الصلاة على الميت، والجهل بمن سيصلي على ذلك الميت.

و(صَلَّى) فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبني على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، و(عليه) على: حرف جرّ، والهاء: ضمير متصل مبني في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (صَلَّى)، و(بتكبير) الباء: حرف جرّ، و(تكبير) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (صَلَّى). وجملة (وَصَلَّى عَلَيْهِ بِتَكْبِيرٍ) معطوفة على جملة (وَحَمَلَ فَوْقَ سَرِيرٍ).

أمّا في المرّة الثّانية، فقد أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (صَلَّتْ) في ختام الخطبة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم؛ إذ قال (عليه السلام): «ذلك قولٌ فضّل، وحُكْمٌ عدلٌ، خيرٌ قصصٍ قصص، ووعظٍ نصص، تنزِيلٌ

١. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٨٣، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ١٠٥، ومنهج الصالحين (للسيد الصدر): ٧٥، وأحكام العبادات (للمدرسي): ١٤، وسبل السلام (لليعقوبي): ١١٦.

مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ، نَزَلَ بِهِ رُوحٌ قُدُسٌ مُبِينٌ، عَلَى قَلْبِ نَبِيِّ مُهْتَدٍ مَكِينٍ، صَلَّتْ عَلَيْهِ رُسُلٌ سَفَرَةٌ، مُكْرَمُونَ بَرَرَةٌ».

وجدير بالذكر أَنَّ المفسرين واللغويين فسروا دلالة الصَّلَاة من الملائكة على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالدُّعاء، والاستغفار^(١).

و(صَلَّتْ) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والتَّاء: تاء التَّأنيث، ضمير متَّصل مبنيٌّ على السُّكون، لا محلَّ له من الإعراب، (وعليه) على: حرف جرٍّ، والهَاء: ضمير متَّصل مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل (صَلَّتْ)، و(رُسُلٌ) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، و(سَفَرَةٌ) صفة مرفوعة، وعلامة رفعها الضَّمَّة الظَّاهرة على آخرها.

نُقِلَ

تَدُلُّ مَادَّةُ (نُقِلَ) فِي اللُّغَةِ عَلَى تَحْوِيلِ الشَّيْءِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ. فَالنُّقْلُ: تَحْوِيلُ الشَّيْءِ إِلَى مَوْضِعٍ. وَالنُّقْلَةُ: انْتِقَالُ الْقَوْمِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ. وَيُقَالُ: نَقَلَهُ يَنْقُلُهُ نَقْلًا فَانْتَقَلَ. وَالتَّنْقُولُ: التَّحْوِيلُ. وَنَقَلَهُ تَنْقِيلًا، إِذَا أَكْثَرَ نَقْلَهُ^(٢).

وقال ابن فارس: «النون والقاف واللام: أصل صحيح يدلُّ على تحويل شيء من مكان إلى مكان، ثُمَّ يُفْرَعُ ذَلِكَ. يُقَالُ: نَقَلْتُهُ أَنْقَلُهُ نَقْلًا. وَنَقَلَ الْفَرَسُ قَوَائِمَهُ

١. ينظر: تأويل مشاكل القرآن: ٤٦٠، ومعاني القرآن (للأخفش): ٢/٢٤٦، ومفردات ألفاظ القرآن: ٤٩٠.

٢. ينظر: العين: ١/٤٠، وتهذيب اللغة: ٣/٢٢٥، والصحاح في اللغة: ٢/٢٢٩، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣/٥٦، ولسان العرب: ١١/٦٧٤.

نُقِلًا» (١).

وتطابقت دلالة الفعل (نُقِلَ) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدة، جاء فيها مبنياً للمجهول، وهو يصف حال الإنسان بعد أن يُصَلَّى عليه صلاة الميِّت؛ فيتحوّل من دار الدنيا إلى ضريح ملحود، فقال (عليه السلام): «وَنُقِلَ مِنْ دُورٍ مُزْخَرَفَةٍ، وَقُصُورٍ مُشِيدَةٍ، وَحُجْرٍ مُنْضَدَةٍ، فَجُعِلَ فِي ضَرِيحٍ مَلْحُودٍ، وَلَحْدٍ ضَيِّقٍ مَرْصُوصٍ، يَلْبِنُ مَنْضُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلْمُودٍ».

وأورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (نُقِلَ) في الخطبة مبنياً للمجهول للتركيز على حَدَثِ نُقْلِ الْإِنْسَانِ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا إِلَى ضَرِيحٍ مَلْحُودٍ، وللجهل بمن سيُجعله في ذلك الضريح.

و(نُقِلَ) فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبني على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا، تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جَذِبَتْ نَفْسُهُ)، و(مَنْ) حرف جرّ، و(دور) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (نُقِلَ)، و(مُشِيدَةٍ): صفة مجرورة، وعلامة جرّها الكسرة الظاهرة على آخرها. وجملة (وَنُقِلَ مِنْ دُورٍ مُشِيدَةٍ) معطوفة على جملة (وَصُلِّيَ عَلَيْهِ) بتكبير).

جُعِلَ

تدلُّ مادّة (جُعِلَ) في اللّغة على التّصيير، والصّيرورة، والصّنع، والوضع،

وإلقاء الشّيء وإنزاله. جاء في (العين): «جَعَلَ جَعْلًا: صَنَعَ صُنْعًا، وَجَعَلَ أَعْمٌ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ: جَعَلَ يَأْكُلُ، وَجَعَلَ يَصْنَعُ كَذَا، وَلَا تَقُولُ: صَنَعَ يَأْكُلُ»^(١).

ويقال: جعلتُ كذا أَجْعَلُهُ وَجَجْعَلًا. وَجَعَلَهُ اللهُ نَبِيًّا، أَي: صَيَّرَهُ. وَالجُعْلُ بالضَّمِّ: ما جُعِلَ للإنسان من شيء على الشّيء يفعلُه، وكذلك الجِعَالَةُ بالكسر والجُعيلة مثله. وَأَجْعَلْتُ القِدرَ، أَي: أَنْزَلْتُهَا بالجِعَالِ. وَاجْتَعَلَ وَجَعَلَ بمعنى^(٢).

وقال ابن سيده: «جَعَلَ الشّيء يَجْعَلُهُ جَعْلًا، وَاجْتَعَلَهُ، كِلَاهِمَا: وَضَعَهُ... وَجَعَلَهُ يَجْعَلُهُ جَعْلًا: صَنَعَهُ. قال سيبويه: جعلتُ متاعك بعضه فوق بعض: أَلْقَيْتَهُ... وَجَعَلَ الطِّينَ خَزْفًا، وَالقَبِيحَ حَسَنًا: صَيَّرَهُ إِيَّاهُ»^(٣).

وورد هذا الفعل (جُعِلَ) مطابقاً لدالته اللغوية في الخطبة، جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مبنياً للمجهول، في بيان حال الميت في القبر، فأوّل ما يُفَعَلُ به أَنَّهُ يُجْعَلُ في ضريح ملحود، أَي: يُصَيَّرُ، وَيُوضَعُ، وَيُنزَلُ، وَيُلْقَى في ضريح ملحود، فقال (عليه السلام): «فَجُعِلَ فِي ضَرِيحٍ مَلْحُودٍ، وَحَدِّ ضَيْقٍ مَرْصُوصٍ، بِلَبْنٍ مَنْضُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلْمُودٍ».

وجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الفعل (جُعِلَ) في الخطبة مبنياً للمجهول؛ للتركيز على الحدث، وهو جَعْلُ الإنسانِ المَيِّتِ في ضريح ملحود، فضلاً عن الجهل بَمَنْ سَيُلْحِدُهُ في ذلك الضريح.

و(جُعِلَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير

١. العين: ١/٥٢.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ١/١١٣، ومعجم مقاييس اللغة: ١/٤١٠، والصحاح في اللغة: ١/٩٣، ومفردات ألفاظ القرآن: ١٩٦ و١٩٧، ولسان العرب: ١١/١١٠.

٣. المحكم والمحيط الأعظم: ١/١١٣.

مستتر فيه جوازاً، تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، و(في) حرف جرّ، و(ضريح) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (جُعِلَ)، و(ملحود) صفة مجرورة، وعلامة جرّها الكسرة الظاهرة على آخرها، وجملة (فَجُعِلَ فِي ضَرَعٍ مَلْحُودٍ) معطوفة على جملة (وَنُقِلَ مِنْ دُورٍ مَزْخَرَفَةٍ)، وقد تقدّم أنّ العطف بالفاء يفيد الترتيب باتّصال، أي: بلا مهلة، وهو المعبر عنه بالتعقيب، وكثيراً ما يقتضي السبب إن كان المعطوف جملة^(١)، وكذا هي الحال في الخطبة مع الفعل (فَجُعِلَ)؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَنُقِلَ مِنْ دُورٍ مَزْخَرَفَةٍ... فَجُعِلَ فِي ضَرِيحٍ مَلْحُودٍ».

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الفقهاء ذكروا في رسائلهم العمليّة أنّه يُستحبُّ حفْرُ القبر قدر قامته، أو إلى التُّرْقُوة، وأن يُجعل له لحدٌّ ممّا يلي القبلة في الأرض الصُّلبة بقدر ما يمكن الجلوس فيه، وتُسدّ الفتحة، وفي الرّخوة يُشقُّ وسط القبر شبه النّهر، ويُجعل فيه الميّت، وتُسقّف عليه، ثمّ يهال التُّراب، ويمكن جعل اللحد بطرائق أخرى، منها: أن تتشنى مسافة من قعر الحفيرة، وتُسقّف، بعد جعل الميّت على أرضها، ومنها: أن تُبنى حول الميّت بعد وضعه على أرض الحفيرة شبه الغرفة، وتُسقّف، ويهال التُّراب على المجال الباقي^(٢).

هَيْلٌ

تدلُّ مادّة (هَيْلٌ) في اللّغة على جريان الشّيء، ودفعه، وصبّه، وإرساله. جاء في

١. ينظر: الفعل (عدل) من الكتاب.

٢. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٨٨ و٨٩، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ١١٠ و١١١، ومنهاج الصالحين (للسيد الصدر): ٨٠، وسبل السلام (لليعقوبي): ١٢٢.

(العين): «الهائل من الرَّمْل، لا يثبت مكانه حتَّى ينهال فيسقط، وهَلْتُهُ أَهَيْلُهُ فهو مهيل، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً)»^(١) «(٢)».

وقال ابن فارس: «الماء والياء واللام كلمة واحدة تدلُّ على دفع شيء يمكن كَيْلُهُ دفعاً من غير كيل. وهَلْتُ الطَّعَامَ أَهَيْلُهُ هَيْلًا: أرسلته»^(٣).

ويقال: هَلْتُ الدَّقِيقَ فِي الجِرَابِ: صَبَبْتُهُ مِنْ غَيْرِ كَيْلٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَهُ إِرسَالًا، مِنْ رَمْلٍ أَوْ تَرَابٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوِهِ، قُلْتُ: هَلْتُهُ أَهَيْلُهُ هَيْلًا، فَانْهَالٌ، أَيُّ: جَرَى، وَانْصَبَّ. وَتَهَيَّلَ: تَصَبَّبَ. وَأَهَلْتُ الدَّقِيقَ لَغَةً فِي هَلْتُ، فَهُوَ مُهَالٌ وَمَهِيْلٌ^(٤).

وتطابقت دلالة الفعل (هَيْلٌ) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ جاء مرَّةً واحدة مبنياً للمجهول، أو رده أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ما يجري على الميِّت بعد أن يُجعل في قبره، ويُسَقَّفَ عليه، ثُمَّ يَهَالُ عَلَيْهِ التُّرَابُ، إِذْ قَالَ (عليه السلام): «فَجُعِلَ فِي ضَرْيَحٍ مَلْحُودٍ، وَحَدِّ ضَيْقٍ مَرْصُوصٍ، بِلَيْنٍ مَنْضُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلْمُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ عَفْرُهُ». والعَفْرُ، أَوْ العَفْرُ: التُّرَابُ، وَقِيلَ: ظَاهِرُ التُّرَابِ^(٥).

وذكر الفقهاء في رسائلهم العمليَّة في (الدَّفْنِ) أَنَّ الميِّتَ بعد أن يُوضَعَ فِي قَبْرِهِ،

١. المزمّل: ١٤.

٢. العين: ١/ ٢٨١. وينظر: المحيط في اللغة: ١/ ٣٢٠.

٣. معجم مقاييس اللغة: ٦/ ١٩.

٤. ينظر: تهذيب اللغة: ٢/ ٣٦٨، والصحاح في اللغة: ٢/ ٢٦٢، ولسان العرب: ١١/ ٧١٣، وتاج العروس: ١/ ٧٥٩٦.

٥. ينظر: العين: ١/ ١١٠، ومعجم مقاييس اللغة: ٤/ ٩٤، والصحاح في اللغة: ١/ ٩٢، والمحيط في اللغة: ١/ ٩٢، ولسان العرب: ٤/ ٥٨٤، وتاج العروس: ١/ ٣٢١٢ و٣٢١٣..

وَيُسَقَّفُ عَلَيْهِ، يُهَالُ عَلَيْهِ التُّرَابُ (١).

ومجيء أمير المؤمنين (عليه السلام) بالفعل مبنياً للمجهول؛ للتركيز على الحدث، وهو هَيْلُ التُّرَابِ عَلَى المَيْتِ، وللجهل بِمَنْ سيهيل عليه التُّرَابُ؛ إذ يُسْتَحَبُّ أَنْ يهيل عليه الحاضرون التُّرَابَ بظهور الأَكْفِ غير ذي الرَّحْمِ (٢).

و(هيل) فعل مبنئ للمجهول، مبنئ على الفتح، و(عليه) على: حرف جرّ، والهاء: ضمير متّصل مبنئ في محلّ جرّ بحرف الجرّ، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (هيل)، و(عفره) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضّمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متّصل مبنئ على الضّمّ في محلّ جرّ بالإضافة. وجملة (وهيل عليه عفره) معطوفة على جملة (فجعل في ضريح ملحود).

حَثِي

تَدُلُّ مَادَّةَ (حَثِي) فِي اللُّغَةِ عَلَى ذَرَوِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: حَثَى فِي وَجْهِهِ التُّرَابَ يَحْثِيهِ حَثِيًّا (٣). وَحَثَى التُّرَابَ عَلَيْهِ يُحْثُوهُ وَيُحْثِيهِ حَثْوًا وَحَثِيًّا، فَحَثَا التُّرَابَ نَفْسُهُ يُحْثُو وَيَحْثِي. وَالحَثَى كَالثَّرَى: التُّرَابُ المَحْثُو. وَأَرْضٌ حَثْوَاءٌ: كَثِيرَةُ التُّرَابِ (٤).

وقال ابن فارس: «الحاء والثاء والحرف المعتلّ يدلّ على ذرّو الشّيء

١. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٨٨، وموجز الفتاوى المستنبطة (للغروي): ١١١، ومنهج الصالحين (للسيد الصدر): ٨٠، وسبيل السلام (لليعقوبي): ١٢٢.

٢. ينظر: المصادر أنفسها: الصفحات أنفسها.

٣. ينظر: العين: ١/٢٣١، والمحيط في اللغة: ١/٢٤٦.

٤. ينظر: تهذيب اللغة: ٢/١٧٥، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢/٦٦، ولسان العرب: ١٤/١٦٤، والقاموس المحيط: ٢/٤٠٨.

الخفيف»^(١).

وأورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (حَثِي) مرّةً واحدةً في الخطبة مبنياً للمجهول؛ لبيان ما يجري على الميّت بعد أن يُجعل في ضريح ملحود، فيُهاَل عليه عفره، ويُحَثَى عليه مَدْرُهُ، فقال (عليه السلام): «فَجُعِلَ فِي ضَرْحِ مَلْحُودٍ، وَخَدِ ضَيْقِ مَرْصُوصٍ، بِلَبْنٍ مَنْضُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلْمُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ عَفْرُهُ، وَحَثِي عَلَيْهِ مَدْرُهُ».

والمَدْرُ: هو قطع الطّين اليابس المتناسك، وقيل: الطّين العلك الذي لا رمل فيه، وقيل طين متحبّب^(٢)؛ ولذا أحسب أن المقصود ب(حَثِي عليه مَدْرُهُ) أحد أمرين. وهو إمّا أن يكون طمّ القبر وتربيعة، وهو ما يكون بالطّين اليابس المتناسك، والطّين العلك، وهو ما ذكره الفقهاء في رسائلهم العمليّة في باب (الدّفن) بعد أن يُجعل الميّت في قبره، ويسقّف عليه، ويهاَل عليه التراب، فيطمّ القبر، ويربّع^(٣).

أو أن يكون المقصود به الطّين الحاصل بعد رشّ الماء على القبر بعد أن يطمّ، ويربّع؛ إذ ذكر الفقهاء في رسائلهم العمليّة في باب (الدّفن) أنه يُستحبُّ بعد طمّ القبر، وتربيعة رشّ الماء دوراً يستقبل القبلة، ويبدأ من عند الرأس، فإن فضل شيء، صبّ على وسطه^(٤).

و(حَثِي) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، و(عليه) على: حرف

١. معجم مقاييس اللغة: ١١٠/٢.

٢. ينظر: العين: ١١٩/٢ ومعجم مقاييس اللغة: ٢٤٥/٥، وتاج العروس: ١١٩/٢.

٣. ينظر: منهاج الصالحين (للخوئي): ٨٩، منهج الصالحين (للسيد الصدر): ٨١، وسبل السلام (لليعقوبي): ١٢٢.

٤. ينظر: المصادر أنفسها: الصفحات أنفسها.

جرّ، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بحرف الجرّ، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، والجارُّ والمجرور متعلّقان بالفعل (حُثِي)، و(مَدْرَةٌ) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضّمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضّمّ في محلّ جرّ بالإضافة، عائد إلى (من جذبت نفسه). وجملة (وحثي عليه مدرّه) معطوفة على جملة (وهيل عليه عفره).

تحقق

تدلُّ مادّة (تحقق) في اللّغة على إحكام الشّيء، وإحكام وقوعه، ومعرفة حقيقته، وصحّة وقوعه، وتصديقه، وثباته، ووجوبه، والوقوف على حقيقته. جاء في (العين): «الحقُّ نقيض الباطل. حَقَّ الشّيءُ يُحَقُّ حَقًّا، أي: وجب وجوباً... والحقيقة: ما يصير إليه حقُّ الأمر ووجوبه... والحاقّة: النّازلة الّتي حَقَّتْ؛ فلا كاذبة لها»^(١).

ويقال: حَقَّقْتُ حِذْرَهُ أُحِقُّهُ، وأَحَقَّقْتُهُ أَيضاً، إذا فعلت ما كان يحذرُهُ. ويقال أَيضاً: حَقَّقْتُ الرَّجُلَ، وأَحَقَّقْتُهُ، إذا أثبتَّهُ، وتحقّق عنده الخبر، أي: صحّ. وحَقَّقْتُ قَوْلَهُ وَظَنَّهُ تحقيقاً، أي: صدّقت، وكلام محقّق، أي: رصين، وثوب محقق، إذا كان محكم النّسج، وطعنة محقّقة، أي: لا زيغ فيها وقد نفذت. والقيامة سمّيت حاقّة؛ لأنّها تحقّق كلّ إنسان بعمله من خير وشرّ، وقيل: سمّيت حاقّة؛ لأنّ فيها حواقّ الأمور والثّواب، وقيل: لأنّها تحقّق كلّ محاقّ في دين الله بالباطل، أي: كلّ مجادل ومخاصم فتحقّقه، أي: تغلبه وتخصّمه، من قولك: حاقتُهُ أحاقّه حاقاقاً ومحاقّةً

فحققته أُحِقُّهُ، أَي: غلبته وفلجت عليه^(١).

وقال الزُّخَشْرِيُّ: «حَقَّ اللهُ الأَمْرَ حَقًّا: أثبته وأوجهه... وحققته الأمر وأحققته: كنت على يقين منه. وحققت الخبر فأنا أُحِقُّهُ: وقفت على حقيقته. ويقول الرَّجُلُ لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه: أنا أُحِقُّ لكم هذا الخبر، أَي: أعلمه لكم، وأعرف حقيقته... ويوم القيامة تكون حوائق الأمور... وتحققت الأمر، وعرفت حقيقته، ووقفت على حقائق الأمور. وأحققت عليه القضاء: أوجبته. وأحققت حذره، وحققته إذا فعلت ما كان يحذر...»^(٢).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (تحقق) مرّةً واحدةً في الخطبة في بيان حال الإنسان بعد أن يُوضع في قبره، فقال (عليه السلام): «فَجَعَلَ فِي صَرِيحٍ مَلْحُودٍ، وَخَلْدٍ ضَيِّقٍ مَرْصُوصٍ، بِلَبْنٍ مَنْضُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلْمُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ عَقْرُهُ، وَحُثْيٍ عَلَيْهِ مَدْرُهُ، فَتَحَقَّقَ حِذْرُهُ». ف(تحقق حذره) بمعنى: تحقق ما يخافه أو يحذره، أَي: أحكم، وعرفه معرفة حقيقيّة، وصحّ وقوعه، وصدّقه، وثبت ذلك، وكان واجبا، ووقف على حقيقته.

و(فتحقق) الفاء: حرف عطف، و(تحقق) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(حذره) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبنيٌّ على الضمّ في محلّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى (من جذبت نفسه). وجملة (فتحقق حذره) معطوفة على جملة (وحتى عليه مدرّه).

١. ينظر: تهذيب اللغة: ١/٤١٥-٤١٨، والصحاح في اللغة: ١/١٣٨ و١٣٩، والمحكم والمحيط الأعظم: ١/٣٦٨-٣٧١، ولسان العرب: ١٠/٤٩، والمصباح المنير: ٢/٤٢٧، والقاموس المحيط: ١/١١٣٠-١١٣١، وتاج العروس: ١/٦٢٥٠-٦٢٥٨.

٢. أساس البلاغة: ١/٩٣.

ولعلَّ في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فتحقق حذره» تضميناً لقوله – تبارك وتعالى -: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)^(١).

نَسِيَ

تدلُّ مادَّة (نَسِيَ) في اللُّغة على ترك الشَّيء، وإغفاله، والنَّسيان، وهي خلاف الذِّكر الحفظ. جاء في (العين): «نَسِيَ فلان شيئاً كان يذكره، وإنَّه لَنَسِيٌّ، أي: كثير النَّسيان، من قوله – جلَّ وعزَّ -: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)^(٢). والنَّسِيُّ: الشَّيء المنسِيَّ الَّذي لا يذكر... ونَسَيْتُ الحديث نسيّاً. ويُقال: أنَسَيْتُ إنساءً، ونَسَيْتُ أجود؛ قال الله تعالى: (فإنِّي نَسَيْتُ الحُوتَ)^(٣)، ولم يقل: أنَسَيْتُ...»^(٤).

وقال ابن فارس: «النُّون والسِّين والياء أصلان صحيحان: يدلُّ أحدهما على إغفال الشَّيء، والثَّاني: على ترك شيء. فالأوَّل نَسَيْتُ الشَّيء، إذا لم تذكره نسياناً»^(٥).

وقال الجوهري: «والنَّسيان: خلاف الذِّكر والحفظ... وقد نَسَيْتُ الشَّيء نسياناً... وأنسانيه الله ونسانيه تَنَسِيَةً بمعنى. وتناساه: أرى من نفسه أنه نَسِيَهُ.

١. ق: ١٩.

٢. مريم: ٦٤.

٣. الكهف: ٦٣.

٤. العين: ٧٤ / ٢. وينظر: المحيط في اللغة: ٢ / ٢٧٨، والمصباح المنير: ٩ / ٢٨٧، والقاموس المحيط: ٤٨٠ / ٣.

٥. معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٣٣٧.

والنسيان: التَّرك، قال الله تعالى: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)^(١)، وقال تعالى: (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)^(٢)»^(٣).

وتطابقت دلالة الفعل (نَسِيَ) في الخطبة مع دلالة اللغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدة في بيان حال الإنسان الميت بعد أن يُوضع في قبره، فقال (عليه السلام): «فَجُعِلَ فِي ضَرْيَحٍ مَلْحُودٍ، وَحَدِّ ضَيْقٍ مَرْضُوصٍ، بِلَبْنٍ مَنْضُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلْمُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ عَفْرُهُ، وَحُثِي عَلَيْهِ مَدْرُهُ، فَتَحَقَّقَ حِدْرُهُ، وَنَسِيَ خَبْرَهُ».

و(نَسِيَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، و(خبره) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والباء: ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائد إلى (من جذبت نفسه)، وجملة (ونسي خبره) معطوفة على جملة (فتحقّق حذرُهُ).

رَجَع

تدلُّ مادّة (رجع) في اللّغة على الرّدِّ، والعودة، والانصراف. جاء في (العين): «رجعت رجوعاً ورجعته يستوي فيه اللّازم والمجاوز. والرّجعة المرّة الواحدة... ورجعُ الجواب: رده. ورجعُ الرّشق من الرّمي: ما يردُّ عليه. والمرجوعة: جواب الرّسالة... والارتجاع أن ترتجع شيئاً بعد أن تُعطي... وكلام رجيع: مردود إلى

١. التوبة: ٦٧.

٢. البقرة: ٢٣٧.

٣. الصحاح في اللّغة: ٢/٢٠٧. وينظر: تهذيب اللّغة: ٤/٣٢، ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٠٣ و٨٠٤، ولسان العرب: ١٥/٣٢١، وتاج العروس: ١/٨٦٢٢ و٨٦٢٣.

صاحبه»^(١).

ويقال: رَجَعَ يَرْجَعُ رَجْعاً، ورجوعاً، ورُجْعَى، ورُجْعَاناً، ومَرَجِعاً، ومَرَجَعَةً: انصرف^(٢).

وأبان أبو هلال العسكري (الرُّجوع) حين فرَّق بينه وبين (الإيَّاب) بقوله: «إنَّ الإيَّاب هو الرُّجوع إلى منتهى القصد. والرُّجوع يكون لذلك ولغيره، ألا ترى أنَّه يُقال: رجع إلى بعض الطَّرِيق، ولا يُقال: آب إلى بعض الطَّرِيق»^(٣).

وأبان (المرجع) حين فرَّق بينه وبين (المصير) بقوله: «إنَّ المرجع: انقلاب الشَّيء إلى حال قد كان عليها، والمصير انقلاب الشَّيء إلى خلاف الحال التي هو عليها، نحو: مصير الطِّين خزفاً، ولا يُقال: رجع الطِّين خزفاً؛ لأنَّه لم يكن قبل خزفاً»^(٤).

وعرَّف القاضي الجرجاني (الرُّجوع) بقوله: «حركة واحدة في سمت واحد، لكن على مسافة حركة هي مثل الأولى بعينها، بخلاف الانعطاف»^(٥).

وجاء هذا الفعل (رجع) في الخطبة مرَّةً واحدة مطابقاً لدالته اللُّغوية، وأورده أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال مَنْ كان مع ذلك الميِّت بعد أن يُجعل في

١. العين: ٥١/١. وينظر: جوهرة اللغة: ٢٢٦/١، وتهذيب اللغة: ١١٠/١، ومعجم مقاييس اللغة: ٤٠٧/٢، والصحاح في اللغة: ٢٤٤/١، ومفردات ألفاظ القرآن: ٣٤٢-٣٤٥، والمخصص: ١٧٣/١، وأساس البلاغة: ١٦٠/١، ولسان العرب: ١١٤/٨.

٢. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ١٠٩/١.

٣. الفروق اللغوية: ٨٧.

٤. التعريفات: ٣٦/١.

٥. المصدر نفسه: ٨٨.

ضريح ملحود، ويهال عليه عفره، ويحشى عليه مدره، يرجع عنه وليه ونسيه، إذ قال (عليه السلام): «فَجَعَلَ فِي ضَرِيحٍ مَلْحُودٍ، وَخَدِ ضَيِّقٍ مَرْضُوصٍ، بِلَبْنٍ مَنُضُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلْمُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ عَفْرُهُ، وَحِثِي عَلَيْهِ مَدْرُهُ، فَتَحَقَّقَ حِذْرُهُ، وَنُسِيَّ خَبْرُهُ، وَرَجَعَ عَنْهُ وَلِيُّهُ وَنَسِيَّهُ». أي: ردًا، وعاد، وانصرف.

و(رجع) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(عنه) عن: حرف جرٍّ، والهاء: ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل (رجع)، و(وليه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، و(نسيه) الواو: حرف عطف، و(نسيه) اسم معطوف مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (ورجع عنه وليه ونسيه) معطوفة على جملة (ونسي خبره).

..... * * *

تبدل

تدلُّ مادَّة (تبدل) في اللُّغة على التَّغْيِيرِ، وَتَنْحِيَةِ الشَّيْءِ وَجَعْلِ شَيْءٍ آخَرَ مَكَانَهُ. جاء في (العين): «الْبَدَلُ: خَلْفٌ مِنَ الشَّيْءِ، وَالتَّبْدِيلُ: التَّغْيِيرُ. وَاسْتَبَدَلْتُ ثَوْبًا مَكَانَ ثَوْبٍ، وَأَخًا مَكَانَ أُخٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ الْمِبَادِلَةُ»^(١).

وقال ابن فارس: «الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب. يُقال: هذا بدل الشيء وبديله. ويقولون: بدلت الشيء إذا غيرته

١. العين: ١٢٠/٢. وينظر: جمهرة اللغة: ١/١٢٩، وتهذيب اللغة: ٤/٤٦٠، والصحاح في اللغة: ١/٣٥، والمحيط في اللغة: ٢/٣٥٠، والمخصص: ٣/٢٦، والقاموس المحيط: ٣/٥٤.

وإن لم تأت له ببدل... وأبدلته، إذا أتيت له ببدل»^(١).

ويقال: أبدله بخوفه أمناً وبدّله مثله. وبدّل الشيء: غيّرَه. وتبدّلت الدار بأنسها وحشاً. واستبدلته وبادلته السلعة إذا أعطيته شروى ما أخذته منه. وتبادلا ثوبيهما. وهذا بدل منه، وبديل منه^(٢).

وقال ابن منظور: «بدّل الشيء: غيّرُه... بدّل الشيء بدّله وبدّله الخلف منه والجمع أبدال... وتبدّل الشيء وتبدّل به واستبدله واستبدل به كله اتخذ منه بدلاً. وأبدل الشيء من الشيء وبدّله تخذه منه بدلاً، وأبدلت الشيء بغيره، وبدّله الله من الخوف أمناً، وتبديل الشيء: تغييره، وإن لم تأت ببدل، واستبدل الشيء بغيره، وتبدّله به: إذا أخذه مكانه، والمبادلة التبادل. والأصل في التبدّل تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر... يقال أبدلت الخاتم بالحلقة، إذا نحّيت هذا وجعلت هذا مكانه، وبدّلت الخاتم بالحلقة، إذا أذبتَه وسوّيته حلقة، وبدّلت الحلقة بالخاتم، إذا أذبتها وجعلتها خاتماً... وحقيقته أنّ التبدّل تغيير الصورة إلى صورة أخرى»^(٣).

وقال الفيومي: «البَدْلُ بفتحتيْن والبِدْلُ بالكسر والبديل كلُّها بمعنى... وأبدلته بكذا إبدالاً نحّيت الأوّل وجعلت الثّاني مكانه، وبدّلت تبديلاً بمعنى غيّرَت صورته تغييراً... وبدّلت الثّوب بغيره أبدله من باب قتل، واستبدلته بغيره بمعناه، وهي المبادلة أيضاً»^(٤).

١. معجم مقاييس اللغة: ٣٠٢/١. وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١١١ و ١١٢.

٢. ينظر: أساس البلاغة: ١٩/١.

٣. لسان العرب: ٤٨/١١. وينظر: تاج العروس: ١/٦٨٦٨ - ٦٨٧٠.

٤. المصباح المنير: ١/٢٢٣.

وفرق أبو هلال العسكري بين (التبديل) و(الإبدال) بقوله: «الفرق بين التبديل والإبدال. قال الفراء: التبديل تغيير الشيء عن حاله، والإبدال جعل الشيء مكان الشيء... قيل: هما بمعنى. وقيل: التبديل تغيير حال إلى حال آخر، يُقال: بدّل صورته. والإبدال: رفع الشيء بأن يجعل غيره مكانه. وقال بعضهم: التبديل هو التغيير، يُقال: أبدلت الشيء بالشيء، إذا أبدلت عيناً بعين... وبدلت بالتشديد: إذا غيرت هيئته، والعين واحد، يقولون: بدلت جبتي قميصاً، أي: جعلتها قميصاً... وقد يكون التبديل بأن يوضع غيره موضعه»^(١).

وتطابقت دلالة الفعل (تبدّل) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدة لبيان حال زوج ذلك الميت بعد أن يوضع في قبره، ويهال عليه عفره، ويحشى عليه مدره، فيبدأ بإيجاد بديل عنه، إذ قال (عليه السلام): «فَجَعَلَ فِي ضَرْبِ مَلْحُودٍ، وَخَدِ ضَيْقِ مَرْصُوصٍ، بِلَبْنٍ مَنْصُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلْمُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ عَفْرُهُ، وَحِشْيٍ عَلَيْهِ مَدْرُهُ، فَتَحَقَّقَ حَذْرُهُ، وَنَسِيَ خَبْرَهُ، وَرَجَعَ عَنْهُ وَلِيُّهُ وَنَسِيَهُ، وَتَبَدَّلَ بِهِ قَرِيبُهُ وَحَبِيبُهُ، وَصَفِيُّهُ وَنَدِيمُهُ؛ لِأَنَّهُ «حَشُو قَبْرٍ، وَرَهَيْنُ قَفْرٍ». وتقدّم أن العطف بالفاء يفيد الترتيب باتّصال، وكثيراً ما يقتضي السبب إن كان المعطوف جملة^(٢)، كما هي الحال في قوله (عليه السلام): «حَشُو قَبْرٍ، وَرَهَيْنُ قَفْرٍ».

وجدير بالذكر أنّ زنة (تفعّل) تدلُّ على معانٍ ذكرها العلماء، منها: (الاتّخاذ) نحو: توسّدته، أي: اتّخذته وسادة^(٣)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَتَبَدَّلَ بِهِ قَرِيبُهُ وَحَبِيبُهُ»، أي: اتّخذ قريباً وحبیباً بديلاً عنه؛ لأنّه حشوق قبر، ورهين قفر.

١. الفروق اللغوية: ١/ ٧٩.

٢. ينظر: الفعل (عدل) من الكتاب.

٣. ينظر: أوزان الفعل ومعانيها: ٩٥، وتصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: ١٣٣.

و(تبدّل) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(به) الباء: حرف جرٍّ، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور متعلّقان بالفعل (تبدّل)، و(قريبه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضّمة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متّصل مبنيٌّ على في محلِّ جرٍّ بالإضافة، و(حبيبه) الواو: حرف عطف، و(حبيبه) اسم معطوف مرفوع، وعلامة رفعه الضّمة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متّصل مبنيٌّ على الضّمّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (وتبدل به قريبه وحبيبه) معطوفة على جملة (ورجع عنه وليّه ونسيبه).

ومن قمين القول إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل أفعالاً ماضية لوصف حال الإنسان منذ بداية احتضاره، وما يجري عليه في الغسل، والتكفين، والتشيع، والدّفن، والصّلاة، وجعله في قبره، ونسيان خبره، ورجوع وليّه ونسيبه، وتبدّل زوجه به غيره، وإن كانت هذه الأفعال ستحصل في المستقبل؛ فالإنسان لم يُختصر بعد، ولكنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء بها بلفظ الماضي؛ لما في فعل الماضي من دلالة على النّفاد في الأمر، والفراغ منه^(١). ويريد أن يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) إنَّ هذه الأفعال وإن لم تحصل بعد، إلّا أنّها حاصلة لا محالة، وهي أمور مفروغ من وقوعها. من هذا نفهم دقّة استعمال أمير المؤمنين (عليه السلام) زمن الأفعال بما يتناسب ومعانيها؛ إذ قال (عليه السلام): «ثُمَّ قِيلَ هُوَ مَوْعُوكُ وَجِسْمُهُ مِنْهُوْكُ، ثُمَّ جَدَّ فِي نَزْعِ شَدِيدٍ، وَحَضْرُهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، فَشَخَصَ بَبَصْرِهِ، وَطَمَحَ بِنَظَرِهِ، وَرَشَحَ جَبِينَهُ، وَسَكَنَ حَيْنَهُ، وَجَذِبَتْ نَفْسُهُ، وَبَكَتْهُ عَرْسُهُ، وَحَفَرَ رَمْسُهُ، وَيَتَمَّ وُلْدُهُ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَدَدُهُ، وَفَسَمَ جَمْعُهُ، وَذَهَبَ بَصْرُهُ وَسَمِعُهُ، وَغَمَّضَ وَمُدَّدَ، وَوَجَّهَ وَجُرَّدَ، وَغَسَلَ وَنَشَفَ، وَسَجَّيَ وَبَسَطَ لَهُ، وَهَيَّأَ وَنَشَرَ عَلَيْهِ كَفْنَهُ، وَشَدَّ مِنْهُ ذَقْنَهُ، وَقَمَّصَ وَعَمَّمَ، وَلَفَّ وَوَدَّعَ وَسَلَّمَ، وَحَمَلَ فَوْقَ سَرِيرٍ،

١. ينظر الفعل (حمدت) من الكتاب.

وَصَلَّى عَلَيْهِ بِتَكْبِيرٍ، وَنُقِلَ مِنْ دُورٍ مُزْخَرَفَةٍ، وَقُصُورٍ مُشَيَّدَةٍ، وَحُجْرٍ مُنْصَدَّةٍ، فَجُعِلَ فِي صَرِيحٍ مَلْحُودٍ، وَخُدِّ ضَيِّقٍ مَرَّصُوصٍ، بِلَبْنٍ مَنُضُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلْمُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ عَفْرُهُ، وَحِثِّي عَلَيْهِ مَدْرُهُ، فَتَحَقَّقَ حَذْرُهُ، وَنُسِيَ خَبْرُهُ، وَرَجَعَ عَنْهُ وَلِيَّهُ وَنَسِيَّهُ، وَتَبَدَّلَ بِهِ قَرِيبُهُ وَحَبِيبُهُ؛ فَهُوَ حَشْوُ قَبْرِ، وَرَهِينُ قَفْرِ).

..... * * *

يسعى

تدلُّ مادةٌ (يسعى) في اللغة على القصد، والعمل، والمشي السريع، والعدو، والجدُّ في الأمر. جاء في (العين): «السَّعي: عَدُوٌّ ليس بشديد. وكلُّ عملٍ من خيرٍ أو شرٍّ، فهو السَّعي. يقولون: السَّعي العمل» (١).

ويُقال: سَعَى يَسْعَى سَعْيًا، كَرَعَى: قصد وعمل، ومشى، وعدا، وكذلك إذا عمل، وكسب (٢).

وقال الرَّاعِبُ «السَّعي: المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجدِّ في الأمر خيرًا كان أو شرًّا» (٣).

ويُقال: سَعَى في مشيه: هرول، وسعى إلى الصَّلَاة، ذهب إليها على أيِّ وجه كان، وأصل السَّعي: التَّصَرُّفُ في كلِّ عمل (٤).

١. العين: ١/١٢٧. وينظر: جمهرة اللغة: ١/٤٧٠، ومعجم مقاييس اللغة: ٣/٥٥، والصاح في اللغة: ١/٣١٧، والمحيط في اللغة: ١/١١٢، والمحكم والمحيط الأعظم: ١/٢٧٩، والمخصص: ١/٢٥٧.
٢. ينظر: تهذيب اللغة: ١/٣٣٧، والقاموس المحيط: ٣/٤٣٢، وتاج العروس: ١/٨٤٣.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٤١١.

٤. ينظر المصباح المنير: ٤/٢٤٦.

وجاء هذا الفعل (يسعى) في الخطبة مرّةً واحدةً مطابقاً دلالاته اللغوية، وهو أوّل الأفعال الخمسة التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان ما يجري على جسم الإنسان في داخل القبر، فأوّل ما يحصل هو: «يَسْعَى فِي جِسْمِهِ دُودٌ قَبْرِهِ».

و(يسعى) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على الألف؛ منع من ظهورها التّعذر، و(في): حرف جرّ، و(جسمه) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالإضافة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (يسعى)، و(دود) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ جرّ بالإضافة.

وتقدّم مع الفعل (يُدْعَى) أنّ هذا الفعل (يسعى)، وإن كان آخره ألفاً، إلاّ أنّ هذه الألف ليست أصلية، بل هي منقلبة عن الياء، فنقول: سعى يَسْعَى سعياً؛ فوجود هذه الألف مع الفعل (يسعى) لا يقدح بالخطبة المونقة - محلّ البحث - كونها خالية من الألف.

يَسِيلُ

تدلُّ مادّة (يسيل) في اللّغة على الجريان. قال الأزهرّي: «السَّيْلُ معروف وجمعه سيول، ومسيل الماء وجمعه أمْسِلَةٌ، وهي مياه الأمطار إذا سالت... والمسيل مَفْعَلٌ من سَالَ يَسِيلُ مَسَالاً وَسَيْلًا وَسَيْلَانًا، ويكون المَسِيلُ أيضاً: المكان الذي يسيل فيه الماء»^(١).

١. تهذيب اللغة: ٤/ ٣٢٢. وينظر: لسان العرب: ١١/ ٣٥٠، والصبح المنير: ٤/ ٤١٠.

ويقال: سال الماء والشَّيء سَيْلاً وَسَيْلاناً، جرى، وأسأله غيره، وسَيْلُهُ هو^(١).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يسيل) مرّةً واحدة في الخطبة، وهو ثاني الأفعال الخمسة التي أوردتها (عليه السلام) لبيان ما يجري على جسم الإنسان في داخل القبر، إذ قال (عليه السلام): «يَسْعَى فِي جِسْمِهِ دُودٌ قَبْرِهِ، وَيَسِيلُ صَدِيدُهُ مِنْ مَنْخَرِهِ».

والصَّديد: ما يسيل من أهل النَّار من الدَّمِّ والقيح. وقيل: الدَّمُّ المختلط بالقيح في الجرح، يُقال: أصدَّ الجرح. وقيل: الصَّديد في القرآن: ما سال من أهل النَّار، وقيل: بل هو الحميم أُغلي حتَّى خَثَرَ^(٢). قال الله - تبارك وتعالى -: (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ)^(٣).

و(يسيل) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره. و(صديده) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، و(من): حرف جر، و(منخره) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متَّصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بالإضافة، والجارُّ والمجرور متعلَّقان بالفعل (يسيل) وجملة (ويسيل صديده من منخره) معطوفة على جملة (يسعى في جسمه دود قبره).

١. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٩٤، وتاج العروس: ١/ ٧١٩٧.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ٤/ ١٧٩، ولسان العرب: ٣/ ٢٤٥، وتاج العروس: ١/ ٢٠٦٨.

٣. إبراهيم: ١٦.

يُسْحَقُ

تدلُّ مادَّة (يُسْحَقُ) في اللُّغة على شِدَّة دِقِّ الشَّيْءِ، وتفتيته، وهو الدَّقُّ الرَّقِيقُ والدَّقُّ بعد الدَّقِّ. جاء في (العين): «السَّحَقُ: دون الدَّقِّ... ويقال للثوب البالي: سَحَقَهُ البلى... والعين تسحق الدَّمعَ سَحَقًا»^(١).

وقال الأزهرِيُّ: «إنهاك الشَّيْءُ حتَّى يبلغ به إلى حال البلى... سَحَقْتُ الشَّيْءَ أسَحَقَهُ سَحَقًا، والسَّحَقُ: الثَّوبُ البالي. ويُقال: سَحَقَهُ البلى فانسحق، ويستعار حتَّى يقال إنَّ العين تسحق الدَّمعَ سَحَقًا. وأسْحَقَ الشَّيْءُ إذا انضمر وانضمَّ. وأسْحَقَ الضَّرْعُ، إذا ذهب لبنه وبِلي»^(٢).

ويُقال: أسْحَقَ الثَّوبُ: أي: أَخْلَقَ وبِلي، وسَحَقَ الشَّيْءُ يَسْحَقُهُ سَحَقًا: دَقَّه أشدَّ الدَّقِّ، وقيل: السَّحَقُ: الدَّقُّ الرَّقِيقُ، وقيل: هو الدَّقُّ بعد الدَّقِّ^(٣).

وقال الرَّاغِبُ: «السَّحَقُ: تفتيت الشَّيْءِ، ويستعمل في الدَّواء إذا فُتَّت، يُقال: سَحَقْتَهُ فانسحق، وفي الثَّوب إذا أَخْلَقَ، يُقال: أسْحَقَ، والسَّحَقُ الثَّوبُ البالي، ومنه قيل: أسْحَقَ الضَّرْعُ، أي: صار سَحَقًا لذهاب لبنه...»^(٤).

وتطابقت دلالة الفعل (يُسْحَقُ) في الخطبة مع دلالة اللُّغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرَّةً واحدة، وهو ثالث الأفعال الخمسة التي أوردها

١. العين: ١/١٧٠. وينظر: تهذيب اللغة: ١/٤٤٨، والمحيط في اللغة: ١/١٦٢، والمخصص: ٣/٢٩٧، ولسان العرب: ١/١٥٢، والمصباح المنير: ٤/١٧٥ و١٧٦، والقاموس المحيط: ١/١١٥٣، وتاج العروس: ١/٦٣٧١.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٣/١٠٧.

٣. ينظر: الصحاح في اللغة: ١/٣٠٦، والمحكم والمحيط الأعظم: ١/٤٠٢.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٠١.

(عليه السلام) لبيان ما يجري على جسم الإنسان في داخل القبر، إذ قال (عليه السلام): «يَسْعَى فِي جِسْمِهِ دُودٌ قَبْرِهِ، وَيَسِيلُ صَدِيدُهُ مِنْ مَنْخَرِهِ، وَيُسْحَقُ بَدْنُهُ وَحَمُّهُ».

و(يُسْحَقُ) فعل مضارع مبني للمجهول، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و(بدنه) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة، و(لحمه) الواو: حرف عطف، و(لحمه) اسم معطوف مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة. وجملة (ويسحق بدنه ولحمه) معطوفة على جملة (ويسيل صديده من منخره).

* * *

يَرِمُّ

تدلُّ مادَّة (رَمَّ) في اللُّغة على التَّفْتُّتِ، والبَلَى، والتَّحْطِيمِ، والنَّخْرِ. جاء في (العين): «رَمَّ العِظْمُ: صارَ رَمِيماً، أَي: مُتَفَتِّتاً... والرَّمَّةُ: العِظامُ البالية»^(١).

ويقال: رَمَّ العِظْمُ: إذا انتشر فِصارَ رَمِيماً، وأرَمَّتِ السَّنَةُ النَّاسَ إرماماً: حَطَمَتْهُمْ. ورَمَّ العِظْمُ يَرِمُّ رَمّاً ورَمِيماً، إذا نَخَرَ وبَلَى. والرَّمَّةُ: العِظْمُ البالي^(٢).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يرم) مرة واحدة

١. ينظر: جمهرة اللغة: ٤١/١، وتهذيب اللغة: ٥/١٢٥ و١٢٦، ومعجم مقاييس اللغة: ٣١١/٢،
والصحاح في اللغة: ٢٧١/١، ومفردات ألفاظ القرآن: ٣٦٥، ولسان العرب: ٢٥١/١٢، وتاج
العروس: ٧٧٣٨/١ و٧٧٣٩.

٢. ينظر: الفعل (نستعينه) من الكتاب.

في الخطبة، وهو خامس الأفعال الخمسة التي جاء بها (عليه السلام) لبيان ما يجري على جسم الإنسان في داخل القبر، إذ قال (عليه السلام): «يَسْعَى فِي جِسْمِهِ دُودٌ قَبْرِهِ، وَيَسِيلُ صَدِيدُهُ مِنْ مَنْخَرِهِ، وَيُسْحَقُ بَدْنُهُ وَحَمُّهُ، وَيَنْشَفُ دَمُهُ، وَيَرْمُ عَظْمُهُ»، أي: ينخر، ويتحطم، ويتفتت، ويبلو.

و(يَرْمُ) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، و(عظمه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة. وجملة (ويرم عظمه) معطوفة على جملة (وينشف دمه).

وجدير بالذكر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل هذه الأفعال، وهي قوله (يسعى، ويسيل، ويسحق، وينشف، ويرم) في وصف ما يجري على جسم الإنسان في داخل القبر بعد دفنه بصيغة المضارع؛ لما فيه من دلالة على الحال والاستقبال، والتجدد والحدوث^(١)، فيكون الفعل المضارع مناسباً لهذه الأفعال؛ فهذه الأفعال تدل على حركة وتجدد وحدث، فالفعل (يسعى) يدل على المشي السريع، والعدو، والجد في الأمر، والفعل (يسيل) يدل على الجريان، والفعل (يسحق) يدل على المشي السريع، والدق بعد الدق، والفعل (ينشف) يدل على ذهاب الماء واليبس، والفعل (يرم) يدل على التفتت، والتحطيم، والنخر، وهذه الأفعال كلها تدل على حركة وتجدد وحدث؛ ولذا أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) بصيغة المضارع الدال على الحركة، والحدث، والتجدد.

فضلاً عن ذلك، فإنه ورد في الأخبار أن الإنسان حين يُجعل في قبره، فإن قبره إما أن يكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، وإذا كان القبر

حفرة من حفر النيران - والعياذ بالله -، فلاشك في أن الإنسان في تلك الحفرة في عذاب دائم، أي: في حركة دائمة حادة ومتجددة، فيكون الفعل المضارع مناسباً لهذه الحركة الدائمة.

من ذلك يتبين لنا دقة استعمال أمير المؤمنين (عليه السلام) للألفاظ بما يناسب معانيها، وبدقة متناهية في ذلك كله.

يُقِيمُ

تدلُّ مادةٌ (يقيم) في اللغة على الإقامة في المكان، والاستيطان، واللَّبث فيه، واتِّخاذه وطناً، والثَّبات فيه. فتقول: أقمت بالمكان إقامة ومُقماً^(١). وأقمت في المكان مُقماً وإقامةً. والمُقَام والمُقَامَة: الموضع الَّذي تقيم فيه^(٢).

وقال الجوهري: «... وأقام بالمكان إقامة. والهاء عوض من عين الفعل؛ لأنَّ أصله إقواماً... والمقامة بالضم: الإقامة. والمقامة بالفتح: المجلس... وأمَّا المقام والمقام، فقد يكون كلُّ واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام^(٣)».

وأقام بالموضع إقامة: اتَّخذه وطناً، فهو مقيم. وأقام بالمكان، أي: لبث فيه. وأقام بالمكان، هو بمعنى الثَّبات^(٤).

١. ينظر: العين: ٤١٦/١.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ٣/٢٨٩ و ٢٩٠، والمحيط في اللغة: ٧/٢.

٣. الصحاح في اللغة: ٢/١٠٢.

٤. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣/١٠٨، ولسان العرب: ١٢/٤٩٦، والمصباح النير: ٨/١٦، وتاج

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يقيم) مرّةً واحدة في الخطبة. فبعد أن وصف (عليه السلام) ما يجري على جسم الإنسان في داخل القبر، قال (عليه السلام): «وَيُقِيمُ فِي قَبْرِهِ لِيَوْمِ حَشْرِهِ».

ومن قمين القول إن أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل صيغة المضارع مع الفعل (يقيم)؛ لما فيه من دلالة على الحدوث والتجدد^(١)، وهو ما يناسب الفعل (يقيم)؛ إذ وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) إقامة ذلك الإنسان في القبر بأنّها ليست ثابتة، بل هي مستمرة ليوم حشره، وما بعدها (يُنشَرُ)، وهو الفعل الآتي - وسأبيّن دلالاته إن شاء الله تعالى -.

وبيّن أبو هلال العسكري معنى (الحشر) حين فرّق بينه وبين (النشر)، إذ قال إن الحشر: وهو الجمع مع السّوق، وإنّما سمّي يوم الحشر بهذا الاسم؛ لأنّ الخلق يُجمعون فيه، ويُساقون إلى الموقف^(٢).

و(يقيم) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره (هو)، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، و(في) حرف جرّ، و(قبره) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على الكسر في محلّ جرّ بالإضافة، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (يقيم)، وجملة (ويقيم في قبره) معطوفة على جملة (ويرم عظمه).

العروس: ٨٧٦٨/١.

١. ينظر: الفعل (نستعينه) من الكتاب.

٢. ينظر: الفعل (يدعى) من الكتاب.

يُنْفَخُ

جاء في (العين): «تقول: نَفَخْتُهُ فانتفخ. والمنفَاح: ما يُنْفَخُ به الإنسان في النار وغيرها... والنَّفْخَةُ: انتفاخ البطن من طعام ونحوه»^(١).

وقال ابن فارس: «النون والفاء والحاء: أصل صحيح يدلُّ على انتفاخ وعلوٌّ. منه انتفخ الشَّيء انتفاخاً. ويُقال: انتفخ النَّهار: علا. ونَفَخَةُ الرَّبِيع: إعشابه؛ لأنَّ الأرض تربو فيه وتنتفخ. والمنفوخ: الرَّجل السَّمين»^(٢).

ويُقال: نفخ فيه، ونفخه أيضاً لغة. والمنفَاح: الَّذي يُنْفَخُ فيه. وانتفخ الشَّيء، وربَّما قالوا: انتفخ النَّهار، أي: علا. والنَّفْخَاء من الأرض: ما ارتفع^(٣).

وقال الرَّاعِب: «النَّفْخُ: نفخ الرِّيح في الشَّيء. قال تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» [طه/ ١٠٢]، «وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ» [الكهف/ ٩٩]... يُقال: انتفخ بطنه، ومنه استعير: انتفخ النَّهار: إذا ارتفع، ونَفَخَةُ الرَّبِيع حين أَعْشَبَ، ورجل منفوخ أي: سمين»^(٤).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يُنْفَخُ) مرَّةً واحدة في الخطبة؛ إذ قال (عليه السلام): «فِيُنَشَّرُ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ فِي صُورٍ». فالنَّشْرُ:

١. العين: ١/ ٣٣٦.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٥، ٣٦٦.

٣. ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٣٣٦، وتهذيب اللغة: ٢/ ٤٩٩، والصحاح في اللغة: ٢/ ٢٣٢، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢/ ٣٤٤، ولسان العرب: ٣/ ٦٢، والمصباح المنير: ٩/ ٤٠٢، وتاج العروس: ١/ ١٨٥٦ و ١٨٥٧.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٨١٦.

إحياء الميت بعد موته، ومنه قوله - تبارك وتعالى -: (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) (١)، أي: أحياه (٢).

فالله - عَزَّ وَجَلَّ - يحيي ذلك الميت حين ينفخ في صور، وفي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) تضمنين لقوله - تبارك وتعالى -: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (٣).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (في صور)، ولم يقل: (في الصور)؛ لأن ذلك يفوت الفائدة من الخطبة؛ كونها خالية من الألف.

وجدير بالذكر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء بالفعل (يُنفخ) بصيغة المبنية للمجهول، وقد تقدم أن حذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه معاني ذكرها العلماء (٤)، ولعل أمير المؤمنين (عليه السلام) إنما جاء بهذا الفعل مبنياً للمجهول للتركيز على الحدث، وهو النفخ في الصور؛ لتحقيق عملية النشر، وهي إحياء الميت بعد موته. هذا أولاً، ولتعظيم هذه العملية، وهي النفخ في الصور ثانياً؛ وكما عبرت عنه الآية الكريمة: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»؛ لهول هذه النفخة، وما يتلوها من حالات الحساب والعقاب.

و(يُنفخ) فعل مضارع مبنية للمجهول، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة

١. عبس: ٢٢.

٢. ينظر: الفروق اللغوية: ١/ ١٨٩ و ١٩٠.

٣. الزمر: ٦٨.

٤. ينظر: الفعل (جذبت) من الكتاب.

على آخره، و(في) حرف جرّ، و(صور) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل (ينفخ)، وجملة (ينفخ في صور) في محلِّ جرٍّ بالإضافة إلى (حين) ظرف الزّمان في قوله (فينشر من قبره، حين يُنفخُ في صور).

بُعْثِرَتْ

تدلُّ مادّة (بعثرت) في اللُّغة على القلب، والتّبديد، والتّفرقة، والتّفتيش، والهدم. فيقال: بَعَثَرَهُ بَعَثَرَةً: إذا قلب التُّرابَ عنه^(١). وبعثر: نظر، وفتّش، وبعثر الشيء: فرّقه وبدّده، وقلب بعضه على بعض، واستخرجه، فكشفه وأثار ما فيه، وبعثر الحوض: هدمه، وجعل أسفلّه أعلاه^(٢).

وجاء هذا الفعل (بعثرت) مرّةً واحدةً في الخطبة موافقاً لدالته اللُّغوية؛ أوردّه أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان موقف من مواقف البعث والنُّشور في اليوم الآخر، إذ قال (عليه السلام): «وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَنُشُورٍ، فَتَمَّ بُعْثِرَتْ فُبُورٌ». فبعد أن ينفخ في الصُّور، ويدعى بحشر ونشور، تبعثر القبور، فينقلب التُّراب عنها، ويبدّد ما فيها ويفرّق، وتهدّم هذه القبور، ويُفتّش عمّا فيها، وإخراج ما في الأرض من أموات لخطوة أخرى ستأتي في الفعل القابل، وهو «حُصِّلَتْ سَرِيرَةٌ صُدُورٍ»؛ فيُكشَف عمّا في صدورهم.

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) فيه تضمين لقوله - تبارك وتعالى -: (أَفَلَا

١. ينظر: العين: ١، ١٥٩، والصحاح في اللغة: ٤٧/١.

٢. ينظر: لسان العرب: ٧٢/٤، والقاموس المحيط: ٣٥٨/١، وتاج العروس: ٢٥٣٠/١، ومعجم متن اللغة: ٣١٢/١.

يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ^(١)، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ)^(٢)، وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَتَمَّ بُعِثَتْ قُبُورٌ»، ولم يقل: (بعثت ما في القبور)؛ لأنَّ ذلك يفوِّت الفائدة من الخطبة؛ كونها خالية من الألف.

وقد اختلفت تأويلات المفسرين في دلالة (بعثت) في الآيتين، فعن ابن العباس قيل: قَلْبُ الأَرْضِ، وإخراج ما فيها من أهلها أحياء، قال تعالى: (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا)^(٣)، أو قَلْبُ تراب القبور، وبعث الموتى الذين فيها، أو إخراج ما في الأرض من أموات حيث تنطلق منها الحياة التي كانت مندسة فيها^(٤)، وقيل أيضاً: إنَّ الأَرْضَ تُخْرِجُ ما في بطنها من الذهب والفضة؛ وذلك من أشراط الساعة أَنْ تُخْرِجَ الأَرْضُ أَفْلاذِ كَبِدِهَا من ذهبها وفضتها^(٥). وكلاهما وارد؛ فيكون المعنى - والله أعلم - إذا القبور انقلب ترابها، وأثير، فأخرج ما فيها من أموات^(٦)، وكنوز من ذهب وفضة^(٧). وبعثرة القبور لا لإخراج الكنوز؛ لأنَّه يومها لا فائدة فيها، على حين أنَّ بعثتها لغاية بعث مَنْ فيها للحساب، وتزامن بعث الخلائق من قبورها مع إخراج الأرض كنوزها ذهبها وفضتها ليرى الناس، ويتذكروا كما كانوا مغرورين بالذهب والفضة التي ألهتهم عن آخرتهم، وأنستهم خالقهم؛ فضلُّوا

١. العاديات: ٩.

٢. الانفطار: ٤.

٣. الزلزلة: ٢.

٤. ينظر: جامع البيان: ٥٨/٣٠، والبيان: ٣٩٧/١٠، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/٤٦٠، والبيان في تفسير غريب القرآن: ١، ٨١٥، ومن هدي القرآن: ١١/٢٩٤.

٥. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٤/١٩، والتفسير الكبير: ٧٣/٣١، وتقريب القرآن: ١٨/٢٩٤.

٦. ينظر: مجاز القرآن (لأبي عبيدة): ٢/٢٨٨.

٧. ينظر: معاني القرآن (للقرآء): ٣/٢٤٣.

الطريق لتكون الحسرة أشدَّ، والندامة أبلغ؛ فالنَّفوس عنها عازفة، والقلوب من سوء المصير خائفة^(١).

و(بعثرت) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، والتَّاء؛ تاء التَّأنيث الساكنة، ضمير متَّصل مبنيٌّ على السُّكون، لا محلَّ لها من الإعراب، و(قبور) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره. وجملة (فتمَّ بعثرت قبوره) معطوفة على جملة (ويدعى بحشر ونشور)، وقد تقدَّم أنَّ العطف بالفاء يفيد التَّرتيب بالتَّصال، أي: بلا مهلة، وهو المعبرُّ عنه بالتَّعقيب، وكثيراً ما تقتضي السَّبب إن كان المعطوف جملة^(٢)، وكذا هي الحال في الخطبة؛ إذ حصل (ثمَّ بعثرت قبور) وما بعده، نتيجة لـ (ويدعى بحشر ونشور).

حُصِّلَتْ

تدلُّ مادَّة (حُصِّلَتْ) في اللُّغة على الباقي، أو الثَّابت، أو جمع الشَّيء، وتمييزه، وتبينه، واستخراجه. جاء في (العين): «حَصَلَ يَحْصُلُ حُصُولاً: أي: بقي، وثبت، وذهب ما سواه من حساب أو عمل ونحوه، فهو حاصل. والتَّحْصِيل: تمييز ما يحصل. والاسم: الحِصِيلَة»^(٣).

وقال ابن فارس: «الحاء والصَّاد واللام أصل واحد منقاس. وهو جمع الشَّيء؛ ولذلك سمَّيت حوصلة الطَّائرة؛ لأنَّه يجمع فيها. ويُقال: حَصَلْتُ الشَّيء تحصيلاً».

١. ينظر: ألفاظ القدرة والتمكين في القرآن دراسة دلالية (أطروحة دكتوراه): ٥٦٦.

٢. ينظر: الفعل (عدل) من الكتاب.

٣. العين: ١٩٢/١. وينظر: تهذيب اللغة: ١٢/٢، والمخصص: ٤٨١/٢، والمحكم والمحيط الأعظم: ٤٦٣/١، والقاموس المحيط: ٧٦/٣.

وزعم ناس من أهل اللغة أن أصل التَّحْصِيلِ استخراج الذهب أو الفضة من الحجر أو من تراب المعدن، ويقال لفاعله المَحْصَلُ^(١).

ويقال: حَصَلْتُ الشَّيْءَ تَحْصِيلاً. وَحَاصِلُ الشَّيْءِ وَمَحْصُولُهُ: بَقِيَّتُهُ. وَتَحْصِيلُ الكلام: رُدُّهُ إِلَى مَحْصُولِهِ. وَحَصَلَ الشَّيْءُ يَحْصُلُ حُصُولاً. وَالْحَاصِلُ: الْبَاقِي، وَالثَّابِتُ. وَالتَّحْصِيلُ: تَمْيِيزُ مَا يَحْصُلُ. وَالاسْمُ: الْحَصِيلَةُ. وَالتَّحْصِيلُ: أَنْ يَنْزَلَ النَّاسُ كُلُّ مَنْهُمْ مَنْزِلَةً. وَالتَّحْصِيلُ: إِخْرَاجُ الذَّهَبِ مِنَ الْفِضَّةِ^(٢).

وقال الزبيدي: «الحاصل من كل شيء: ما بقي، وثبت، وذهب ما سواه يكون في الحساب والأعمال ونحوهما... والتَّحْصِيلُ: إِخْرَاجُ اللَّبِّ مِنَ الْقَشُورِ كإِخْرَاجِ الذَّهَبِ مِنْ حَجَرِ الْمَعْدِنِ، وَالْبُرِّ مِنَ التَّنِّينِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَخَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ)^(٣)، أَي: أَظْهَرَ مَا فِيهَا وَجَمَعَ كإِظْهَارِ اللَّبِّ مِنَ الْقَشْرِ وَجَمَعَهُ، أَوْ كإِظْهَارِ الْحَاصِلِ مِنَ الْحِسَابِ... وَخَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ: أَي: بَيَّنَّ، وَقِيلَ: مَيَّزَ، وَقِيلَ: جُمِعَ... وَتَحَصَّلَ الشَّيْءُ: تَجَمَّعَ وَثَبَتَ. وَالْمَحْصُولُ وَالْحَاصِلُ وَالْحَصِيلَةُ: بَقِيَّةُ الشَّيْءِ»^(٤).

وأورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (حَصَّلَتْ) مرّةً واحدةً في الخطبة في مقام إبراز المخفي في الصدور يوم القيامة، واستخراجه منها بعد أن كان مستوراً، إذ قال (عليه السلام): «وَيُقِيمُ فِي قَبْرِهِ لِيَوْمِ حَشْرِهِ، فَيَنْشُرُ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يَنْفَخُ فِي صُورٍ، وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَنُشُورٍ، فَتَمَّ بُعْثَرَتْ قُبُورٌ، وَحَصَّلَتْ سَرِيرَةٌ

١. معجم مقاييس اللغة: ٥٣/٢.

٢. ينظر: الصحاح في اللغة: ١/١٣٣، والمحيط في اللغة: ١/١٩٢، ولسان العرب: ١١/١٥٣، والمصباح المنير: ٢/٣٩٨.

٣. العاديات: ١٠.

٤. تاج العروس: ١/٦٩٧٩. وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٤٠.

صُدُورٍ». إذا جُمع ما في الصُّحف، وميَّز بين خيره وشره^(١). فعِلْمُ الله - تبارك وتعالى - يقود إلى المجازاة على مقادير الأعمال؛ لأنَّ ذلك أثرُ خبره بهم^(٢). وكثيراً ما يكون باطن الإنسان بخلاف ظاهره، أمَّا يوم القيامة، فتظهر الأسرار، وتكشف وتهتك الأستار، ويبدو ما في البواطن، لقوله - عزَّ وجلَّ -: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)^(٣). وخصَّ بالذكر ما في البواطن حيث أخبر - سبحانه - بتحصيل ما في الصُّدور دون الإشارة إلى ذكر الجوارح؛ لأنَّ الأخيرة تابعة لأعمال القلوب. وقال (عليه السلام): «وحصَّلت سريرة صدور» ولم يقل ما في القلوب؛ لأنَّ القلب مطيَّة الرُّوح، وهو بالطبع محبٌ لمعرفة الله، إنَّما المنازع في هذا الباب هو النَّفس، ومحلُّها ما يقرب من الصِّدر^(٤).

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وحصَّلت سريرة صدور» تضمين لقوله - تبارك وتعالى -: (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ)^(٥)، بيِّد أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «وحصَّلت سريرة صدور»؛ لأنَّه لو قال: «حُصل ما في الصدور» لفاتت الفائدة من الخطبة؛ كونها خالية من الألف.

و(حُصَّلت) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، والتَّاء: تاء التَّأنيث الساكنة، ضمير متَّصل مبنيٌّ على السُّكون لا محلَّ لها من الإعراب، و(سريرة) نائب فاعل، مرفوع وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف،

١. ينظر: الكشاف: ٤/ ٧٨١.

٢. ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٧٨١.

٣. الطارق: ١٩.

٤. التفسير الكبير: ٣٢/ ٦٩، وألفاظ القدرة والتمكين في القرآن الكريم (دراسة دلالية) (أطروحة دكتوراه): ٦١٦ و ٦١٧.

٥. العاديات: ١٠.

و(صدور) مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره. وجملة (وَحُصِّلَتْ سِرِيرَةٌ صَدُورًا) معطوفة على جملة (فَثَمَّ بَعَثَتْ قُبُورًا).

جِيءَ

بَيَّنَّ الرَّاعِبُ (المجيء) حين فَرَّقَ بينه وبين (الإتيان) بقوله: «جاء يجيء جيئةً ومجيئاً، والمجيءُ كالإتيانِ لكنَّ المجيءَ أعمُّ؛ لأنَّ الإتيانَ مجيءٌ بسهولة، والإتيانُ قد يقال باعتبار القصد، وإن لم يكن منه الحصول، والمجيءُ يقال اعتباراً بالحصول، ويُقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولما يكون مجيئه بذاته ولأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً... وجاء بكذا: استحضره، نحو: (لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) [النور: ١٣]...»^(١).

وقال ابن منظور: «المجيء الإتيان جاء جِيئاً ومَجِيئاً، وحكى سيبويه عن بعض العرب: هو يجيئك بحذف الهمزة. وجاء يجيء جِيئَةً وهو من بناء المرة الواحدة، إلاَّ أنَّه وُضِعَ موضع المصدر مثل الرَّجفة والرَّحمة، والاسم الجِيئة على فِعْلَةٍ بكسر الجيم، وتقول: جئت مجيئاً حسناً»^(٢).

وورد هذا الفعل مرَّةً واحدة في الخطبة مطابقاً لدلالته اللغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَيُقِيمُ فِي قَبْرِهِ لِيَوْمِ حَشْرِهِ، فَيُنَشِّرُ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ فِي صُورٍ، وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَنُشُورٍ، فَثَمَّ بَعَثَتْ قُبُورًا، وَحُصِّلَتْ سِرِيرَةٌ صَدُورًا، وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِدِّيقٍ، وَشَهِيدٍ وَنَطِيقٍ». أي: استُحْضِرَ كُلُّ نَبِيٍّ وَصِدِّيقٍ، وَشَهِيدٍ وَنَطِيقٍ.

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٢١٢ و ٢١٣.

٢. لسان العرب: ١/ ٥١. وينظر: تاج العروس: ١/ ٩٢ و ٩٣.

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وجيء بكلّ نبيٍّ وصديقٍ، وشهيدٍ ونطيقٍ» فيه تضمين لقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)^(١). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وجيء بكلّ نبيٍّ وصديقٍ، وشهيدٍ ونطيقٍ»، ولم يقل: (وجيء بالنبيين والشهداء)؛ لأنّ ذلك يفوّت الفائدة من الخطبة؛ كونها خالية من الألف.

و(جِيءَ) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، و(بِكُلِّ) الباء: حرف جرٍّ، و(كُلِّ) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و(نبي) مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والجرور متعلّقان بالفعل (جِيءَ)، و(وصديق) الواو: حرف عطف و(صديق) معطوف مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وجملة (وجيء بكلّ نبي وصديق) معطوفة على جملة (وحصلت سريرة صدور).

..... * * *

تَوَلَّى

تدلُّ مادّة (تَوَلَّى) في اللُّغة على معانٍ، منها: الاتِّباع، والقرب، والإعراض، والإدبار، والإنصراف. قال ابن منظور: «وَلِيَ الشَّيْءَ وَتَوَلَّى: أدبر، وولَّى عنه: أعرض عنه، أو نأى... والتَّوَلَّى تكون انصرافاً... يُقال: وليت وتولّيت بمعنى واحد... وتولّى عنه: أعرض وولّى هارباً، أي: أدبر... وقد ولي الشَّيْءَ: إذا ذهب هارباً ومدبراً، وتولّى عنه إذا أعرض، والتَّوَلَّى يكون بمعنى الإعراض، ويكون

بمعنى الاتباع^(١)؛ فهو من الأضداد.

وقد جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الفعل (تولّى) مرّةً واحدة في الخطبة بمعنى (الانصراف)؛ إذ قال (عليه السلام) في مقام بيان ما يحصل على الإنسان في موقف من مواقف يوم القيامة بعد أن يجاء بكلّ نبيٍّ وصديق، وشهيد ونطيق: «وَتَوَلَّى لِفَضْلِ عِنْدَ رَبِّ قَدِيرٍ، بِعَبْدِهِ خَيْرٍ بَصِيرٍ». أي: انصرف ذلك الإنسان لفصل عند ربٍّ مقتدر على كلّ شيء، فضلاً عن كونه - تبارك وتعالى - خبيراً بصيراً بعباده، ولعلّ معترضاً يعترض فيقول: إنّ الفعل (تولّى) آخره ألف، وهذا يقدر بالخطبة كونها خالية من الألف، فأقول: إنّ هذه الألف في الفعل (تولّى) ليست أصليّة، بل هي منقلبة عن الياء، فتقول: تولّى، يتولّى توليًّا، وتوليّةً، فوجودها لا يقدر بخصيصة الخطبة، وهي كونها خالية من الألف.

و(تولّى) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح المقدّر على الألف؛ منع من ظهورها التّعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، و(لفصل) اللام حرف جرٍّ، و(فصل) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلّقان بالفعل (تولّى)، (عند): ظرف مكان مبنيٌّ على الفتح، وهو مضاف، و(ربٍّ) مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، و(قدير) صفة مجرورة، وعلامة جرّها الكسرة الظاهرة على آخرها. وجملة (وتولّى لفصل عند رب قدير)، معطوفة على جملة (وجيء بكل نبي وصديق، وشهيد ونطيق).

١. لسان العرب: ١٥/٤١٤ و٤١٥. وينظر: العين: ٢/١٩٧، وتهذيب اللغة: ٥/٢٠٥، ومعجم مقاييس اللغة: ٦/١٠٨، والصحاح في اللغة: ٢/٢٩٥، ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٨٦ و٨٨٧، والمحيط في اللغة: ٢/٤٦٨، والمصباح المنير: ١٠/٤٥١، والقاموس المحيط: ٣/٤٨٦.

تَضْنِيهِ

تدلُّ مادَّة (تضنيه) في اللُّغة على مرض شديد ملازم. جاء في (العين): «ضَنِيَّ الرَّجُلُ ضَنِيٌّ شَدِيداً إِذَا كَانَ بِهِ مَرَضٌ مُخَامِرٌ، كَلَّمَا ظَنَّ أَنَّهُ بَرَأَ نُكِسَ.. وقد أضناه المرض إضناءً»^(١).

ويُقال: ضَنِيَّ بِالْكَسْرِ يَضْنِي ضَنِيّاً شَدِيداً، وَأَضْنَاهُ الْمَرَضُ، أَي: أَدْنَفَهُ، وَأَثَقَلَهُ، وَالْمُضَانَاةُ: الْمَعَانَاةُ^(٢). ونقول: هو بين سفرٍ يَضْنِيهِ ومرضٍ يَضْنِيهِ^(٣) وَضَنِيَّ ضَنِيّاً مِنْ بَابِ تَعَبٍ مَرَضٌ مَرَضاً مَلَازِماً حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ^(٤).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (تضنيه) مرّةً واحدةً في الخطبة؛ إذ قال (عليه السلام) في بيان ما يحصل لذلك الإنسان، الذي انصرف لفصلٍ عند رب قدير، بعبده خبير بصير: «فَكَمِّ مِنْ زَفْرَةٍ تَضْنِيهِ».

ولبيان معنى (زفرة) التي جاء بها أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الفعل (تضنيه) في الخطبة أقول: جاء في (جمهرة اللُّغة): «وَالزَّفْرُ مَصْدَرُ زَفَرَ يَزْفِرُ زَفْراً وَزَفيراً، إِذَا رَدَّدَ النَّفْسَ فِي جَوْفِهِ حَتَّى تَتَفَخَّ ضَلْوَعُهُ»^(٥).

وقال الأزهري: «الزَّفِيرُ مِنْ شَدِيدِ الْأَنْبِينِ وَقَبِيحُهُ»^(٦).

١. العين: ٣٦/٢. وينظر: تهذيب اللُّغة: ١٦٧/٤، ومعجم مقاييس اللُّغة: ٢٩٢/٢، والمحيط في اللُّغة: ٢٠٣/٢، ولسان العرب: ٤٨٦/١٤، وتاج العروس: ٨٤٧٥ و٨٤٧٦.

٢. ينظر: الصحاح في اللُّغة: ٤١٤/١، والمخصص: ٤١٧/١، والقاموس المحيط: ٤٤٤/٣.

٣. ينظر: أساس البلاغة: ٢٧٩/١.

٤. ينظر: المصباح المنير: ٣٦٠/٥.

٥. جمهرة اللُّغة: ٣٨٣/١.

٦. تهذيب اللُّغة: ٣٥٨/٤ و٣٥٩. وينظر: الصحاح في اللُّغة: ٢٨٨/١، ومفردات ألفاظ القرآن: ٣٨٠.

وجاء في (معجم مقاييس اللغة): «الزَّاء والفاء والرَّاء أصلان: أحدهما يدلُّ على جِمل، والآخر على صوت من الأصوات»^(١).

وقال ابن سيده: «... يُقال: مرَّ بكارٍ فازدفرها، أي: احتملها، قال الفارسيُّ: اشتقَّ من الزَّفَر وهو الحِمْل زَفَرُهُ يَزْفِرُهُ زَفْراً وازدفره، ابن السكِّيت، إنَّه لمعتلَّ بحمله، أي: مضطلع بحمله»^(٢).

وقال الزَّخشيُّ: «رأيتُه يزفر زفرة الثَّكلي، وله زفير، وعلى ظهره زفر من الأزفار: حمل ثقيل يزفر منه، وقد زفره يزفره، حمَّله»^(٣).

ومهما يكن من أمر، فإنَّ معنى (زفرة) في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فكم من زفرة تضنيه» يحتمل أمرين:

أحدهما: أنَّه من الزَّفرة، ترديد النَّفس في الجوف حتَّى تنتفخ الصُّلوع؛ فيسبَّب له هذا الأمر مرضاً شديداً ملازماً له.

والآخر: أنَّه من الزَّفَر، أي: الحِمْل، فهو معتلُّ بحمله، أي: مضطلع به، فهذا الحمل المضطلع به يُسبَّب له مرضاً شديداً ملازماً له - أيضاً -.

ومن هذا يتبيَّن لنا دقَّة أمير المؤمنين (عليه السلام) ولطافته في استعمال اللَّفظة مع اللَّفظة، فضلاً عن الألفاظ بمجموعها، فقال (عليه السلام): «زفرة تضنيه».

و(فكم) الفاء حرف عطف، و(كم) الخبريَّة، وتفيد التَّكثير، لها الصِّدارة في

ولسان العرب: ٤/ ٣٢٤، وتاج العروس: ١/ ٢٨٩١.

١. معجم مقاييس اللغة: ٣/ ١٠.

٢. المخصص: ١/ ١٥٥.

٣. أساس البلاغة: ١/ ١٩٨.

الكلام، وما بعدها يكون تمييزاً مجروراً، واختلّف في جرّه، هل هو بالإضافة، أو بحرف الجرّ (من)^(١)، وهو - هنا - مجرور بـ(من) الظاهرة، و(زفرة) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره (تميز كم الخبريّة) و(تضنيه) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على الياء؛ منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هي)، عائدة إلى (زفرة) والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الكسر في محلّ نصب مفعول به، عائدة إلى (من جذبت نفسه)، وجملة (تضنيه) صفة لـ(زفرة)، وجملة (فكم من زفرة تضنيه) معطوفة على جملة (وتولّى لفصل عند ربّ قدير، بعبده خبير بصير). وتقدّم أنّ العطف بالفاء يفيد التّرتيب باتّصال، وهو المعبرّ عنه بالتّعقيب، وكثيراً ما تقتضي السّبب إن كان المعطوف جملة^(٢)، وكذا هي الحال في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فكم من زفرة تضنيه؛ فهذه الزّفرات التي تضني ذلك العبد ناشئة من انصرافه لفصل عند ربّ قدير، وبعده خبير بصير.

تُضْيِهِ

تدلُّ مادّة (تضنيه) في اللّغة على الذّهاب، والخلاق، والبلى، والهزال. قال الجوهريّ: «النّضو بالكسر: البعير المهزول. والنّاقة نضوة، وقد أنضتّها الأسفار؛ فهي مُنضّاة. وأنضى فلانٌ بعيره، أي: هزّله، وتضّاه أيضاً... وأنضيتُ الرّجل، أي: أعطيته بعيراً مهزولاً... والنّضو: الثّوب الخلق. وأنضيتُ الثّوبَ وانتضيتُهُ،

١. ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١١٠/٢، وشرح ابن عقيل: ٤٢١/٢، و٤٢٢.

٢. ينظر: الفعل (عدل) من الكتاب.

أَخْلَقْتُهُ وَأَبْلَيْتُهُ»^(١).

وقال ابن سيده: «... لَامِ النَّضِيِّ وَآوٍ؛ لِأَنَّهُ لِمَا عُدِمَ مِنَ النَّصْلِ وَالرَّيْشِ، وَكَأَنَّهُ نَضِيَ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْ نَضَوْتَ الشَّيْءَ، إِذَا أَخْرَجْتُهُ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَ الْمَهْزُولُ نَضُوءًا؛ لِأَنَّهُ جُرِّدَ مِنْ لَحْمِهِ»^(٢).

وقال ابن منظور: «وَالنَّضُوءُ: الثَّوْبُ الْخَلِيقُ... وَنَضَا الْخِضَابُ نَضُوءًا وَنُضُوءًا: ذَهَبَ لَوْنُهُ... وَنُضَاوَةُ الْخِضَاءِ: مَا يَبْسُ مِنْهُ فَأَلْقَى... مَا يَأْخُذُ مِنَ الْخِضَابِ بَعْدَمَا يُذْهَبُ لَوْنُهُ فِي الْيَدِ وَالشَّعْرِ... وَالنَّضُوءُ بِالْكَسْرِ: الْبَعِيرُ الْمَهْزُولُ، وَقِيلَ: هُوَ الْمَهْزُولُ مِنْ جَمِيعِ الدَّوَابِّ... وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي الْإِنْسَانِ... وَأَنْضَى الرَّجُلُ إِذَا كَانَتْ إِبْلَهُ أَنْضَاءً... الْمُنْضِيُّ... الرَّجُلُ الَّذِي صَارَ بَعِيرُهُ نَضُوءًا... ذَكَرَ النَّصْلَ بَعْدَ النَّضِيِّ، قَالُوا سُمِّيَ نَضُوءًا لِكَثْرَةِ الْبَرِيِّ وَالتَّحْتِ»^(٣).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (تنضيه) مرّةً واحدةً في الخطبة في بيان ما يحصل لذلك الإنسان، الذي انصرف لفصل عند رب قدير، بعبده خبير بصير، إذ قال (عليه السلام): «فَكَمْ مِنْ زَفْرَةٍ تُنْضِيهِ، وَحَسْرَةٍ تُنْضِيهِ».

وليبيان معنى (حسرة) التي جاء بها أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الفعل (تنضيه) في الخطبة أقول: جاء في (جمهرة اللّغة): «وَحَسِرَ الرَّجُلُ يَحْسِرُ حَسْرَةً وَحَسْرًا، إِذْ كَمِدَ عَلَى الشَّيْءِ الْفَائِتِ وَتَلَهَّفَ عَلَيْهِ، وَحَسِرَتِ النَّاقَةُ حَسُورًا، إِذْ

١. الصحاح في اللغة: ٢/ ٢١٥.

٢. المخصص: ١/ ٤٧٨.

٣. لسان العرب: ١٥/ ٣٢٩. وينظر: تاج العروس: ١/ ٨٦٢٧ و٨٦٢٨.

أَعَيْتُ، وَأَحْسَرْتُهَا أَنَا إِحْسَارًا، إِذَا أَتَعَبْتُهَا»^(١).

فالحسرة أشدُّ النَّدمِ حتَّى يبقى النَّادم كالحسير من الدَّوَابِّ الَّذِي لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ^(٢).

والحسرة الغمُّ على ما فات والنَّدَمُ عليه، كَأَنَّ قُوَى الْإِنْسَانَ تَنْحَسِرُ مِنْ فِرطِ الْغَمِّ، أَوْ يَدْرِكُهَا إِعْيَاءٌ مِنْ تَدَارِكِ مَا فِرطَ مِنْهُ^(٣).

وَالْحَسْرَةُ: النَّدَمُ، حَسِرَ يَحْسِرُ حَسْرَةً وَحَسْرًا، وَحَسِرَ فَهُوَ مُحْسَرٌ^(٤).

وبيان معنى (الحسرة) تبدو العلاقة بين الفعل (تنضيه) و(حسرة)؛ وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين قرن الفعل (تنضيه) بقوله (حسرة)؛ لما بينهما من علاقة معنويّة؛ فد(تنضيه) يدلُّ على الدَّهَابِ، وَالْخِلَاقِ، وَالْبَلَى، وَالْهَزَالِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا بِ(الحسرة)، وَهِيَ الْغَمُّ عَلَى مَا فَاتَ، وَالنَّدَمُ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّ قُوَى الْإِنْسَانَ تَنْحَسِرُ مِنْ فِرطِ الْغَمِّ، أَوْ يَدْرِكُهَا إِعْيَاءٌ مِنْ تَدَارِكِ مَا فِرطَ مِنْهُ، وَمِنْهُ يَتَبَيَّنُ لَنَا دَقَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامِ)، وَلَطَافَتُهُ فِي اسْتِعْمَالِهِ اللَّفْظَةَ مَعَ اللَّفْظَةِ، كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي قَوْلِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامِ): «زَفْرَةٌ تَنْضِيهِ».

و(وحسرة) الواو: حرف عطف، و(حسرة) معطوف على قوله (زفرة) اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهِرَةُ عَلَى آخِرِهِ، وَ(تنضيه) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّةُ الْمَقْدَّرَةُ عَلَى الْيَاءِ؛ مَنَعٌ مِنْ ظُهُورِهَا الثَّقُلُ، وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ

١. جهمرة اللغة: ١/١٩٧. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/٤٨ و ٤٩، ولسان العرب: ٤/١٨٧، والقاموس المحيط: ١/٣٨٥، وتاج العروس: ١/٣٦٨٧.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ٢/٨٢.

٣. ينظر: / مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٥.

٤. ينظر: المحيط في اللغة: ١/١٩٧.

مستتر تقديره هو، عائد على (حسرة)، والهاء ضمير متصل مبني على الكسر في محل نصب مفعول به، عائد إلى (من جذبت نفسه).

يَلْجَمُهُ

جاء في (المحيط في اللغة): «اللجام للدابة: معروف... ولجم بغيره. وبه سمة لجام: وهو كية، يكوى من الجنون من شدقيه إلى عجب الذنب من الجانبين. ومن أمثالهم في حفظ اللسان: (التقي ملجم). و(جاء وقد لفظ لجامه) أي: انصرف عنها مجهوداً من الإعياء والعطش... واللجم: الهواء والسكاك... وموضع ضيق مثل العقبة، وهو طريق بين الجبلين. ومثل: (عطست به اللجم) على وزن صرد: أي: ذهب به المنية»^(١).

وقال ابن منظور: «لجام الدابة معروف... وفي الحديث من سئل عما يعلمه فكتمه، أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة، قال: الممسك عن الكلام ممثلاً بمن أجم نفسه بلجام، والمراد بالعلم: ما يلزمه تعليمه ويتعين عليه كمن يرى رجلاً حديث عهد بالإسلام، ولا يحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، فيقول: علموني كيف أصلي، وكمن جاء مستفتياً في حلال أو حرام، فإنه يلزم في هذا وأمثاله تعريف الجواب، ومن منعه، استحق الوعيد، ومنه الحديث (يبلغ العرق منهم ما يلجمهم)، أي: يصل إلى أفواههم، فيصير لهم بمنزلة اللجام. يمنعهم عن الكلام، يعني: في المحشر يوم القيامة... وقد لفظ لجامه، أي: جاء وهو مجهود من العطش

١. المحيط في اللغة: ٢/١٢٢. وينظر: العين ١/٤٨٣، وتهذيب اللغة: ٤/١٨، ومعجم مقاييس اللغة: ٥/١٨٩، والصحاح في اللغة: ٢/١٣٤، والمخصص: ٢/٣٧، والمصباح المنير: ٨/٣٢٢.

والإعياء...»^(١).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يلجمه) مرةً واحدة في الخطبة لبيان حال الإنسان في موقف من مواقف حشر يوم القيامة، وهو بين يدي الله - تبارك وتعالى -، وهو - عَزَّ وَجَلَّ - يُسأله عن كل صغيرة وكبيرة، وهو أعلم بها منه، إذ قال (عليه السلام): «وَيُقِيمُ فِي قَبْرِهِ لِيَوْمِ حَشْرِهِ، فَيُنْشُرُ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ فِي صُورٍ، وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَنُشُورٍ، فَتَمَّ بُعْثَرَتْ قُبُورٌ، وَحُصِّلَتْ سَرِيرَةٌ صُدُورٌ، وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِدِّيقٍ، وَشَهِيدٍ وَنَطِيقٍ، وَتَوَلَّى لِفَضْلِ عِنْدَ رَبِّ قَدِيرٍ، بَعْبَدِهِ خَيْرٌ بِصِيرٍ، فَكَمَ مِنْ زَفْرَةٍ تُضْنِيهِ، وَحَسْرَةٍ تُنْضِيهِ، فِي مَوْقِفٍ مَهُولٍ عَظِيمٍ، وَمَشْهَدٍ جَلِيلٍ جَسِيمٍ، بَيْنَ يَدَيْ مَلِكٍ كَرِيمٍ، بِكُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ عَلِيمٍ، فَحَيْثُ يَلْجُمُهُ عَرْقُهُ». فالموقف عظيم مهول، والمشهد جليل جسيم، كيف لا! والإنسان بين يدي جبار السموات والأرض، وهو - تبارك وتعالى - عليم بكل صغيرة وكبيرة؛ فهذا الموقف يمنع ذلك الإنسان من الكلام أصلاً، وقد كنى أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذه الحال بهذه الصورة (يلجمه عرقه)، فيبلغ العرق منه ما يلجمه؛ من شدة ذلك الموقف، وهولِهِ، فيصل العرق - عرق الخوف والحياء - إلى فيه؛ فيصير له بمنزلة اللجام، فيمنعه عن الكلام.

و(يلجمه) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به، عائد إلى (من) جذبت نفسه)، و(عرقه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة، عائد إلى (من) جذبت نفسه)، وجملة (يلجمه) في محل جر بالإضافة للظرف (فحيثُ)، وجملة (فحيثُ

١. لسان العرب: ١٢/٥٣٤. وينظر: تاج العروس: ١/٧٨٨٨.

يلجمه عرقه) معطوفة على جملة (وحسرة تنزيهه)، وتقدّم^(١) أن العطف بالفاء يفيد الترتيب بالتّصال، وهو التعقيب، وكثيراً ما تقتضي السّبب إن كان المعطوف جملة، وكذا هي الحال في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فحينئذ يلجمه عرقه»؛ فهذا العرق الذي صار لجاماً لذلك الإنسان ناشئ من (حسرة تنزيهه) في موقف مهول عظيم، ومشهد جسيم، بين يدي ملك كريم، بكلّ صغيرة وكبيرة عليم.

يَخْفِرُهُ

تدلُّ مادّة (خَفَرَ - يَخْفِرُهُ) في اللّغة على المنع. فخفیر القوم: مُخِيرُهُم الَّذِي هُم فِي ضِمَانَةِ مَا دَامُوا فِي بِلَادِهِ. وَخَفَرْتُ الرَّجُلَ أَخْفَرُهُ بِالْكَسْرِ خَفْرًا، إِذَا أَجْرْتَهُ، وَكَنتَ لَهُ خَفِيرًا: تَمْنَعُهُ، وَكَذَلِكَ خَفَرْتُهُ تَخْفِيرًا. وَالْخَفْرَةُ: الضَّمَانُ. وَالْخِفَارَةُ: الدَّمَّةُ^(٢).

وبهذه الدلالة أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يخفّره) مرّة واحدة في الخطبة في بيان حال ذلك الإنسان المائل بين يدي الملك الجبار العليم بكلّ صغيرة وكبيرة، وذلك المشهد الجسيم يجعل ذلك الإنسان عاجزاً عن الكلام، وقد كنى أمير المؤمنين (عليه السلام) عن حال ذلك الإنسان بـ(فحينئذ يلجمه عرقه)، ثمّ أتبعه بالفعل (يخفّره قلّقه)، وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين شفع الفعل (يلجمه) بهذا الفعل (يخفّره)؛ وهو استعمال لطيف دقيق، فيه تدرّج في المعنى؛ فالفعل الثّاني يكمل معنى الفعل الأوّل في بيان صورة

١. ينظر: الفعل (عدل) من الكتاب.

٢. ينظر: العين: ٣٢٠/١، وجمهرة اللغة: ٣٠٩/١، وتهذيب اللغة: ٤٨٢/٢، ومعجم مقاييس اللغة: ١٦٣/٢، والمحيط في اللغة: ٣٦٠/١، ولسان العرب: ٢٥٣/٤، والمصباح المنير: ٩٤/٣، وتاج العروس: ٢٧٨٠/١ و٢٧٨١.

ذلك الإنسان؛ فالعرق صار لجاماً مانعاً لذلك الإنسان من الكلام؛ فالموقف عظيم مهول، والمشهد جليل جسيم، وذلك الإنسان واقف بين يدي جبار السموات والأرض، فضلاً عن ذلك فإن هذا الأمر يجعله قلقاً، فهذا العرق الناشئ عن ذلك الموقف المهول الجسيم، والقلق من ذلك كله يمنعانه من الكلام حين يسأله الله - تبارك وتعالى - على كل صغيرة وكبيرة.

و(ويخفّره) الواو: حرف عطف، و(يخفّره) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به، عائد إلى (من جذبت نفسه)، و(قلقه) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل جرّ بالإضافة، عائد إلى (من جذبت نفسه)، وجملة (ويخفّره قلقه) معطوفة على جملة (ويلجمه عرقه).

قُوبِلَ

تدلُّ مادّة (قُوبِلَ) في اللُّغة على المواجهة، والمعانينة، وضمّ الشّيء إلى شيءٍ آخر، جاء في (العين): «والقُبُل: خلاف الدُّبر... والقُبُل: من إقبالك على الشّيء، تقول: قد أقبَلْتُ قُبُلَكَ، كأنّك لا تُريد غيره... وسئل الخليل عن قول العرب: كيف أنت لو أقبَل قُبُلَكَ، قال:... إنّها هو: كيف أنت لو استقبَل وجهك بما تكره... تقول: لقيته قبلاً أي: مواجهة... وقوله تعالى: (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا) (١) أي: قبلاً قبلاً ويُقال: عياناً، أي: يُستقبَلون كذلك... ومُقابله وقبالة: ما كان

مستقبل شيء... وإذا ضمنت شيئاً إلى شيء، تقول: قابلته به»^(١).

وقال ابن فارس: «القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدلُّ كَلِمُهُ كُلُّهَا على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرَّع بعد ذلك. فالقُبُل من كلِّ شيء: خلافُ دُبُرِهِ، وذلك أنَّ مُقَدِّمَهُ يُقْبَل على الشيء. والقبيل. ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تَفْتُلُهُ، والدَّبير: ما أدبرت عنه»^(٢).

وقال الزَّخَشَرِيُّ: «ذهب قِبَلَ السُّوق. ولي قِبْلِكَ حَقٌّ، وأصبتُ هذا من قِبْلِكَ، أي: من جهتك وتلقائك. ولقيته قِبَلاً وقُبَلاً وقِبَلاً: مواجهةً وعياناً... ورأيتُ بذلك القِبَلَ شخصاً، وهو ما استقبلك من نشز أو جبل... وما تصنع لو أقبل قُبْلَكَ، ولو أقبل قبلك لسكتت، أي: لو استقبلت بها تكره... وأقبلت الإناء مجرى الماء، إذا استقبلت به جَرِيَتُهُ»^(٣).

وتطابقت دلالة الفعل (قوبل) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرَّةً واحدة لبيان ما يحصل على ذلك الإنسان في موقف من مواقف القيامة، حين يُحْشَر ذلك الإنسان، ويُنْشَر من قبره، ويتولَّى لفصل عند رب قدير، بعبده خبير بصير، وقد أجمه عرقه، وخفَّره قلقه، عبَّره غير مرحومة، وصرَّخته غير مسموعة، وحجَّته غير مقبولة، فحينذاك - كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَقُوبِلَ صحيفته»، أي: إنَّ الله - تبارك وتعالى - يواجه ذلك الإنسان بصحيفته، ويعاينه إيَّاهَا، وكأنَّه - عَزَّ وَجَلَّ - يضمُّ ذلك الإنسان إلى

١. العين: ١/ ٤٠١. وينر: جمهرة اللغة: ١/ ١٧٤، وتهذيب اللغة: ٣/ ٢٢٩-٢٣١، والصحاح في اللغة: ٢/ ٥٩، والمحيط في اللغة: ١/ ٤٨١، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ٦٠، والمصباح المنير: ٧/ ٢٩٤، وتاج العروس: ١/ ٧٤٢٢-٧٤٣٢.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٤٢-٤٤.

٣. أساس البلاغة: ١/ ٣٦٤.

صحيفته ضمًّا؛ دلالة على مقابله إياه بكل ما فيها من صغيرة وكبيرة، ومن سرّ وعلن، من لحظة تكليفه إلى آخر لحظة في حياته.

وجدير بالذكر أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يقل: «وقابل صحيفته»، بل أسنده إلى المفعول، فقال: «وقوبل صحيفته»؛ لأمرين:

أحدهما: أنّه (عليه السلام) لو قال: (وقابل صحيفته) لفاتت الفائدة من الخطبة، وهي خلؤها من الألف.

والآخر: أنّ دلالة قوله (عليه السلام): «وقوبل صحيفته» تختلف عن دلالة (قابل صحيفته)؛ ففي الأوّل يُشعرُك الفعل بأنّ ذلك الإنسان مجبر على مقابله صحيفته، وليس مخيراً، أمّا لو قال: (وقابل صحيفته)، فكأنّه مخيرٌ في ذلك، وهو ليس كذلك.

و(قوبل) الواو: حرف عطف، و(قوبل) فعل ماضٍ مبني للمجهول مبني على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو، عائد إلى (من جذبت نفسه)، و(صحيفته) بدل من نائب الفاعل - بدل بعض من كل - مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الضمّ في محلّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (وقوبل صحيفته) معطوفة على جملة (ويخفّره قلقه).

..... * * *

تُبَيِّنُ

تدلُّ مادّة (تُبَيِّنُ) في اللّغة على المعرفة، والوضوح، والظهور، والتأمّل، والتوسّم، والإنكشاف على نحو الوقوع واللّزوم. فيقال: بانَ الحقُّ يبيّنُ بيّناً، فهو بائِنٌ. وأبانَ يبيّنُ إبّانةً؛ فهو مبين. ويُقال: بانَ الشّيءُ وأبانَ، بمعنى واحد، ويُقال: بانَ

السِّيء، وأبنته. ويُقال: بان السِّيء، وبَيَّن، وأبان واستبان، بمعنى واحد. ويُقال: تبيَّن الأمر، أي: تأمَّلته وتوسَّمته، وقد تبيَّن الأمر، يكون لازماً وواقعاً^(١).

وقال الجوهرِيُّ: «البيان: ما يتبيَّن به الشِّيء من الدَّلالة وغيرها. وبان الشِّيء بياناً: أتَّضح فهو بيَّن... وكذلك أبان الشِّيء فهو مُبين... وأبنته أنا، أي: أوضحته، واستبان الشِّيء: وضح، واستبنته أنا: عرفته. وتبيَّن الشِّيء: وضح وظهر وتبيَّته أنا... والتبيَّن: الإيضاح. والتبيَّن أيضاً: الوضوح»^(٢).

والبيَّنة: الدَّلالة الواضحة عقليَّة كانت أو محسوسة، والبيان: الكشف عن الشِّيء، وهو أعمُّ من النُّطق؛ لأنَّ النُّطق مختصُّ بالإنسان، ويُسمَّى ما بُيِّن به بياناً^(٣).

وقال الفيُّوميُّ: «بان الأمرُ فهو بيَّن، وجاء بائن على الأصل، وأبان إبانة، وبَيَّن وتبيَّن واستبان كلُّها بمعنى الوضوح والانكشاف»^(٤).

وورد هذا الفعل (تبيَّن) مرَّةً واحدةً في الخطبة مطابقاً لدالته اللُّغوية، وجاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مبنياً للمجهول لبيان ما يحصل على ذلك الإنسان في موقف من مواقف القيامة، حين يُقَابَلُ بصحيفته؛ ف(تبيَّنُ جريرته). والجريرة: هي الجناية، والدَّنب^(٥). فيكون مراد أمير المؤمنين (عليه السلام)، فظهر، وانكشف،

١. ينظر: تهذيب اللغة: ٥/٢١٩، ولسان العرب: ١٣/٦٢، وتاج العروس: ١/٧٩٨٠ و٧٩٨١.

٢. الصحاح في اللغة: ١/٦٠.

٣. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١٥٧.

٤. المصباح المنير: ١/٤٢٥.

٥. ينظر: العين: ١/٤٥٨، وتهذيب اللغة: ٣/٤٣٦ و٤/٤٨، ومعجم مقاييس اللغة: ١/٣٦٩، والصحاح في اللغة: ١/٨٧، والمحيط في اللغة: ٢/٨٧، والمخصص: ٣/٤٦٦، والمحكم والمحيط

وتوضَّح ذنب ذلك الإنسان، وجنايته على نحو الوقوع واللُّزوم، فيعرفها حقَّ المعرفة واليقين.

ومن قمين القول إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يُسند هذا الفعل (تبين) وما بعده - وهو قوله (عليه السلام): «وَنَطَقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْهُ بِسُوءِ عَمَلِهِ، فَشَهِدَتْ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ، وَيَدُهُ بِبَطْشِهِ، وَرِجْلُهُ بِخَطْوِهِ، وَجِلْدُهُ بِمَسِّهِ، وَفَرْجُهُ بِلَمْسِهِ» - إلى ذلك الإنسان نفسه، بل أسندها إلى (الجريرة)، و(كل عضو)، و(عينه)؛ لما في ذلك من دلالة على أنَّ ذلك الإنسان مجبر، وليس مخيَّراً، فيقلِّبه الحقُّ - تبارك وتعالى - كيفما يشاء، ويحاسبه كيفما يشاء، وهو لا يملك من أمر نفسه شيئاً، فيقابَل بصحيفته، وتُبَيِّن جريته، ونطق كلُّ عضو منه، عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخطوه، وجسده بمسِّه، وفرجه بلمسه من دون إرادة منه، بل يسائلها عن سبب نطقها عمَّا ارتكبه، فيأتي الجواب (أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (١).

و(تُبَيِّن) فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة على آخره، و(جريرته) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف والهاء: ضمير متصل مبني على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة (وتُبَيِّن جريته) معطوفة على جملة (وقوبل صحيفته).

..... * * *

الأعظم: ٣/ ٢٣٠، ولسان العرب: ٤/ ١٢٥، والقاموس المحيط: ١/ ٣٧١، وتاج العروس: ١/ ٢٦٠٣ - ٢٦٠٧.

نَطَقَ

تدلُّ مادَّة (نطق) على الكلام، والتَّيِّين، والتَّوَضُّيح. جاء في (العين): «نَطَقَ النَّاطِقُ يَنْطِقُ نَطْقاً وَنَطْقاً، وَهُوَ مَنْطِقٌ بَلِيغٌ. وَالكِتَابُ النَّاطِقُ: الْبَيِّنُ... وَكَلَامُ كُلِّ شَيْءٍ: مَنْطِقُهُ»^(١).

والمَنْطِقُ: الكلام. وقد نَطَقَ نَطْقاً وَأَنْطَقَهُ غَيْرُهُ، وَنَاطَقَهُ وَاسْتَنْطَقَهُ، أَي: كَلَّمَهُ. والمنطيق: البليغ. وقولهم ما له صامت ولا ناطق: فالناطق الحيوان، والصَّامت ما سواه^(٢).

وقال الرَّاعِبُ: «النُّطْقُ فِي التَّعَارِفِ: الْأَصْوَاتُ الْمُقَطَّعَةُ الَّتِي يُظْهِرُهَا اللِّسَانُ، وَتَعْيِهَا الْأَذَانُ. قَالَ تَعَالَى: (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ)^(٣) وَلَا يَكَادُ يُقَالُ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ، وَلَا يُقَالُ لغيره إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِ، نَحْوُ: النَّاطِقِ وَالصَّامِتِ، فَيُرَادُ بِالنَّاطِقِ مَا لَهُ صَوْتٌ، وَبِالصَّامِتِ مَا لَيْسَ لَهُ صَوْتٌ، وَلَا يُقَالُ لِلْحَيَوَانَاتِ نَاطِقٌ إِلَّا مَقْتِدًا، وَعَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ... وَقَدْ يُقَالُ النَّاطِقُ لِمَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ، وَعَلَى هَذَا قِيلَ لِحَكِيمٍ: مَا النَّاطِقُ الصَّامِتُ؟ فَقَالَ: الدَّلَائِلُ الْمُخْبِرَةُ وَالْعِبَرُ الْوَاعِظَةُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ)^(٤) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ جِنْسِ النَّاطِقِ ذَوِي الْعُقُولِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى الَّذِي أَنْطَقَ: (قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ)^(٥) فَقَدْ قِيلَ: أَرَادَ الْإِعْتِبَارَ،

١. العين: ٢٨٧/١. وينظر: جمهرة اللغة: ١٩/٢، والمحيط في اللغة: ٤٥٧/٨، والمخصص: ١٦٥/١.

٢. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٥٣/٥، والصحاح في اللغة: ٢١٦/٢، والمحكم والمحيط الأعظم: ١٨/٣، ولسان العرب: ٤-٣/١، والمصباح المنير: ٣٤٩/٩، والقاموس المحيط: ١٢/٣، وتاج العروس: ٦٥٩٥/١.

٣. الصافات: ٩٢.

٤. الأنبياء: ٦٥.

٥. فصلت: ٢١.

فمعلوم أنَّ الأشياء كلها ليست تنطق إلاَّ من حيث العبرة... وقوله: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) ^(١) فَإِنَّ الْكِتَابَ نَاطِقٌ، لكن نطقه تدركه بالعين، كما أنَّ الكلام كتاب لكن يدركه السَّمْعُ، وقوله: (وَقَالُوا جُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) ^(٢) فقد قيل: إِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ بِالصَّوْتِ الْمَسْمُوعِ، وقيل: يَكُونُ بِالْإِعْتِبَارِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ فِي النَّشْأَةِ الْآخِرَةِ. وقيل: حَقِيقَةُ النُّطْقِ اللَّفْظِ الَّذِي كَالنُّطْقِ لِلْمَعْنَى فِي ضَمِّهِ وَحَصْرِهِ ^(٣).

وَالنَّاطِقُ فِي الْإِصْطِلَاحِ: وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ التَّعْبِيرَ عَنْ أَفْكَارِهِ بِصَوْتٍ مَرْتَفِعٍ، وَهَذَا لَا يَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى الْإِنْسَانِ ^(٤).

وَالنُّطْقُ عَلَى أَنْوَاعٍ:

نطق فكريّ: يتمُّ عن طريق كلام النَّفْسِ مع ذاتها من خلال تفكيرها بما تقول، وتفكيرها بالأشياء، فهذا النَّوعُ مرتبطٌ بِالرُّوحِ.

نطق لفظيّ: يتمُّ عن طريق اللِّسَانِ. يطرح الإنسان بواسطته النَّوعَ الأوَّلَ مِنَ النُّطْقِ، وَهَذَا النَّوعُ مَرْتَبُطٌ بِالْجِسْمِ؛ لِأَنَّهُ يَتِمُّ بِوِاسْطَةِ الْأَعْضَاءِ.

وعلى هذا، فقد ذكر النُّطْقُ نوعان: «فكريّ، ولفظيّ». فالنُّطْقُ اللَّفْظِيّ أَمْرٌ جَسْمَانِيٌّ مَحْسُوسٌ، وَالنُّطْقُ الْفِكْرِيُّ أَمْرٌ رُوحَانِيٌّ مَعْقُولٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النُّطْقَ اللَّفْظِيّ إِنَّمَا هُوَ أَصْوَاتٌ مَسْمُوعَةٌ لَهَا هِجَاءٌ، وَهَذَا يَظْهَرُ مِنَ اللِّسَانِ الَّذِي هُوَ عَضْوٌ مِنْ

١. الجاثية: ٢٩.

٢. فصلت: ٢١.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٨١١ و٨١٢.

٤. ينظر: الصحاح في اللغة: ٤/١٥٥٩، والمعجم الفلسفي: ٢/٤٥٧.

الجسد، وتمرُّ إلى المسامع من الأذن التي هي أعضاء من أجساد آخر.

أمَّا النطق الفكريُّ الَّذي هو أمرٌ روحانيٌّ معقول، فهو تصوُّر النَّفس معاني الأشياء في ذاتها، وروايتها لرسوم المحسوسات في جوهرها، وتميُّزها في فكرتها، وبهذا النطق يُحدِّد الإنسان، فيقال: إنَّه حيٌّ ناطقٌ صائت. فنطق الإنسان وحياته من قبل النَّفس، وموته من قبل الجسد؛ لأنَّ اسم الإنسان إنَّما هو واقع على النَّفس والجسد جميعاً^(١).

وتطابقت دلالة الفعل (نطق) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرَّةً واحدة لبيان ما يحصل على ذلك الإنسان في موقف من مواقف يوم القيامة، إذ قال (عليه السلام): «وَقُوبِلَ صَاحِبَهُ، وَتُبِّيَنَّ جَرِيرَتُهُ، وَنَطَقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْهُ بِسُوءِ عَمَلِهِ».

و(نطق) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(كل) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، و(عضو) مضاف إليه مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهرة على آخره، و(منه)، من: حرف جر، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، عائِد إلى «من جذبت نفسه»، وجملة «ونطق كل عضو منه»، معطوفة على جملة «وتُبِّيَنَّ جريته».

يُهدِّده

تدلُّ مادَّة «يُهدِّده» في اللُّغة على الوعيد والتَّخويف، والكسر، والهضم، والهدم. جاء في (معجم مقاييس اللُّغة): «الهاء والدَّال أصلٌ صحيح، يدلُّ على كسر وهضم

وهدم»^(١).

والتَّهْدُّ والتَّهْدِيد والتَّهْدَادُ من الوعيد والتَّخْوِيف. ويُقال: هَدَّدْتُ فلاناً وتَهَدَّدْتُه: إذا زعزعته بالوعيد^(٢).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (يهدده) مرّة واحدة في الخطبة، أسنده فيها إلى الملكين الموكّلين بالميّت حين يُدفن، إذ قال (عليه السلام): «ويهدّده مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ» ولاشكّ في أنّ هياة منكر ونكير، وصوتها، وبصرهما، مدعاة إلى التَّخْوِيف، والكسر، والهضم؛ ففي رواية عن أبي عبد الله الصّادق (عليه السلام)، قال: «يجيء الملكان منكر ونكير إلى الميّت حين يُدفن، أصواتهما كالرّعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يخطّان الأرض بأنبياهما، ويطنّان في شعورهما...»^(٣).

وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام): حين استعمل هذا الفعل (يهدده) بزنة المضارع؛ لما في صيغة المضارع من الدّلالة على الحدوث والتّجدّد والحركة التي تتناسب وحال ذلك الإنسان في تلك اللّحظة من حال الاضطراب والخوف والقلق، الّتي تدلّ جميعها على الحركة، فكانت زنة المضارع مناسبة لتلك الحال.

(ويهدّده) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة على آخره، والهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضّمّ في محلّ نصب مفعول به، عائد إلى «من جذبنا نفسه»، و«منكر» فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة على آخره، و«ونكير» الواو حرف عطف، و(نكير): اسم معطوف مرفوع، وعلامة رفعه

١. معجم مقاييس اللغة: ٦ / ٤.

٢. ينظر: العين: ١ / ٩٢، وجمهرة اللغة: ١ / ٣٥، وتهذيب اللغة: ٣ / ٣٥٩، والصّاحح في اللغة: ٢ / ٢٤٥، ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٣٤، ولسان العرب: ٣ / ٤٣٢، وتاج العروس: ١ / ٢٣٦٠.

٣. معالم الزلفى في معارف النشأة الأولى والأخرى: ٢ / ٣٨.

الصِّمَّة الظَّاهِرَة على آخره، وجملة «ويهدده منكر ونكير» معطوفة على جملة «وشهدت عينه بنظره».

كَشَفَ

تدلُّ مادَّة (كشف) في اللُّغة على كَشَفِ الشَّيْءِ، وإظهاره وإبدائه، وتعريفه. جاء في (العين): «الكَشْفُ: رفعك شيئاً عمّا يواريه ويغطّيه، كرفع الغطاء عن الشَّيْءِ»^(١).

وقال ابن دريد: «كشفتُ الشَّيْءَ أكشِفُهُ كَشْفًا، إذا أظهرتُه وأبديته. ورجل أكشف إذا انحسر مقدّم رأسه من الشَّعر... ورجل أكشف أيضاً للذي لا تُرس معه... وكشفتُ فلاناً عن كذا وكذا، إذا أكرهته على إظهاره»^(٢).

وورد هذا الفعل (كشف) مرّةً واحدةً في الخطبة مطابقاً لدالته اللُّغوية؛ إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَكَشَفَ عَنْهُ بَصِيرٌ».

وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين أسند هذا الفعل (كشف) إلى الفاعل (بصير)؛ لما بينهما من علاقة وثيقة في المعنى، إذ يُكشَفُ عن ذلك الإنسان كُلُّ ما غُطِّيَ ووُورِي، أي: يظهر: ويُبدى، ويُعرف؛ لأنَّ الكاشف بصير بكلِّ ما فَعَلَهُ. والبصير هو الَّذي يشاهد الأشياء ظاهرها وباطنها وخافيتها بغير جارحة،

١. العين: ١/٤٢٨، وينظر: تهذيب اللغة: ٣/٣١٨ و٣١٩، والصحاح في اللغة: ٢/١١٦، والمحيط في اللغة: ٢/٢٦.

٢. جهمرة اللغة: ١/٤٨٩. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/١٤٦، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣/١٣٦، ولسان العرب: ٩/٣٠٠، والقاموس المحيط: ٢/٤٢٤، وتاج العروس: ١/٦٠٩٥.

والبصر عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات^(١).

فالله - سبحانه وتعالى - بصير لا بحدقة ولا جفن، فهو سبحانه عالم بالمبصرات، فالبصير اسم له - تعالى - باعتبار إحاطته بتمام المبصرات دائماً، وهو الحي الذي لا آفة به، فهو ممن يجب أن يبصر المبصرات إذا وجدت، وليس أحدهما هو الآخر^(٢)، وذكر الطبرسي أن «البصير بمعنى المبصر؛ لأنه سبحانه وتعالى يبصر من غير أن يبصره أحد»^(٣)، وعده ابن قتيبة من صفات الله التي جاءت على (فعل)؛ فهو بصير بمعنى باصر^(٤).

وهذا شاهد آخر على دقة مراعاة أمير المؤمنين (عليه السلام) اختيار اللفظة مع اللفظة، فضلاً عن الألفاظ جميعاً؛ لإيصال المعنى المراد.

و(كشف) فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و(عنه) عن: حرف جرٍّ، والهاء: ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، عائد إلى (من جذبت نفسه)، و(بصير) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. وجملة (وكشف عنه بصير) معطوفة على جملة (ويده منكر ونكير).

١. ينظر: لسان العرب: ١٤/٦٤.

٢. ينظر: شرح الأسماء الحسنى: ٣٤.

٣. مجمع البيان: ١/٣٧٠ و٣٧١.

٤. ينظر: تفسير غريب القرآن: ١٦٥ و١٧.

سُلْسِلَ

تَدُلُّ مَادَّةُ (سُلْسِلَ) عَلَى اتِّصَالِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَانْعِقَادِهِ. قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ: «السُّلْسَلَةُ: اتِّصَالُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ. وَبِهِ سُمِّيَتْ سِلْسِلَةُ الْحَدِيدِ. وَسِلْسَلَةُ الرَّمْلِ»^(١).

وقال الجوهري: «... وشيءٌ مُسْلَسَلٌ: متَّصِلٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وَمِنْهُ سِلْسَلَةُ الْحَدِيدِ. وَسِلْسَلَةُ الْبَرَقِ: مَا اسْتَطَالَ مِنْهُ فِي عَرَضِ السَّحَابِ... السَّلَاسِلُ: رَمَلٌ يَنْعَقِدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَيَنْقَادُ»^(٢).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (سُلْسِلَ) مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْخُطْبَةِ؛ إِذْ قَالَ (عليه السلام): «وَكَشَفَ عَنْهُ بَصِيرٌ، فَسُلْسِلَ جِيْدُهُ، وَغَلَّتْ يَدُهُ، وَسَيِّقَ بِسَحْبٍ وَشِدَّةٍ».

فبعد أن أظهر البصير كلَّ معايب ذلك الإنسان، وكلَّ ما ووري وخفي عن العباد، يؤخذ به إلى جهنم، وتقدَّم^(٣) أنَّ العطف بالفاء يفيد الترتيب باتِّصال، وكثيراً ما يقتضي السَّبب إنَّ كان المعطوف جملة، ف(سُلْسِلَ) هذا الفعل من جملة (سُلْسِلَ جِيْدُهُ) كان نتيجة لجملة (كشف عنه بصير).

وبين أمير المؤمنين (عليه السلام) الكيفيَّة التي يؤخذ بها ذلك الإنسان المذنب إلى جهنم، فبدأ بهذا الفعل (فسلس).

وقيل: إنَّ الجيد هو العنق، أو مقدِّمته، أو مُقلِّدُه^(٤). و(سُلْسِلَ جِيْدُهُ) إنَّما جاء

١. جهمرة اللغة: ٧٥/١. وينظر: العين: ٥١/٢، والمحيط في اللغة: ٢٤٣/٢.

٢. الصحاح في اللغة: ٣٢٥/١. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٣/٣، ولسان العرب: ١١/٣٤٢ و٣٤٣، والقاموس المحيط: ١١٣/٣، وتاج العروس: ١/٧١٨٣ و٧١٨٤.

٣. ينظر: الفعل (عدل) من الكتاب.

٤. ينظر: العين: ٤٨٨/١، وجهمرة اللغة: ٣٢١/١، وتهذيب اللغة: ٣٦/٤، ومعجم مقاييس اللغة:

على طريق التَّهْكُم، وسَلْسَلَةُ الجيد فيها دلالة على الإذلال والتَّحْقِيرُ بَأَن يُوضَع في عنق ذلك الإنسان المذنب، أو مقدّمة عنقه سِلْسِلَة، وهو ما يؤدّي به بناء هذا الفعل للمجهول؛ إذ تقدّم أَن في حذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه معاني ذكرها العلماء، منها: التَّحْقِيرُ^(١)، أو لعلّ في ذلك كناية عن أعمال ذلك الإنسان، فيأتي الإنسان مقلداً عمله؛ فتكون أعماله في عنقه كالقلادة - السِّلْسِلَة -، وقد جاء في الدُّعاء الموسوم بدعاء الحزين: «... ارحمني يوم آتيك فرداً شاخصاً إليك بصري، - مقلداً عملي»^(٢).

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَسَلْسِلَ جِيْدُهُ، وَعُغَلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ بِسَحْبٍ وَشِدَّةٍ» فيه تضمين لقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (خُذُوهُ فَعُغُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)^(٣). وقيل: يتبدّرهُ ملائكة كثيرون، ثُمَّ يجمعون يده إلى عنقه، ويشدّونه بالأغلال^(٤). وقيل: يُؤخذ الكافر بعنف وقوّة من المحشر، فيُعَلَّل، ثُمَّ يورد في النار^(٥).

فأوجِزَ في القرآن الكريم في بيان حال ذلك الإنسان (خُذُوهُ فَعُغُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)، وفصّله أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «فَسَلْسِلَ جِيْدُهُ، وَعُغَلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ بِسَحْبٍ وَشِدَّةٍ».

و(سلسل) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، و(جيده) نائب فاعل

١/ ٤٤٢، والصحاح في اللغة: ١/ ١١٠، والمحيط في اللغة: ٢/ ١٣١، والمحکم والمحيط الأعظم: ٣/ ٣٢٢، ولسان العرب: ٣/ ١٣٩، والمصباح المنير: ٢/ ٢٤٥، وتاج العروس: ١/ ١٩٤٦.

١. ينظر: الفعل (جذبت) من الكتاب.

٢. مفاتيح الجنان: ٨١٤.

٣. الحاقّة: ٣٠-٣١.

٤. ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ١١٤.

٥. ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤١٦.

مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة. وجملة (فسلسل جيده) معطوفة على جملة (وكشف عنه بصير).

عَلَّتْ

تدلُّ مادَّة (عَلَّتْ) في اللُّغة على تدرُّع الشَّيءِ، وتوسُّطه، وتحلُّل الشَّيءِ وثباته. فالعُلُّ: جامعة تُشدُّ بها العنق واليد^(١). وقال ابن فارس: «الغين واللام أصل صحيح يدلُّ على تحلُّل شيء، وثبات شيء، كالشَّيءِ يُغرِّزُ. من ذلك قول العرب: عَلَّلْتُ الشَّيءِ في الشَّيءِ، إذا أثبتَّه فيه، كأنَّه عَرَزْتُهُ»^(٢).

والعُلُّ بالضَّمِّ: واحد الأغالل. يقال في رقبة عُلٌّ من حديد، وعَلَّلْتُ يده إلى عنقه، وقد عُلَّ فهو مغلول. وعَلَّلْتُ الشَّيءِ في الشَّيءِ: أدخلته فيه^(٣).

وقال الرَّاعِب: «العَلُّ أصلُه: تدرُّع الشَّيءِ وتوسُّطه، ومنه: العُلُّ للماء الجاري بين الشَّجر، وقد يقال له: العَيْلُ، وانعَلَّ فيما بين الشَّجر: دخل فيه، فالعُلُّ مختصٌّ بما يُقَيَّد به، فيَجْعَلُ الأعضاء وسطه، وجمعه أغالل، وعُلَّ فلانٌ: قُتد به: قال تعالى: (خُذُوهُ فَعُلُّوه) [الحاقة/ ٣٠]»^(٤).

١. ينظر: العين: ٣٤٢/١، والمحيط في اللغة: ٣٨٩/١.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٣٠٢/٣.

٣. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢٤/٢، والمحيط في اللغة: ٣٨٩/١، والمخصص: ٤٩٢/٢، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣٨٨/٢، ولسان العرب: ٤٩٩/١١، والمصباح المنير: ٦٧/٧، والقاموس المحيط: ١٤٢/٢، وتاج العروس: ٧٣٨٢-٧٣٨٥.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٦١٠.

وجاء هذا الفعل (غُلَّتْ) مرّةً واحدةً في الخطبة مطابِقاً لدالته اللغوية، وهو ثاني الأفعال الثلاثة التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان الكيفيّة التي يؤخذ بها ذلك الإنسان المذنب إلى النار، إذ قال (عليه السلام): «فَسُلِّسَ جِيْدُهُ، وَغُلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ بِسَحْبٍ وَحِدَّةٍ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ». أي: جعلت الأغلال في يديه، فهي ثابتة، وكأنّها مغروزة فيهما، ولا يمكن في أيّ حال من الأحوال أن يُفَلت يديه منها.

و(غُلَّتْ) فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبني على الفتح، والتاء: تاء التانيث الساكنة، لا محلّ لها من الإعراب، و(يَدُهُ) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والهاء: ضمير متّصل مبني على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه). وجملة (وغلّت يده) معطوفة على جملة (فسلّس جيده).

سِيقٌ

تدلُّ مادّة (سيق) في اللّغة على حثّ الشّيء على المشي على شاقّه؛ لهذا فهو مخصوص فيما له ساق متحرّكة؛ لذلك قال ابن فارس: «السّين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشّيء»^(١). والسّوق مشتقّة من هذا الما يساق إليها من كلّ شيء، والجمع أسواق، والسّاق للإنسان وغيره، وإن سُمّيت بذلك؛ لأنّ الماشي ينساق عليها، والجمع سُووق. وسُووقُ الإبل: جَلْبُها. يُقال: سقته فانساق^(٢).

١. معجم مقاييس اللغة: ٨٩/٣.

٢. ينظر: العين: ٤٠٦/١، وجمهرة اللغة: ٤٧٦/١، وتهذيب اللغة: ٢٥٠/٣، والصحاح في اللغة: ٣٤٠/١، والمحيط في اللغة: ٤٩٠/١، والمحكم والمحيط الأعظم: ٨٩/٣، ولسان العرب: ١٠/١٦٦،

وتساوقت الإبل، تتابعت^(١). والرَّيح تسوق الرِّيح^(٢).

وجاء هذا الفعل (سيق) مرّةً واحدةً في الخطبة مطابقاً لدالته اللُّغوية، وهو ثالث الأفعال الثلاثة التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان الكيفيّة التي يؤخذ بها ذلك الإنسان المذنب إلى النَّار؛ إذ قال (عليه السلام): «فَسُلِّسَلْ جِيْدُهُ، وَغُلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ بِسَحْبٍ وَحِدَّةٍ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ». فصور أمير المؤمنين (عليه السلام) حال ذلك الإنسان وهو يُساق، أي: يُحْتُ على المشي بسحبٍ وحِدَّةٍ، كيف لا؛ وقد سيق ذلك الإنسان إلى جهنّم، وقد سلسل جيده، وغلّت يده، فلا بُدَّ من وجود ممانعة من ذلك الإنسان؛ لخوفه وقلقه، ولكن هيهات، فإنّه لا محالة وارد جهنّم، كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ» بعد أن سيق بسحب وحِدَّة.

و(سيق) فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه، يعود إلى (من جذبت نفسه)، و(بسحبٍ) الباء: حرف جرٍّ، و(سحب) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلّقان بالفعل (سيق)، و(وحِدَّةٍ) الواو: حرف عطف، و(حِدَّةٍ) اسم معطوف على (بسحب) مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وجملة (وسيق بسحب وحِدَّةٍ) معطوفة على جملة (وغلّت يده).

واللَّافَتْ لِلنَّظَرِ أَنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء بهذه الأفعال الثلاثة (سُلِّسَلْ، غُلَّتْ، سِيقَ) في صيغة المبني للمجهول، وتقدّم أنّ لحذف الفاعل،

والمصباح المنير: ٤/٣٨٢.

١. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣/٨٩، ولسان العرب: ١٠/١٦٦.

٢. ينظر: أساس البلاغة: ١/٢٣٢.

وإقامة المفعول مقامه معاني ذكرها العلماء، ومنها: التّعظيم^(١)؛ فكأنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد أن يبيِّن عظمة حال ذلك الإنسان المأخوذ إلى جهنم - بما تحمل من تخويف -، وهو مأخوذ من ملائكة غلاظ شداد، يضعون السُّلسلة في عنقه، ويقيّدون يده، ويسوقونه بسحب وحدة، فتكون النتيجة أنَّه يردُّ جهنم بنفسه، فقال (عليه السلام): «فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ».

واللَّافت للنظر - أيضاً - أن أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء بهذه الأفعال الثلاثة في صيغة المبني للمجهول، فَيَسْلَسُلُ جيده، وتُقَيِّدُ يده، ويُساق إلى جهنم بسحب وحدة، ففي هذه الأفعال لا يملك ذلك الإنسان من أمره شيئاً، وهو مجبر على فعل ذلك كله، وليس مخيراً. في حين نجد أن أمير المؤمنين (عليه السلام) عدل - بعد هذه الأفعال الثلاثة مع الفعل (ورد) - إلى صيغة المبني للمعلوم، فقال (عليه السلام): «فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ»؛ وكأنَّه (عليه السلام) يريد أن يَصوِّر ذلك الإنسان في لحظة وروده جهنم بأنَّه داخل فيها رغماً عن أنفه، وهو أمر لا محيص منه.

..... * * *

وَرَدٌ

تدلُّ مادَّة (وَرَدَ) في اللُّغة على الإشراف على الشَّيء، وبلوغه، وحضوره، وموافاته من غير دخول، وقد يحصل دخولٌ فيه. جاء في (العين): «الوَرْدُ: الوقت يوم الوَرْدِ بين الظَّمئين... ووَرَدَ الوَارِدُ يَرِدُ وروداً. والوَرْدُ أيضاً اسمٌ من وَرَدَ يَرِدُ يومَ الوَرْدِ. ووَرَدَتِ الطَّيْرُ الماءَ، ووَرَدَتْهُ أورداً»^(٢).

١. ينظر: الفعل (جذبت) من الكتاب.

٢. العين: ٢/١٢٤. وينظر: المحيط في اللغة: ٢/٣٥٧، والمخصص: ٢/٩١، والقاموس المحيط: ١/٣٢٩.

ويقال: إذا بلغت إلى البلد ولم تدخله: قد وردت بلداً كذا وكذا، ووردتُ بلدَ كذا وماء كذا: إذا أشرف عليه ودخله، أو لم يدخله^(١). ويُقال: وَرَدَ فُلَانٌ وَرُوداً: حضر. وأورده غيره، واستورده، أي: أحضره. والورْدُ خلاف الصَّدْر. وتورَّدت الخيلُ البلدة، أي: دخلتها قليلاً قليلاً قطعة قطعة^(٢).

والورْدُ: يومُ الحُمَى إذا وردت، واستعمل في النَّارِ على سبيل الفِطْعة. قال تعالى: (فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُؤْرُودُ)^{(٣)(٤)}.

وقال الفيومِيّ: «وَرَدَ البعيرُ وغيره الماءَ يَرُدُّه وروداً: بَلَغَهُ، ووافاه من غير دخول، وقد يحصل دخول فيه، والاسم الورْدُ بالكسر، وأوردته الماء، فالورْدُ خلاف الصَّدْر، والإيراد خلاف الإصدار، والمورد مثل مسجد موضع الورد»^(٥).

وتطابقت دلالة الفعل (ورد) في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدة، جاء فيها مبنياً للمعلوم، فقال (عليه السلام): «فَسُلْسَلَ جِيْدُهُ، وَغُلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ بِسَحْبٍ وَحِدَّةٍ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ».

والكرب هو الغمُّ، والحزن، والهَمُّ الشَّدِيدُ الَّذِي يأخذ بالنَّفْسِ. جاء في (العين): «الكرب.. وهو الغمُّ الَّذِي يأخذ بالنَّفْسِ، يقال كَرَبَهُ أمرٌ، وإنَّه لكَرُوب النَّفْسِ، والكربة: الاسم»^(٦).

١. ينظر: تهذيب اللغة: ٤/٤٧٣.

٢. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/٢٧٤.

٣. هود: ٩٨.

٤. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٦٥.

٥. المصباح المنير: ١٠/٣٠٦. وينظر: لسان العرب: ٣/٤٥٦، وتاج العروس: ١/٢٣٣٣-٢٣٣٧.

٦. العين: ١/٤٤٠.

وقال ابن دريد: «والكرب: الغمُّ، معروف، وكربني الأمر، أي: بهظني، وكأنَّ الكرب أشدُّ من الغمِّ»^(١).

وقال الجوهرِيُّ: «الكربة بالضمِّ: الغمُّ الَّذي يأخذ بالنَّفْس، وكذلك الكرب. تقول منه: كَرَبَهُ الغمُّ، إذا اشتدَّ عليه»^(٢).

وجاء في (المحيط في اللغة): «الكَرْبُ والكَرْبَةُ: الغمُّ يأخذ بالنَّفْس، كَرَبَهُ الأمرُ يَكْرِبُهُ، وإنَّه لَمَكْرُوبٌ»^(٣).

أَمَّا (الشَّدَّةُ)، فهي الصُّعُوبَةُ، والغلظة، وصعوبة الزَّمن. قال أبو هلال العسكري: «الشَّدَّةُ في الأصل هي مبالغة في وصف الشَّيء في صلابته»^(٤).

وقال ابن سيده: «الشَّيء الشَّدِيد الصَّعب الغليظ القويُّ، والشَّدَّة: صعوبة الزَّمن... من مكاره الدَّهر»^(٥).

و(فورد) الفاء: حرف عطف، (ورد): فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو، عائد إلى (من جذبت نفسه)، و(جهنم) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظَّاهرة على آخره، و(بكرب) الباء: حرف جرٍّ،

١. جمهرة اللغة: ١/١٤٦.

٢. الصحاح في اللغة: ٢/١١١. وينظر: تهذيب اللغة: ٣/٣٦٧، ومعجم مقاييس اللغة: ٥/١٤١، والمخصص: ٣/١٩٢، وأساس البلاغة: ١/٤٠٢، ولسان العرب: ١/٧١١، والمصباح المنير: ٨/٦٤، والقاموس المحيط: ١/١١٦، وتاج العروس: ١/٩٠٤-٩٠٨.

٣. المحيط في اللغة: ٢/٤٧.

٤. الفروق اللغوية: ١/٢٩٧.

٥. المحكم والمحيط الأعظم: ٣/٢٥٣. وينظر: الصحاح في اللغة: ١/٣٤٩، والمحيط في اللغة: ٢/١٥٠، وأساس البلاغة: ١/٢٣٨، ولسان العرب: ١٣/٥٠٦.

و(كرب) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل (ورد)، و(وشدة) الواو: حرف عطف، و(شدة): اسم معطوف مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره. وجملة «فورد جهنم بكرب وشدة» معطوفة على جملة «وسيق بسحب وحدة». واستعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) حرف العطف (الفاء) الذي يفيد العطف بترتيب من دون تراخ، أي: باتصال؛ ولذا (فورد جهنم) نتيجة السُّوق بسحب وحدة، وهذا الورد حاصل من دون أدنى شك في ذلك، ومن دون تريث، وهذا المعنى أفاده حرف العطف (الفاء) مع الفعل (ورد).

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فورد جهنم بكرب وشدة» فيه تضمين لقوله - تبارك وتعالى -: (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُؤْرَدُ)^(١).

وأودُّ أَنْ أُشير - هنا - إلى مسألتين أحسبهما مهمتين في البحث: وهما:

أولاً: إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل مع هذا الفعل (ورد) لبيان عذاب ذلك الإنسان - المذنب - في النار كلمة (جهنم)، وذكر مع الفعل (يُعذَّب) - وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى - كلمة (جحيم) من أسماء النار، إذ قال (عليه السلام): «فَوْرَدَ جَهَنَّمَ بِكْرِبٍ وَشِدَّةٍ، فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ». ويبدو لي أنَّ هذا الأمر لم يكن مصادفة، أو شيئاً من هذا القبيل؛ بل إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان قاصداً ذلك كله؛ فقد ذكر المفسِّرون أنَّ للنَّار أسماءً عامَّةً وخاصَّةً^(٢). فالاسم العامُّ لها (جهنم)، وهو ما يناسب ورود ذلك الإنسان المذنب للوهلة الأولى، ثمَّ يقاد - بعد ذلك - إلى درجة من درجات النَّار، أو مكان من أماكنها،

١. هود: ٩٨.

٢. ينظر: ألفاظ العقاب الأخرى في القرآن الكريم، دراسة دلالية (رسالة ماجستير): ١٨-٢٣.

وهو (جحيم)، فكما أنّ للجنة درجات، فللنار درجات - أيضاً -، فهناك تدرُّج في ذكر النار عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة بما يناسب أحوال ذلك الإنسان، وتقلباته فيها.

ثانياً: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء بالأفعال (كشف، سلسل، غلّت، سيق، ورد) بلفظ الماضي، لما فيه من دلالة على النفاذ والثبوت^(١)، فكانَ أمير المؤمنين (عليه السلام) يريد أن يقول: إنّ هذه الأفعال نافذة لا محالة، وهذا الأمر مفروغ منه، فهو (عليه السلام) يتحدث عن أحداث أو أمور حصلت قبل زمن التكلّم، بيّد أنّه (عليه السلام) جاء بالفعل (يهدّده) قبل هذه الأفعال بزنة المضارع؛ لما في المضارع من دلالة على الحدوث، والتجدّد، والحركة تتناسب وحال ذلك الإنسان في تلك اللحظة من حالات الاضطراب والقلق والخوف، أعني: التهديد من منكر ونكير، التي تدلّ على الحركة، فكانت زنة المضارع مناسبة لتلك الحال، فأمر المؤمنين (عليه السلام) ينتقل من فعل إلى آخر بصيغة تتناسب ومعنى كلّ فعل من هذه الأفعال.

..... * * *

ظَلَّ

جاء في (العين): «ظَلَّ فلانٌ نهارَه صائماً، ولا تقول العرب: ظَلَّ يظُلُّ إلا لكلّ عمل بالنهار، كما لا يقولون: بات يبيت إلا بالليل، ومن العرب مَنْ يحذف لام ظَلَّتْ ونحوها حيث يظهران، فأما أهل الحجاز، فيكسرون الظاء على كسرة اللام التي أَلْقِيَتْ، فيقولون: ظَلْنَا وظَلْتُمْ، والمصدر الظُّلُول، والأمر منه ظَلَّ

١. ينظر: الفعل (حمد) من الكتاب.

واظلل^(١).

وقال ابن فارس: «الظاء واللام أصل واحد، يدلُّ على ستر شيء لشيء، وهو الذي يسمَّى الظلُّ... فالظَّلُّ: ظلُّ الإنسان وغيره، ويكون بالغداة والعشيِّ... ومن الباب قولهم: ظلُّ يفعل كذا، وذلك إذا فعله نهراً، وإنما قلنا من الباب، لأنَّ ذلك شيء يخصُّ به النهار؛ وذلك لأنَّ الشيء يكون له ظلُّ نهراً»^(٢).

وبهذا المعنى ورد هذا الفعل «ظَلَّ» في الخطبة مرَّةً واحدة؛ أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان الذي ورد جهنم، وهو أوَّل الأفعال الأحد عشر التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك، إذ قال (عليه السلام): «فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ، فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ»، فيكون كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) يهتمل معنيين.

أحدهما: إنَّ ذلك الإنسان المعذب مقيم في العذاب، والعذاب ملازم له، كأنَّه ظلُّ له.

الآخر: أو إنَّه دائم العذاب؛ بدلالة أنَّه باقٍ في العذاب، مقيم فيه في النهار، وهو كناية عن أنَّ أيامه كلُّها نهار، ولا يوجد ليل يستريح فيه من ذلك العذاب.

و(فَظَلَّ) الفاء حرف عطف، و(ظَلَّ) فعل ماضٍ ناقص مبنيٌّ على الفتح، واسم (ظَلَّ) ضمير مستتر تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، و(يُعَذَّبُ) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو، عائد إلى (من جذبت نفسه)، و(في) حرف جرٍّ، و(جحيم)

١. العين: ١/ ١٤٤. وينظر: تهذيب اللغة: ٥/ ٣٦ و٣٧، والصحاح في اللغة: ١/ ٤٣٧، والمحيط في اللغة:

٢/ ٣٨٦، ولسان العرب: ١١/ ٤١٥، والمصباح المنير: ٥/ ٤٨٦.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٣٦٠.

اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل (يُعذَّب)، والجملة الفعلية (يُعذَّب في جهنم) في محلِّ نصب خبر (ظَلَّ).
وجملة (فَظَلَّ يُعذَّب في جهنم) معطوفة على جملة (فور جهنم بكرب وشدة).

يُعذَّبُ

تدلُّ مادَّة (يُعذَّبُ) في اللُّغة على العقاب، والنَّكال، والإيْجاع الشَّدِيد المستمرِّ. فيقال: عَذَّبَ الرَّجُلَ وغيره تعذيباً، والاسم العذاب^(١).

وقال أبو هلال العسكري حين فرَّق بين (العذاب) وبين (الألم): «إنَّ العذاب أخصُّ من الألم؛ وذلك أنَّ العذاب هو الألم المستمرُّ، والألم يكون مستمرّاً وغير مستمرِّ، ألا ترى أنَّ قرصة البعوض ألم، وليس بعذاب، فإن استمرَّ ذلك قلت: عَذَّبني البعوض الليلة، فكلُّ عذاب ألم، وليس كلُّ ألم عذاباً، وأصل الكلمة الاستمرار»^(٢).

وقال الرَّاعِب: «والعذاب: هو الإيْجاع الشَّدِيد، وقد عَذَّبته تعذيباً: أكثر حبسه في العذاب... واختلِفَ في أصله، فقال بعضهم: هو من قولهم: عَذَّبَ الرَّجُلَ. إذا ترك المأكل والنَّوم، فهو عاذِبٌ وعذوبٌ، فالتَّعذيب في الأصل هو حَمْلُ الإنسان أن يُعذَّب، أي: يجوع ويسهر: وقيل: أصله من العَذْبِ، فعذَّبته، أي: أزلتُ عَذْبَ حياته على بناء مرَّضته، وقذَّيته، وقيل: أصل التَّعذيب إكثار الضَّرْب بعَذبة السَّوط، أي طرفها: وقد قال بعض أهل اللُّغة: التَّعذيب هو الضَّرْب، وقيل: هو

١. ينظر: جمهرة اللُّغة: ١/ ١٣١، وأساس البلاغة: ١/ ٣٠٣.

٢. الفروق اللُّغوية: ١/ ٣٥٤.

من قولهم: ماء عَذْبٌ إذا كان فيه قذى وكَدْرٌ، فيكون عَذْبُهُ، كقولك: كَدَّرْتُ عَيْشَهُ، وزَلَّفتُ حياته»^(١).

ويقال: عَذَّبته تعذيباً عَاقَبْتَهُ، والاسم: العذاب، وأصله في كلام العرب الضَّرْب، ثُمَّ استعمل في كلِّ عقوبة مؤلمة، واستُعيِر للأُمور الشَّاقَّة. والعذاب: النَّكال والعقوبة، ويُقال: عَذَّبته تعذيباً وَعَذَاباً^(٢).

وتطابقت دلالة الفعل (يُعَذَّب) في الخطبة مع دلالاته اللغوية، وقد جاء مرَّةً واحدة، وهو ثاني الأفعال الأحد عشر التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان الذي ورد جهنم؛ إذ قال (عليه السلام): «فَطَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ».

وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) في جمعه بين الفعلين (ظَلَّ) و(يُعَذَّب)؛ فالفعل (ظَلَّ) يدلُّ على الاستمرار والبقاء، والفعل (يُعَذَّب) يدلُّ على الألم المستمر.

وأحسن مرةً أخرى حين جاء بهذا الفعل (يعذب) بزنة المضارع؛ التي تدلُّ التَّجَدُّد والحدوث، وهو ما يتناسب ومعنى الفعل (يُعَذَّب)، الذي يدلُّ على الألم المستمر.

وتقدَّم إعراب (يُعَذَّبُ في جحيم) مع الفعل (ظَلَّ).

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٥٤ و٥٥٥.

٢. ينظر: لسان العرب: ١/٨٥٣، والمصباح المنير: ٦/٤٧، والقاموس المحيط: ١/٩٥، وتاج العروس: ١/٧٣٤-٧٣٨.

يُسْقَى، سُقِيَ

السُّقْيَا اسم السَّقْيِ. والسَّقَاءُ: القربة للماء واللبن. والاستقاء: الأخذ من النهر والبر. واسقينا فلاناً نهراً، أي: جعلناه له سُقْيًا، وسَقَى وأسقَى لغتان، وسَقَى يَسْقِي بطنه سَقِيًا^(١). وقال آخرون: بل سَقِيته من سَقَى الشَّفة، وأسقيته: دلته على الماء^(٢).

وقال ابن فارس: «السَّين والقاف والحرف المعتلُّ أصل واحد، وهو إشراب الشَّيء الماء وما أشبهه. فتقول: سقيته بيدي أسقيه سَقِيًا، وأسقِيته إذا جعلت له سَقِيًا. والسُّقْي: المصدر...»^(٣).

وقال الرَّاعِب: «السَّقْيُ والسُّقْيَا: أَنْ يعطيه ما يشرب، والإِسْقَاء: أَنْ يجعل له ذلك حتَّى يتناوله كيف شاء. فالإِسْقَاء أبلغ من السَّقْي؛ لأنَّ الإسْقَاء هو أن تجعل له ما يُسْقَى منه ويُشْرَب...»^(٤).

وبهذا المعنى ورد هذا الفعل (يُسْقَى) و(سُقِيَ) مرَّتين في الخطبة، وفي كليهما مبنيٌّ للمجهول، جاء في المرَّة الأولى مضارعاً مبنيّاً للمجهول (يُسْقَى)، وهو ثالث الأفعال الأحد عشر، التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حال الإنسان الذي ورد جهنم؛ إذ قال (عليه السلام): «ويُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ»، أي: يُسْقَى من شراب أهل النار.

١. ينظر: العين: ٤٠٦/١، والمحيط في اللغة: ٤٩٠/١.

٢. ينظر: جهرة اللغة: ٤٧٦/١، وتهذيب اللغة: ٢٤٩/٣، والصحاح في اللغة: ٣٢١/١ و٣٢٢، والمحكم والمحيط الأعظم: ٧٨/٣، ولسان العرب: ٣٩/١٤، والقاموس المحيط: ٤٣٣/٣.

٣. معجم مقاييس اللغة: ٦٤/٣.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٤١٥.

والحميم هو الماء الشَّدِيد الحرارة، وكذلك الحميمة، يُقال: شربتُ حميمَةً، أي: ماءً ساخناً^(١). والحممة: العين الحارَّة، يستشفي بها الأعلَاء من الأمراض^(٢). وقالوا عن الغيظ بأنه حميم، وسمّوا العرق الذي يخرج بسبب الحرارة حميماً^(٣).

وورد هذا اللفظ في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرَّةً^(٤)، ثماني عشرة مرَّةً في آيات مكِّيَّة، وثلاث مرَّات في آيات مدنيَّة، وقد جاء دالاً على العقاب الأخروي^(٥)، على أنه شراب لأهل النَّار، وفي قوله - تبارك وتعالى -: (هُم شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)^(٦)، ونظائرها كثير.

وقد اتَّفَق المفسِّرون - ممَّن اطَّلعت على آرائهم - على أن المراد من الحميم هو: الماء الشَّدِيد المغلي، الشَّدِيد الحرارة، الذي يقطِّع الأمعاء من شدَّة حرارته، حتَّى قيل: إنَّه يغلي منذ خَلق السَّموات والأرض إلى يوم يُسقونه^(٧).

و(يُسقى) فعل مضارع مبنيٌّ للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة المقدَّرة

١. ينظر: الاشتقاق: ٢/٢٨٩، ومعجم مقاييس اللغة: ٢/١٨، والصحاح في اللغة: ١/١٤٨، والمخصص: ٩/١٣٩، ولسان العرب: ١٢/١٥٠.

٢. ينظر: الاشتقاق: ٢/٢٩٠، ومعجم مقاييس اللغة: ٢/١٨، والصحاح في اللغة: ١/١٤٨، ومفردات ألفاظ القرآن: ٢٥٥، ولسان العرب: ١٢/١٥٠.

٣. ينظر: غريب القرآن (للسجستاني): ٢٧٣، ومعجم مقاييس اللغة: ٢/١٨، والصحاح في اللغة: ١/١٤٨، والمسلسل في غريب لغة العرب: ٢٨٧، ولسان العرب: ١٢/١٥٠.

٤. ينظر: المعجم المفهرس: ٢١٩.

٥. ينظر: ألفاظ العقاب الأخروي في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة ماجستير): ٩٩.

٦. الأنعام: ٧٠.

٧. ينظر: تفسير غريب القرآن (لابن قتيبة): ١٥٥، ومجمع البيان: ٢/٣١٨، والجامع لأحكام القرآن: ٧/١٣، وروح المعاني: ٢٧/٩٩، والتشبيهاة القرآنية: ١١٦.

على الألف؛ منع من ظهورها التَّعَذُّر، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو، عائد إلى (مَنْ جذبت نفسه)، و(شربة) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و(من) حرف جر، و(حميم) اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل (يُسْقَى). وجملة (ويُسْقَى شربة من حميم) معطوفة على جملة (فَطَلَّ يُعَذَّبُ في حميم).

وقد يقول قائل: إنَّ هذا الفعل خُتِمَ بالألف، وهذا يقدر بالخطبة؛ كونها خالية منه، فأقول: إنَّ هذا الفعل، وإنَّ كان آخره ألفاً، إلاَّ أنَّه لا يقدر بالخطبة؛ فهذه الألف ليست أصلية؛ بل هي منقلبة عن الياء، فأنت تقول: سقى يسقي سقياً.

وجاء في المرّة الثَّانية الفعل (سُقِيَ) في الخطبة ماضياً مبنياً للمجهول؛ أوردته أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حال مَنْ رُحِزَ عن النَّار، وسكن الجنَّة، وخُلِدَ في قصور مشيِّدة، وملك الحور، وطيف عليه بكؤوس «وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ». وهو سابع الأفعال الثلاثة عشر التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقام.

والتَّسْنِيم: هو تعظيم الشَّيء، أو إعلاؤه. والسَّنَم: مصدر لسَنِمَ البعيرُ سَنَمًا، إذا عَظَّمَ سَنَامَهُ، ومنه اشتقاق السَّنَام. ومجدُّ مُسَنَّم: عظيم، وكلُّ شيء رفعته، فقد سَنَّمته. وسَنَّمه، أي: علاه^(١).

وورد هذا اللَّفظ في القرآن الكريم في قوله - تبارك وتعالى -: (وَمِزَاجُهُ مِنْ

١. ينظر: جوهرة اللغة: ١/٤٨١، وتهذيب اللغة: ٤/٣٠٢، والصحاح في اللغة: ١/٣٣٤، والمحيط في اللغة: ٢/٦٨، ولسان العرب: ١٢/٣٠٦، وتاج العروس: ١/٧٧٦٩.

تَسْنِيمٍ^(١)، وهو عين في الجنة رفيعة القدر^(٢). والتَسْنِيم عين الماء يجري من علو إلى أسفل يتسَم عليهم من الغرف، واشتقاقه من السَّنام، وقيل: من تشریف، وسنام البعير لعلوه من بدنه^(٣). وتسْنيم «عين في الجنة، وهو أشرف شراب في الجنة. قال مسروق يشربها المقربون صرفاً، ويخرج بها كأس أصحاب اليمين فيطيب... وقيل: هو شراب ينصبُّ عليهم من علو انصباباً... وقيل هو نهر يجري في الهواء فينصبُّ في أهل الجنة بحسب الحاجة»^(٤).

وقال الطَّبَّاطبائي: «والتَسْنِيم... عين في الجنة سمَّاه الله تسنيماً، وفي لفظه معنى الرَّفَع والملء. يُقال: أواني سنمه، أي: رفعه، ومنه سنام الإبل، ويُقال: سنم الإناء، أي: ملاءه»^(٥). وقيل إنَّها سُمِّيت بتسْنيم؛ لعلو مكانتها، أو لأنَّها تنبع من مكان مرتفع^(٦).

و(سُقِّيَ) فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبني على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو، عائد إلى قوله (عليه السلام) (فمن زحزح عن تعذيب ربه)، و(من): حرف جرٍّ، و(تسْنيم) اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظاهرة على

١. المطففين: ٢٧.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٢٩.

٣. ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٠ / ٢٩١.

٤. مجمع البيان: ١ / ٢٦٨. وينظر: الدر المشور: ١٠ / ٢٢١، وروح المعاني: ٨ / ٣٥٣، وتفسير الأمل: ٢٠ / ٣٧.

٥. تفسير الميزان: ٢٠ / ١٣٣. وينظر: زاد المسير: ٦ / ١٣٦، وتفسير البحر المحيط: ١٠ / ٤٥١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥ / ٣٨١، وفي ظلال القرآن: ٧ / ٤٨٣ و ٤٨٨، ٤٨٩، وتفسير السراج المنير: ١ / ٥١٤١، والتفسير الوسيط: ١ / ٤٤٦٧.

٦. ينظر: المصادر أنفسها: الصفحات أنفسها.

آخره، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل (سقي). وجملة (وسقي من حميم) معطوفة على جملة (وتقلَّب في نعيم).

تشوي

تدلُّ مادَّة «تشوي» في اللُّغة على شدَّة الحرارة، والحرق، والنُّضج. يُقال: شويت اللَّحم، وشويته لِنَفْسِي. والشَّيُّ: مصدر شويت، والشَّوَاء: الاسم، واشتوينا لحماً، وانشوى اللَّحم. وشَوَى اللَّحْمَ شَيًّا فَاشْتَوَى وانشوى، وهو الشَّوَاء بالكسر والضمِّ، وشَوَى يَشْوِي، فهو شَاوٍ، والماء أَسْخَنُه^(١).

وبهذا المعنى ورد هذا الفعل «تشوي» مرَّةً واحدةً في الخطبة، وهو رابع الأفعال الأحد عشر، التي جاء بها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان الذي ورد جهنم، وأوَّل الفعلين اللذين جاء بهما (عليه السلام) لوصف تلك الشُّربة «من حميم»، التي يُسقاها ذلك المُعذَّب، فقال (عليه السلام): «وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ»، فيكون مراده (عليه السلام) أَنَّهُ إِذَا وَصَلَتْ تِلْكَ الشُّرْبَةُ إِلَى وَجْهِهِمْ، أَوْ قَرَّبُوهَا مِنْهَا؛ لَيْسَقُوهَا، شَوَتْ وَجْوهَهُمْ، أَي: أَحْرَقَتْهَا وَأَنْضَجَتْهَا؛ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهَا.

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «تشوي وجهه» فيه تضمين لقوله – تبارك وتعالى –: (وَقِيلَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ

١. ينظر: العين: ١٤/٢، وجمهرة اللغة: ١/٩٠ و٩١، وتهذيب اللغة: ٤/١٣٠، ومعجم مقاييس اللغة: ١٧٥/٢ و١٧٦، ومفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٠، والمحيط في اللغة: ٢/١٨٥، والمخصَّص: ٤/٦١، وأساس البلاغة: ١/٢٥٢، ولسان العرب: ١٤/٤٤٥، والقاموس المحيط: ٣/٤٣٩.

بُسِّ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقًا^(١).

وقال المفسرون مبينين كلمة «تشوي الوجوه» في الآية الكريمة: «(يشوي الوجوه) أي: يحرقها من شدة حره إذا قربت منه»^(٢).

وقال الطوسي: (يشوي الوجوه) أي: ينضجها عند دنوه منها، ويحرقها^(٣).
وقال في موضع آخر: «يفسقون شربةً من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة، فإذا قربوها من وجوههم، شوت وجوههم، فذلك قوله: (يشوي الوجوه)»^(٤).

وجاء في «المحرر الوجيز»: «(يَشْوِي الوجوه) روي في معناه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تُقَرَّبُ الشُّرْبَةُ مِنَ الْكَافِرِ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْهُ تَكَرَّهَهَا، فَإِذَا دَنَتْ أَكْثَرَ، شَوَتْ وَجْهَهُ، وَسَقَطَتْ فِيهَا فِرْوَةٌ وَجْهَهُ، وَإِذَا شَرِبَ تَقَطَّعَتْ أَمْعَاؤُهُ»^(٥).

وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: «هناك يشربون من شراب يُجَسِّدُ باطن شراب الدنيا، وهو بالنسبة للظالمين الطُّغاة شراب من دماء قلوب المحرومين، ومثل هذا الشراب يُقدِّم للظالمين في ذلك العالم، وهو لا يحرق أمعاءهم وأحشاءهم فحسب، بل يكون كالمعدن المذاب الذي يشوي الوجوه قبل شربه من شدة

١. (الكهف: ٢٩).

٢. التبيان في تفسير القرآن: ٣٥ / ٧.

٣. جمع البيان: ٣٠٢ / ٦.

٤. جمع البيان: ٢٧٤ / ٨.

٥. المحرر الوجيز: ٣٠٧ / ٤، وينظر: جامع البيان: ١٨ / ١٤، و٢٣ / ٧٠٦، وتفسير البحر المحيط ١٤٤ / ٧، وتفسير القرآن العظيم: ٤ / ٤٨٠، وروح المعاني: ٩ / ٣٤٠، وتفسير الميزان ١٣ / ١٦٠، وتبيين القرآن: ٢ / ١٢١، والتفسير الوسيط: ١ / ٢٧١٢.

حرارته»^(١).

و«تشوي» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره (هي)، عائد إلى (الشربة)، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة، عائد إلى «من جذبت نفسه»، وجملة (تشوي الوجوه) صفة لـ(شربة) في قوله: «يسقى شربة من حميم».

تَسْلَخُ

تدلُّ مادة «سلخ» في اللغة على الكشط، والنزع، والخلع. جاء في «العين»: «السَّلَخُ: كَشَطُ الإِهَابِ عَن ذِيهِ، الإِهَابُ نَفْسُهُ. وَمِسْلَاخُ الحَيَّةِ: قَشْرُهَا الَّذِي يَنْسَلَخُ مِنْهَا... وَسَلَخَتِ المُرَأَةَ دِرْعَهَا: نَزَعَتْهُ»^(٢).

ويقال: سَلَخْتُ الشَّاةَ وَغَيْرَهَا أَسْلَخْتُهَا سَلَخًا إِذَا كَشَطْتُ عَنْهَا جِلْدَهَا^(٣).

وَسَلَخَ الإِهَابَ يَسْلُخُهُ، وَيَسْلُخُهُ، سَلَخًا: كَشَطُهُ. وَسَلَخَ الحُرُّ جِلْدَ الإِنْسَانِ، وَسَلَخَهُ، فَانْسَلَخَ وَتَسَلَخَ. وَسَلَخَتِ المُرَأَةُ عَنْهَا دِرْعَهَا: نَزَعَتْهُ، إِذَا خَلَعَتْهُ^(٤).

وقال الزُّمخَرِيُّ: «سَلَخَ الشَّاةَ، وَكَشَطَ مِسْلَاخَهَا: إِهَابَهَا... وَمِنَ المِجَازِ سَلَخْنَا

١. تفسير الأمثال: ١٣/١٦٠.

٢. العين، وينظر: تهذيب اللغة: ٢/٤٤٢، ومعجم مقاييس اللغة: ٣/٧١، والصحاح في اللغة: ١/٣٢٥، والمحيط في اللغة: ١/٣٤٨، والمختص: ١/٣٥٠، ولسان العرب: ٣/٢٤، والمصباح المنير: ٤/٢٨٨، والقاموس المحيط: ١/٢٤٦، وتاج العروس: ١/١٨١٥ و١٨١٦.

٣. جمهرة اللغة ١/٣١٥.

٤. المحكم والمحيط الأعظم ٢/٣٠٠.

الشَّهر، وانسلخ الشهر... وسلخ الله النَّهار من اللَّيل، وانسلخ منه. وسلختُ عنها درعها»^(١).

وبهذا المعنى ورد هذا الفعل «تَسْلَخُ» مرَّةً واحدةً في الخطبة، وهو خامس الأفعال الأحد عشر، التي جاء بها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان الذي ورد جهنم، وثاني الفعلين اللذين جاء بهما (عليه السلام) لوصف تلك الشُّربة «من حميم»، التي يُسقاها ذلك المعذب، فقال (عليه السلام): «ويُسقى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلَخُ جِلْدَهُ».

فبعد أن أحرقت تلك الشُّربة وجه ذلك الإنسان المعذب في جهنم، وأنضجته من شدَّة حرِّها، «تسلخُ جلده»، أي: تكشف جلدَه، وتخلعه، وتنزعه - والعياذ بالله -.

فهذان الفعلان «تشوي» و«تسلخ» يبينان أثر هذه الشُّربة «من حميم» في وجه ذلك المُسقى حين يُقرَّبها ليشربها، فبادئ ذي بدء تشوي وجهه، ثم تكشف جلدَه، وتنزعه، وتخلعه.

ويبدو أن دخول ذلك الإنسان جهنم - والعياذ بالله -، وبقائه مُعذباً فيها يجعله يعاني فيها من عذاب آخر - فضلاً عن الخوف، والشدَّة، والسَّحب بقوة، والنَّار - وهو العطش الشَّديد؛ فيطلب الماء، فيُسقى، ولكن من أيِّ شيء؟ من شربة من حميم، وهذا الحميم، فضلاً عن كونه يُقطَّع أمعاءه وأحشاءه، فإنَّه حين يُقرَّبه ليشرب منه، يشوي وجهه، ويسلخ جلده.

و«وتسلخ» الواو: حرف عطف، و«تسلخ» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظَّاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه يعود إلى «شربة» من قوله:

«وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ»، و«جِلْدَهُ» مفعول به منصوب، وعلى نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل جرٍّ بالإضافة، عائد إلى «مَنْ جَذِبَتْ نَفْسُهُ»، وجملة «وَتَسْلَخُ جِلْدَهُ» معطوفة على جملة «تَشْوِي وَجْهَهُ».

يَضْرِبُهُ

يُقَالُ: ضَرَبْتُ الْخَضَمَ ضَرْبًا إِذَا حَصَلَ الضَّرْبُ. والموج يضرب بعضه بعضاً. والضَّرِيْبَةُ: مَا ضَرَبْتَهُ بِالسَّيْفِ. والضَّرِيْبُ: الضَّقِيْعُ كَأَنَّ السَّمَاءَ ضَرَبَتْ بِهِ الْأَرْضَ. ورجلٌ مَضْرَابٌ: شديد الضَّرْبِ^(١).

وقال ابن فارس: «الضَّادُ والرَّاءُ والبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ، وَيُجْمَلُ عَلَيْهِ. مِنْ ذَلِكَ ضَرَبْتُ ضَرْبًا، إِذَا أَوْقَعْتَ بغيرِكَ ضَرْبًا. وَيُسْتَعَارُ مِنْهُ، وَيُشَبَّهُ بِهِ...»^(٢).

وتطابقت دلالة هذا الفعل «يضربه» في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدةً، وهو سادس الأفعال الأحد عشر التي جاء بها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان الذي ورد جهنم، إذ قال (عليه السلام): «فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلَخُ جِلْدَهُ، يَضْرِبُهُ رَبِيئَتُهُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ»، أي: يضربه ملك شديد غليظ بعمودٍ من نارٍ أو خشبة.

١. ينظر: العين: ٢٠/٢، وجمهرة اللغة: ١٣٧/١، والصحاح في اللغة: ٤٠٦/١، والمحيط في اللغة:

١٩٦/٢، وأساس البلاغة: ١/٢٧٤، والمصباح المنير: ٣٢٥/٥، وتاج العروس: ١/٦٨٣.

٢. معجم مقاييس اللغة ٣/٣١١.

وهنا أودُّ أَنْ أُبَيِّنَ معنى كلمتين ارتبطتا بالفعل «يَضْرِبُهُ»، وهما:

أولاً: «زَيْبَتُهُ»، إذ جاء في (تهذيب اللغة): «وَقَالَ قَتَادَةُ: الزَّبَانِيَةُ: الشَّرْطُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الزَّبَانِيَةُ الْغِلَاطُ الشَّدَادُ، وَاحِدُهُمْ زَبْنِيَّةٌ، وَهُمْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: (وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ)»^(١)، وهم الزَّبَانِيَةُ»^(٢).

وقال الجوهري: «الزَّبْنُ: الدَّفْعُ... والزَّبَانِيَةُ عند العرب: الشَّرْطُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ لِدَفْعِهِمْ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا. قَالَ الْأَخْفَشُ: وَاحِدُهُمْ زَبَانِيٌّ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: زَابِنٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: زَبْنِيَّةٌ»^(٣).

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «يَضْرِبُهُ زَيْبَتُهُ» فيه تضمين لقوله - تبارك وتعالى - : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ❖ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)^(٤).

وجدير بالذكر أَنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «زَبْنِيَّةٌ» وهو مفرد الزَّبَانِيَةِ، ولم يقل: «زَابِنٌ»، أو «زَبَانِيٌّ» مع أَنَّهَا مفردا الزَّبَانِيَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُفَوِّتُ الْفَائِدَةَ مِنْ إِنْشَاءِ الْخُطْبَةِ، وَهِيَ خُلُوها مِنَ الْأَلْفِ، فَضْلاً عَنْ عَدَمِ قَوْلِهِ (عليه السلام): الزَّبَانِيَةِ؛ لِلْعَلَّةِ نَفْسِهَا.

ثانياً: «مَقْمَعٌ»، إذ جاء في «العين»: «مَقْمَعٌ: قَمَعْتُ فُلَانًا فَاثْمَعَمْتُ، أَيُّ: ذَلَّلْتُهُ فَذَلٌّ، وَاخْتَبَأَ فَرَقَاءً... وَالْمَقْمَعَةُ: خَشْبَةٌ يُضْرَبُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَلَى رَأْسِهِ، وَالْجَمْعُ

١. التحريم: ٦.

٢. تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٩.

٣. الصحاح في اللغة ١/ ٢٨٢، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٣٣، والقاموس المحيط: ٣/ ٣٣١، وتاج العروس: ١/ ٥٦.

٤. العلق: ١٧ و ١٨.

المَقَامِعُ»^(١).

وقال ابن دريد: «وَقَمَعْتُ الرَّجْلَ أَقَمَعُهُ قَمْعًا، إِذَا ضَرَبْتَ رَأْسَهُ، فَانْقَمِعَ، أَيُّ: فَذَلَّ. وَكُلُّ مَا ضَرَبْتَ بِهِ الرَّأْسَ فَهُوَ مَقْمَعَةٌ، وَالْجَمْعُ مَقَامِعٌ»^(٢).

وقال الأزهري: «وَالْمَقْمَعَةُ: شَبَّهَ الْجِرْزَةَ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْعَمْدَ يُضْرَبُ بِهَا الرَّأْسُ، وَجَمَعَهَا الْمَقَامِعُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ)^(٣) وَهِيَ الْجِرْزَةُ مِنَ الْحَدِيدِ»^(٤).

وقال ابن سيده: «وَالْمَقْمَعُ وَالْمَقْمَعَةُ، كِلَاهُمَا: مَا قَمِعَ بِهِ. وَالْمَقَامِعُ: الْجِرْزَةُ وَأَعْمَدَةُ الْحَدِيدِ»^(٥).

وقال الزنخشي: «قَمِعَ خَصْمَهُ: قَهَرَهُ، وَأَذَلَّهُ فَانْقَمِعَ وَتَقَمَّعَ... وَقَمَّعْتَهُ بِالْمَقْمَعِ وَالْمَقْمَعَةُ وَبِالْمَقَامِعِ، وَهِيَ الْجِرْزَةُ»^(٦).

وقال الفيروزآبادي: «الْمَقْمَعَةُ، كَمَكْنَسَةٍ: الْعَمُودُ مِنْ حَدِيدٍ، أَوْ كَالْمِحْجَنِ يُضْرَبُ بِهِ رَأْسُ الْفِيلِ، وَخَشَبَةٌ يُضْرَبُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَلَى رَأْسِهِ، ج: مَقَامِعٌ، وَقَمَّعَهُ، كَمَنَعَهُ: ضَرَبَهُ بِهَا، وَقَهَرَهُ، وَذَلَّلَهُ، كَأَقَمَعَهُ»^(٧).

١. العين: ٤٢/١.

٢. جمهرة اللغة ٨٢/٢. وينظر: الصحاح في اللغة: ٩٥/٢، والمحيط في اللغة: ٢٦/١.

٣. الحج: ٢١.

٤. تهذيب اللغة ٨٥/١. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٢/٥، ولسان العرب: ٢٩٤/٨، وتاج العروس: ٥٥٠٠/١-٥٥٠٢.

٥. المحكم والمحيط الأعظم ٨٨/١.

٦. أساس البلاغة ٣٩/١.

٧. القاموس المحيط: ٣١٨/٢.

فالمقْمَع كالمحجن، أو المقمعة كمكنسة: شبه الحِرْزَةَ، أو خشبة، أو عمود من حديد يُضْرَبُ بها رأس الإنسان، وجمعها المقامع، قال تعالى: (وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ)^(١). تقول: قمعتُ فلاناً فانقمع، أي: ذللتُهُ فذلَّ، أو قهرتُهُ فانقهر.

فيكون العذاب عذابين، عذاباً مادياً من الضرب على الرأس بمقمع من حديد، وعذاباً معنوياً، وهو الإذلال والقهر من جرّاء ذلك الضرب على الرأس.

وقال المفسرون في بيان معنى المقامع في قوله - تبارك وتعالى - : (وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ)^(٢): «روى أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قوله (وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ): لو وضع مقمع من حديد في الأرض، ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلّوه من الأرض»^(٣).

وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) - وهو استعمال قرآني - حين قرن حمل هذا «المقمع» بـ«زبيته» وهو الملك الشديد الغليظ، ولو لم يكن هذا الملك بهذه الصفة، لما تمكّن من حمل هذا المقمع، الذي وصف بقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لو «اجتمع عليه الثقلان ما أقلّوه من الأرض». هذا أولاً.

وثانياً: من خلال قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفهم مقدار العذاب، الذي يُعَذِّبُهُ ذلك الإنسان، ولتصوّر: أن يُضْرَبَ إنسان بهذا المقمع على رأسه - والعياذُ بالله - ماذا يكون حاله؟!.

١. الحج: ٢١.

٢. الحج: ٢١.

٣. جمع البيان: ٧/١٢٣. وينظر: معالم التنزيل: ٥/٣٧٥، وتفسير البحر المحيط: ٨/٢١٠، والتفسير الصافي: ٤/٣٨٠، وروح المعاني: ١٣/٣٤، وتفسير نور الثقلين: ٦/١٤، وتفسير الأصفى: ٣/٩٦، وتفسير الميزان: ٤/١٩٠، وتفسير الأمثل: ١٠/٣١٢.

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «بمقمع من حديد» فيه تضمين لقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ)^(١)، بَيِّنَدَ أَنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يقل «مقاع»، بل قال: «مقمع»؛ لِأَنَّ «مقاع» يَفُوتُ الفائدة من الخطبة، وهي خَلُوهَا مِنَ الألف.

و«ويضربه» الواو: حرف عطف، و«يضربه» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، عائد إلى «مَنْ جذبت نفسه»، و«زبيته» فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جرٍّ بالإضافة، عائد إلى «مَنْ جذبت نفسه»، و«من»: حرف جرٍّ، و«حديد» اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل «يضربه». وجملة (وَيَضْرِبُهُ زَبِيَّتُهُ بِمَقْمَعٍ مِّنْ حَدِيدٍ) معطوفة على جملة (وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ).

..... * * *

يَعُودُ

تدلُّ مادة «يعود» في اللغة على تكرار الشيء، والرُّجوع إلى الأمر الأوَّل. جاء في «العين»: «العَوْدُ: تَنْبِيْهُ الأَمْرِ عَوْدًا بَعْدَ بَدْءٍ، بَدَأَ ثُمَّ عَادَ... والعَادَةُ: الدُّرْبَةُ فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ أَنْ يَتِمَادَى فِي الأَمْرِ حَتَّى يَصِيرَ لَهُ سَجِيَّةٌ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ المَوَاطِبِ فِي الأَمْرِ: مُعَاوِدٌ»^(٢).

١. الحج: ٢١.

٢. العين: ١/ ١٣٠. وينظر: المحيط في اللغة: ١/ ١١٥.

والعَوْدُ: مصدر عاد يعود عَوْدًا، أَي: رَجَعَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: رَجَعَ فلانٌ عَوْدَهُ على بَدْتِهِ. ويُقال: عاد إليه يَعُودُ عَوْدَةً وَعَوْدًا: رَجَعَ والمَعَاوَدَةُ: الرَّجُوعُ إلى الأمرِ الأوَّلِ. يُقال: الشُّجاعُ مُعَاوِدٌ؛ لأنَّه لا يَمَلُّ المراسِ. وعَاوَدْتُهُ الحُمَّى. وعَاوَدَهُ بالمسألةِ، أَي: سأله مرَّةً بعد أُخرى^(١).

وورد هذا الفعل «يعود» مرَّةً واحدةً في الخطبة مطابِقاً لدالته اللُّغوية، وهو سابع الأفعال الأَحد عشر، الَّتِي أوردَها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان المعدَّب الَّذِي ورد جهنَّم؛ إذ قال (عليه السلام): «فَطَلَّ يُعَدَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ، يَضْرِبُهُ زَيْبَتُهُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ». أَي: أَنَّ عَمَلِيَّةَ سَلْخِ جِلْدِ ذَلِكَ الإنسانِ مُتَكَرِّرَةٌ، وَكَلَّمَا انْسَلَخَ جِلْدَهُ، وَنَضِجَ جِلْدَ جَدِيدٍ، سُلِخَ مرَّةً أُخرى، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - .

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ» فيه تضمين لقوله - تبارك وتعالى - : (كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا)^(٢). وغير خافٍ على اللُّبِّيبِ أَنَّهُ (عليه السلام) لو استعمل قوله تعالى: (كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا)، لكان قد فَوَّتَ الفَائِدَةَ مِنْ إيرادِ الخطبة، وَهِيَ خَلُوهَا مِنَ الأَلْفِ.

و«يعود» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ على آخره، و«جلده» فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ على آخره، والهَاءُ ضمير

١. ينظر: جهمرة اللغة: ٣٥٧/١، وتهذيب اللغة: ٣٤٨/١ و٣٥٠، ومعجم مقاييس اللغة: ١٤٨/٤،
والصحاح في اللغة: ٤٤/٢، والمحکم والمحيط الأعظم: ٣١٧/١، ولسان العرب: ٣/٣١٥، والمصباح
النير: ٤٢٥/٦، والقاموس المحيط: ٣٠٢/١، وتاج العروس: ٢١٤٤-٢١٥٣.

متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائِدٌ الى «مَن جذبت نفسه»، و«بعد» ظرف زمان مبنيٌّ على الفتح، وهو مضاف، و«نضجه» مضاف إليه مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائِدٌ الى «جلده»، والظَّرْف متعلِّق بالفعل «يعود»، و«من» حرف جرٍّ، و«جديد» اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهرة على آخره، والجائزُ والمجرور متعلِّقان بالفعل «يعود». وجملة «ويَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نَضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ» معطوفة على جملة «يَضْرِبُهُ زَيْتُهُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ».

* * *

يَسْتَغِيثُ

تدلُّ مادَّة «يستغيث» في اللُّغة على طلب الفرج، والعون، والنُّصرة، والتَّخْلِيس من الشُّدَّة والنَّقْمَة. جاء في (تهذيب اللُّغة): «والغياثُ: مَا أَغَاثَكَ اللهُ بِهِ، وَيَقُولُ الْوَاقِعُ فِي بَلِيَّةٍ: أَغْثِنِي: أَيُّ: فَرَّجَ عَنِّي، وَتَقُولُ: ضَرَبَ فُلَانٌ فَعَوَّثَ تَغْوِيثًا: أَيُّ: قَالَ: وَاعْوِثَاهُ... وَيُقَالُ: اسْتَغْنَتْ فُلَانًا فَمَا كَانَ لِي عِنْدَهُ مَعْوِثَةٌ وَلَا عَوِثٌ»^(١).

وقال ابن فارس: «الغين والواو والثاء كلمةٌ واحدة، وهي الغوث من الإغاثة، وهي الإغاثة والنُّصرة عند الشُّدَّة»^(٢).

ويُقال: عَوَّثَ الرَّجُلُ: قَالَ واعْوِثَاهُ. والاسمُ الْعَوِثُ وَالْعَوَاثُ وَالْعَوَاثُ. واستغاثني فلانٌ فَأَغْثَيْتُهُ إِغَاثَةً وَمَعْوِثَةً^(٣).

١. تهذيب اللُّغة ٣/ ٩٥. وينظر: العين: ١/ ٣٦١.

٢. معجم مقاييس اللُّغة ٤/ ٣٢٢.

٣. ينظر: الصحاح تاج اللُّغة وصحاح ٢/ ٢٧، والمخصص: ١/ ١٧٤، والقاموس المحيط: ١/ ١٦٢.

والغوثُ يُقال في النُّصرة. واستغثته: طلبت الغوث، فأغاثني من الغوث، وعَوَّثْتُ من الغوث^(١). ومن الإغاثة بمعنى الإغاثة أغثنا^(٢).

والاستغاثة: طلب الغوث، وهو التَّخْلِيس من الشَّدَّة والنَّقْمَة، والعون على الفكك من الشَّدائد، وَيَقُول المَضْطَّرُّ الوَاقِعُ فِي بَلِيَّةٍ: أَغْثِنِي، أَي: فَرِّجْ عَنِّي^(٣).

وتطابقت دلالة الفعل «يستغيث» في الخطبة مع دلالة اللُّغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرَّةً واحدةً، وهو ثامن الأفعال الأحد عشر، التي أوردها (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان الذي ورد جهنم، إذ قال (عليه السلام): «فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ، يَضْرِبُهُ زَبِيئَتُهُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ، يَسْتَغِيثُ فَتَعْرُضُ عَنْهُ خَزَنَةٌ جَهَنَّمَ». أَي: أَنَّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ الْمَعَذَّبَ نَتِيجَةَ وِرْوَدِهِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابُهُ فِيهَا مِنْ شَرِبِ الْحَمِيمِ، وَشَوِي الْوَجْهَ، وَسَلَخِ الْجِلْدَ، وَالضَّرْبِ بِعَمُودٍ مِنْ نَارٍ، يَطْلُبُ الْعَوْنَ، وَالنُّصْرَةَ، وَالْفَرَجَ، وَالتَّخْلِيسَ مِنْ هَذِهِ الشَّدَائِدِ وَالتَّقَاتِ، غَيْرَ أَنَّ الْجَوَابَ يَأْتِي فِي الْفِعْلِ بَعْدَهُ «فَتَعْرُضُ عَنْهُ خَزَنَةٌ جَهَنَّمَ».

و«يستغيث» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظَّاهِرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره (هو)، عائد إلى «مَن جذبت نفسه».

..... * * *

١. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٦١٧.

٢. ينظر: لسان العرب: ١٧٥/٢.

٣. تاج العروس ١/١٢٨٦.

يَسْتَصْرِخُ

تدلُّ مادَّةُ «يستصرخ» في اللُّغة على الإغاثة. جاء في «العين»: «الصَّرْخَةُ: صيحة شديدة عند فزعةٍ أو مصيبة. والصَّرِيخُ: الَّذِي يَأْتِي قوماً يستغيث بهم عند غارةٍ، أو ينعي لهم ميتاً. والمُسْتَصْرِخُ: المستغيث. والمُصْرِخُ: المغيث. والاضْطِرَّاحُ: التَّصَارُخُ»^(١).

وقال الجوهريُّ: «الصُّرَاخُ: الصَّوْت. تقول: صَرَخَ صَرْخَةً واضْطَرَخَ، بمعنى. والتَّصْرُخُ: تكلُّف الصُّرَاخ... والمُسْتَصْرِخُ: المُسْتغيث. تقول منه: اسْتَصْرَحْنِي فَأَصْرَحْتَهُ. والصَّرِيخُ: صوت المستصرخ»^(٢).

والصَّرْخَةُ: الصَّيْحَةُ الشَّديْدَةُ عِنْدَ الفَزَعِ. وقيل: هُوَ الصَّوْتُ الشَّديْدُ مَا كَانَ، صَرَخَ يَصْرُخُ صُرَاخاً، واضطرخ القوم، وتصارخوا، واستصرخوا: استغاثوا^(٣).
وصَرَخَ يَصْرُخُ من باب قتل صُرَاخاً، فهو صَارِخٌ وصَرِيخٌ إذا صاح، وصَرَخَ فهو صَارِخٌ، إذا استغاث، واستصْرَحْتَهُ فَأَصْرَحْتَنِي، استغثت به فأغاثني، فهو صَرِيخٌ، أي: مُغيث^(٤).

وبهذا المعنى جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) بالفعل «يستصرخ» في الخطبة مرَّةً واحدةً، وهو عاشر الأفعال الأحد عشر، التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان المعذب، الَّذِي ورد جهنم، إذ قال (عليه السلام): «فَطَلَّ

١. العين: ٣٠٤/١. وينظر: جمهرة اللغة: ٣٠٧/١، والمحيط في اللغة: ٣٤٦/١، والمخصَّص: ١٧٤/١.

٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/٤٢٦). وينظر: تهذيب اللغة: ٢/٤٣٣.

٣. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٢/٢٩٤.

٤. ينظر: المصباح المنير ٥/١٩٤. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٢٧٣، وأساس البلاغة: ١/٢٥٩، ولسان العرب: ٣/٣٣، وتاج العروس: ١/١٨٢٤ و١٨٢٥.

يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ، يَضْرِبُهُ زَبِيَّتُهُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ، يَسْتَعِيثُ فَتَعْرُضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، وَيَسْتَصْرِخُ».

وقد نصَّ العلماء على أنَّ لصيغة «استفعل» التي جاءت على زنتها الفعل «يستصرخ» معاني، منها الطَّلَب، وهو أشهرها^(١)، فذلك الإنسان المَعْدَّب يطلب الإغاثة من هذه العذابات والنقعات المتقدمة.

و«يستصرخ» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمَّة الظَّاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره (هو)، عائد الى «مَنْ جذبت نفسه»، وجملة «ويستصرخ» معطوفة على جملة «فتعرض عنه خزنة جهنم».

* * *

يَلْبِثُ

تدلُّ مادَّة «يلبث» في اللُّغة على الإقامة بالمكان مع الملازمة له. فاللَّبِثُ: المُكْثُ، وَلَبِثَ لَبِثًا^(٢). وَلَبِثَ بِالْمَكَانِ يَلْبِثُ لَبِثًا وَلَبِثًا وَلَبِثًا، وَهُوَ لَابِثٌ^(٣).

وقال ابن فارس: (اللام والباء والثاء حرف يدلُّ على تمكُّث. يُقال: لَبِثَ

١. ينظر: الفعل (نستعينه) من الكتاب.

٢. ينظر: العين: ١٦٢/٢، وتهذيب اللغة: ٩٥/٥، والصحاح في اللغة: ١٣١/٢، والمحيط في اللغة: ٤١٢/٢، والمخصَّص: ٤٧٨/٢، وأساس البلاغة: ٤١٦/١، ولسان العرب: ١٨١/٢، والمصباح المنير: ٢٠٦/٨، والقاموس المحيط: ١٦٤/١، وتاج العروس: ١٢٩٨/١.

٣. ينظر: جمهرة اللغة: ١٠٤/١.

بالمكان: أقام. قال الله تعالى: (لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) (١)... (٢).

وقال الرَّاعِبُ: «لَبِثَ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ مَلَاذِمًا لَهُ» (٣).

وورد هذا الفعل «يلبث» مطابقاً دلالاته اللغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدةً، وهو حادي عشر الأفعال الأحد عشر، التي أوردتها أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان حال ذلك الإنسان المعذب الذي ورد جهنم، إذ قال (عليه السلام): «فَطَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ، يَضْرِبُهُ زَيْتُهُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ، يَسْتَعِيثُ فَتَعْرُضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، وَيَسْتَصْرِخُ فَيَلْبِثُ حُقْبَةً بِنَدَمٍ». فلبث ذلك الإنسان المعذب، الذي طلب الاستغاثة، والعون، والنصرة، والخلاص من العذابات والنقبات، إلا أن خزنة جهنم تعرض عنه، فلبث مستغيثاً مدة من الزمن لم يُسمّها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو بذلك يضمن قوله - تبارك وتعالى - (لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا) (٤). ولعلّ من نافلة القول أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يقل: «أحقاباً»، بل قال: «حقة»؛ لكي لا تفوت الفائدة من إيراد خطبته (عليه السلام)، وهي خلؤها من الألف.

واختلف اللغويون في تحديد «الحقة» من الزمن. إذ قال الأزهري: «... الحقة: زمانٌ من الدهر لا وقت له، والحقب: ثمّانون سنة والجمع أحقابٌ.... الحقب

١. يونس: ٤٥، والأحقاب: ٣٥.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٥ / ١٨٤.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٧٣٣ و٧٣٤.

٤. النبأ: ٢٣.

السُّنُونُ، واحدها حِقْبَةٌ، والحُقْبُ: ثَمَانُونَ سَنَةً^(١).

وقال ابن فارس: «الحاء والقاف والباء أصل واحد، وهو يدلُّ على الحُبْس... فأما الزَّمان فهو حِقْبَةٌ والجمع حِقَبٌ. والحُقْبُ ثمانون عاماً، والجمع أحقاب؛ وذلك لما يجتمع فيه من السنين والشهور»^(٢).

وقال الجوهرى: «الحُقْبُ بالضمِّ: ثَمَانُونَ سَنَةً. ويُقال أكثر من ذلك، والجمع حِقَابٌ، والحِقْبَةُ بالكسر: واحدة الحِقَب وهي السُّنُونُ. والحُقْبُ: الدَّهْرُ. والأحقاب: الدُّهُورُ، ومنه قوله تعالى: (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)^(٣)»^(٤).

وقال ابن منظور: «والحِقْبَةُ مِنَ الدَّهْرِ: مُدَّةٌ لَا وَقْتَ لَهَا. والحِقْبَةُ بالكسر: السَّنَةُ، وَالْجَمْعُ حِقَبٌ وَحُقُوبٌ كحليَّةٍ وحليٍّ. والحُقْبُ: ثَمَانُونَ سَنَةً، وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَجَمْعُ الحُقْبِ حِقَابٌ، مِثْلُ قُفٍّ وَقِفَافٍ، وَحَكَى الأزهريُّ فِي الجَمْعِ أَحْقَاباً. والحُقْبُ: الدَّهْرُ، والأحقاب: الدُّهُورُ؛ وَقِيلَ: الحُقْبُ السَّنَةُ، عَن ثَعْلَبٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ خَصَّصَ بِهِ لُغَةً قَيْسٍ خَاصَّةً»^(٥).

و«فيلبث» الفاء: حرف عطف، و«يلبث» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره (هو)، عائد الى «مَنْ جذبت نفسه»، و«حقبَةً» مفعول فيه ظرف زمان مبني منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، و«بندم» الباء: حرف جرٍّ، و«ندم» اسم مجرور، وعلامة

١. تهذيب اللغة: ١/ ٤٦٣.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٧١.

٣. الكهف: ٦٠.

٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١/ ١٣٩.

٥. لسان العرب ١/ ٣٢٤. وينظر: تاج العروس: ١/ ٤٢٤.

جرَّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل «يلبث». وجملة «فيلبث حقبةً بندم» معطوفة على جملة «ويستصرخ».

ومن قمين القول إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أورد الأفعال: «يُعذَّبُ، يُسقى، تشوي، تَسْلَخُ، يضربه، يَعُودُ، يستغيث، يستصرخ، يلبث» بلفظ المضارع؛ لما فيه من دلالة على الحركة والتجدُّد، وعدم الثُّبوت^(١)، وهو ما يناسب معاني هذه الأفعال، فذلك الإنسان الذي ورد جهنم «يُعذَّبُ»، أي: أنَّ عملية العذاب مستمرة، ومتجدِّدة، وذلك الإنسان في حال عذاب دائم، وفي حال عذابه الدائم «يُسقى» من شراب أهل النَّار، فإذا وصلت تلك الشربة من الحميم الى وجهه، أو قرَّبها منه؛ لِيُسقى «تشوي» وجهه، أي: تحرق وجهه، وينضج، فهذه الحال مستمرة بدلالة أنَّ جلده يكشط، وينزع، ويخلع «تسلخ جلده»، و«يضربه» ملك شديد غليظ بعمود من نار أو خشبة، وهذا الضرب مستمر؛ ولذا قال «يضربه» بلفظ المضارع، و«يعود جلده بعد نضجه بجلد جديد»، فعملية سلخ جلد ذلك الإنسان متكرِّرة، وكلَّما انسلخ جلده، ونضج جلد جديد، سُلِخَ مرَّةً أُخرى، وهكذا دواليك، وهو ما تؤدِّيه زنة الفعل المضارع الدالَّة على التَّجدُّد والتَّكرار، ف«يستغيث»، أي: يطلب الفرج، والعون، والنُّصرة، والتَّخليص من تلك الشدائد والنِّفحات مرَّةً بعد أُخرى، ف«تُعرض عنه خزنة جهنم»، ويطلب الاستغاثة مراراً وتكراراً، يَبْدُ أَنَّهُ «يلبث»، أي: يقيم حقبة بندم على كُلِّ ما فعل، وهذا اللَّبث مستمرُّ مدَّة من الزَّمن؛ ولذا جاء به بلفظ المضارع. فهذه الأفعال «يُعذَّبُ، يُسقى، تشوي، تَسْلَخُ، يضربه، يَعُودُ، يستغيث، يستصرخ، يلبث» جاءت كُلُّها بلفظ المضارع مناسبةً لمعانيها.

..... * * *

١. ينظر: الفعل (نستعينه) من الكتاب.

نَعُوذُ، عُدْتُ

تدلُّ مادَّة «نعوذ» أو «عدت» في اللُّغة على اللُّجوء إلى الآخر، والاعتصام به، والتعلُّق به. قال ابن دريد: «عُدْتُ بالشيء أعوذُ عَوِذاً وِعِياداً، إذا لجأت إليه... وَيُقَال: عَوِذُ فُلَانٌ فُلَانًا، إِذَا رَفَاهُ كَأَنَّهُ أَجَاهُهُ إِلَى الرُّقِيَةِ الَّتِي يَعُوذُ بِهَا مِنَ الشَّرِّ وَمِمَّا يَخَافُ»^(١).

ويُقَال: عَادَ فُلَانٌ رَبَّهُ يَعُوذُ عَوِذاً إِذَا لَجَأَ إِلَيْهِ وَاعْتَصَمَ بِهِ، وَعَادَ وَتَعَوَّذَ وَاسْتَعَادَ بِمَعْنَى . وَالْعَوِذَةُ وَالْمَعَادَةُ: الرُّقِيَةُ يَرْقِي بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ فَرَعٍ أَوْ جُنُونٍ؛ لِأَنَّهُ يُعَادُ بِهَا، وَقَدْ عَوِذَهُ، وَالْعَوِذُ: مَا عِيذُ بِهِ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْرِهِ. وَالْعَوِذُ بِالتَّحْرِيكِ: الْمَلْجَأُ. يُقَال: فُلَانٌ عَوِذُ لَكَ، أَي: مَلْجَأٌ، وَالْمَعَادُ: الْمَصْدَرُ وَالزَّمَانُ وَالْمَكَانُ، أَي: قَدْ لَجَأْتُ إِلَى مَلْجَأٍ وَلُدْتُ بِمَلَاذٍ، وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَعَادُ مَنْ عَادَ بِهِ، وَهُوَ عِيَاذِي، أَي: مَلْجِئِي^(٢).

وقال الجوهري: «عُدْتُ بفلانٍ واستعدتُ به، أَي: لجأتُ إليه. وهو عيادي، أَي ملجئِي. وأعدتُ غيري به وعوذتُه به معنى. وقولهم معاذ الله، أَي: أعوذُ بالله معاذاً»^(٣).

وقال الرَّاغِبُ: «العَوِذُ: الالتجاء إلى الغير والتعلُّق به. يُقَال: عَادَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ... وَالْعَوِذَةُ: مَا يُعَادُ بِهِ مِنَ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلتَّمِيمَةِ وَالرُّقِيَةِ: عَوِذَةٌ،

١. جهمرة اللغة ١/ ٣٧٨. وينظر: العين: ١/ ١٣٣، والمحيط في اللغة: ١/ ١١٦، وأساس البلاغة: ١/ ٣٢٥.

٢. ينظر: تهذيب اللغة: ١/ ٣٥٧، والمحكم والمحيط الأعظم: ١/ ٣٢٣، وتاج العروس: ١/ ٢٤٠٦-٢٤١٠.

٣. الصحاح في اللغة: ٢/ ٤. وينظر: المخصّص: ٣/ ١٠٠، ولسان العرب: ٣/ ٤٩٨، والقاموس المحيط: ١/ ٣٤٠.

وَعَوَّدَهُ: إِذَا وَقَاهُ»^(١).

وجاء في تعريف «الاستعاذة» أَنَّهَا: «حالة نفسية، قوامها الخشية من الخطر، والثقة بمن يُستعاذ به، وهي إلى ذلك ممارسة عملية بابتغاء مرضاة مَنْ نستعِذُ به»^(٢).

وبهذا المعنى ورد هذا الفعل مرّتين في الخطبة، جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) في المرّة الأولى مضارعاً بصيغة الجمع - أَي: أَنَّهُ مبدؤ بالتّون في أوّله، ومسنّد إلى جماعة المتكلّمين - مع أَنَّ المتكلّم واحد، إذ قال (عليه السلام): «فَطَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شُرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ، يَضْرِبُهُ رَبِيبَتُهُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُوذُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ، يَسْتَعِيثُ فَتَعْرِضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، وَيَسْتَضْرِحُ فَيَلْبَثُ حَقْبَةً بِنَدَمٍ، نَعُوذُ بِرَبِّ قَدِيرٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مَصِيرٍ».

وأحسب أَنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إِنَّمَا جاء بالفعل بصيغة الجمع «نعوذ» لسببين:

الأوّل: إِنَّ هذا الفعل بصيغة الجمع يتناسب ومعناه؛ تعظيماً لهذا الأمر من طلب اللّجوء الى الله، والاعتصام به، والتعلّق به.

الثّاني: ليتناسب ومعاني الأفعال السّابقة «يُعَذَّبُ... يلبث»؛ وليتناسب وحال ذلك الإنسان في تلك الأفعال من وروده جهنّم إلى عذابه فيها بأنواع العذاب، ولبثه حقبةً من الزّمن بندم.

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٩٤ و ٥٩٥.

٢. من هدي القرآن: ١٨ / ٤٥٧.

وأحسب أنه (عليه السلام) جاء بالفعل «نعوذ» بلفظ المضارع؛ ليتناسب والأفعال السابقة «يُعذَّب... يلبث»؛ كونها أفعالاً مضارعة، ف«يُعذَّب... يلبث» كلها أفعال متكررة، وعذابات متكررة ومتجددة، ولا بد من أنها تحتاج الى اعتصام بالله متكرراً، ولجأ وتعلّق متكررين - بطبيعة الحال - .

وجدير بالذكر - أيضاً - أنه (عليه السلام) استعمل مع هذا الفعل «نعوذ» اسماً من أسماء الله الحسنى، وهو «قدير»؛ ليتناسب وحال ذلك الإنسان في تلك النقعات والشدائد، فإنه يحتاج إلى ربّ قدير؛ لكي يُخلصه من كلّ شدة ونقمة بانته في تلك الأفعال «ظلّ... يلبث».

و«نعوذ» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره (نحن)، عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، و«بربّ» الباء: حرف جرّ، و«ربّ» اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل «نعوذ»، و«قدير» صفة لـ«ربّ» مجرورة وعلامة جرّها الكسرة الظاهرة على آخرها.

أمّا في المرّة الثانية، فقد جاء به - أي: بالفعل - أمير المؤمنين (عليه السلام) بلفظ الماضي «عذت»، خاتماً به الخطبة، إذ قال (عليه السلام): «عذت برّب رحيم، من شرّ كلّ رحيم».

واللافت للنظر - مع هذا الفعل «عذت» - أمران :-

الأوّل: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء به بلفظ الماضي؛ لما في المضي من دلالة على الثبوت والنفاذ^(١)، وهو ما يناسب حال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهاية خطبته، وكذا حال أيّ إنسان في نهاية حياته، أي: أنه من الثابت عودي

١. ينظر: الفعل (حمدت) من الكتاب.

ولجأى واعتصامي بالله - عَزَّ وَجَلَّ - في نهاية أموري كلها.

الثاني: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل مع الفعل «عُدْتُ» اسماً من أسماء الله الحسنى، وهو «رحيم»؛ مجانسةً مع ما بعده من ذكر الشيطان الرجيم، إذ قال (عليه السلام): «عُدْتُ بِرَبِّ رَحِيمٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ رَجِيمٍ»، هذا أولاً؛ وثانياً: لأنَّ الإنسان، أيَّ إنسان، سواء أكان صالحاً أم طالحاً يحتاج إلى رحمة الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وبها ينجو كلُّ إنسان، ويحيا حياةً طيبةً.

و«عُدْتُ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على السُّكون؛ لاتِّصاله بضمير رفع متحرِّك (التاء)، والتَّاء: ضمير متَّصل مبنيٌّ في محلِّ رفع فاعل، عائد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، و«بِرب» الباء: حرف جرٍّ، و«رَبِّ» اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل «عُدْتُ»، و«رحيم» صفة لـ«رَبِّ» مجرورة، وعلامة جرِّها الكسرة الظَّاهرة على آخرها.

نَسْأَلُهُ

تدلُّ مادَّة «نَسْأَلُهُ» في اللُّغة على الطَّلَب، وفَقْرِ السَّائِلِ. جاء في «العين»: «سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤْلاً وَمَسْأَلَةً. وَالْعَرَبُ قَاطِبَةٌ تَحْدِفُ هَمْزَةَ سَلٍ، فَإِذَا وُصِلَتْ بِفَاءٍ أَوْ وَاوٍ هُمِرَتْ، كَقَوْلِكَ: فَاسْأَلْ، وَاسْأَلْ. وَجَمْعُ الْمَسْأَلَةِ: مَسَائِلٌ، فَإِذَا حَذَفُوا الْهَمْزَةَ، قَالُوا: مَسَلَةٌ. وَالْفَقِيرُ يُسَمَّى: سَائِلاً»^(١).

وقال الجوهري: «السُّؤْلُ: ما يسأله الإنسان... وسأَلْتُهُ الشَّيْءَ وسأَلْتُهُ عَنْ

١. العين: ٧٣/٢. وينظر: تهذيب اللغة: ٣٢٠/٤، والمحيط في اللغة: ٢٧٦/٢، وأساس البلاغة:

الشيء سؤالاً ومسألةً... وقد تُخَفَّفُ همزته فيقال: سألَ يسأل... والأمر منه سألَ بحركة الحرف الثاني من المستقبل، ومن الأول: أسأل. ورَجُلٌ سُؤْلَةٌ: كثيرُ السُّؤال. وتساءلوا، أي: سأل بعضهم بعضاً. وأسألته سُؤْلَتَهُ ومَسألته، أي: قضيتُ حاجته»^(١).

ويقال: سألت الله العافية طلبتها سُؤْلاً ومَسْأَلَةً، وجمعها مسائل بالهمز، وسألته عن كذا استعملته^(٢).

وتطابقت دلالة الفعل «نساله» في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدةً، يسأل بها الله - تبارك وتعالى - التّجاوز عن الذنوب ومحوها، وترك العقابِ عليها، إذ قال (عليه السلام): «نَعُوذُ بِرَبِّ قَدِيرٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مَصِيرٍ، وَنَسْأَلُهُ عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ».

ويبدو أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل الفعل «نساله» بزنة المضارع لتناسب هذه الصيغة، التي تدلُّ على الحركة والتّجدد مع معنى الفعل نفسه، فالسائل يحتاج الى تكرار سؤاله وطلبه؛ لكي يُحقّق الإجابة.

واستعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) الفعل «نساله» بصيغة الجمع؛ ليتناسب ومعنى الفعل نفسه، تعظيماً للمطلوب، والمطلوب منه، مع أنّ المتكلّم - الطالب - واحد.

و«نساله» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره (هو)، يعود الى أمير المؤمنين (عليه السلام)،

١. الصحاح في اللغة: ٢٩٨/١. وينظر: القاموس المحيط: ١٠٨/٣.

٢. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٩٥/٣، ولسان العرب: ٣١٨/١١، والمصباح المنير: ٣٨٧/٤، وتاج العروس: ٧١٥٠/١ و٧١٥١.

والهاء ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به أوّل، و«عَفَوَ» مفعول به ثانٍ منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخر، وهو مضاف، و«مَنْ» اسم موصول مبني على السكون في محل جرّ بالإضافة. وجملة «وَسَأَلَهُ عَفَوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ» معطوفة على جملة «نَعُوذُ بِرَبِّ قَدِيرٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مُصِيرٍ».

رَضِيَ

مادة «رضي» في اللغة نقيض السخط. جاء في «العين»: «يقال في لغة: رَجُلٌ مَرُضُوٌّ عنه؛ لأنَّ الرِّضَا في الأصل من بنات الواو، وشاهدُه الرِّضْوَانُ، وهو اسم موضوعٌ من الرِّضَا، قال تعالى: (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ)^(١). والرِّضَا، مقصورٌ، والمرأضةُ من اثنتين^(٢)».

وقال ابن فارس: «الرَّاءُ والضَّادُ والحرفُ المعتلُّ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خلاف السُّخْطِ. تقول رَضِيَ يَرْضِي رَضِيًّا. وهو راضٍ^(٣)».

والرِّضْوَانُ: الرِّضَا، وكذلك الرِّضْوَانُ بِالضَّمِّ. والمرْضَاةُ مثله. ورَضِيْتُ الشَّيْءَ وأرْتَضَيْتُهُ فهو مَرْضِيٌّ، وقد قالوا: مَرُضُوٌّ فجاءوا به على الأصل والقياس. ورَضِيْتُ عنه رِضًا مقصورٌ، وهو مصدرٌ محضٌ، والاسم الرِّضَاءُ ممدود... ويُقال: رَضِيْتُ به صاحباً. ورُبَّمَا قالوا: رَضِيْتُ عليه، بمعنى رَضِيْتُ به وعنه. وأرَضَيْتُهُ عَنِّي ورَضَيْتُهُ بالتشديد أيضاً، فرَضِي. وترَضَيْتُهُ: أرَضَيْتُهُ بعد جهدٍ. واسترَضَيْتُهُ

١. الحديد: ٢٧.

٢. العين: ٢/٢٥. وينظر: المحيط في اللغة: ٢/٢٠٣.

٣. معجم مقاييس اللغة: ٢/٣٣٠.

فأرضاني^(١).

وقال الرَّاعِب: «رَضِيَ يَرْضَى رِضًا، فهو مَرْضِيٌّ ومَرْضُوءٌ. وِرِضًا العبد عن الله: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، وِرِضًا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره، ومتبهماً عن نبيه، قال الله تعالى: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)»^(٢)»^(٣).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «رضي» مرةً واحدةً في الخطبة، إذ قال (عليه السلام): «وَسَأَلَهُ عَفْوٌ مِّن رَضِي عَنْهُ».

ولعلَّ في كلام ابن الأثير الآتي، الَّذِي نقله ابن منظور في (لسان العرب) تبييناً لسبب بدء أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمعافاة ثُمَّ بِالرِّضَا؛ إذ قال: «إِنَّمَا ابْتَدَأَ بِالْمُعَافَاةِ مِنَ الْعُقُوبَةِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ كَالِإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ وَالرِّضَا، وَالسَّخَطُ مِنْ صِفَاتِ الْقُلُوبِ، وَصِفَاتُ الْأَفْعَالِ أَدْنَى مَرْتَبَةً مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، فَبَدَأَ بِالْأَدْنَى مُتَرَقِّياً إِلَى الْأَعْلَى...»^(٤).

و«رضي» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه، عائِدٌ إلى الله – تبارك وتعالى –، و«عنه» عن: حرف جرٍّ، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل «رضي». وجملة «رضي عنه» صلة الموصول لا محلَّ لها من الإعراب.

١. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢٥٧/١.

٢. المائدة: ١١٩.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٣٥٦.

٤. ينظر: .

قَبَلٌ

جاء في (العين): «والقَبُولُ: أن تقبل العفو والعافية... والتَّقبُّلُ: القَبُولُ، يُقال: تقبَّلَ اللهُ منك عملك، وتقبَّلْتُ فلاناً من فلان بقبولٍ حَسَنٍ»^(١).

ويُقال: قبل الشَّيء قُبُولاً وقَبُولاً، وتقبَّلَه، كلاهما: أخذه. وقبل الهبة، وقَبِلَ منه النَّصْح. وقبل اللهُ من عبده التَّوبَةَ، وهو الَّذي يقبل التَّوبَةَ عن عباده^(٢).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «قبل» مرَّةً واحدةً في الخطبة؛ إذ قال (عليه السلام): «وَنَسَأَلُهُ عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ، وَمَغْفَرَةَ مَنْ قَبِلَ مِنْهُ»؛ لأنَّ اللهُ - تبارك وتعالى - «وَلِيُّ مَسْأَلَتِي، وَمُنْجِحُ طَلِبَتِي».

و«مغفرة» معطوف على قوله: «عفو» منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و«مَنْ» اسم موصول مبنيٌّ على السُّكُونِ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، و«قَبِلَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره (هو) عائد إلى اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، و«مِنْهُ» من: حرف جرٍّ، والهاء ضمير متَّصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل (قَبِلَ)، وجملة «قبل منه» جملة صلة الموصول، لا محلَّ لها من الإعراب.

وجدير بالذكر أنَّ أبا هلالٍ العسكريِّ فرَّق بين (العفو)، و(العافية)، و(المعافاة) بقوله: «قيل: الأوَّل هو التَّجاوز عن الذُّنوب ومحوها. الثَّاني: دفاع اللهُ - سبحانه - الأَسقام والبلايا عن العبد. وهو اسم من عافاه اللهُ وأَعفاه، وُضِعَ موضع المصدر. الثَّالث: أن يعافيك اللهُ عن النَّاس ويعافِيهم عنك، أي: يغنيك عنهم ويغنيهم

١. العين: ١/ ٤٠٢. وينظر: تهذيب اللغة: ٣/ ٢٢٩ و ٢٣٠، والمحيط في اللغة: ١/ ٤٨١ و ٤٨٢.

٢. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ٦٠ و ٦١، وأساس البلاغة: ١/ ٣٦٤.

عنك، ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم»^(١).

وفرق بين (العفو)، و(المغفرة) بقوله: إنَّ (العفو): ترك العقاب على الذنب، والمغفرة: تغطية الذنب بإيجاب المثوبة؛ ولذلك كثرت المغفرة من صفات الله تعالى دون صفات العباد، فلا يُقال: أَسْتَغْفِرُ السُّلْطَانَ كما يُقال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. وقيل: العفو: إسقاط العذاب. والمغفرة أن يستر عليك بعد ذلك جرمه صوناً له عن عذاب الخزي والفضيحة؛ فإنَّ الخلاص من عذاب النَّار إنَّما يطلب إذا حصل عقبه الخلاص من عذاب الفضيحة. فالعفو: إسقاط العذاب الجسماني. والمغفرة: إسقاط العذاب الروحاني^(٢).

..... * * *

زُحْرَحَ

تدلُّ مادَّة «زحرح» في اللُّغة على البعد، والتَّنجية، والدَّفْع، والجذب في عجلة، والسَّوق الشَّدِيد. جاء في (تهذيب اللُّغة): «قال الله جلَّ وعزَّ: (فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ)^(٣)»، قال بعضهم: زُحْرِحَ، أي: نُحِّيَ وبُعِدَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا مُكْرَّرٌ مِنْ بَابِ الْمَعْتَلِّ. وَأَصْلُهُ مِنْ زاح يزيح إذا تَأَخَّرَ... وَمِنْهُ يُقال: زاحت عِلَّتُهُ وَأزاحتها. وقيل: هُوَ مأخوذ من الزَّوْح، وَهُوَ السَّوْقُ الشَّدِيد. وَكَذَلِكَ الدَّوْح. وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ يُقال زَحَّه يَزْحُهُ إذا دَفَعَهُ، وَكَذَلِكَ زَحْرَحَهُ^(٤).

١. الفروق اللغوية: ١/ ٣٦٣.

٢. المصدر نفسه: ١/ ٣٦٣.

٣. آل عمران: ١٨٥.

٤. تهذيب اللُّغة ١/ ٤٣٠. وينظر: جمهرة اللُّغة: ١/ ٦٨، وأساس البلاغة: ١/ ١٥٩.

ويقال: زحزحته عن كذا، أي: باعدته منه، فتزحزح، أي: تنحى. وتقول: هو بزحزح عن ذلك، أي: ببعد منه^(١).

وقال ابن منظور: «قال الله تعالى: (مَنْ^(٢) زُحِزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)^(٣)، أي: نُحِّيَ وَبُعِدَ. وَزَحَّ الشَّيْءُ يَزُحُّهُ زَحًّا: جَذَبَهُ فِي عَجَلَةٍ. وَزَحَّهُ يَزُحُّهُ زَحًّا، وَزَحَّزَحَهُ فَتَزَحَّزَحُ: دَفَعَهُ وَنَحَّاهُ عَنِ مَوْضِعِهِ فَتَنَحَّى وَبَاعَدَهُ مِنْهُ... وَيُقَالُ: هُوَ بَزَحَّزَحَ عَنِ ذَلِكَ، أَي: بِيُعَدُّ مِنْهُ... قَالَ بَعْضُهُمْ هَذَا مَكْرَرٌ مِنْ بَابِ الْمُعْتَلِّ، وَأَصْلُهُ مِنْ زَا حَ يَزِيحُ إِذَا تَأَخَّرَ... وَمِنْهُ يُقَالُ: زَا حَتْ عَلْتُهُ وَأَزَحْتُهَا، وَقِيلَ: هُوَ مَأْخُودٌ مِنَ الزَّوْحِ، وَهُوَ السَّوْقُ الشَّدِيدُ، وَكَذَلِكَ الدَّوْحُ»^(٤).

و«زُحِزِحَ» على زنة «فَعْلَلٌ». وقد اختلف في وزن هذه الكلمة وأمثالها من مثل «زلزل» و«دمدم» وغيرهما مما كان فاء الكلمة ولاهما الأولى من جنس واحد، وعين الكلمة ولاهما الثانية من جنس واحد، فَنَسِبَ لِلخَلِيلِ رَأْيَانُ، أَوْلَهُمَا: أَنَّ وَزْنَهَا هُوَ «فَعْفَعُ»، وَثَانِيَهُمَا: هُوَ إِنْ وَزْنَهَا «فَعْفَلٌ»، أَمَّا سَيَبُوبُهُ، فَيَرَى أَنَّ وَزْنَهَا «فَعْلَلٌ»^(٥)، وَذَهَبَ الْكُوفِيُّونَ، وَمِنْهُمْ الْفَرَّاءُ إِلَى أَنَّ وَزْنَهَا «فَعْلَلٌ»^(٦). وَرَأَى الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمَ السَّامِرَائِيَّ (أَنَّ بِنَاءَ هَذَا الْفِعْلِ الرُّبَاعِيُّ يَتَمُّ مِنْ ضَمِّ ثُنَائِيٍّ مُؤَلَّفٍ مِنْ حَرْفَيْنِ صَحِيحَيْنِ إِلَى مِثْلِهِ. فَالثَّنَائِيَّ فِي (زَلَزَلَ) هُوَ (زَلَّ). وَإِضَافَةُ الثَّنَائِيَّ إِلَى مِثْلِهِ

١. ينظر: الصحاح في اللغة: ١/ ٢٨٤.

٢. الصواب: (فَمَنْ).

٣. آل عمران: ١٨٥.

٤. لسان العرب: ٢/ ٤٦٨. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٤، وتاج العروس: ١/ ١٦١٣.

٥. ينظر: الدرر الصرفي عند الفراء: ١٥١.

٦. ينظر: الخصائص: ٢/ ٥٢، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٧٩٣-٧٩٤، واللباب في علل البناء والإعراب: ٢/ ٢٢٣، والدرر الصرفي عند الفراء: ١٥١.

تؤدي إلى معنى القوّة والزّيادة والمبالغة، وهذا هو الأصل في تسميته عند الصرّيين الأقدمين بـ(المضعّف)؛ وذلك أنّ التّضعيف عندهم يؤذن بهذه المبالغة المتحصّلة من ضمّ الثنائي إلى مثله^(١). فصيغة «فعلل» تدلّ على القوّة، والزّيادة، والمبالغة، وهو ما يتناسب ودلالة الكلمة «زحزح»؛ فهي تدلّ على البعد، والتّنحية، والدّفع، والجذب في عجلة، والسّوق الشّديد، فكلّ هذه المعاني تدلّ على القوّة، والزّيادة، والمبالغة.

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) الفعل «زحزح» مرّةً واحدةً في الخطبة، إذ قال (عليه السلام): «فَمَنْ زُحِزِحَ عَنْ تَعْدِيبِ رَبِّهِ، سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِدَ فِي قُصُورٍ مُشِيدَةٍ، وَمَلَكَ حُورَ عَيْنٍ وَحَفَدَةً، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، وَسَكَنَ حَضِيرَةَ فِرْدَوْسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَشَرِبَ مِنْ عَيْنٍ سَلْسِيلٍ، مَمْزُوجَةٍ بِزَنْجَبِيلٍ، مُحْتَوَمَةٌ بِمِسْكِ وَعَبِيرٍ، مُسْتَدِيمٌ لِلْحُبُورِ، مُسْتَشْعِرٌ لِلْسُرُورِ، يَشْرَبُ مِنْ حُمُورٍ، فِي رَوْضٍ مُغْدِفٍ، لَيْسَ يُصَدَّعُ مِنْ شُرْبِهِ وَلَيْسَ يَنْزِفُ»، أي: فَمَنْ بُعِدَ وَنُحِيَ، وَدُفِعَ عَنِ الْعَذَابِ، وَيَكُونُ هَذَا كُلُّهُ فِي عَجَلَةٍ، وَيُسَاقُ سَوَاقًا شَدِيدًا لِهَوْلِ الْمَوْقِفِ، وَهُوَ الْخِلَاصُ مِنَ النَّارِ، سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِدَ فِي قُصُورٍ مُشِيدَةٍ... وليس ينزف.

وتقدّم أنّ لحذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه أغراضاً لفظيّة، ومعنويّة^(٢)، ومنها: التّركيز على الحدث، فمن بين الأغراض المهمّة التي يُحذف من أجلها الفاعل هو كون الحدث ذا أهمّيّة كبيرة في المعنى الذي يقصد إليه المتكلّم بيانه، فتراه يعمد إلى إزالة ما يستجلب انتباه السّامع، ويجيد بذهنه عن التّوجّه والتّركيز في الحدث الذي يشكّل المحور في قصد المتكلّم، وهو ما عمد إليه أمير المؤمنين

١. الفعل زمانه وأبنيته: ١٩٥.

٢. ينظر: الفعل (جُذِبَتْ) من الكتاب.

(عليه السلام) في قوله: «فمن زحزح عن تعذيب ربّه»؛ فواضح مدى صعوبة الموقف والحدث الذي يودُّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بيانه، وهو البعد والتَّخِيَة عن عذاب الله، بصرف النَّظَرِ عن المَزْحَاحِ، أيّاً كان هو، سيِّداً، عبداً، شريفاً، وضيعاً، غنياً، فقيراً، عالماً، جاهلاً، رجلاً، امرأةً، صغيراً، كبيراً، كائناً مَنْ كان، فإنّه إن زُحِزِحَ عن تعذيب ربّه، فقد فاز بالسَّكَنِ في الجنَّة، إلخ.

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فمن زحزح عن تعذيب ربّه» فيه تضمين لقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (فَمَنْ زُحِزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)^(١)، ولم يقل أمير المؤمنين (عليه السلام): «زحزح عن النار»؛ لفوات الفائدة من الخطبة، وهي خلُّوها من الألف.

و«فَمَنْ» الفاء عاطفة، و«مَنْ» اسم شرط مبنيٌّ على السُّكُونِ في محلِّ رفع مبتدأ، و«زحزح» فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح (فعل الشرط)، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) عائد الى قوله «مَنْ»، و«عن» حرف جرٌّ، و«تعذيب» اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهِرة على آخره، وهو مضاف، و«ربّه» مضاف إليه مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهِرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متَّصِلٌ مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل «زحزح»، وجملة فعل الشرط وجوابه - زُحِزِحَ عن تعذيب ربّه، سكن في جنَّته بقربه - في محلِّ رفع خبر المبتدأ «مَنْ».

..... * * *

خُلِدَ

تدلُّ مادَّة «خلد» في اللُّغة على طول المدَّة، والثَّبَّات على حالة واحدة، والبقاء في المكان أبداً، ودوام البقاء، والإقامة في المكان والملازمة. جاء في (العين): «الخُلْدُ: من أسماء الجنان، والخُلُود: البقاء فيها، وهم فيها خالدون ومخلَّدون»^(١).

وقال الأزهرِيُّ: «الخُلُودُ: البقاءُ في دارٍ لا يُجْرَجُ مِنْهَا، والفِعْلُ: خَلَدَ يَخْلُدُ... وأهل الجنة خالدون مخلَّدون آخر الأبد، وأخلد الله أهل الجنة إخلاداً، والخُلْدُ: اسمٌ من أسماء الجنان»^(٢).

وقال الجوهرِيُّ: «الخُلْدُ: دوامُ البقاء. تقول: خَلَدَ الرَّجُلُ يَخْلُدُ خُلُوداً. وأخلدهُ اللهُ وخلدهُ مُخْلِداً... وأخلدَ بالمكان: أقام فيه. وأخلد الرَّجُلُ بصاحبه: لزمه»^(٣).

وقال الرَّاعِبُ: «الخُلُودُ: هو تبرُّي الشَّيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكلُّ ما يتباطأ عنه التَّغييرُ والفساد تصفه العرب بالخلود، كقولهم للأثافي: خوالد؛ وذلك لطول مُكثِّها لا دوام بقائها. يُقال: خَلَدَ يَخْلُدُ خُلُوداً، قال تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) [الشعراء/ ١٢٩]... والخُلُودُ في الجنة: بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها، قال تعالى: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة/ ٨٢]»^(٤).

١. العين: ٣١٥/١.

٢. تهذيب اللغة ٢/٤٦٧. وينظر: جمهرة اللغة: ٣٠٣/١، ومعجم مقاييس اللغة: ١٦٧/٢، والمحيط في اللغة: ١/٣٥٥، والمخصَّص: ١/٢٦ و ٢/٤٧٧ و ٤٨٨، و ٣/٤٧١، ولسان العرب: ٣/١٦٤، والمصباح المنير: ٣/١٠٩، وتاج العروس: ١/١٧٩٢.

٣. الصحاح في اللغة ١/١٨١.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٢٩١ و ٢٩٢.

وقال ابن سيده: «خَلَدَ يُخَلِّدُ خُلْدًا وَخُلُودًا: بَقِيَ وَأَقَامَ. وَدَارَ الخُلْدُ: الآخِرَةُ، لِبَقَاءِ أَهْلِهَا. وَقَدْ أَخْلَدَ اللهُ أَهْلَهَا فِيهَا، وَخَلَّدَهُمْ... وَخَلَدَ بِالمَكَانِ يُخَلِّدُ خُلُودًا، وَأَخْلَدَ أَقَامَ... وَالمُخَلَّدُ مِنَ الرَّجَالِ: الَّذِي أَسَنَّ وَلَمْ يَشِبْ، كَأَنَّهُ مُخَلَّدٌ لَذَلِكَ»^(١).

وقال الزمخشري: «خَلَدَ بِالمَكَانِ وَأَخْلَدَ: أَطَالَ بِهِ الإِقَامَةَ... وَخَلَدَ فِي السِّجْنِ، وَخَلَدَ فِي النَّعِيمِ: بَقِيَ فِيهِ أَبَدًا خُلُودًا وَخَلَدًا. وَخَلَّدَهُ اللهُ وَأَخْلَدَهُ. وَمِنَ المَجَازِ: فَلَانٌ مُخَلَّدٌ: لِلَّذِي أَبْطَأَ عَنْهُ الشَّيْبُ، وَالَّذِي لَا تَسْقُطُ لَهُ سِنَّةٌ؛ لِإِخْلَادِهِ عَلَى حَالَتِهِ الأُولَى وَثَبَاتِهِ عَلَيْهَا»^(٢).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «خَلَدَ» مرّةً واحدةً في الخطبة، مبنياً للمجهول، وعلى زنة «فُعِّلَ»، وهو ثاني الأفعال الثلاثة عشر التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) واصفاً مَنْ رُحِزَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّهِ بِأَنَّهُ يَسْكُنُ فِي جَنَّتِهِ بِقَرْبِهِ: «وَخُلِّدَ فِي قُصُورٍ مُشِيدَةٍ».

وقد أحسن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين استعمل الفعل «خَلَدَ» على زنة «فُعِّلَ»، التي تدلُّ على الكثير^(٣)، وهو ما يتناسب ودلالة اللفظة على الخلود والبقاء.

أمّا استعماله (عليه السلام) الفعل مبنياً للمجهول؛ فإنّه (عليه السلام) يريد أن يُرَكِّزَ عَلَى الحَدِثِ، وَهُوَ اسْتِقْرَارُ «مَنْ رُحِزَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّهِ» فِي جَنَّتِهِ بِقَرْبِهِ، وَالبَقَاءُ وَالثَّبَاتُ فِيهَا، بِصَرَفِ النَّظَرِ عَنِ البَاقِي وَالثَّبَاتِ فِيهَا.

وَ«خُلِّدَ» فَعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ، وَنائبُ الفَاعِلِ ضَمِيرٌ

١. المحكم والمحيط الأعظم ٣١٩/٢.

٢. أساس البلاغة ١٢١/١.

٣. ينظر: الفعل (فَرَدُّهُ) من الكتاب.

مستتر فيه تقديره (هو) عائد الى «مَنْ زُحِرِحَ عَنْ تَعْدِيْبِ رَبِّهِ»، و«في» حرف جرٌّ، و«قصور»: اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل «خُلِدَ»، و«مُشَيِّدَة» صفة مجرورة، وعلامة جرّها الكسرة الظاهرة على آخرها، وجملة «وَوُخِلِدَ فِي قُصُورٍ مُشَيِّدَةٍ» معطوفة على جملة «سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ».

طَيْفٌ

تدلُّ مادَّة «طيف» في اللُّغة على دوران الشَّيء، والحفِّ والإحاطة به، والاستدارة عليه، والحوم حوله. جاء في (العين): «وَالطَّوْفَانُ: مَصْدَرٌ طَافَ يَطُوفُ. فَأَمَّا طَافَ بِالْبَيْتِ يَطُوفُ فَالْمَصْدَرُ: طَوَّافٌ. وَأَطَافَ بِهَذَا الْأَمْرِ، أَي: أَحَاطَ بِهِ، فَهُوَ مُطِيفٌ... وَالطَّائِفُ الَّذِي بِالْغُورِ سُمِّيَ بِهِ الْحَائِطُ الَّذِي بَنَوْا حَوْلَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، حَصَّنُوهَا بِهِ»^(١).

وقال ابن فارس: «الطَّاءُ والواوُ والفاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى دَوْرَانِ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ، وَأَنْ يَحْفَ بِهِ. ثُمَّ يُجْمَلُ عَلَيْهِ»^(٢).

وقال الرَّاعِبُ: «الطَّوْفُ: المَشْيُ حَوْلَ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ: الطَّائِفُ لَمَنْ يَدُورُ حَوْلَ البَيْتِ حَافِظاً. يُقَالُ: طَافَ بِهِ يَطُوفُ. قَالَ تَعَالَى: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانُ) [الواقعة/ ١٧]، قَالَ: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) [البقرة/ ١٥٨]، وَمِنْهُ اسْتَعْبِرَ الطَّائِفُ مِنَ الْجَنِّ، وَالخِيَالِ، وَالْحَادِثَةِ وَغَيْرِهَا. قَالَ: (إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ

١. العين ١٠٧/٢. وينظر: المحيط في اللغة: ٣٣١/٢.

٢. معجم مقاييس اللغة ٣/٣٣٨.

الشَّيْطَانِ) [الأعراف / ٢٠١]، وهو الَّذِي يدور على الإنسان من الشَّيْطَانِ يريد اقتناصه... وهو خيال الشَّيْءِ وصورته المترائي له في المنام أو اليقظة. ومنه قيل للخيال: طَيْفٌ. قال تعالى: (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ) [القلم / ١٩]...^(١).

وقال ابن منظور: «وَأَطَافَ: اسْتَدَارَ وَجَاءَ مِنْ نَوَاحِيهِ. وَأَطَافَ فُلَانٌ بِالْأَمْرِ إِذَا أَحَاطَ بِهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ)^(٢). وَقِيلَ: طَافَ بِهِ حَامٌ حَوْلَهُ... وَطَافَ حَوْلَ الشَّيْءِ يَطُوفُ طَوْفًا وَطَوْفَانًا، وَتَطَوَّفَ وَاسْتَطَافَ كُلَّهُ بِمَعْنَى. وَرَجُلٌ طَافٌ: كَثِيرُ الطَّوُافِ. وَتَطَوَّفَ الرَّجُلُ أَي: طَافَ، وَطَوَّفَ، أَي: أَكْثَرَ الطَّوُافِ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ وَأَطَافَ عَلَيْهِ: دَارَ حَوْلَهُ»^(٣).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «طيف» مرّةً واحدةً في الخطبة، وهو رابع الأفعال الثلاثة عشر التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ واصفاً مَنْ رُحِزَ عَنْ تَعْدِيبِ رَبِّهِ «سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخَلَّدَ فِي قُصُورٍ مُشِيدَةٍ، وَمَلَكَ حُورَ عَيْنٍ وَحَفَدَةً، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ».

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ» فيه تضمين لقوله - تبارك وتعالى - : (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ)^(٤)، واستعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) الفعل «طيف» بصيغة المبني للمجهول، ولم يقل «يُطَافَ»؛ لفوات الفائدة من الخطبة، وهي خلؤها من الألف.

وفيه تضمين لقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابِ

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٣١.

٢. الإنسان: ١٥.

٣. لسان العرب ٩/ ٢٢٥. وينظر: تاج العروس: ١/ ٦٠٠.

٤. الإنسان: ١٥.

وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ^(١)، ولم يقل (عليه السلام): (يطوف... من معين)، وقال: «وَطَيْفٌ عَلَيْهِ بِكَوْوسٍ»؛ لخلو هذه الجملة من الألف، وكثرة الألفات في قوله - عَزَّ وَجَلَّ - (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ)، وهو ما يفوت الفائدة من الخطبة، وهي خلوها من الألف.

وجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) بالفعل «طيف» مبنياً للمجهول للتركيز على الحدث، وهو الحفُّ حول ذلك الشخص «مَنْ زُحْزِحَ عَنْ تَعْدِيبِ رَبِّهِ» وبكؤوسٍ، بصرف النَّظَرِ عَمَّنْ يُطَافُ عَلَيْهِ بها.

و«طيف» فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبني على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره (هو) عائد إلى «مَنْ زُحْزِحَ عَنْ تَعْدِيبِ رَبِّهِ»، و«عليه» على: حرف جرٍّ، والهاء: ضمير متصل مبني في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور متعلّقان بالفعل «طيف»، و«بكؤوس» الباء: حرف جرٍّ، و«كؤوس»: اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلّقان بالفعل «طيف»، وجملة «وَطَيْفٌ عَلَيْهِ بِكَوْوسٍ» معطوفة على جملة «وَمَلَكٌ حُورَ عَيْنٍ وَحَفْدةً».

تَقَلَّبَ

تدلُّ مادّة «تقلّب» في اللغة على ردِّ الشّيء من جهة إلى جهة أخرى، وتصريفه من وجه إلى وجه، وتحويله من جهة إلى أخرى، جاء في (العين): «والقلبُ: تحويلك الشّيء عن وجهه... وقلّبته فانقلبَ، وقلّبته فتقلّبَ. وقلّبتُ فلاناً عن وجهه، أي:

صرفته»^(١).

فالقَلْبُ: ردُّ الشَّيء من جهة إلى جهة^(٢). وقلبت الشَّيء فانقلب، والمتقلب يكون مكاناً، ويكون مصدراً، وقلبتُه بيدي تقلبياً. وتقلب الشَّيء ظهرأً لبطن، كالحية تتقلب على الرَّمضاء^(٣).

وقال الرَّاعِب: «قَلْبُ الشَّيء: تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه، كقلب الثَّوب، وقلب الإنسان، أي: صرّفه عن طريقته... وقَلْبُ الإنسان قيل: سَمِّي به لكثرة تَقَلُّبِهِ... وتَقَلِّبُ الشَّيء: تغييره من حال إلى حال»^(٤).

والقلب: تحوِيل الشَّيء عَن وَجْهه. قلبه يقلبه قلباً، وقلب الشَّيء، وَقَلَبَهُ: حَوَّلَهُ ظهرأً لبطن. وتقلب في الأُمور، وَفِي البِلاد: تَصَرَّفَ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ، وَرَجُلٌ قَلْبٌ: يَتَقَلَّبُ كَيْفَ يَشَاءُ، وقلب الخبز ونحوه يقلبه قلباً: إِذَا نَضَجَ ظَاهِرَهُ، فَحَوَّلَهُ لِيَنْضَجَ بَاطِنَهُ. والانقلاب الى الله - عَزَّ وَجَلَّ - المصير إليه والتَّحَوُّلُ^(٥).

وتطابقت دلالة الفعل «تقلب» في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدةً على زنة «تفعل»، وهو سادس الأفعال الثلاثة عشر التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) واصفاً مَنْ زُحِرَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّهِ، إِذْ قَالَ (عليه السلام): «فَمَنْ زُحِرَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّهِ، سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِدَ فِي قُصُورٍ مُشِيدَةٍ، وَمَلَكَ حُورَ عَيْنٍ وَحَفَدَةً، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، وَسَكَنَ

١. العين ١/٤٠٢.

٢. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٣/٥.

٣. ينظر: الصحاح في اللغة: ٩٠/٢.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٨١.

٥. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٥٩/٣، وأساس البلاغة: ١/٣٨٧.

حَضِيرَةٌ فِرْدُوسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ.

وتدلُّ صيغة «تَفَعَّلَ» على معانٍ ذكرها العلماء^(١)، ومنها الصَّيرورة، وهي: «صيرورة الفاعل أصل الفعل، نحو: تَأَيَّمَتِ الْمَرْأَةُ: صَارَتْ أَيَّامًا»^(٢). وهو المعنى الَّذِي أَرَادَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي قَوْلِهِ: «وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ»، أَي: صَارَ فِي نَعِيمٍ.

و«تَقَلَّبَ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره (هو) عائدٌ إلى «مَنْ زُحِزِحَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّهِ»، و«فِي»: حرف جرٌّ، و«نَعِيمٍ»، اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل (تَقَلَّبَ)، وجملة (وتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ) معطوفة على جملة (وسكن في حظيرة فردوس).

شَرِبَ، يَشْرَبُ

جاء في (جمهرة اللغة): «وَالشُّرْبُ مصدر شَرِبَ الرَّجُلُ شُرْبًا. وَالشَّرْبُ: القَوْمُ يشربون شَارِبًا وَشُرْبًا... وَالشَّرْبُ: الحُطُّ مِنَ الْمَاءِ... وَالشَّرْبَةُ مِنَ الدَّوَاءِ وَغَيْرِهِ: الجُرْعَةُ... وَالشَّرَابُ: مَا شُرِبَ مِنْ مَاءٍ وَغَيْرِهِ»^(٣).

وقال الجوهري: «شَرِبَ الْمَاءَ وَغَيْرَهُ شُرْبًا وَشُرْبًا وَشُرْبًا... الشَّرْبُ بالفتح

١. ينظر: الكتاب: ٦٦/٤، والمقتضب: ٧٨/١، وشرح المفصل: ١٥٨/٧، وارتشاف الضرب: ٨٢/١، وعمدة الصرف: ٣٦ و٣٧، وتصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: ١٣٣، وأوزان الفعل ومعانيها: ٩٤، والتطبيق الصرفي: ٣٧.

٢. أوزان الفعل ومعانيها: ٩٩. وينظر: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: ١٣٤.

٣. جمهرة اللغة: ١/١٣٥.

مصدرٌ، وبالخفض والرَّفْع اسمانِ من شَرِبْتَ. والتَّشْرَابُ: الشُّرْبُ. والشَّرْبَةُ من الماء: ما يُشْرَبُ مرَّةً. والشَّرْبَةُ أيضاً: المرَّةُ الواحدة من الشرب. والشُّرْبُ بالكسر: الحظُّ من الماء... والشُّرْبُ: جمع شارب، ثُمَّ يُجْمَعُ الشُّرْبُ على شُرُوبٍ... والمِشْرَبَةُ بالكسر: إناء يُشْرَبُ فيه. والمِشْرَبَةُ بالفتح: العُرْفَةُ^(١).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «شرب» و«يشرب» في الخطبة في ضمن الأفعال الثلاثة عشر، التي جاء بها (عليه السلام) في مقام جزاء مَنْ زُحِرَ عن تعذيب ربِّه، إذ قال (عليه السلام): «فَمَنْ زُحِرَ عَنْ تَعْدِيبِ رَبِّهِ، سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِدَ فِي قُصُورٍ مُشِيدَةٍ، وَمَلَكَ حُورَ عَيْنٍ وَحَفَدَةً، وَطَيْفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، وَسَكَنَ حَضِيرَةَ فِرْدَوْسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَشَرَبَ مِنْ عَيْنِ سَلْسِيلٍ، مَمْزُوجَةٍ بِزَنْجَبِيلٍ، مَحْتَمَّةً بِمِسْكِ وَعَبِيرٍ، مُسْتَدِيمٌ لِلْحُبُورِ، مُسْتَشْعِرٌ لِلسُّرُورِ، يَشْرَبُ مِنْ حُمُورٍ، فِي رَوْضٍ مُغْدِفٍ».

و«شرب» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً، تقديره (هو) عائدٌ إلى «مَنْ زُحِرَ عن تعذيب ربِّه»، و«من»: حرف جرٍّ، و«عين»، اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل «شرب»، و«سلسيل» صفة مجرورة، وعلامة جرِّها الكسرة الظاهرة على آخرها. وجملة (وشرب من عين سلسيل) معطوفة على جملة (وسُقي من تسنيم).

و«يشرب» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره (هي)، عائدٌ إلى «مَنْ زُحِرَ عن تعذيب ربِّه»، و«من»: حرف جرٍّ، و«خُمُورٍ»، اسم مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظاهرة

١. الصحاح في اللغة ١/٣٥٠. وينظر: تهذيب اللغة: ٤/١٠١، ومعجم مقاييس اللغة: ٣/٢٠٨، ومفردات ألفاظ القرآن: ٤٤٨، والمخصّص: ٢/٣٧٣، وأساس البلاغة: ١/٢٣٨، ولسان العرب: ١/٤٨٧، والمصباح المنير: ٤/٤٧٢، وتاج العروس: ١/٦١١-٦١٩.

على آخره، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل «يشرب».

* * *

يُصَدِّعُ

جاء في (العين): «والصَّدْعُ: شقٌّ في شيء له صلابة... وصَدَعْتُ الفلاةَ: قطعتُ وسطَ جوزها. والتَّهْرُ تَصَدَّعُ في وسطه فتشقُّه شقًّا... والصَّدْعُ: نبات الأرض لأنَّه يصدع الأرض، والأرض تتصدَّعُ عنه. والصَّدِيعُ: انصداع الصُّبح... والصداع: وَجَعُ الرَّأْسِ. صُدِّعَ الرَّجُلُ تصديعاً»^(١).

والصَّدْعُ: الشَّقُّ في الشَّيْءِ الصُّلْبِ كالزُّجاجةِ والحائِطِ وَغَيْرِهِمَا وَجَمَعَهُ صُدُوعٌ. وَصَدَعَ الشَّيْءُ يَصْدَعُهُ صَدْعًا وَصَدَّعَهُ فَانْصَدَعَ وَتَصَدَّعَ: شَقَّهُ بِنِصْفَيْنِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ)^(٢)، أصلها يَتَصَدَّعُونَ فَفَلَبَ التَّاءَ صَادًا، وَأُدْغِمَتْ فِي الصَّادِ^(٣).

وقال الرَّاعِبُ: «الصَّدْعُ: الشَّقُّ في الأَجسامِ الصُّلْبَةِ كالزُّجاجِ والحديدِ ونحوهما. يُقال: صَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ، وَصَدَّعْتُهُ فَتَصَدَّعَ، قال تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) [الروم/ ٤٣]، وعنه استعير: صَدَعَ الأَمْرَ، أَي: فَصَلَّهُ، قال: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) [الحجر/ ٩٤]، وكذا استعير منه الصُّدَاعُ، وهو شبه الاشتقاق في الرَّأْسِ مِنَ الوَجَعِ. قال: (لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ) [الواقعة/ ١٩]...»^(٤).

١. العين ٦٧/١. وينظر: جمهرة اللغة: ٣٤٨/١، وتهذيب اللغة: ١٥٧/١، والصحاح في اللغة: ٣٨٢/١، والمحيط في اللغة: ٥٣/١، والمصباح المنير: ١٧٧/٥، والقاموس المحيط: ٢٩٤/٢.

٢. الروم: ٤٣.

٣. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٦٣/٣، ولسان العرب ١٩٤/٨، وتاج العروس: ١/٥٣٦٢-٥٣٦٥.

٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٨.

وتطابقت دلالة الفعل «يُصَدِّعُ» في الخطبة مع دلالاته اللغوية؛ إذ جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدةً، وهو حادي عشر الأفعال الثلاثة عشر التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) لوصف مقام مَنْ زُحِرَ عن تعذيب ربّه، وما يلقاه من كرامة الله - تبارك وتعالى - له، إذ قال (عليه السلام): «فَمَنْ زُحِرَ عَنْ تَعْدِيبِ رَبِّهِ، سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِدَ فِي قُصُورِ مُشَيَّدَةٍ، وَمَلَكَ حُورَ عَيْنٍ وَحَفَدَةً، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، وَسَكَنَ حَضِيرَةَ فِرْدَوْسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَشَرَبَ مِنْ عَيْنِ سَلْسِيلٍ، مَمْزُوجَةٍ بِزَنْجَبِيلٍ، مَحْتَمَّةً بِمِسْكِ وَعَبِيرٍ، مُسْتَدِيمٌ لِلْحُبُورِ، مُسْتَشْعِرٌ لِلسَّرُورِ، يَشْرَبُ مِنْ حُمُورٍ، فِي رَوْضٍ مُعْدِفٍ، لَيْسَ يُصَدِّعُ مِنْ شُرْبِهِ»، أي: لا يلحقه الصُّدَاعُ، من: أي: بسبب شراها.

و«ليس» فعل ماضٍ ناقص جامد، واسمها ضمير مستتر فيها جوازاً، تقديره (هو) عائدٌ إلى «مَنْ زُحِرَ»، و«يُصَدِّعُ»، فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره (هو)، عائدٌ إلى «مَنْ زُحِرَ»، وجملة «يُصَدِّعُ» في محلّ نصب خبر «ليس»، و«من»: حرف جرّ، و«شربه»، اسم مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل مبني على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة، عائدٌ إلى «روض مغدِفٍ»، والجارّ والمجرور متعلقان بالفعل «يُصَدِّعُ».

يَنْزِفُ

تدلُّ مادّة «ينزف» في اللّغة على نفاذ السّيء، وانقطاعه، وذهابه، وفناؤه. جاء في (العين): «نَزَفَ دَمُ فُلَانٍ فَهُوَ نَزِيفٌ وَمَنْزُوفٌ، أَي: انقطع عنه... والسُّكْرَانُ نَزِيفٌ، أَي: مَنْزُوفٌ عَقْلُهُ. والنَّزْفُ: نَزْحُ الْمَاءِ مِنَ الْبُئْرِ أَوْ النَّهْرِ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ. والفعل:

يَنْزِفٌ، والقليل منه: نَزْفَةٌ. وَأَنْزَفَ الْقَوْمُ: نُزِفَ مَاءٌ بِرِهِمْ... وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الَّذِي عَطِشَ حَتَّى يَبْسُتَ عُرْوُقُهُ وَجَفَّ لِسَانُهُ: نَزِيفٌ»^(١).

وَالنَّزْفُ: مُصَدَّرُ نَزَفَ الرَّجُلُ دَمَهُ يُنْزَفُ نَزْفًا، إِذَا سَالَ حَتَّى يُفْرِطَ فَهُوَ مَنْزُوفٌ وَنَزِيفٌ. وَالنَّزِيفُ: السَّكَرَانُ أَيْضًا، وَهُوَ الْمُنْزَفُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ)^(٢)، أَي: لَا يَسْكُرُونَ، وَأَنْزَفْتُ الشَّيْءَ، إِذَا أَفْنَيْتَهُ^(٣).

وقال ابن فارس: «النُّونُ وَالزَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَفَادِ شَيْءٍ وَانْقِطَاعِ. وَنُزِفَ دَمُهُ: خَرَجَ كُلُّهُ. وَالسَّكَرَانُ نَزِيفٌ، أَي نُزِفَ عَقْلُهُ... وَأَنْزَفُوا: ذَهَبَ مَاءٌ بِرِهِمْ. وَأَنْزَفُوا: انْقَطَعَ شَرَابُهُمْ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ)»^(٤).

وقال الجوهري: «نَزَفْتُ مَاءَ الْبُئْرِ نَزْفًا، نَزَحْتُهُ كُلَّهُ. وَنَزَفْتُ هِيَ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى. وَنُزِفْتُ أَيْضًا، عَلَى مَا لَمْ يَسْمَ فَاعِلُهُ. وَالتَّنْزِفُ بِالضَّمِّ: الْقَلِيلُ مِنَ الْمَاءِ أَوْ الشَّرَابِ مِثْلَ الْغُرْفَةِ، وَالْجَمْعُ نَزَفٌ. وَيُقَالُ: نَزَفَهُ الدَّمُ، إِذَا خَرَجَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ حَتَّى يَضْعُفُ، فَهُوَ نَزِيفٌ، وَمَنْزُوفٌ... وَنُزِفَ الرَّجُلُ فِي الْخِصُومَةِ، إِذَا انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ. وَيُقَالُ: أَنْزَفَ الْقَوْمُ، إِذَا انْقَطَعَ شَرَابُهُمْ»^(٥).

١. العين: ٨٩/٢. وينظر: تهذيب اللغة: ٣٦٨/٤، ومفردات ألفاظ القرآن: ٧٩٨ و ٧٩٩، والمحيط في اللغة: ٣٠١/٢، ولسان العرب: ٣٢٥/٩، والمصباح المنير: ٢٤٦/٩، وتاج العروس: ٦١٣٢/١ و ٦١٣٣.

٢. الواقعة: ١٩.

٣. ينظر: جمهرة اللغة: ٤٥٧/١.

٤. معجم مقاييس اللغة ٣٣٣/٥.

٥. الصحاح في اللغة: ٢٠٣/٢. وينظر: القاموس المحيط: ٤٣١/٢.

وورد هذا الفعل «ينزف» مرّةً واحدةً مطابقاً لدالته اللغوية؛ وهو آخر الأفعال الثلاثة عشر التي جاء بها أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام وصف مَنْ زُحِرَ حَ عن تعذيب ربّه، وتنعّم برضاه - تبارك وتعالى -، إذ قال (عليه السلام): «فَمَنْ زُحِرَ حَ عَنْ تَعْدِيبِ رَبِّهِ، سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِدَ فِي قُصُورٍ مُشَيَّدَةٍ، وَمَلَكَ حُورَ عَيْنٍ وَخَفْدَةً، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، وَسَكَنَ حَضِيرَةَ فَرْدُوسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَشَرَبَ مِنْ عَيْنِ سَلْسَبِيلٍ، مَمْزُوجَةٍ بِزَنْجَبِيلٍ، مَخْتُومَةً بِمِسْكِ وَعَبِيرٍ، مُسْتَدِيمٌ لِلْحُبُورِ، مُسْتَشْعِرٌ لِلسَّرُورِ، يَشْرَبُ مِنْ خُمُورٍ، فِي رَوْضٍ مُغْدِفٍ، لَيْسَ يُصَدِّعُ مِنْ شُرْبِهِ وَلَيْسَ يَنْزِفُ». أي: لا يذهب عقله بالسكر بسبب شرابه «من خمور»، مع أنّ هذا الشُّرب «من خمور» يُذهبُ بالعقل في دار الدنيا، غير أنّه في الآخرة يختلف تماماً عنها في الدنيا، فهو يلتذُّ بشرابه منها، بيد أنّه لا يلحقه صداع من شرابه منها، ولا تُذهبُ بعقله. وقوله (عليه السلام): «ليس يَصَدِّعُ» لبيان نفي الضرر عن الأجسام، وقوله (عليه السلام): «ليس ينزف» لبيان نفي الضرر عن العقول.

و«ليس» فعل ماضٍ ناقص جامد، واسمها ضمير مستتر فيها جوازاً، تقديره (هو) عائدٌ إلى «مَنْ زُحِرَ حَ»، و«ينزف»، فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره (هو)، عائد «مَنْ زُحِرَ حَ»، وجملة «ينزف» في محلّ نصب خبر «ليس»، وجملة «ليس ينزف» معطوفة على جملة «ليس يَصَدِّعُ».

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «ليس يَصَدِّعُ، وليس ينزف» فيه تضمين لقوله - تبارك وتعالى - : (لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ)^(١)، ولم يقل أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يَصَدِّعُ فيها ولا ينزف»؛ لفوات الفائدة من الخطبة، وهي

خلوها من الألف.

وقال المفسرون - مَن أَطَّلَعْتُ عَلَى آرَائِهِمْ - : إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - :
(لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ)، أَي: لَا يَلْحَقُهُم الصُّدَاعُ مِنْ شَرَاهَا، وَلَا تَذْهَبُ
عُقُولُهُمْ بِالسُّكْرِ^(١).

* * *

خَشِي

تَدُلُّ مَادَّةُ «خَشِي» فِي اللُّغَةِ عَلَى الْخَوْفِ، وَالذُّعْرِ، وَالْفَزَعِ. جَاءَ فِي (العين):
«الْحَشِيَّةُ: الْخَوْفُ، وَالْفِعْلُ: خَشِيَ يَخْشَى. وَيُقَالُ: وَهَذَا الْمَكَانُ أَخْشَى مِنْ ذَلِكَ...
أَي: أَفْزَعَهُ»^(٢).

وتقول: خَشِيتُ الشَّيْءَ أَخْشَاهُ خَشِيَّةً، فَهُوَ مَخْشِيٌّ وَأَنَا خَاشٍ^(٣).

وقال ابن فارس: «الخاء والشين والحرف المعتل يدلُّ على خوفٍ ودُّعْرِ، ثُمَّ
يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَجَازُ، فَالْحَشِيَّةُ: الْخَوْفُ»^(٤).

وجاء في (المحيط في اللغة): «الْحَشِيَّةُ: الْخَوْفُ، خَشِيَ يَخْشَى خَشِيَّةً وَخَشِيًّا

١. ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٨٠/٩، ومعالم التنزيل: ١٠/٨، ومجمع البيان: ٣٢٦/٩، وتفسير
البحر المحيط: ٢٠٥/١٠، وتفسير القرآن العظيم: ١٣/٧، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٦٠/٥،
والدرر المنثور: ٣٨٤/٩، وتفسير الصافي: ١١٩/٦، وتفسير روح المعاني: ٢١٣/٢٠، وتفسير الميزان:
٦٥/١٩، وتفسير الوسيط: ٤٠٦/١، وتفسير الأمثل: ٤٥٣/١٧، ٤٥٤.

٢. العين ٣٢٨/١. وينظر: تهذيب اللغة: ٣/٣.

٣. ينظر: جوهرة اللغة ٩٢/٢، والصحاح في اللغة: ١٧٣/١، والمختص: ٤٣١/٣، والمصباح المنير:
٥٦/٢.

٤. معجم مقاييس اللغة: ١٤٨/٢.

وَحْشِيَانًا وَحْشَاءً. وهذا المكان أَخْشَى من ذاك. وامرأةٌ حَشِيَانَةٌ: نَحْشَى كُلَّ شَيْءٍ. وما حَمَلْتُهُ على ذاك إِلَّا حَشِيِي فلانٍ: أَي مَخَفْتُهُ»^(١).

وهكذا ترى أَنَّ معنى (الخشية) قريب جداً من معنى (الخوف)، ولكن هناك فرقٌ بينهما؛ إذ فَرَّقَ أبو هلال العسكري بينهما بقوله: «الفرق بين الخُوفِ والخشية أَنَّ الخُوفَ يَتَعَلَّقُ بالمكروهِ وَبِتَرْكِ المُكْرُوهِ، تقول: خفت زيدا، كما قالَ تَعَالَى: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ)^(٢)، وتقول: خفت المرض، كما قالَ سُبْحَانَهُ: (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ)^(٣)، والخشية تَتَعَلَّقُ بمنزل المُكْرُوهِ، وَلَا يُسَمَّى الخُوفَ من نفس المُكْرُوهِ خشيةً»^(٤).

وذهب الرَّازِي إلى أَنَّ تخصيص (الخشية) بالله - سبحانه - إنما كان للعظمة؛ «لأنَّ الخشية تكون غالباً من عِظَمِ المخشيِّ وإن كان الخاشي قوياً، أمَّا الخوف، فيكون غالباً من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً»^(٥).

وفرَّقت الدُّكتورَة عائشة عبدالرحمن بين (الخشية) و(الخوف) بقولها: «وتفترق الخشية عن الخوف، بأنَّها تكون عن يقين صادق بعظمة مَنْ نخشاه... أمَّا الخوف، فيجوز أن يحدث عن تسلُّط بالقهر والإرهاب»^(٦).

وقال الدُّكتور أحمد الشَّرْباصِي: «وإن واصلنا قراءتنا في كتب السلف فيما

١. المحيط في اللغة ١/٣٦٨. وينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢/٣٥١، ولسان العرب: ١٤/٢٢٨.

٢. النحل: ٥٠.

٣. الرعد: ٢١.

٤. الفروق اللغوية: ١٩٤.

٥. التفسير الكبير: ٢٨/١٧٧.

٦. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ٢٠٩.

يَتَّصِلُ بالخوف، وجدنا جملة ألفاظ متقاربة، وإن لم تكن مترادفة، ومنها: الخوف، والخشية، والرَّهبة،.... وقد قالوا في التَّفْرِقة الدَّقِيقَة بينها: إنَّ الخوفَ هَرَبٌ من حلول المكروه عند استشعاره، وهو لعامة المؤمنين، وصاحبه يلتجئ إلى الهرب والإمساك، والخشية أخصُّ من الخوف، وهي للعلماء العارفين بالله المشار إليهم بقوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)^(١) وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالله، وعلى قدر العلم تكون الخشية»^(٢).

إذن، فالخشية هي خوف من ذات الله سبحانه، لا من عذابه وعقابه؛ بدلالة قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ)^(٣)؛ إذ جاء لفظ (الخشية) مقترناً بلفظ (الخوف) في سياق واحد، وارتبط لفظ (الخشية) بوصف خوف المؤمنين من ربهم، في حين أسند لفظ (الخوف) إلى سوء الحساب، وفي هذا تخصيص واضح للفظ (الخشية).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل (خشي) مرّة واحدة في الخطبة، مقترناً بالله - تبارك وتعالى -، إذ قال (عليه السلام): «هذه مسألة من خَشِيَ رَبَّهُ»، وهو بهذا يبيّن كلامه المتقدّم في سؤاله من الله - عَزَّ وَجَلَّ - العفو، والمغفرة، والرّضا؛ إذ قال (عليه السلام): «ونسأله عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ وَمَغْفِرَةَ مَنْ قَبَلَ مِنْهُ».

ولعلَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إنّما قال: «هذه مسألة من خشي ربّه»، ولم يقل: «من خاف»؛ لسببين:

١. فاطر: ٢٨.

٢. موسوعة أخلاق القرآن: ١ / ١٦٠.

٣. الرعد: ٢١.

الأوّل: أنّه (عليه السلام) يريد أن يرقى بخوف الإنسان المؤمن إلى مرتبة الخوف مع التعظيم، فخشيته ممّا تقدّم خشية العلماء العارفين بحقائق الأمور؛ ولذا هم لا يقربون الذنب لمعرفتهم به، وبسبب معرفتهم عاقبة المقرّف له. وقد تبين ممّا تقدّم الفرق بين (الخوف) و(الخشية).

الثاني: أنّه (عليه السلام) لو قال: «خاف» لفوّت الفائدة من الخطبة، وهي خلؤها من الألف.

و«خشي» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر جوازاً عائد إلى «مَنْ» المتقدّم، و«رَبَّهُ» مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبنيٌّ على الضمّ في محلّ جرٍّ بالإضافة عائد إلى «مَنْ»، وجملة (خشي ربّه) صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

حَدَرَ

تدلُّ مادّة «حَدَرَ» في اللّغة على التَّحَرُّز، والتَّيَقُّظ، والتَّأَهُب، والإعداد للشيء، والتَّخْويف من الشيء، والإبعاد عنه. فالْحَدْرُ مصدر قولك: حَدَرْتُ أَحَدْرُ حَدْرًا، فأنا حاذِرٌ وحَدِيرٌ^(١). وحَدِرَ يَحْدِرُ حَدْرًا، وحَاذَرَ يَحْأَذِرُ حَدَارًا ومُحَاذَرَةٌ^(٢). والحَاءُ وَالذَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مِنَ التَّحَرُّزِ وَالتَّيَقُّظِ^(٣). والحَدْرُ والحِدْرُ: التَّحَرُّزُ. وقد حَدَرْتُ الشَّيْءَ أَحْدَرُهُ حَدْرًا. وَرَجَلَ حَدِرٌ وَحَدْرٌ: مُتَيَقِّظٌ مُتَحَرِّزٌ،

١. ينظر: العين ١/ ٢١٠، وتهذيب اللغة: ٢/ ٨٦، والمحيط في اللغة: ١/ ٢١٧.

٢. ينظر: جمهرة اللغة ١/ ٢٥٥.

٣. ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٩.

والجمع حَذِرُونَ وَحَذَارَى وَحَذِرُونَ. وَالتَّحْذِيرُ: التَّخْوِيفُ، وَالْحِذَارُ: الْمُحَاذَرَةُ^(١). وَالْحَذَرُ: احْتِرَازٌ مِنْ مَخِيفٍ، يُقَالُ: حَذَرَ حَذْرًا، وَحَذَرْتُهُ، قَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - : (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ)^(٢) (٣). وَحَذِرْتَهُ حَذْرًا، وَرَجُلٌ حَذِرٌ، وَحَذِرٌ، وَحَاذِرٌ، وَحَاذِرَةٌ: شَدِيدُ الْحَذَرِ، وَحَاذِرٌ: مُتَأَهِّبٌ مُعَدُّ. وَحَذَرْتُهُ الْأَمْرَ وَحَذَرْتُهُ مِنْهُ، وَأَنَا حَذِيرٌ مِنْهُ، أَيُّ: مُحْذِرٌ، وَالْإِحْذَارُ: الْإِنْدَارُ^(٤). وَحَذِرَ حَذْرًا مِنْ بَابِ تَعَبٍ، وَاحْتَذَرَ وَاحْتَرَزَ كُلُّهَا بِمَعْنَى اسْتَعَدَّ، وَتَأَهَّبَ، فَهُوَ حَاذِرٌ وَحَذِرٌ، وَالاسْمُ مِنْهُ الْحِذْرُ، وَحَذِرَ الشَّيْءَ، إِذَا خَافَهُ، فَالشَّيْءُ مُحْذَرٌ، أَيُّ: مَخُوفٌ، وَحَذَرْتُهُ الشَّيْءَ بِالتَّثْقِيلِ^(٥).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «حَذَرَ» مرّةً واحدةً في الخطبة، مبنياً للمجهول، على زنة «فَعَّلَ»، معطوفاً على الفعل قبله «خشي» المتقدم؛ إذ قال (عليه السلام) مبيّناً سؤاله مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - العفو والمغفرة والرّضا: «هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنْ خَشِي رَّبَّهُ، وَحَذَرَ نَفْسَهُ»، أَيُّ: تَحَرَّزَ، وَتَيَقَّظَ، وَتَأَهَّبَ، وَأَعَدَّ نَفْسَهُ، وَخَوَّفَهَا، وَأَبْعَدَهَا عَنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ، وَالذُّلِّ، وَالهُوَانِ.

وجدير بالذكر أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء بالفعل «حَذَرَ» بالتثقيب على زنة «فَعَّلَ»، وتقدّم^(٦) أنّ لزنة «فَعَّلَ» معاني كثيرة ذكرها العلماء، منها المبالغة،

١. ينظر: الصحاح في اللغة ١/ ١٢٠.

٢. الزمر: ٩.

٣. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٢٣.

٤. ينظر: المخصص: ٨/ ٣، والمحکم والمحيط الأعظم: ٢/ ١٤.

٥. ينظر: أساس البلاغة: ٨٠/ ١، والمصباح المنير: ٣١٦/ ٢، والتنبيه أدواته وأساليبه دراسة نحوية دلالية (رسالة ماجستير): ١١٤ و ١١٥، والتحذير في القرآن الكريم دراسة في مستويات اللغة (رسالة ماجستير): ٥-٧.

٦. ينظر: الفعل (بَلَّغَ) من الكتاب.

والتكثير - وهو أشهرها -، ويدلُّ على تكرير الفعل، وكثرة القيام به، فالتحذير الصادر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) لا لمرة واحدة، بل هو متكرر، بل ومبالغ فيه؛ حتى يخلص نفسه من المرور بكلِّ ما تقدّم من ألوان العذاب.

و«حَدَّر» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره (هو) عائد إلى «مَنْ» المتقدّم، و«نفسه» مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائدٌ إلى «مَنْ» المتقدّم، وجملة «وَحَدَّرَ نَفْسَهُ» معطوفة على جملة «حَشِيَ رَبَّهُ».

* * *

جَحَدَ

تدلُّ مادّة «جحد» في اللُّغة على الإنكار مع العلم، والضيق، والشحّ، والنكد، وهي خلاف الإقرار. جاء في (العين): «الجُحود: ضدُّ الإقرار كالإنكار والمعرفة. والجُحْدُ: من الضيق والشحّ. ورجُلٌ جَحْدٌ: قليلُ الخير»^(١).

ويقال: جَحَدَ الرَّجُلُ يَجْحَدُ جُحُودًا إِذَا أَنْكَرَ مَا عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ. وعامٌ جَحِيدٌ: قَلِيلُ الْمَطَرِ. وَرَجُلٌ جَحِيدٌ: فَقِيرٌ. والجَحْدُ: الْقَلَّةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^(٢).

والجُحودُ: الإنكار مع العلم. يُقال: جَحَدَهُ حَقَّهُ وَبِحَقِّهِ، جَحْدًا وَجُحُودًا. والجَحْدُ أَيضًا: قَلَّةُ الْخَيْرِ، وَكَذَلِكَ الْجُحْدُ بِالضَّمِّ. والجَحْدُ مثله. وَجَحَدَ الرَّجُلُ

١. العين: ١/ ١٨٠. وينظر: تهذيب اللغة: ١/ ٤٨٠، والمحيط في اللغة: ١/ ١٧٧، وأساس البلاغة: ١/ ٥٣ و ٥٤.

٢. ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٢١٠، ومعجم مقاييس اللغة: ١/ ٣٨١.

بالكسر جَحَدًا، فهو جَحِدٌ، إذا كان ضيقاً قليلاً خيراً. وأَجَحَدَ مثله. وعامٌ جَحِدٌ: قليل المطر. وَجَحَدَ النَّبْتُ: إذا قَلَّ ولم يَطُلْ^(١).

وقال الرَّاعِبُ: «الجُحُودُ: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه»^(٢). ويُقال: أَرُضٌ جَحْدَةٌ، يابسة لا خير فيها، وَقَدْ جَحَدْتُ، وَجَحَدَ النَّبَاتُ، قَلَّ وَنَكِدَ^(٣).

وتطابقت دلالة الفعل «جحد» في الخطبة مع دلالة اللُّغوية، وقد جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) مرّةً واحدةً، والفعل بعده «سوّلت» لبيان أنّ سبب العقوبة التي ذكرها فيها مرّةً من الخطبة يكون بسبب فعلين، الأوّل منهما هو «جحد منشئه»، إذ قال (عليه السلام): «وَتِلْكَ عُقُوبَةٌ مَن جَحَدَ مُنْشِئَهُ»، أي: أنكر منشئه مع العلم به، ولم يُقرّر له بالعبودية، ومّا لاشكّ فيه أنّ المنكر العالم بصحّة أنّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - مُنْشِئُهُ قليل الخير، بل عديمه. وقد مرّ في بيان المعنى اللُّغوي للفعل «جحد» أنّ من معانيه الضييق، والشُّحُّ، والنَّكْدُ، وأيُّ ضييقٍ، وشُحٍّ، وَنَكْدٍ أكبر من أن ينكر الإنسان مُنْشِئَهُ - تبارك وتعالى - .

و«جحد» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره (هو) عائد الى «مَن» المتقدم في قوله «وَتِلْكَ عُقُوبَةٌ مَن»، و«منشئه» مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير

١. ينظر: الصحاح في اللغة: ١/ ٨٠، والمخصّص: ٢/ ٩٨ و ٣٢٠، ولسان العرب: ٣/ ١٠٦، والقاموس المحيط: ١/ ٢٦٤، وتاج العروس: ١/ ١٩١٤.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ١٨٧. وينظر: تفسير غريب القرآن (لابن قتيبة): ٢٧ و ٢٨، وإصلاح المنطق: ٥٠، وكشّاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٢٧٣، وألفاظ العقيدة والشريعة في نهج البلاغة دراسة ومعجم (رسالة ماجستير): ١١٢.

٣. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ١/ ٤٣٢.

متَّصل مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائدٌ إلى «مَنْ» المتقدِّم، وجملة «جَحَدَ مُنْشِئُهُ» صلة الموصول لا محلَّ لها من الإعراب.

سَوَّلَتْ

تدلُّ مادَّة «سَوَّلَتْ» في اللُّغة على تسهيل الشَّيء، وتزيينه، وتحسينه، وتحيبته، وهي استرخاءٌ في شيء، وتدلُّ على الغواية. فيُقال: سَوَّلَتْ لفلانٍ نفسهُ أمراً، وَسَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ، أَي: زَيَّنَ، وَأَرَاهُ إِيَّاهُ^(١). «والسَّين والواو واللام أصل يدلُّ على استرخاء في شيء»^(٢).

وقال الرَّاعِب: «والتَّسْوِيلُ: تزيين النَّفس لما تَحْرُصُ عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن، قال: (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً) [يوسف / ١٨]، (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ) [محمد / ٢٥]»^(٣).

ويُقال: سَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ وَنَفْسُهُ أَمْراً، أَي: سَهَّلَ لَهُ، وَزَيَّنَ، وَهَذَا مِنْ تَسْوِيلَاتِ الشَّيْطَانِ^(٤). وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ كَذَا: زَيَّنَتْهُ، وَسَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ: أَغْوَاهُ. وَالتَّسْوِيلُ: تَحْسِينُ الشَّيْءِ، وَتَزْيِينُهُ، وَتَحْيِيْبُهُ إِلَى الْإِنْسَانِ؛ لِيَفْعَلَهُ، أَوْ يَقُولَهُ^(٥).

١. ينظر: العين: ٧٢ / ٢، وتهذيب اللغة: ٣٢٠ / ٤، والصحاح في اللغة: ٣٤١ / ١، والمحيط في اللغة: ٢٧٥ / ٢.

٢. معجم مقاييس اللغة: ٩٠ / ٣.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٣٧.

٤. ينظر: أساس البلاغة: ٤٣٢ / ١.

٥. ينظر: لسان العرب: ٣٥٠ / ١١، والقاموس المحيط: ١١٥ / ٣.

وورد هذا الفعل «سَوَّكْتُ» مرَّةً واحدةً في الخطبة مطابقاً لدالته اللغوية؛ وهو الفعل الثاني الَّذِي بيَّن أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلاله، والفعل قبله «جحد» سبب العقوبة الَّتِي ذكرها (عليه السلام) فيها مرَّ من الخطبة، إذ قال (عليه السلام): «وَتَلَكَ عُقُوبَةٌ مَنْ جَحَدَ مُنْشِئَهُ، وَسَوَّكْتُ لَهُ نَفْسَهُ مَعْصِيَةَ مُبْتَدِئِهِ»، أي: أَنَّ نَفْسَهُ سَهَّلَتْ لَهُ مَعْصِيَةَ مُبْتَدِئِهِ، وَزَيَّنَتْهَا، وَحَسَّنَتْهَا، وَحَبَّبَتْهَا؛ لِيَكُونَ مُسْتَحَقًّا بِذَلِكَ كُلِّهِ مَا مَرَّ مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ.

و«سَوَّكْتُ» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والتَّاء: تاء التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةِ لا محلَّ لها من الإعراب، و«لَهُ» اللَّام: حرف جرٍّ، والهَاء: ضمير متَّصِلٌ مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجَارُ والمَجْرُورُ متعلِّقان بالفعل «سَوَّكْتُ»، و«نَفْسُهُ» فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظَّاهِرَةُ على آخره، وهو مضاف، والهَاء ضمير متَّصِلٌ مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، عائدٌ إلى «مَنْ» المتقدِّم، و«مَعْصِيَةَ» مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظَّاهِرَةُ على آخره، وهو مضاف، و«مُبْتَدِئِهِ» مضاف إليه مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظَّاهِرَةُ على آخره، وهو مضاف، والهَاء: ضمير متَّصِلٌ مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة، وجملة «وَسَوَّكْتُ لَهُ نَفْسَهُ مَعْصِيَةَ مُبْتَدِئِهِ» معطوفة على جملة «جَحَدَ مُنْشِئَهُ».

قُصٌّ

تدلُّ مادَّة «قُصَّ» في اللُّغة على تَتَبُّعِ الأَثَرِ، واقتفائه، وحفظه، وإيراده، والإخبار عنه. يُقال: قصصت أثره، وقصصته: اتبعته قصصاً، قال الله - عَزَّ وَجَلَّ - : (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)^(١). واقتصصته وتقصصته، وخرجت في أثر فلان قصصاً، قال الله -

تبارك وتعالى - : (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)^(١). وقصص عليه الحديث والرؤيا، واقتصه. وتقصصت كلام فلان، وله قصة عجيبة، وقصص حسن^(٢).

وقال الأزهرى: «... والقاصُّ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالْقِصَّةِ مِنْ فُصَّهَا يُقَالُ: قَصَصْتُ الشَّيْءَ إِذَا تَبَعْتُ أَثْرَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه) (٣)، أَي: اتَّبَعِي أَثْرَهُ. وَقَوْلُهُ: (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)^(٤)، أَي: رَجَعَا مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَاهُ، فَيَقْصَانِ الأَثْرَ... أَصْلُ القِصِّ: اتِّبَاعُ الأَثْرِ، يُقَالُ: خَرَجَ فلَانٌ قَصَصًا فِي إِثْرِ فلَانٍ وَقَصًّا. وَذَلِكَ إِذَا اقْتَصَّ أَثْرَهُ، وَقِيلَ: لِلْقَاصِّ يَقْصُ القِصَصَ لِاتِّبَاعِهِ خَبْرًا بَعْدَ خَبْرٍ وَسَوْقِهِ الكَلَامِ سَوْقًا. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: تَقْصَصْتُ كَلَامَ فلَانٍ، أَي: حَفِظْتُهُ»^(٥).

ويقال: قَصَّ أَثْرَهُ، أَي: تَبَعَهُ. والقِصَّةُ: الأَمْرُ والحَدِيثُ. وقد اقْتَصَصْتُ الحَدِيثَ: رَوَيْتَهُ عَلَى وَجْهِهِ. وقد قَصَّ عَلَيْهِ الخَبَرَ قَصَصًا. والاسْمُ أَيْضًا القِصَصُ بالفتح، وَوَضِعَ مَوْضِعَ المِصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ. والقِصَصُ، بكسر القاف: جَمْعُ القِصَّةِ الَّتِي تُكْتَبُ^(٦).

والقِصَّةُ: الخَبْرُ، وَهُوَ القِصَصُ. وقصص علي خبره يقصه قصاً، وقصصاً: أوردته.

١. الكهف: ٦٤.

٢. ينظر: العين: ٣٦٨/١، وجمهرة اللغة: ٤٨/١، ومعجم مقاييس اللغة: ٧/٥ و٨، ومفردات ألفاظ القرآن: ٦٧١ و٦٧٢، والمحيط في اللغة: ٤٢٨/١، والمخصص: ٤٨٦/٢، وأساس البلاغة: ٣٨١/١، والقاموس المحيط: ١٧٢/٢، وتاج العروس: ٤٥٠٦-٤٥١٢.

٣. القصص: ١١.

٤. الكهف: ٦٤.

٥. تهذيب اللغة: ١١٨/٣.

٦. ينظر: الصحاح في اللغة: ٨١/٢، ولسان العرب: ٧٣/٧.

والقصص: الخبر المقصوص. وتقصص كلامه: حفظه. وتقصص الخبر: تتبعه. وقص آثارهم يقصها قصاً، وقصصاً، وتقصصها: تتبعها بالليل، وقيل: هو تتبع الأثر في أي وقت كان^(١).

وفُرق بين (القصص)، و(الحديث) بأن «القصص ما كان طويلاً من الأحاديث متحدثاً به عن سلف، ومنه قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)^(٢) وَقَالَ: (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ)^(٣) وَيُقَالُ لِلَّهِ قَاصٌّ؛ لِأَنَّ الْوَصْفَ بِذَلِكَ قَدْ صَارَ عِلْمًا لِمَنْ يَتَّخِذُ الْقَصَصَ صِنَاعَةً، وَأَصْلُ الْقَصِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ اتِّبَاعَ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)^(٤) وَسُمِّيَ الْخَبَرَ الطَّوِيلَ قِصَصًا؛ لِأَنَّ بَعْضَهُ يَتَّبِعُ بَعْضًا حَتَّى يَطُولَ، وَإِذَا اسْتَطَالَ السَّامِعُ الْحَدِيثَ: قَالَ هَذَا قِصَصٌ، وَالْحَدِيثُ يَكُونُ عَمَّنْ سَلَفٌ، وَعَمَّنْ حُضْرٌ، وَيَكُونُ طَوِيلًا وَقَصِيرًا، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: الْقِصَصُ هُوَ الْخَبَرُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا، وَالْحَدِيثُ يَكُونُ عَنِ ذَلِكَ وَعَنْ غَيْرِهِ، وَالْقِصُّ قَطْعٌ يَسْتَطِيلُ وَيَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، مِثْلُ قِصِّ الشَّوْبِ بِالْقِصِّ، وَقِصُّ الْجِنَاحِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَهَذِهِ قِصَّةُ الرَّجُلِ يَعْنِي الْخَبَرَ عَنِ مَجْمُوعِ أَمْرِهِ وَسُمِّيَتْ قِصَّةً؛ لِأَنَّهَا يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى تَحْتَوِيَ عَلَى جَمِيعِ أَمْرِهِ^(٥).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «قَصَّ» مرة واحدة في الخطبة، جاء به مبنياً للمجهول، وهو أول الأفعال الثلاثة التي أوردتها (عليه السلام) في وصف القرآن الكريم؛ إذ قال (عليه السلام): «ذَلِكَ قَوْلٌ فَضْلٌ

١. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢/٤٦٦، ولسان العرب: ٧/٧٣.

٢. يوسف: ٣.

٣. هود: ١٢٠.

٤. القصص: ١١.

٥. لسان العرب: ٧/٧٣.

وَحُكْمٌ عَدْلٌ، خَيْرٌ قَصَصٍ قُصَّ؛ إشارةً إلى أَنَّ القرآن الكريم - وهو ما ضَمَّنَه في حديثه - أحسن القصص، وفيه تضمين لقوله - تبارك وتعالى - : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) (١).

فمراد أمير المؤمنين (عليه السلام) أَنَّ ما ذكره من حال الإنسان في النعيم والعذاب موجود في أحسن القصص، وهو القرآن الكريم.

و«قُصَّ» فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، مبنيٌّ على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره (هو)، عائدٌ إلى «خير». وجملة «قُصَّ» صفةٌ لـ«قصص».

نُصٌّ

تدلُّ مادَّةُ «نُصَّ» في اللُّغة على رَفْعٍ، وارتفاع، وانتهاء في الشَّيْءِ. فيُقال: نَصَّصْتُ الحديث إلى فلان نصًّا، أي: رفعته، ونصَّصْتُ كلَّ شيءٍ: منتهاه (٢).

وقال الأزهرِيُّ: «النَّصُّ: أصلُه منتهى الأشياء ومبلغُ أقصاها، ومنه قيل: نَصَّصْتُ الرَّجُلَ: إذا استقصيتَ مسألتَه عن الشَّيْءِ حتَّى يَسْتَخْرِجَ كلَّ ما عنده، وكذلك النَّصُّ في السَّيرِ إنَّما هو أَقصى ما تقدر عليه الدَّابة» (٣).

وتطابقت دلالة الفعل «نُصَّ» في الخطبة مع دلالاته اللُّغوية، وهو ثاني الأفعال الثلاثة، التي جاء بها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف القرآن الكريم، إذ

١. يوسف: ٣.

٢. ينظر: العين: ٣١/٢، والمحيط في اللغة: ٢/٢١١، والمصباح المنير: ٩/٨٤.

٣. تهذيب اللغة: ٤/١٨٣، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/٢٨٥، والصحاح في اللغة: ٢/٢١٢، ولسان العرب: ٧/٩٧، والقاموس المحيط: ٢/١٧٨، وتاج العروس: ١/٤٥٤٤ و٤٥٤٥.

أورده (عليه السلام) مرّةً واحدةً مبنياً للمجهول، فقال (عليه السلام): «ذَلِكَ قَوْلٌ فَضْلٌ وَحُكْمٌ عَدْلٌ، خَيْرٌ قَصَصٍ قُصِّ، وَوَعْظٌ نُصِّ».

و«نُصِّ» فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبني على الفتح، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره (هو)، عائداً إلى «وَعْظٌ». وجملة «نُصِّ» صفةٌ لـ«وَعْظٌ».

نَزَلَ

تدلُّ مادّة «نَزَلَ» في اللّغة على الهبوط، والوقوع، والحلول، والانحدار. يُقال: نَزَلَ فلانٌ عن الدّابة، أو من علوٍ إلى سفلى، والنزلة: المرّة الواحدة^(١).

وقال ابن فارس: «النُّونُ وَالزَّاءُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى هُبُوطِ شَيْءٍ وَوُقُوعِهِ. وَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ نُزُولًا. وَنَزَلَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ نُزُولًا»^(٢).

ويُقال: اسْتُنزِلَ فلانٌ، أي: حُطَّ عن مرتبته. والمَنْزَلُ بفتح الميم والزّاي: النُّزُولُ وهو الحُلُولُ، تقول: نَزَلْتُ نُزُولًا وَمَنْزَلًا وَمَنْزِلًا، والنَّزِيلُ: الضَّيْفُ، والنُّزُولُ: الحُلُولُ، وَقَدْ نَزَلَهُمْ، وَنَزَلَ عَلَيْهِمْ وَنَزَلَ بِهِمْ، يَنْزِلُ نُزُولًا وَمَنْزَلًا وَمَنْزِلًا. وَنَزَلَ من علوٍ إلى سفلى: انحدار^(٣).

وقال الرّاعب: «النُّزُولُ فِي الْأَصْلِ هُوَ انْحِطَاطٌ مِنْ عُلُوٍّ. يُقَالُ: نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَنَزَلَ فِي مَكَانٍ كَذَا: حَطَّ رَحْلَهُ فِيهِ، وَأَنْزَلَهُ غَيْرُهُ... وَأَمَّا التَّنَزُّلُ فَهُوَ كَالنُّزُولِ بِهِ، يُقَالُ: نَزَلَ الْمَلِكُ بِكَذَا، وَتَنَزَّلَ، وَلَا يُقَالُ: نَزَلَ اللَّهُ بِكَذَا وَلَا تَنَزَّلَ، قَالَ: (نَزَلَ بِهِ

١. ينظر: العين: ٧٨/٢، وتهذيب اللغة: ٣٦٣/٤ و٣٦٤، والمحيط في اللغة: ٢٩٨/٢.

٢. مقاييس اللغة: ٣٣٣/٥.

٣. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢٠٣/٢ و٢٠٤، ولسان العرب: ٦٥٦/١١، والمصباح المنير: ٢٥١/٩.

الرُّوحِ الْأَمِينِ) [الشعراء / ١٩٣] وقال: (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ) [القدر / ٤]، (وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) [مريم / ٦٤]...»^(١).

وفرق أبو هلال العسكري بين (الإنزال) و(التنزيل) بقوله: «الإنزال: دفعي، والتنزيل: للتدرّج. قلت: ويدلُّك عليه قوله تعالى: (نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ)^(٢) حيث خصَّ القرآن بالتنزيل لنزوله منجماً، والكتابين بالإنزال لنزولهما دفعة. وأمّا قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ)^(٣) فالمراد هناك مطلقاً من غير اعتبار التّنجيم، وكذا قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)^(٤)، فإنَّ المراد إنزاله إلى سماء الدنيا، ثمّ تنزيله منجماً على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ كَمَا وَرَدَتْ بِهِ الرَّوَايَاتُ^(٥).

وورد هذا الفعل «نزل» مرّةً واحدةً في الخطبة مطابقتاً لدلالته اللغوية؛ وهو ثالث الأفعال الثلاثة التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف القرآن الكريم، إذ قال (عليه السلام): «ذَلِكَ قَوْلٌ فَضْلٌ وَحُكْمٌ عَدْلٌ، خَيْرٌ قَصَصٍ قُصِّ، وَوَعظٌ نُصِّ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، نَزَلَ بِهِ رُوحٌ قُدُسٌ مُبِينٌ، عَلَى قَلْبِ نَبِيِّ مُهْتَدٍ مَكِينٍ».

وقوله (عليه السلام): «نَزَلَ بِهِ رُوحٌ قُدُسٌ مُبِينٌ» فيه تضمين لقوله – تبارك

١. مفردات ألفاظ القرآن: ٧٩٩ و٨٠٠.

٢. آل عمران: ٣.

٣. الكهف: ١.

٤. القدر: ١.

٥. الفروق اللغوية: ٧٩.

وتعالى - : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)^(١)، ولا يخفى على اللبيب أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يقل: «نزل به الروح الأمين»؛ لفوات الفائدة من الخطبة، وهي خلؤها من الألف.

و«نزل» فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، و«به» الباء: حرف جرٍّ، والهاء: ضمير متصل مبنيٌّ على الكسر في محلِّ جرٍّ بحرف الجرِّ، والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل «نزل»، و«روح» فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و«قدس» مضاف إليه مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظاهرة على آخره، و«مبين» صفة لـ«قدس» مجرورة وعلامة جرِّها الكسرة الظاهرة على آخرها.

فَلْيَتَضَّرَّعْ

تدلُّ مادةٌ «يتضَّرَّع» في اللغة على الاستكانة، والضعف، والتخشع، والذلُّ، والخضوع. جاء في (العين): «أضرعه، أي: أذلته. وضرع، أي: ضعف، وقوم ضرع... والضرع والتضرع: التذلُّل. ضرع يضرع، أي: خضع للمسألة. وتضرع: تذلُّل، وكذلك التضرع إلى الله: التخشع. وقومٌ ضرعة، أي: متخشعون من الضعف»^(٢).

ويقال: ضرع الرجل يضرع ضرعاً وضراعةً، إذا استكان وذلَّ، فهو ضارع بيئ

١. الشعراء: ١٩٣.

٢. العين: ٦٢/١ و٦٣. وينظر: تهذيب اللغة: ١/١٤٧، والصحاح في اللغة: ١/٤٠٩، والمحيط في اللغة: ١/٤٨، ولسان العرب: ٨/١٢٢، والمصباح المنير: ٥/٣٣٤، والقاموس المحيط: ٢/٣٠٠، وتاج العروس: ١/٤٠٢ و٤٠٣.

الضَّرَاعَةُ. وَتَضَّرَعُ: أَظْهَرَ الضَّرَاعَةَ^(١).

وقال ابن فارس: «الضَّادُّ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى لِينٍ فِي الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ ضَرَعَ الرَّجُلُ ضَرَاعَةً، إِذَا ذَلَّ. وَرَجُلٌ ضَرَعٌ. ضَعِيفٌ»^(٢).

ويقال: ضَرَعَ إِلَيْهِ، يَضْرَعُ ضَرَعًا وَضَرَاعَةً، فَهُوَ ضَارِعٌ، مِنْ قَوْمِ ضَرَعَةَ وَضُرُوعٍ، وَتَضَّرَعُ، كِلَاهُمَا: تَذَلُّ وَتَخَشُّعٌ. وَأَضْرَعْتُهُ إِلَيْهِ الْحَاجَةَ. وَخَدَّ ضَارِعٌ، وَجَنْبُ ضَارِعٌ: مُتَخَشِّعٌ^(٣).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «فليتضرع» مرّة واحدة في الخطبة، وهو أحد الأفعال التي ختم بها أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته، فقال (عليه السلام): «فَلْيَتَضَّرَعْ مُتَضَّرِعُكُمْ». ففي نهاية الأمر لا بُدَّ من التذلل، والتخشع، وإظهار الضعف، والضعف، وشدة الفقر إلى الله - تبارك وتعالى - والحاجة إليه، بل المبالغة في ذلك؛ فإنّه لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا يمكن لأيّ مخلوق أن يستغني عنه، وفي أيّ حالٍ من الأحوال، يقول الله - عزَّ وجلَّ - : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)^(٤)، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْلُصَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَنْ يَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فعليه أن يتذلل لله - تبارك وتعالى - ويتخشع له، ويُظهر الحاجة، والفاقة إليه.

وجدير بالذكر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أورد هذا الفعل «فليتضرع» على زنة «تفعّل»، التي تدلُّ على معانٍ، منها: الإظهار، والمبالغة، والتكليف، وهو: «حمل

١. ينظر: جمهرة اللغة: ٤٠٩/١، ومفردات ألفاظ القرآن: ٥٠٦.

٢. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ١/١٤٣.

٣. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ١/١٤٣.

٤. فاطر: ١٥.

النفس على أمرٍ فيه مشقّة، نحو: تحلّم، أي: تكلف الحلم^(١)، وهو ما أَرادَه أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن يتكلف المتضرّع، ويبالغ بإظهار الاستكانة، والتخشّع، والضعف، والدّلّ، والخضوع لله - عزّ وجلّ -، وقد أكّد (عليه السلام) هذا الأمر بأن قرن الفعل بـ «لام الأمر» للتأكيد والمبالغة فيه.

و«فليتضرّع» الفاء استثنائية، واللام: لام الأمر، و«يتضرّع» فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه السكون، و«متضرّعكم» فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و«كم»: ضمير متصل مبني في محل جرّ بالإضافة.

ليبتهل

تدلُّ مادّة «يبتهل» في اللغة على الدُّعاء بجدّ واجتهاد، والتضرّع، والإخلاص في الدُّعاء، والتسبيح لله - عزّ وجلّ -، والذكر له، والدُّعاء مع إصرار وإلحاح. فيقال: ابتهل إلى الله في الدُّعاء، أي: جدّ واجتهد^(٢). والمبتهل: المسبح الذّاكر لله، وقيل: الدّاعي^(٣).

وقال ابن منظور: «وابتهل في الدُّعاء إذا اجتهد. ومبتهلاً أي: مجتهداً في الدُّعاء. والابتهال: التضرّع. والابتهال: الاجتهاد في الدُّعاء وإخلاصه لله عزّ وجلّ...»

١. أوزان الفعل ومعانيها: ٦٤. وينظر: الكتاب: ٢/٢٤٠، والمقتضب: ١/٧٨، والفتاح في الصرف: ٥٠، والمفصل: ٢٧٩، وشرح المفصل: ٧/١٥٨، والإيضاح في شرح المفصل: ٢/١٢١، وتصريف الفعل: ٧٠.

٢. ينظر: العين: ١/٢٧٢، والمحيط في اللغة: ١/٣٠٩.

٣. ينظر: تهذيب اللغة: ٢/٣٣٦.

والابتِهَالُ أَنْ تَمُدَّ يَدَيْكَ جَمِيعًا، وَأَصْلُهُ التَّصْرُوعُ وَالْمُبَالَغَةُ فِي السُّؤَالِ»^(١).

وَأَصْلُ «الابتِهَالِ» اللَّعْنُ مِنَ «الْبُهْلَةِ»، فَ«الْبُهْلُ»: اللَّعْنُ. يُقَالُ: عَلَيْهِ بُهْلَةٌ اللَّهِ وَبُهْلَتُهُ، أَيْ: لَعْنَةُ اللَّهِ. وَنَاقَةٌ بَاهِلٌ: لَا صِرَارَ عَلَيْهَا»^(٢).

وَأَصْلُهُ: التَّرْكَ وَالِإِهْمَالُ، وَالتَّحْلِيَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ: بَهَلْتَ النَّاقَةَ، إِذَا تَرَكْتَهَا بِلَا صِرَارٍ، أَيْ: لَمْ تَصُرَّ مِنْ أَحْلَاقِ النَّاقَةِ شَيْئًا قِيلَ: أَبْهَلَهَا. وَأَبْهَلَ الرَّاعِي إِبِلَهُ: تَرَكَهَا مِنَ الْحَلَبِ، وَاسْتَبْهَلَهَا فَصَيْلُهَا: انْتَزَعَ أَصْرَتَهَا لِيَرْضِعَهَا»^(٣).

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: «وَأَبْهَلَ الرَّجُلَ: تَرَكَهُ. وَيُقَالُ: بَهْلَتُهُ وَأَبْهَلْتُهُ إِذَا خَلَيْتَهُ وَإِرَادَتَهُ. وَأَبْهَلَ النَّاقَةَ: أَهْمَلَهَا»^(٤)، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ إِذَا كَانَ مَعَ إِصْرَارٍ وَإِلْحَاحٍ»^(٥).

وبهذا المعنى أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الفعل «وَلِيَبْتَهَلْ» مرّةً واحدةً في الخطبة، وهو أحد الأفعال التي ختم بها أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته، فقال (عليه السلام): «فَلْيَتَصَرَّعْ مُتَصَرِّعُكُمْ، وَلِيَبْتَهَلْ مُبْتَهَلُكُمْ». أَيْ: لِيَدْعُ مَبْتَهَلُكُمْ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ، وَيُخْلِصَ فِي دُعَائِهِ، مُسَبِّحًا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، ذَاكِرًا لَهُ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الدُّعَاءُ مَعَ إِصْرَارٍ وَإِلْحَاحٍ، وَقَدْ جَاءَتْ لَامُ الأَمْرِ الَّتِي قَرَنَهَا أَمِيرُ

١. لسان العرب: ٧١/١١. وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٨٨/١، والصحاح في اللغة: ٥٦/١، والمخصّص: ١٦٦/٣، وتاج العروس: ٨٦٩٩/١.

٢. الصحاح في اللغة: ٥٦/١. وينظر: تهذيب اللغة: ٣٣٦/٢.

٣. ينظر: المحيط في اللغة: ٣٠٩/١.

٤. لسان العرب: ٧١/١١.

٥. ينظر: جامع البيان: ٤٧٤/٦، وتفسير البحر المحيط: ٢٦١/٣، ومجمع البيان: ٢٧٧/٢، والتفسير الكبير: ٢٤٢/٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٥٥/١، والدرّ المشور: ٣٥٤/٢، وروح المعاني: ٧٣/٣، وتفسير الميزان: ١٢٥/٣، وتفسير الأمل: ٥٢٤/٢، والتفسير الوسيط: ٦٣١/١.

المؤمنين (عليه السلام) بالفعل «لَيَّبَتِهْلُ» دالّةً على ذلك.

و«لَيَّبَتِهْلُ» اللّام: لام الأمر، و«يَّبَتِهْلُ» فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه السُّكون، و«مبتهلكم» فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، و«كُمُ»: ضمير متّصل مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ بالإضافة. وجملة «ولَيَّبَتِهْلُ مُبْتِهْلُكُمْ» معطوفة على جملة «فَلَيَّبَتِهْلُكُمْ مُتَضَرِّعٌكُمْ».

..... * * *

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية: د. نجاته عبدالعظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩ م.
 ٢. أبنية الأفعال في دعاء الصباح دراسة ومعجم: د. أحمد عاشور جعاز، مكتبة الحوراء، بغداد، ٢٠١٠ م.
 ٣. أبو عثمان المازني ومذهبه في الصرف والنحو: رشيد عبدالرحمن العبيدي، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ١٩٦٩ م.
 ٤. أحكام العبادات: السيد محمد تقي المدرسي الحسيني، دار محبي الحسين، ط ٤، ٢٠٠٣ م.
 ٥. أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٣ م.
 ٦. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وتعليق: د. أحمد النحاس، ط ١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٨ م.
 ٧. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزخشي جارا لله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
 ٨. أسرار العربية: أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار،

- دمشق، ١٩٥٧م.
٩. أسماء الله الحسنى: حسنين محمد مخلوف، دار المعارف، ١٩٧٦م.
١٠. الأسماء والصفات: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري الحنفي، مطبعة السعادة، (د.ت).
١١. إشتقاق أسماء الله: أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق: عبدالحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٦م.
١٢. الإشتقاق: عبدالله أمين، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.
١٣. إصلاح الخلل في الجمل للزجاجي: عبدالله بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، تحقيق وتعليق: د. حمزة عبدالله النشري، ط ١، دار المريخ، الرياض، ١٩٧٩م.
١٤. إصلاح المنطق: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط ٣، ١٩٧٩م.
١٥. الأضداد: أبو بكر محمد بن الأنباري (ت ٦٥٠هـ)، تحقيق: أوغست هفنز، طبع بيروت، ١٩١٣م.
١٦. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: د. عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
١٧. ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدى: د. طيبة صالح الشذر، مطابع الإهرام التجارية، القاهرة، ١٩٨٩م.
١٨. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٣م.
١٩. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: عبدالرحمن بن محمد أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، مطبعة حجازي بالقاهرة، ١٩٥٣م.
٢٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي

- البيضاوي (ت ٧٩١)، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٦ م.
٢١. أوزان الفعل ومعانيها: د. هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١ م.
٢٢. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠ م.
٢٣. الإيضاح في شرح المفصل: أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٢ م.
٢٤. الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، نشر مكتبة دار العروبة بالقاهرة، مطبعة المدني، ١٩٥٩ م.
٢٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق وتعليق ليف من العلماء، راجعه وقدم له: محمود درياب النجفي، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
٢٦. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ.
٢٧. بداية المعرفة منهجية حديثة في علم الكلام: الشيخ حسن مكّي العاملي، دار المغرب للطباعة والنشر، بغداد/ البتاوين، (د.ت).
٢٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، الجزء الثالث بتحقيق: محمد علي النجار، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٦٨ م. والجزء الخامس بتحقيق عبدالعليم الطحاوي، مطابع الإهرام التجارية القاهرة، ١٩٧٠ م.
٢٩. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي ود. حسين نصار، الكويت ١٣٩٣ - ١٣٩٤هـ.

٣٠. تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، ط ٢، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٠ م.
٣١. تاريخ آداب اللغة العربية: كارل بروكلمان، نقله الى العربية رمضان عبد التواب، راجع الترجمة سيد يعقوب بكر، ط ٢، دار المعارف، (د.ت).
٣٢. تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، دار التراث، ط ٢، ١٩٧٣ م.
٣٣. التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملين مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٩٨٩ م.
٣٤. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
٣٥. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أثير الدين أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٩٧٧ م.
٣٦. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: زكي الدين عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ)، ضبط أحاديثه وعلّق عليه: مصطفى محمد عمارة، الدار المصرية، ١٩٨٧ م.
٣٧. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، حققه وقدم له: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧ م.
٣٨. التشبيهات القرآنية والبيئة العربية: واجدة مجيد الأطرقجي، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨ م.
٣٩. تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: د. صالح سليم الفاخري، مكتبة ومطبعة الإشعاع، مصر ١٩٩٦ م.
٤٠. تصريف الفعل: أمين علي السيد، مكتبة الشباب، مطبعة عاطف، (د.ت).

٤١. التطبيق الصرفي: الدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣ ن
٤٢. التطور اللغوي التاريخي: د. إبراهيم السامرائي، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦ م.
٤٣. التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٩ م.
٤٤. التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، (د. ت).
٤٥. تفسير الآصفي: المولى محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، حققه مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، قم، (د. ت).
٤٦. تفسير الصافي للفيض الكاشاني ت ١٠٩١ هـ، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ، مؤسسة الهادي، قم المقدسة - إيران.
٤٧. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٤٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢ م.
٤٨. التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب): أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (٦٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، (د. ت).
٤٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د. محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، ط ٢، ١٩٧٤ م.
٥٠. تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي ت ١١١٢ هـ، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط ٤، ١٤١٢ هـ، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم.
٥١. تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
٥٢. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق:

- محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
٥٣. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٥٤. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧ م.
٥٥. الجانب الروحي في اللغة العربية: الدكتور حسن منديل العكيلى، مطبعة المغرب، بغداد، ٢٠٠٤.
٥٦. الجمل في النحو: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق وتقديم: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٩٨٨ م.
٥٧. جمهرة اللغة: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١ هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٤٥ هـ.
٥٨. حاشية الخضري على ابن عقيل: محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي (ت ١٢٨٧ هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي - مصر، (د. ت).
٥٩. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: أحمد بن محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، (د. ت).
٦٠. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، حققه: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، (د. ت).
٦١. الدر المنثور في التأويل بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، مطبعة الفتح، جدة، ط ١، ١٩٤٥ م.
٦٢. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٦ م.
٦٣. دروس في العقيدة الإسلامية: الأستاذ محمد تقي مصباح اليزدي، المشرق للثقافة والنشر،

- ط ١، ٢٠٠٦ م.
٦٤. دستور العلماء: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٧٥ م.
٦٥. دقائق العربية: أمين آل ناصر الدين، بيروت، ١٩٥٣ م.
٦٦. ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠ هـ)، تحقيق د. أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٧٤-١٩٧٥ م.
٦٧. رسالة التوحيد: محمد عبده، تحقيق: محمد عمارة، المركز المصري العربي، ط ٣، ١٩٨٩ م.
٦٨. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا: تصحيح خير الدين الزركشي، المطبعة العربية، بمصر، ١٩٢٨ م.
٦٩. روائع البيان في خطاب الإمام (الجوانب البلاغية واللغوية في بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)): د. رمضان عبد الهادي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢ م.
٧٠. روح الدين الإسلامي: عفيف عبدالفتاح طيارة، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٦، (د. ت).
٧١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط ٢، (د. ت).
٧٢. الروض الآنف في شرح السيرة النبوية: الإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١ هـ)، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة، (د. ت).
٧٣. زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٦٨ م.
٧٤. الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري

٧٥. الزينة في الكلمات الإسلامية: أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت ٣٢٢هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني، مطبعة الرسالة، مصر، ١٩٥٨ م.
٧٦. سبل السلام: الشيخ محمد اليعقوبي، مؤسسة البديل، ط ٢، بيروت / لبنان، ٢٠١٠.
٧٧. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٧٨. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت □ لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.
٧٩. شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٧ م.
٨٠. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: بدر الدين بن محمد بن محمد بن مالك (ت ٦٨٦هـ)، صححه ونقحه محمد بن سليم اللبائدي، مطبعة القديس جارجيوس، بيروت، ١٣١٣هـ.
٨١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢٠، مكتبة در التراث القاهرة، ١٩٨٠ م.
٨٢. شرح الأسماء الحسنى: السيد حسين الهمداني الدورآبادي (ت ١٣٤٣هـ)، مطبعة بوزد حمهري مصطفوي، ط ١، (د. ت).
٨٣. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (المسمى نهج السالك إلى ألفية ابن مالك): نور الدين علي بن محمد الأشموني الشافعي (ت ٩٢٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥ م.

٨٤. شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).

٨٥. شرح شافية ابن الحاجب: محمد بن الحسن رضي الدين الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة، ١٩٢٩م.

٨٦. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١، القاهرة، ١٩٦٥م.

٨٧. شرح مقامات الحريري:

٨٨. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، (د. ت).

٨٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، ط ١، بغداد، ٢٠٠٥م.

٩٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٩١. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) بشرح النووي: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق وإشراف: عبد الله أحمد أبو زينة، مطابع الشعب، القاهرة، (د. ت).

٩٢. الصرف الوافي: دراسة وصفية تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية: الدكتور هادي نهر، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩م.

٩٣. العباب الزاخر واللباب الفاخر: رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (ت ٦٥٠هـ)،

٩٤. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف

- الشافعي الحلبي، تحقيق: محمود محمد السيد الزعيم، ط ١، دار السيد، استانبول ١٩٨٧ م.
٩٥. عمدة الصرف: كمال إبراهيم، ط ٢، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٥٧ م.
٩٦. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د، ت).
٩٧. غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب): أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ)، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٩٨٢ م.
٩٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، عالم الكتب، (د، ت).
٩٩. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ت نحو ٣٩٥ هـ)، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣ م.
١٠٠. الفعل زمانه وأبنيته: د. إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٦ م.
١٠١. فلسفة الصلاة.
١٠٢. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط ١١، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
١٠٣. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٠٤. كتاب الأضداد: محمد بن يعقوب بن السكيت، ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد)، نشرها الدكتور أوغست هفتر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢ م.
١٠٥. كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة: لأغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ)، ط ٣، دار الأضواء بيروت، ١٤٠٣ هـ.
١٠٦. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام

- محمد هارون، ط ٣، عالم الكتب، ١٩٨٣ م.
١٠٧. كشّاف اصطلاحات الفنون: محمّد بن علي بن علي التهانوي (ت ١١٥٨ هـ)، تحقيق: د. لطفي عبد البديع، الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧ م.
١٠٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ١٩٩٥ م.
١٠٩. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (ت ٦٧٢ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٧٩ م.
١١٠. الكشاف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨١ م.
١١١. كفاية الطالب:
١١٢. كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي الهندي، مؤسّسة الرسالة بيروت، ١٩٧٨ م.
١١٣. اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ)، الجزء الأوّل تحقيق: غازي مختار طليحات، والجزء الثاني تحقيق: الدكتور عبد الإله النبهان، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ١٩٩٥ م.
١١٤. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨ م.
١١٥. مجاز القرآن: معمر بن المثنى أبو عبيدة، عارضه بأصوله وعلّق عليه: د. محمّد فؤاد سزكين، ط ٢، دار الفكر، ١٩٧٠ م.
١١٦. مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط ٢، ١٩٨٨ م.
١١٧. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، عني بطبعه: أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سوريا، ١٣٣٣ - ١٣٥٦ هـ.

١١٨. محاضرات في علم الصرف: د. علي جابر المنصوري، وعلاء الدين الخفاجي، مطبعة التعليم العالي، الموصل، بيت الحكمة، ١٩٨٩ م.
١١٩. المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، دار الفكر، بيروت، (د، ت).
١٢٠. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط ١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٨ م.
١٢١. محمد في القرآن: السيد رضا الصدر، مطبعة قدس، ط ٢، ٢٠٠٠ م.
١٢٢. محيط المحيط: بطرس البستاني، بيروت، ١٨٦٧ م.
١٢٣. المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الحرية للطباعة - بغداد، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨.
١٢٤. المخصّص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
١٢٥. المدخل إلى علوم نهج البلاغة: د. محسن باقر الموسوي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢ م.
١٢٦. المساعد على تسهيل الفوائد: بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد كامل بركات، دار الفكر بدمشق، ١٩٨٠ م.
١٢٧. مُشكِل إعراب القرآن: مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٥ م.
١٢٨. مصادر نهج البلاغة وأسانيده: عبد الزهراء الحسين الخطيب، مؤسسة الأعلمي، ط ٢، ١٩٧٥ م، بيروت.
١٢٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، (د، ت).

١٣٠. المصباح: الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي (ت ٩٠٠هـ)، صححه وأشرف عليه فضيلة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٣م.
١٣١. المصنّف في الأحاديث والآثار: عبدالله بن محمّد المعروف بـ(أبن أبي شيبة) (ت ٢٣٥هـ)، تقديم: كمال يوسف الحوت، مكتبة العلوم والحكمة، المدينة المنورة، (د.ت).
١٣٢. مطالب السؤل: ابن طلحة الشافعي، طبع حجري قديم، (د.ت).
١٣٣. معارف الإسلام: إعداد ونشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت لبنان، ط ٨، ٢٠٠٩م.
١٣٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنّة، أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
١٣٥. معالم الزلفي في معارف النشأة الأولى والأخرى: العلامة المحدث السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، ط ١، قم، جمهورية إيران الإسلامية، ٢٠٠٣م.
١٣٦. معاني الأبنية في العربية: د. فاضل السامرائي، ط ١، ١٩٨١م.
١٣٧. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).
١٣٨. معاني القرآن: أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م.
١٣٩. معاني القرآن: سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
١٤٠. معجم الأفعال الجامدة: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣.
١٤١. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، دار الفكر العربي،

- ط٢، القاهرة (د.ت).
١٤٢. معجم ألفاظ القرآن الكريم: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط٢، ١٩٧٠ م.
١٤٣. المعجم الفلسفي: د. جميل صليب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧١ م.
١٤٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصري، ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م.
١٤٥. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، (د.ت).
١٤٦. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
١٤٧. معجم المعاني للمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعبير، نجيب اسكندر، طبع بمطبعة الزمان، بغداد ١٩٧١ م.
١٤٨. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الباي الحلبي وأولاده، مصر، (د.ت).
١٤٩. مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمّي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م.
١٥٠. مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ.
١٥١. مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح، السيد محمد كلانتر، دار النشر، الإسلام، مطبعة محمد، إيران، ط٢، (د.ت).
١٥٢. المفتاح في الصرف: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ١٩٨٧ م.
١٥٣. مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني

- (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دمشق، ط ١، ٢٠٠٠م.
١٥٤. المفصل في علم العربية: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط ٢، دار الجيل، بيروت، (د. ت).
١٥٥. المقتضب: أبو العباس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب - بيروت، (د. ت).
١٥٦. الممتع في التصريف: علي بن مؤمن بن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط ٣، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.
١٥٧. من هدي القرآن: السيد محمد تقي المدرسي، ط ١، دار الهدى، ١٩٨٦م.
١٥٨. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، مكتبة مصطفىوي، المطبعة العلمية، قم، (د. ت).
١٥٩. المنصف: شرح الإمام أبي الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ) لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري (ت ٢٤٨هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط ١، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٣هـ.
١٦٠. منهج البراعة شرح نهج البلاغة: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد عبداللطيف الكوهمكري، نشر: مكتبة آية الله المرعشي العامة - قم، ١٤٠٦هـ.
١٦١. منهج البراعة في شرح نهج البلاغة: العلامة المحقق السيد حبيب الله الخوئي (ت ١٣٢٤هـ)، ضبط وتحقيق علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م.
١٦٢. منهج الصالحين: السيد أبو القاسم الخوئي، مطبعة الديواني، بغداد، ط ٢٩، (د. ت).
١٦٣. منهج الصالحين: السيد محمد الصدر، مؤسسة العطار الثقافية، النجف الأشرف، (د. ت).

١٦٤. موجز الفتاوى المستنبطة: الشيخ ميرزا علي الغروي، دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، ط٣، ١٩٩٧م.
١٦٥. موسوعة أخلاق القرآن: د. أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨١م.
١٦٦. موطأ مالك: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي (ت ١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر (د. ت).
١٦٧. الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ط٣، ١٩٧٣م.
١٦٨. نظام الغريب في اللغة: عيسى بن إبراهيم بن محمد الربيعي الحميري (ت ٤٨٠هـ)، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٨٠م.
١٦٩. النظام القرآني مقدّمة في المنهج اللفظي:
١٧٠. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد الزواوي، ومحمود الطناحي، مطبعة البابي الحلبي مصر (د. ط) ١٩٦٣م.
١٧١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، الكويت، ١٩٧٥-١٩٨٢م.
- ٢٧١.
١٧٣. الرسائل والأطاريح الجامعية:
١٧٤. أبنية المشتقات في نهج البلاغة (دراسة دلالية): ميثاق علي عبد الزهرة الصيمري، رسالة ماجستير، جامعة البصرة/ كلية الآداب، ٢٠٠٣م.
١٧٥. أحاديث التبعّد النبويّة في ضوء نظرية الحقول الدلالية: أحمد عاشور جعاز، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ٢٠٠٨م.
١٧٦. الإدغام في العربية: فاطمة حمزة الراضي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد/ كلية

- الآداب، ١٩٨٨ م.
١٧٧. الالتفات في القرآن الكريم: صدام حسين الدليمي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ٢٠٠٤ م.
١٧٨. ألفاظ العقاب الأخروري في القرآن الكريم (دراسة دلالية): أحمد عاشور جعاز، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية، ١٩٩٨ م.
١٧٩. ألفاظ العقيدة والشريعة في نهج البلاغة، دراسة ومعجم: فضيلة عبوسي محسن، ماجستير، كلية التربية، جامعة الكوفة، ١٩٩٨ م.
١٨٠. ألفاظ القدرة والتمكين في القرآن الكريم دراسة دلالية: ياسين أحمد حسين عيسى، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ٢٠٠٠ م.
١٨١. الألفاظ المعبرة عن الكلام في التعبير القرآني (دراسة دلالية): نبراس حسين مهاوش، رسالة ماجستير، جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات، ٢٠٠٥ م.
١٨٢. التحذير في القرآن الكريم دراسة في مستويات اللغة: علاء ناجي جاسم المولى الموسوي، رسالة ماجستير، جامعة بابل/ كلية التربية، ٢٠٠٣ م.
١٨٣. التنبه أدواته وأساليبه دراسة نحوية دلالية: عبد الحميد همودي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ٢٠٠٥ م.
١٨٤. الدرس الصرفي عند الفراء: أمجد محمد حسن عبد الرحيم العميدي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠٠١ م.
١٨٥. ظاهرة التخفيف في العربية (دراسة صرفية/ صوتية): عبد الله محمد زين بن شهاب، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة/ كلية الآداب، ١٩٩٨ م.
١٨٦. ظاهرة الجزم في اللغة العربية: عبد الكاظم داخل عبد الكريم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ١٩٨٣ م.
١٨٧. العلة الصرفية وموقعها من الدرس اللغوي الحديث: عبد الكريم محمود علي القيسي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ٢٠٠١ م.

١٨٨. الفعل المضارع دلالاته وعلّة إعرابه وبنائه: عبد المجيد كاظم رشيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠ م.
١٨٩. المبني للمجهول في التعبير القرآني: هاتف بريهي شياح، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة/ كلية الآداب، ١٩٩٧ م.
١٩٠. المبني للمجهول في نهج البلاغة (دراسة لغوية): فراس عبد الكاظم حسن، رسالة ماجستير، جامعة بابل/ كلية التربية، ٢٠٠٣ م.

المحتويات

٧	مقدمة المؤسسة.....
٩	المُقدِّمَةُ.....
١٤	١. تسمية الخطبة.....
١٥	٢. سند الخطبة ونسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام).....
١٨	٣. تصوُّر أوَّلِيِّ عَامِّ لِدَلَالَةِ أفعال الخطبة.....
٢٢	٤. نصُّ الخطبة المونقة:.....
٢٧	حَمِدْتُ، حَمِدْتُهُ.....
٣٠	عَظُمْتُ.....
٣١	سَبَعْتُ.....
٣٢	سَبَقْتُ.....
٣٣	تَمَّتْ.....
٣٤	نَفَدْتُ.....
٣٥	بَلَغْتُ، بَلَغَ.....
٣٨	عَدَلْتُ، عَدَلَ.....
٤٠	تُنَجِّيه، تُنَجِّيكُمْ.....
٤٣	يَشْغَلُ.....
٤٣	نَسْتَعِينُهُ.....
٤٦	نَسْتَرْشِدُهُ.....
٤٨	نَسْتَهْدِيهِ.....

- ٥٠..... نُؤْمِنُ
- ٥٢..... نَتَوَكَّلُ
- ٥٤..... شَهِدْتُ، شَهِدْتُ، فَشَهِدْتُ
- ٥٦..... فَرَّدْنَاهُ
- ٥٨..... وَحَدَّثْنَاهُ
- ٦١..... لَيْسَ
- ٦٣..... يَكُنْ، وَوَلْتَكُنْ
- ٦٥..... جَلَّ
- ٦٧..... تَنَزَّهَ
- ٦٨..... عَلِمَ
- ٧١..... سَتَرَ
- ٧٢..... بَطَنَ
- ٧٣..... خَبَرَ
- ٧٥..... مَلَكَ
- ٧٧..... قَهَرَ
- ٧٩..... عَصِيَ
- ٨٠..... عَفَرَ، نَسْتَعْفِرُ
- ٨٣..... عُبِدَ
- ٨٥..... شَكَرَ
- ٨٧..... حَكَمَ
- ٨٩..... تَكْرَمَ
- ٩١..... تَفَضَّلَ

٩٣.....	يَزَلْ
٩٥.....	يَزُولُ
٩٦.....	يُدْرِكُهُ
٩٨.....	يُحِطُّ
١٠٠.....	عَجَزَ
١٠١.....	يَصِفُهُ
٢٠١.....	ضَلَّ
١٠٤.....	يَعْرِفُهُ
١٠٦.....	قَرَّبَ
١٠٧.....	بَعَدَ
١١٢.....	يُحِيبُ
١١٦.....	يَدْعُوهُ، يُدْعَى
١٢١.....	يَرْزُقُ
١٢٥.....	يُحِبُّوهُ
١٢٦.....	بَعَثَهُ
١٣٠.....	خَتَمَ
١٣٣.....	قَوَّى
١٣٦.....	وَعَظَّ
١٣٧.....	نَصَحَ
١٣٩.....	كَدَحَ
١٤٢.....	وَصَيْتُكُمْ
١٤٤.....	حَضَرَني، حَضَرَهُ

١٤٦	ذَكَرْتُكُمْ
١٤٨	تُسَكِّنُ، سَكَنَ
١٥٢	تُذَرِّئُ
١٥٤	يُذْهِلُكُمْ
١٥٥	يُبَيِّنُكُمْ
١٥٧	يَفُوزُ
١٥٩	ثَقُلُ
١٦٠	خَفَّ
١٦١	لِيَغْتَنِمَ
١٦٣	يَكْبُرُ
١٦٤	يَهْرَمُ
١٦٧	يَسْقُمُ
١٦٨	يَمْلَهُ
١٦٩	يَعْرِضُ
١٧٢	يَتَّعِيرُ
١٧٤	يَنْقَطِعُ
١٧٦	قِيلَ
١٧٨	جَدَّ
١٧٩	شَخَصَ
١٨١	طَمَحَ
١٨٣	رَشَحَ
١٨٥	جُذِبَتْ

١٨٩	بَكَتَهُ
١٩٠	حَفِرَ
١٩٣	يَتِمُّ
١٩٥	تَفَرَّقَ
١٩٦	فَسَمَ
١٩٨	ذَهَبَ
١٩٩	غَمَّضَ
٢٠٢	مَدَّدَ
٢٠٣	وَجَّهَ
٢٠٥	جَرَّدَ
٢٠٨	غَسَّلَ
٢١٠	نَشَفَ
٢١٢	سَجَّى
٢١٥	بَسِطَ
٢١٦	هَيَّأَ
٢١٧	نَشَرَ، يَنْشُرُ
٢٢١	شَدَّ
٢٢٣	فَمَّصَ
٢٢٥	عَمَّمَ
٢٢٦	لَفَّ
٢٢٨	وَدَّعَ
٢٣٠	سَلَّمَ

٢٣٢	جُمِلَ
٢٣٣	صُلِّيَ، صَلَّتْ
٢٣٧	تُقَلَّ
٢٣٨	جُعِلَ
٢٤٠	هَيْلَ
٢٤٢	حُثِيَ
٢٤٤	تَحَقَّقَ
٢٤٦	نُسِيَ
٢٤٧	رَجَعَ
٢٤٩	تَبَدَّلَ
٢٥٣	يَسْعَى
٢٥٤	يَسِيلُ
٢٥٦	يَسْحَقُ
٢٥٧	يَرْمِ
٢٥٩	يُقِيمُ
٢٦١	يَنْفَخُ
٢٦٣	بُعْثَرَتْ
٢٦٥	حُصِّلَتْ
٢٦٨	جِيَءَ
٢٦٩	تَوَلَّى
٢٧١	تُضْنِيهِ
٢٧٣	تَنْضِيهِ

٢٧٦	يَلْجِئُهُ
٢٧٨	يَخْفِرُهُ
٢٧٩	قُوبِلَ
٢٨١	تَيَّيَّنَ
٢٨٣	□
٢٨٤	نَطَقَ
٢٨٥	والنطق على أنواع:
٢٨٦	يُهَدِّدُهُ
٢٨٨	كَشَفَ
٢٩٠	سُلِّسِلَ
٢٩٢	غَلَّتْ
٢٩٣	سَيَّوَّ
٢٩٥	وَرَدَ
٢٩٩	ظَلَّ
٣٠١	يُعَذِّبُ
٣٠٣	يُسْقَى، سُقِيَ
٣٠٧	تَشَوَّى
٣٠٩	تَسَلَّخَ
٣١١	يَضْرِبُهُ
٣١٥	يَعُودُ
٣١٧	يَسْتَعِيثُ
٣١٩	يَسْتَصْرِخُ

٣٢٠	يَلْبَثُ
٣٢٤	نَعُوذُ، عُدْتُ
٣٢٧	نَسَأُهُ
٣٢٩	رَضِيَ
٣٣١	قَبَلَ
٣٣٢	زُحِرَ
٣٣٦	خُلِدَ
٣٣٨	طِنِفَ
٣٤٠	تَقَلَّبَ
٣٤٢	شَرِبَ، يَشْرَبُ
٣٤٤	يُصَدِّعُ
٣٤٥	يَنْزِفُ
٣٤٨	خَشِيَ
٣٥١	حَذَرَ
٣٥٣	جَحَدَ
٣٥٥	سَوَّلَتْ
٣٥٦	قَصَّ
٣٥٩	نَصَّ
٣٦٠	نَزَلَ
٣٦٢	فَلَيْتَضَّرَعُ
٣٦٤	لَيْتَهَلُ
٣٦٧	المصادر والمراجع